

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

هارون الرشيد وخلافته

عند مؤرخي القرنين الثالث والرابع الهجريين

(دراسة في المنهجية)

إعداد

أيمن سليمان خالد التميمي

١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م





إهداء ٢٠١٥

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية

المملكة العربية السعودية

هارون الرشيد وخلافته

عند مؤرخي القرنين الثالث والرابع الهجريين

(دراسة في المنهجيّة)

إعداد

أيمن سليمان خالد التميمي

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م

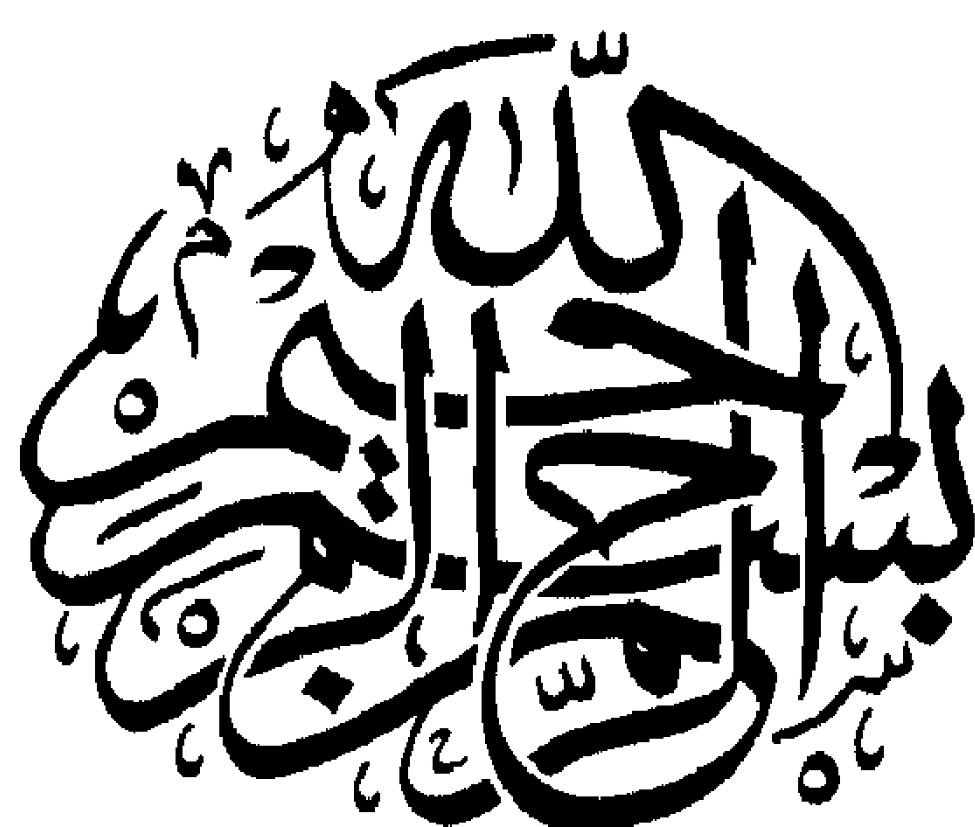
ح مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، ١٤٢٩هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية
التميمي، أيمن سليمان خالد
هارون الرشيد وخلافته عند مؤرخي القرنين الثالث والرابع الهجريين
(دراسة في المنهجية / أيمن سليمان خالد التميمي .- الرياض، ١٤٢٩هـ.
٣٦٤ ص؛ ١٧×٢٤ سم
ردمك: ٣-٠٥-٨٠٣٢-٦٠٣-٩٧٨
١ ـ هارون الرشيد، هارون بن محمد، ت ١٩٣هـ
أ ـ العنوان
ديوي ٩٢٣,١٥٣٠٤٥ ١٤٢٩/٦٤٦٦

رقم الإيداع: ١٤٢٩/٦٤٦٦
ردمك: ٣-٠٥-٨٠٣٢-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م

أصل هذا الكتاب رسالة مقدّمة جزءاً من متطلّبات الحصول على درجة الدكتوراه في التاريخ من كلية الدراسات العليا - الجامعة الأردنية سنة ٢٠٠٤م بعنوان: منهجية مؤرخي القرن الثالث والرابع حول خلافة الرشيد
(١٧٠-١٩٣هـ/ ٧٨٦-٨٠٩م)

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
ص . ب ٥١٠٤٩ الرياض ١١٥٤٣
المملكة العربية السعودية


بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

المقدّمة ٧
الفصل الأول : دراسة في المصادر ١١
الفصل الثاني : المصادر وشخصية هارون الرشيد ٨٩
الفصل الثالث : نظرة المصادر إلى خلافة الرشيد ١٦٩
الفصل الرابع : المصادر وشخصية ولاة عهد الرشيد وبيعتهم ٢٣٥
الفصل الخامس : نظرة المصادر إلى البرامكة ٢٧٣
نتائج الدراسة ٣٣٩
المصادر والمراجع ٣٤٢

المقدمة

حظيت شخصية الرشيد وفترة خلافته باهتمام وشهرة كبيرين؛ مما أدَّى إلى اهتمام عدد من الباحثين بدراستهما. لكن هؤلاء الباحثين خرجوا بتصوُّرات مختلفة ومتناقضة عن هارون الرشيد، جانب بعضهم فيها الصواب، وذهب البقية إلى اتجاهين: اتجاه يدافع عن الرشيد، وآخر يجمع ما يجده في المصادر بكل أنواعها من أخبار وروايات وقصص وأساطير وخرافات وقصص شعبي ليلقيها إلى الناس دون تمحيص أو تدقيق.

ولم تأتِ هذه الدراسة للتأريخ للرشيد أو للدفاع عنه؛ لأن الكثيرين فعلوا ذلك، لكنها جاءت لتوضِّح منهج المؤرخين في تعاملهم مع أخباره من خلال قضايا رئيسة كانت الأبرز في خلافته ووجدت الاهتمام من قبل المؤرخين، وقد شغلت هذه القضايا فصول الدراسة الرئيسة.

عالجت الدراسة قضايا البحث الرئيسة ـ شخصية الرشيد، وخلافته، وولاية العهد، والبرامكة ـ من خلال مقارنة الأخبار في المصادر، وملاحظة الاختلاف من حيث الإسناد ومدى المبالغة والتضخيم أو الاختصار أو التوسُّع، وملاحظة تأثير تيارات معينة في المؤرِّخين ورواتهم عند تدوين أخبارهم عن الرشيد.

لم تقتصر الدراسة على المصادر التاريخية، بل اعتمدت على مصادر متنوعة؛ كالمصادر الأدبية وكتب التراجم، بهدف تعرُّف التصوُّرات المختلفة التي قُدِّمت عن الرشيد وخلافته وارتبطت بثقافات أصحاب تلك المصادر واهتماماتهم، وهو ما يساعد في تعرُّف أسباب الصور المتناقضة عنه.

جاءت هذه الدراسة في خمسة فصول: تعرَّض الفصل الأول منها لدراسة المصادر الرئيسة للقرنين الثالث والرابع الهجريين التي أوردت أخبار الرشيد، وذلك من خلال دراسة منهج تلك المصادر في تناول أخبار الرشيد وأهمية ما قدَّمته من

مادة، ودراسة الرواة الذين نقلوا أخبار الرشيد، وتقييم أهم الدراسات الحديثة التي تعرَّضت للرشيد بالبحث والتأليف.

وتناول الفصل الثاني كيفية تقديم هذه المصادر لشخصية الخليفة هارون الرشيد في فترتي خلافته وما قبلهما، ومواقفه الشخصية من بعض القضايا؛ كمحاولة خلع الهادي له، إضافةً إلى تناولها صفات الرشيد التي تناقضت بين وصفه بالتديُّن وما يتبعه من صفات ووصفه باللهو والمجون وما شابههما، ومحاولة تعرُّف الصفات التي قدَّمها كل مصدر، وملاحظة مدى اهتمام هذه المصادر بالإسناد في تلك الصفات إيجاباً وسلباً.

وقامت الدراسة بإحصاء بعض أعمال الرشيد؛ كحجّه وغزْوِه، ومقارنتها من خلال تقديم جداول تعكس حقيقة ما قدَّمته المصادر. وحاولت الدراسة أن توضِّح الغموض في أسباب التناقض والتنوُّع في الصفات التي قدَّمتها المصادر عن الرشيد.

وتناولت الدراسة في الفصل الثالث نظرة المصادر إلى خلافة الرشيد وما قدَّمته حولها من مميزات وأخبار؛ إذ أشارت الدراسة إلى أن أغلب المصادر قدَّمت أوصافاً إيجابيةً عن خلافة الرشيد فوصفتها بالقوة والازدهار، وأن بعض المصادر أوردت انتقادات لها فوصفتها بالتدهور والتراجع، خصوصاً في الفترة المتأخرة نتيجةً لنكبة البرامكة. كما استعرضت الدراسة كيفية تناول المصادر أحوال خلافة الرشيد؛ كإدارة الرشيد للدولة، ومدى نفوذ البرامكة، وتعامل الرشيد مع الحركات التي نشبت في أقاليم الدولة. كما أوضحت الدراسة كيفية تناول المصادر هذه الحركات من حيث أسبابها وموقف الرشيد في التعامل معها من خلال جداول تفصيلية قارنت ما أورده كل مصدر عن كل حركة، إضافةً إلى تناولها علاقة الرشيد بالعلويين وموقفه من بعض حركاتهم ونواياهم.

وتناول الفصل الرابع ما قدَّمته المصادر عن شخصية وليَّيْ عهد الرشيد منذ طفولتهما، ومبايعة الرشيد لهما بولاية العهد، وأثر الدعاية المعادية للأمين في

تشويه صورته حتى قبل ولادته. وعقدت الدراسة مقارنةً بين كتب العهد بين الأخوَيْن الأمين والمأمون وبنودها التي وردت في المصادر، كما تناولت الاختلاف بين تلك النصوص وأسبابه، ومدى تأثير الدعايتين المأمونية والشعوبية في تلك العهود.

أما الفصل الخامس، فقد تناول نظرة المصادر إلى البرامكة من حيث صفاتهم الشخصية، ووظائفهم الإدارية، وأفعالهم، ومكانتهم في الدولة، فبالغت معظم المصادر في إيراد المدائح لهم، ووصفهم بأوصاف كالكرم والبلاغة. كما تناولت الدراسة ما أوردته المصادر عن تنبُّؤات وقوع النكبة وأسبابها، مشيرةً إلى اختلاف المصادر في تقديمها هذه الأسباب، كما أوضحت تناقض المؤرخين في أخبارهم حول هذه الأسباب، إضافةً إلى تبعات النكبة، وكيفية تصوير المصادر لحال البرامكة بعد النكبة، وبعض ردود أفعال أتباعهم عليها، وما ورد فيهم من رثاء.

الفصل الأول

دراسة في المصادر

كان اهتمام مؤرّخي القرنين الثالث والرابع الهجريين بخلافة الرشيد وسيرته الشخصية كبيراً؛ لأن خلافته في رأي الكثيرين مثّلت العصر الذهبي للدولة العباسية، إضافةً إلى أنها تمثّل نهاية مرحلة الاستقرار السياسي والاقتصادي؛ إذ تلاها عدة أزمات عانت منها الدولة العباسية بدءاً من الصراع بين الأمين والمأمون وانتهاءً بإقصاء العرب عن الجيش نتيجة دخول العناصر الأعجمية وسيطرتها على الجيش ثم مؤسّسة الخلافة، حتى انقسمت الدولة إلى دويلات صغيرة متصارعة. لقد انطلق المؤرّخون يدوّنون تاريخ العرب تأكيداً لدورهم الحضاري ووحدتهم الثقافية واستمرارها من خلال استمرار التاريخ الإسلامي واتّصاله، وأخذوا يُذكّرون بما كان عليه العرب في القرون الأولى من قوة وسيطرة وسيادة، فتجسّد ذلك في كتابة تواريخ شاملة للمسلمين جاء من ضمنها الرشيد وخلافته بوصفها مرحلة مضيئة ومزدهرة في تاريخ العرب.

أُرّخ لخلافة الرشيد من قِبَل عدة مصادر، منها التاريخية والأدبية وكتب التراجم. ويُلاحظ وجود اختلاف واضح بين هذه الفئات من الكتب، إضافةً إلى وجود اختلاف بين المصادر في الفئة الواحدة؛ فالمؤرّخون تفاوتوا في تقديمهم أخبار الرشيد، وكذلك الأدباء وأصحاب التراجم.

اختلفت اهتمامات المصادر باختلاف ثقافات مؤلّفيها من حيث الجوانب والقضايا التي تناولوها من سيرة الرشيد وخلافته، إضافةً إلى الاختلاف في منهج عرض أخبارهم ورواياتهم وأسلوبهم في ذلك، من حيث اهتمامهم بالإسناد، أو وجود مؤثّرات تدخّلت في طبيعة أخبارهم؛ مثل: ميولهم، أو مصادرهم التي تنوّعت بين رواة الأخبار أو الأدب أو الأخباريين أصحاب المؤلّفات الصغيرة وبين شهود العيان من المقرّبين إلى الخليفة من خدم أو كُتّاب أو قادة أو أحفاد أو أولاد شاركوا في الأحداث. ويمكن توضيح ذلك من خلال دراسة بعض المصادر وما قدّمته من مادة تاريخية وأهميتها، إضافةً إلى عرض مصادرها الأساسية التي استندت إليها في تقديم أخبارها حول الرشيد ودراستها. ومن هذه المصادر:

* خليفة بن خياط (ت ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م):

هو أبو عمرو خليفة بن خياط الليثي الشيباني العصفري، عاش في البصرة ومات بها، كان عارفاً بالتواريخ وأيام الناس، وُصف بأنه كان صدوقاً ونسَّابة وعالماً بالسِّيَر والأيام والرجال، وثّقه عدد من العلماء[(١)]. قدَّم ابن النديم (ت ٣٨٥هـ / ٩٩٥م) قائمة بأسماء الكتب التي ألّفها خليفة، منها: (الطبقات)، و(التاريخ)، إضافةً إلى مؤلّفات أخرى في علوم القرآن والنوادر[(٢)].

ألّف خليفة بن خياط كتاب (التاريخ) حسب النظام الحولي؛ إذ يذكر الأحداث التي حصلت في كل سنة على حِدَة، وقد ابتدأه من السنة الأولى للهجرة وأنهاه بسنة ٢٣٢هـ/ ٨٤٦م، وهو بذلك يؤرِّخ للتاريخ العربي الإسلامي دون الاهتمام بما قبله كما فعل كثيرون غيره، ويرى أن التاريخ العربي يبدأ بميلاد الرسول ﷺ أو بالأحرى من تاريخ هجرته[(٣)]. واعتمد بقيّ بن مخلد راوي كتاب خليفة أسلوب الاختصار بشكل عام، إضافةً إلى تركيزه في الجانب الإداري من خلافة الرشيد من خلال إشارات مُختصَرة وبسيطة وغير مُسنَدة لأخبار الحجَّات والغزوات التي كانت تجري في كل سنة، إضافةً إلى وفيات المشاهير وتتبُّع تحرُّكات الرشيد، خصوصاً في الحج أو إجراءاته الإدارية[(٤)]. وقد يكون ذلك ناتجاً عن اطّلاعه على وثائق الدولة.

---

(١) البخاري، التاريخ الكبير، ج٣، ص١٩١. القيسراني، تذكرة الحفّاظ، ج٢، ص٤٣٦. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢، ص٢٤٣، ٢٤٤. الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١١، ص٤٧٢، ٤٧٣. السيوطي، طبقات الحفّاظ، ج١، ص١٩٣، ١٩٤. أكرم العمري، مقدّمة تحقيق كتاب (تاريخ خليفة)، ص٩-١٢.

(٢) ابن النديم، الفهرست، ص٢٨٨.

(٣) عبدالجبار ناجي، ريادة مؤرّخي البصرة في كتابة تواريخ شاملة، المؤرّخ العربي، ع٣٠، س١٢ (١٩٨٦م)، ص٢١٣.

(٤) خليفة بن خياط، التاريخ، ص٤٤٩، ٤٥٠.

وفي بعض الأحيان كان يتوسَّع بقيّ بن مخلد ـ على الرغم من اعتماده أسلوب الاختصار ـ فيُورد تفاصيل انفرد بها حول بعض الحركات التي حصلت أيام الرشيد؛ مثل خروج الوليد بن طريف الشاري سنة ١٨٠هـ/ ٧٩٦م في الجزيرة الفراتية(١)، وحركة جُراشة بن شيبان الخارجي بتتبُّعه أكثر من ٢٥ موقعاً لاحق فيها الجيش العباسي جيش جراشة(٢)؛ مما يدلُّ على أنه اعتمد على مصادر مباشرة لم يذكرها. وقدَّم خليفة عدَّة قوائم بأسماء عمَّال الرشيد على أشهر المدن والأقاليم، وأسماء قضاة بعض المدن، وأسماء الشُّرَط، وكُتَّاب الرسائل، وديوان الخراج، والجند، والخاتم، والحرس، والحُجَّاب(٣). وكانت قوائم خليفة متميِّزة لشموليتها واتِّساعها بالمقارنة مع ما ورد لدى آخرين. وقد يشير هذا الاهتمام إلى تتبُّعه الوثائق الإدارية وتحرِّيه عن الأسماء الواردة فيها(٤).

ويُلاحظ أن اهتمام خليفة بأخبار البرامكة كان ضعيفاً؛ فهم لم يظهروا في الأحداث سوى إشارة عارضة لوزارة يحيى بن خالد(٥). كما تجنَّب خليفة الحديث عن النكبة، وربما كان ذلك لحساسية الموضوع بالنسبة إلى العباسيين؛ إذ كان بعض المؤرِّخين يتجنَّبون الحديث عن الفترة التي يعاصرونها. ويمكن ملاحظة تساهل خليفة في الإسناد بشكل عام منذ بداية تناوله تاريخ الدولة الأموية فصاعداً، حتى تكاد رواياته عن الدولة العباسية تفتقده(٦)، وإن كان في حالات قليلة قد أسند

(١) خليفة بن خياط، التاريخ، ص٤٥١-٤٥٣.

(٢) خليفة بن خياط، التاريخ، ص٤٥٤-٤٥٦. أسند الخبر إلى أبي الحسن، وأبو الحسن بن خيرة لم يكن راوياً للخبر، بل هو من رواة الكتاب؛ إذ تُوفِّي سنة ٦٣٢هـ. انظر: أكرم العمري، مقدِّمة تحقيق كتاب (تاريخ خليفة)، ص٣٩.

(٣) خليفة بن خياط، التاريخ، ص٤٦١-٤٦٥.

(٤) عبدالجبار ناجي، ريادة مؤرِّخي البصرة، ص٢١٦، ٢١٧.

(٥) خليفة بن خياط، التاريخ، ص٤٦٠.

(٦) عبدالجبار ناجي، ريادة مؤرِّخي البصرة، ص٢١٥.

بعض أخباره عن الرشيد؛ مثل تاريخ مولده؛ فقد أعاده إلى الوليد بن هشام القحذمي[1] الذي نقل عن جدّه قحذم بن سليمان (ت ١٥٨هـ/ ٧٧٤م)، وكان يعمل كاتباً للخراج أيام يوسف بن عمر. ولعل عمله هذا قد سهَّل له الإفادة من الوثائق الرسمية. ويبدو أن الوليد بن هشام القحذمي قد ألَّف أو جمع شيئاً عن أخبار الخلفاء العباسيين؛ إذ كان خليفة يستند إليه في الأخبار التي تتعلَّق بتواريخ ولادة السفاح والمنصور والمهدي والرشيد ووفياتهم[2].

* الجاحظ (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م):

هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ؛ مولًى لأبي القلمس عمرو بن قطع الكناني. من شيوخ المعتزلة[3]، له مؤلَّفات كثيرة، أشهرها: (البيان والتبيين)، و(الحيوان)، و(البخلاء)، و(الرسائل). وله مؤلَّفات في الردود وعلم الكلام. ذكر عبدالسلام هارون أن مؤلَّفاته وصلت ٣٦٠ مؤلفاً في فنون المعرفة شتّى[4].

ويعدُّ الجاحظ من أئمة البيان في العربية؛ إذ قدَّم أدباً للدُّعابة والهزل والفكاهة، وطرق أبواباً متنوعة في الفنون والعلوم والمعارف والحكم والنوادر[5]. كما حمل الجاحظ لواء الدفاع عن العرب ضد الشعوبية[6]، وهو ما بدا واضحاً في أخباره حول الرشيد والبرامكة كما سنرى.

---

(١) خليفة بن خياط، التاريخ، ص٤٥٨.

(٢) عبدالجبار ناجي، ريادة مؤرِّخي البصرة، ص٢٢٢.

(٣) ابن النديم، الفهرست، ص٢٠٨. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٢، ص٢١٣.

(٤) ابن النديم، الفهرست، ص٢٠٩-٢١٢. عبدالسلام هارون، مقدِّمة تحقيق كتاب (الحيوان)، ج١، ص٥.

(٥) عبدالسلام هارون، مقدِّمة تحقيق كتاب (الحيوان)، ج١، ص٥-١٠.

(٦) انظر حول ذلك: رسالة مناقب الترك، رسائل الجاحظ، ج١، ص١٢، ٢٢. رسالة النابتة، رسائل الجاحظ، ج٢، ص٢٠، ٢١. البيان والتبيين، ج١، ص٣٨٣، ج٢، ص٥-٧، ج٣، ص٢٨-٣٣.

قدَّم الجاحظ أخباره المتناثرة عن الرشيد والبرامكة في عدَّة مؤلفات، كان معظمها في (البيان) و(الحيوان) و(البخلاء) و(المحاسن). ولم يهتم الجاحظ كثيراً بإسناد أخباره، وتفاوت ذلك من كتاب إلى آخر؛ ففي (البيان) و(الحيوان) و(المحاسن) لم يسند أخباره التي ارتبطت بتقديم أوصاف الرشيد في أثناء أدائه مناسك الحج(١)، وعلاقته بالمغنِّي إسحاق الموصلي(٢)، ومدائح الشعراء فيه(٣)، وبعض تنقُّلاته(٤). كما أسند الجاحظ بعض أخباره عن الرشيد إلى رواة هم شهود عيان؛ مثل بعض الموظفين كالخدم أو الكتَّاب أو بعض القادة، ومنهم:

– ثمامة بن أشرس النميري (ت ٢١٣هـ/ ٨٢٨م): من رؤوس المعتزلة، كان كاتباً بليغاً، اتَّصل بالرشيد ثم المأمون، روى عنه تلميذه الجاحظ، وله نوادر يرويها عنه وله عدة مؤلفات في الردود والحُجَج وخلق القرآن(٥). اورد الجاحظ عنه روايتين: شكَّك في الأولى التي كانت تسيء إلى يحيى البرمكي بقوله: « زعم ثمامة »(٦)، والثانية تتضمَّن مدحاً مُبالَغاً فيه لجعفر البرمكي(٧).

---

(١) الجاحظ، البيان، ج١، ص١٢٦.

(٢) الجاحظ، المحاسن والأضداد، ص٥ . وإسحق الموصلي: هو ابن المغني المشهور إبراهيم بن الموصلي. اصله من فارس. ولد ببغداد سنة ١٥٠هـ، وتوفي سنة ٢٣٥هـ. له كتاب (الأغاني الكبير)، وكتب اخرى عن الشعراء والملاهي. ذكر الخطيب البغدادي انه روى الحديث، واخذ الأدب عن الأصمعي وأبي عبيد. كما وصفه بانه حلو النادرة، جيد الشعر، مذكور بالسخاء. ابن النديم، الفهرست ص ١٥٧–١٥٨؛ الخطيب، تاريخ بغداد ج٦، ص٣٢٨.

(٣) الجاحظ، الحيوان، ج٣، ص٦٣، ٦٤، ج٤، ص٣٨٣، ٣٨٤.

(٤) الجاحظ، الحيوان، ج٣، ص١٤٣.

(٥) ابن النديم، الفهرست، ص٢٠٧، ٢٠٨. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٧، ص١٤٥. ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، ج٧، ص١٤٥–١٤٨. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص٢٠٣، ٢٠٤.

(٦) الجاحظ، الحيوان، ج٣، ص٥٠٣.

(٧) الجاحظ، البيان، ج١، ص١٠٥، ١٠٦، ١١٥.

- محمد بن الأشعث: ربما يقصد به الجاحظ جعفر بن محمد بن الأشعث؛ أحد قادة الرشيد ومن المنافسين للبرامكة(١). نقل الجاحظ عنه قصةً تشير إلى بخل يحيى بن خالد(٢).

كما أورد الجاحظ عن مجموعة من الرواة غير المعروفين أخباراً تسيء إلى البرامكة وتصفهم بأسوأ الأوصاف وأقبحها وتقلّل من شأنهم، وترفع في المقابل من شأن الرشيد(٣). وفي هذا الاتجاه يُلحظ أن الجاحظ أورد أخباراً أخرى غير مُسنَدة في كتب (الحيوان) و(البيان) و(البخلاء) تصف البرامكة بالبخل والزندقة والشرك وتشبّههم بالذباب والكلاب(٤).

إن انتقاء الجاحظ واختياره مثل تلك الأوصاف للبرامكة في روايات مُسنَدة أو غير مُسنَدة يدلُّ على حمله لواء مهاجمة الشعوبية من خلال مهاجمة البرامكة. والجاحظ يؤكّد دور الشعوبيين من المؤلّفين والكتّاب في اختراع الرسائل لينسبوها إلى الفرس ليعظّموهم ويمجّدوهم؛ مثل سهل بن هارون(٥). وهذا الاتجاه في روايات الجاحظ يدعم بعض الآراء التي تشكّك في نسبته إلى أصول غير عربية.

ويتناول الجاحظ أسباب الكذب والوضع في الأخبار والروايات، ومنها الاستجاعة؛ وهي انشغال الرواة بالازدياد في الجمع وحبّ الغرائب والشغف بالطرائف(٦).

(١) الجهشياري، الوزراء والكتّاب، ص١٢٤.

(٢) الجاحظ، البخلاء، ج٢، ص٢٢٤.

(٣) الجاحظ، الحيوان، ج٦، ص٩٠-٩٢ (مويس بن عمران). البيان، ج١، ص١٠٦، ١٠٧ (جعفر بن سعيد)، ج٣، ص٢٦٠، ٢٦١، ٣٥١ (أبو الهول الحميري). البخلاء، ج٢، ص١٦٦-١٧٦ (أبو يعقوب الخريمي).

(٤) الجاحظ، الحيوان، ج١، ص٢٣٩، ج٥، ص٣٧١، ٣٧٣. البيان، ج٣، ص٣٥٠-٣٥٣. البخلاء، ج١، ص١٨٩.

(٥) الجاحظ، البيان، ج٣، ص٢٩. عبدالعزيز الدوري، الجذور التاريخية للشعوبية، ص٦٣.

(٦) الجاحظ، البيان، ج١، ص٢٠٠-٢٠٤، ٢٧٤، ٢٧٥. الرسائل، ج١، ص٣٦، ٣٩، ج٤، ص١٩٥-١٩٧. الحيوان، ج٤، ص١٧٨. محمد القاضي، الخبر في الأدب العربي، ص٦٠٤.

ويدعو الجاحظ إلى الشكّ والتأكد من الأخبار وعدم تصديقها(١) بسبب وجود التحزّب والتشيّع(٢).

* ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م):

هو أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الكوفي الدِّينوري، سكن بغداد وحدَّث بها، ثم أقام بالدِّينور وتولّى قضاءها(٣). وُصف بأنه كان ثقةً ديِّناً فاضلاً صاحب تصانيف مشهورة؛ مثل: (عيون الأخبار)، و(المعارف)، و(أدب الكاتب)، و(مُشكل القرآن)، و(غريب القرآن)، وغيرها(٤).

يمثّل كتاب (المعارف) فكرة التاريخ العالمي؛ إذ يتناول فيه مبتدأ الخلق، وتاريخ الأنبياء، وأنساب العرب، وسيرة الرسول ﷺ، وأخبار الصحابة والخلفاء حتى المعتمد، وترجم فيه للمشاهير من الأشراف وأصحاب السلطان والخارجين عليهم والفقهاء والمحدِّثين وأهل الأخبار والرواة، وأوجز فيه أشدَّ الإيجاز فاكتفى بالمشهور من الأشخاص والحوادث(٥).

أما كتاب (عيون الأخبار) فقد ألّفه ابن قتيبة ليكون عَوْناً للمتأدِّبين الذين تنقصهم المعرفة، ولأهل العلم بهدف تذكيرهم، وللساسة ليؤدِّبهم، وللملوك للترفيه عن أنفسهم من الكدّ والتعب؛ فقد أخذه من عقول العلماء وأفكار الحكماء(٦) كما ذكر في مقدّمته.

(١) الجاحظ، الرسائل، ج١، ص٣٥٤. البخلاء، ج١، ص١٠٨.

(٢) الجاحظ، الرسائل، ج٢، ص٢٢٥-٢٢٧.

(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص٤٢. ابن النديم، الفهرست، ص٨٥.

(٤) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٠، ص١٧٠. ابن النديم، الفهرست، ص٨٥، ٨٦.

(٥) حسني ناعسة، الكتابة الفنية في مشرق الدولة الإسلامية، ص٢٤٣. مارغليوث، دراسات عن المؤرِّخين العرب، ص١٣٣-١٣٥. عبدالرحمن حسين العزاوي، المنهجية التاريخية في العراق، ص٢٢.

(٦) ابن قتيبة، عيون الأخبار، مقدّمة التحقيق، ج١، ص (ي، ك).

أورد ابن قتيبة أخباره عن الرشيد في كتابَيْه: (عيون الأخبار)، و(المعارف)، فجاءت معظم أخباره في (عيون الأخبار) مُسنَدةً على عكس ما جاء في (المعارف)؛ إذ جاءت جميعها دون إسناد. واستند ابن قتيبة في (عيون الأخبار) إلى مجموعة من المصادر، منها:

- الأصمعي (ت ٢١٠هـ/ ٨٢٦م): وهو أبو سعيد عبدالملك بن قريب بن عبدالملك بن أصمع الباهلي، صاحب اللغة والنحو والغريب والمُلَح، وهو من أهل البصرة، قدم بغداد أيام الرشيد. له عدَّة مؤلَّفات في اللغة والنحو والنوادر(١). ويرى بعض الباحثين أن الأصمعي بكتابته في تاريخ العرب قبل الإسلام يمثِّل رداً على أثر التحدِّي الشعوبي بأن تاريخ العرب كان مرتبطاً بالإسلام وبما قبله وبعده(٢).

روى ابن قتيبة في (عيون الأخبار) عن الأصمعي أربع روايات تناولت المجالس الأدبية والترفيهية التي كان يشارك فيها الأصمعي ويعقدها الرشيد في قصره(٣). كما تناول الأصمعي خبرين عن البرامكة: الأولُ نقل فيه أقوالاً بلاغية وأدبية ليحيى بن خالد البرمكي(٤)، والثاني اتُّهم فيه البرامكة بالشرك والزندقة(٥).

وفي (المعارف) أورد ابن قتيبة أخباراً أكثر مقارنةً مع ما ورد في (عيون الأخبار)، فجاءت أخباره عن الرشيد مختصرةً دون إسناد، وتناولت اهتمامات الرشيد الدينية(٦)؛ مثل حجِّه وغزواته(٧)، إضافةً إلى تناوله بعض الحركات التي

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٢٢٠-٢٢٣. ابن النديم، الفهرست، ص٦٠، ٦١. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٠، ص٤١٠-٤١٣، ٤١٨. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص١٧٠-١٧٦.

(٢) عبدالعزيز الدوري، الجذور التاريخية للشعوبية، ص١٠٠.

(٣) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج٣، ص٢٠٤، ٣٠٠.

(٤) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج١، ص٢٦٥.

(٥) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج١، ص٥١.

(٦) ابن قتيبة، المعارف، ص٥٣٣.

(٧) ابن قتيبة، المعارف، ص٣٨٢.

نشبت في أقاليم الدولة[١]. أما البرامكة، فقد أشار إلى بعض الأعمال الإدارية التي تولَّوْها دون تناول نكبتهم، لكنه أشار إليها بشكل غير مباشر حين أورد مقولة للرشيد وجَّهها إلى إسماعيل بن صبيح الكاتب يحذِّره من الدالة ويذكِّره بأنها سبب نكبتهم[٢].

* البلاذري (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م):

هو أحمد بن يحيى بن جابر بن داود؛ أبو الحسن البلاذري[٣]. يُنسب جده إلى البلاذر، وهو حبّ كان يستخدمه لتقوية الذاكرة[٤]. كان البلاذري من الكتَّاب ووُصف بأنه شاعر وأديب وراوية، وكان مترجماً من الفارسية إلى العربية. ألَّف عدة كتب، منها: (أنساب الأشراف) و(فتوح البلدان)[٥].

تكمن أهمية مؤلَّفات البلاذري في أنها مصادر حوت الجغرافيا والتاريخ؛ إذ كان لتنقُّل البلاذري بين المناطق للحصول على معلوماته أثر في إضفاء أهمية لمؤلَّفاته، خصوصاً كتابه (الفتوح)[٦]، إضافةً إلى علاقته الحسنة بالخلفاء العباسيين[٧].

ترك البلاذري مصدرين مهمَّيْن في التاريخ الإسلامي: الأول كتاب (أنساب الأشراف)، وهو كتاب عامّ للتاريخ الإسلامي في إطار الأنساب، جمع فيه أساليب

(١) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج١، ص٥٨.

(٢) ابن قتيبة، المعارف، ص٣٨٠.

(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٦، ص٢٤، ٣٧٢. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٦، ص٧٤-٧٦. ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٢، ص١٢٧-١٣٢. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٣، ص١٦٢-١٦٥.

(٤) السمعاني، الأنساب، ج٢، ص٣٥٠. الجاحظ، الحيوان، ج٣، ص٣٥٩، ج٥، ص٥٧٣.

(٥) ابن النديم، الفهرست، ص١٢٥، ١٢٦. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٦، ص٧٥.

(٦) مارغليوث، دراسات عن المؤرِّخين العرب، ص١٣٠. عبدالعزيز الدوري، بحث في نشأة التاريخ عند العرب، ص٤٩.

(٧) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٦، ص٥٧٥. ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٢، ص١٢٨-١٣١. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٨، ص٢٤٠، ٢٤١. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٣، ص١٦٢.

كتابة الطبقات والأخبار والأنساب(١)، ولم يُورد فيه أخباراً متكاملة عن خلافة الرشيد، بل مقتطفات بسيطة، والسبب توقُّفه عند فترة الرشيد، وجاءت أخباره عنه من خلال ما تناوله عن المهدي والهادي(٢)، وكانت مرتبطة بأخباره قبل تولِّيه الخلافة؛ مثل مبايعة المهدي له بولاية العهد، وأخذ البيعة لأخيه بالخلافة بعد وفاة المهدي(٣). كما تناول البلاذري بعض أخبار الرشيد الأخرى؛ مثل خروجه في غزوة سنة (١٩٠هـ/ ٨٠٦م)(٤)، وخروج يحيى بن عبدالله العلوي في خلافته(٥). ولم يهتم البلاذري بأخبار البرامكة، ولكنه أورد بعض الأشعار التي تصفهم وتتَّهمهم بالزندقة والشرك(٦).

أما كتاب (فتوح البلدان) فهو يبحث في تاريخ الفتوحات الإسلامية في الشرق والغرب؛ إذ قدَّم فيه البلاذري قصة متسلسلة لفتح كل مِصْر، ونقل فيه عن الكتب الخاصة بفتوح كل مِصْر، كما اعتمد على المواد التي استطاع جمعها من خلال زيارته الأمصار والروايات المحلِّية من أهالي المناطق المفتوحة. أما أسلوبه ومنهجه العام فيعتمد على تقديم صورة متَّزنة وموحَّدة للأحداث، مع تتبُّع تسلسل زمني دقيق، إضافةً إلى نقد الروايات وغربلتها، والاهتمام بالجوانب الحضارية والثقافية والإدارية للمناطق المفتوحة(٧). وكتابه (الفتوح) يمثِّل حسب رأي الدوري رداً على هجمة الشعوبية، محاولاً إبراز دور العرب في نشر الإسلام(٨).

---

(١) عبدالعزيز الدوري، بحث في نشأة التاريخ عند العرب، ص٤٩.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، القسم الثالث، ص٢٧٨ وما بعدها.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، القسم الثالث، ص٢٥٥.

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف، القسم الثالث، ص٢٧٦.

(٥) البلاذري، أنساب الأشراف، القسم الثاني، ص٤٤٩.

(٦) البلاذري، أنساب الأشراف، القسم الثالث، ص٢٧٧.

(٧) عبدالعزيز الدوري، بحث في نشأة التاريخ عند العرب، ص٤٩. طريف الخالدي، فكرة التاريخ عند العرب، ص١٠٠. مارغليوث، دراسات عن المؤرِّخين العرب، ص١٣١، ١٣٢. عفت الشرقاوي، أدب التاريخ عند العرب، ص٢٠٦.

(٨) عبدالعزيز الدوري، الجذور التاريخية للشعوبية، ص٣٩.

قدَّم البلاذري في (فتوح البلدان) أخباراً مهمَّة عن دور الرشيد في الأعمال الإدارية والجهادية في مناطق الثغور جاء معظمها مُسنَداً. وتمثَّلت هذه الأعمال في مشاركته في الغزوات قبل تولِّيه الخلافة وبعدها، وإجراءاته الإدارية في تنظيم إقليم الثغور وبناء المدن وتحصينها، إضافةً إلى اهتماماته بأمور الرعية وتخفيف الضرائب عنهم. كما تناول الكتاب بعض الحركات التي وقعت في أقاليم الدولة، معتمداً على مجموعة مهمة من المصادر؛ كالرُّواة المختصين في الفتوح، أو شهود العيان من أهالي المناطق المفتوحة. وأهم هذه المصادر هي:

– الواقدي (ت ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م): هو محمد بن عمر بن واقد، مولى بني سهم من أسلم. ولي القضاء ببغداد للرشيد، وكان عالماً بالمغازي والسِّيَر والفتوح(١). اهتمّ الواقدي بتحديد المواقع الجغرافية المتَّصلة بالأحداث المبكِّرة ومعرفتها؛ مثل: المشاهد، وقبور الشهداء في المدينة. وكان الواقدي قد عرَّف الرشيد تلك المواضع حين زار المدينة، فعرَّفه المشاهد والجهات التي كان يأتي منها الوحي(٢)؛ إذ ذكر الواقدي أنه أدرك أبناء الصحابة وأبناء الشهداء، فكان يعرف مشاهدهم وأين قُتلوا(٣). وقد روى البلاذري عن الواقدي خبر بناء الرشيد مدينة الحدث(٤).

– الهيثم بن عدي (ت ٢٠٦هـ/ ٨٢١م): وُلد بالكوفة ونشأ بها، ثم انتقل إلى بغداد وحدَّث بها. لم يُوثَّق في الحديث، واتُّهم بالشعوبية(٥). كان أخبارياً

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص٤٢٥. ابن النديم الفهرست، ص١١١. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٣، ص١٩، ٢٠، ١٩٦، ١٩٧. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٤، ص٣٤٨، ٣٤٩. وعن منهج الواقدي في مؤلَّفاته انظر: عبدالعزيز الدوري، بحث في نشأة التاريخ عند العرب، ص٣٠، ٣١.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص٤٢٥، ٤٢٦.

(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٣، ص٦. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص١٧٤.

(٤) البلاذري، فتوح البلدان، ص١٩٤، ١٩٥.

(٥) الجاحظ، البخلاء، ص٢٥٣.

ونسَّابة، اهتمّ بأخبار الناس وأيام العرب[١]. له عدة مؤلَّفات، أحصى منها ابن النديم ٥٣ كتاباً، منها: (تاريخ الأشراف الكبير)، و(طبقات الفقهاء)، و(التاريخ على السنين)[٢]. روى البلاذري عنه خبر اهتمام الرشيد بأحوال المزارعين، وإعفائهم من التعامل مع العمال، وتخفيض الضرائب عنهم[٣].

- سعيد بن عبدالعزيز (ت ١٦٧هـ/ ٧٨٣م): هو أبو محمد التنوخي الدمشقي، فقيه أهل دمشق ومفتيهم بعد الأوزاعي. وُلد سنة (٩٠هـ/ ٧٠٨م)[٤]. روى البلاذري عنه الخبر المتعلّق باهتمام الرشيد بتقسيم إقليم الثغور وتنظيمه بتأسيس جند العواصم[٥].

- أبو عمرو الباهلي (ت ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م): هو هلال بن العلاء بن هلال بن أبي عمر الحافظ الإمام الصدوق، عالم الرقة، مولى قتيبة بن مسلم[٦]. نقل عنه البلاذري خبر بناء الرشيد حصن المنصور[٧].

* الدينوري (ت ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م):

هو أحمد بن داود بن وننذ؛ أبو حنيفة الدينوري النحوي. وُلد بمدينة دينور، وهو من أصل فارسي. تنوَّعت مصادر ثقافته، فكان لغوياً ونحوياً ومنجِّماً وحاسباً وراوية ثقة[٨].

---

(١) ابن النديم، الفهرست، ص١١٢، ١١٣. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٤، ص٥٠-٥٣. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٦، ص١٠٦، ١٠٧. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص١٠٣.

(٢) ابن النديم، الفهرست، ص١١٢، ١١٣. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٦، ص١٠٦، ١٠٧.

(٣) البلاذري، فتوح البلدان، ص٧٨، ٧٩.

(٤) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٢١، ص١٩٣-١٩٥. البستي، مشاهير علماء الأمصار، ص١٨٤.

(٥) البلاذري، فتوح البلدان، ص١٣٧، ١٣٨.

(٦) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٣، ص٣٠٩، ٣١٠.

(٧) البلاذري، فتوح البلدان، ص١٩٦.

(٨) ابن النديم، الفهرست، ص٨٦. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٩، ص٩٩. ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٣، ص٢٦. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٦، ص٣٧٧. مارغليوث، دراسات عن المؤرِّخين العرب، ص١٢٦.

تنقَّل بين العراق والشام والمدينة وفلسطين[١]. له مؤلَّفات في الجغرافيا والفلك والرياضيات واللغة والتفسير وموضوعات شتى[٢]. اتَّفق معظم الدارسين أن وفاته كانت سنة ٢٨٢هـ[٣].

يعدُّ كتاب الدينوري (الأخبار الطوال) تاريخاً عالمياً يؤكِّد فيه دور كلّ من العرب والفرس في التاريخ[٤]؛ إذ تناول فيه التاريخ البشري بدايةً من آدم ثم الأنبياء وأخبار العرب والفرس والحبشة واليمن بشكل سريع ومختصر، وعرض أخبار الخلفاء الراشدين من خلال حركة الفتوح، ثم أخبار الخلفاء الأمويين والعباسيين حتى وفاة المعتصم سنة ٢٢٧هـ[٥]. وتكمن أهمية الكتاب في أنه من أقدم المصادر عن التاريخ الإسلامي في العهود الأولى.

لم يؤرِّخ الدينوري حسب النظام الحولي، إلا أنه راعى الترتيب الزمني للحوادث والحركات. كما أنه لم يهتم بالإسناد، وسرد بعض أخباره بأسلوب روائي قصصي، فأورد الأحاديث المطوَّلة، وظهر من كتابه دور الأحزاب التي كانت تتناول الأشعار وتنظم الرسائل شعراً[٦].

وفيما يخصّ الرشيد قدَّم الدينوري عدة صفحات تناول فيها عدة موضوعات يمكن تقسيمها حسب الشكل إلى قسمين:

الأول: أخبار قصيرة ومختصرة حول بعض أعمال الرشيد من حجّ وغزو،

---

(١) عبدالمنعم عامر، مقدِّمة تحقيق كتاب (الأخبار الطوال)، ص..... (طبعة دار إحياء التراث).

(٢) ابن النديم، الفهرست، ص٨٦. ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٣، ص٢٦. مارغليوث، دراسات عن المؤرِّخين العرب، ص١٢٧، ١٢٨.

(٣) عبدالعزيز الدوري، بحث في نشأة التاريخ عند العرب، ص٥٤. عبدالمنعم عامر، مقدِّمة تحقيق كتاب (الأخبار الطوال)، ص (ج) (طبعة دار إحياء التراث).

(٤) عبدالعزيز الدوري، بحث في نشأة التاريخ عند العرب، ص١٣٦.

(٥) عبدالمنعم عامر، مقدِّمة تحقيق كتاب (الأخبار الطوال)، ص (ف، ص) (طبعة دار إحياء التراث).

(٦) مارغليوث، دراسات عن المؤرِّخين العرب، ص١٢٧، ١٢٨.

وتنقُّلاته بين أقاليم الدولة، وبعض إجراءاته الإدارية، وبعض الحركات والاضطرابات التي حصلت في الدولة(١)، مع اهتمام بشكل ملحوظ بأخبار ولاية خراسان في أثناء ولاية علي بن عيسى(٢). وجميع هذه الأخبار جاءت غير مُسنَدةً.

الثاني: جاء على شكل خبر مطوَّل مكوَّن من عدة حوارات؛ إذ أورد خبرَيْن مُسندَيْن ارتبطا بولدي الرشيد الأمين والمأمون وليَّيْ عهده، فتناول مصيرهما ومستقبل العلاقة بينهما، مع المفاضلة بينهما. وقد استند في ذلك إلى عدة مصادر، منها:

- الكسائي (ت ١٩٧هـ/ ٨١٢م): هو علي بن حمزة؛ أبو الحسن الأسدي(٣)، وقيل: بهمن بن فيروز، ويكنى أبا عبدالله(٤). أحد أئمة القرَّاء، كان يُعلِّم الرشيد ثم الأمين من بعده. له مؤلَّفات في القراءات ومعاني القرآن والنحو والنوادر(٥). روى الدينوري والمسعودي عن الكسائي خبر تأديبه ولدي الرشيد الذي تضمَّن رؤية زبيدة تخصّ ابنها الأمين فتتنبأ له بمصير سيِّئ وتصفه بصفات سيئة(٦).

- الأصمعي: روى خبراً ارتبط بالمفاضلة بين ولدي الرشيد الأمين والمأمون، وتنبُّؤات حول مصيرهما ومستقبل العلاقة بينهما وما سيحصل من فتنة وسفك للدماء(٧)؛ مما يدلُّ على تأثير الخرافة والأسطورة في هذا الخبر، إضافةً إلى تأثُّره بالدعاية المأمونية؛ لأن المفاضلة جاءت في صالح المأمون.

(١) الدينوري، الأخبار الطوال، ص٣٥٤، ٣٩١ (طبعة دار الأرقم).

(٢) انظر: الدينوري، الأخبار الطوال، ص٣٥٤، ٣٥٧، ٣٥٨ (طبعة دار الأرقم).

(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١١، ص٤٠٣.

(٤) ابن النديم، الفهرست، ص٧٢. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص٢٩٥.

(٥) ابن النديم، الفهرست، ص٧٢. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص٢٩٥. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١١، ص٤١٣، ٤١٤.

(٦) الدينوري، الأخبار الطوال، ص٣٥٤، ٣٥٥ (طبعة دار الأرقم). المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٢١٠-٢١٢.

(٧) الدينوري، الأخبار الطوال، ص٣٥٥، ٣٥٦ (طبعة دار الأرقم).

* اليعقوبي (ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م):

هو أحمد ابن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح[١]. مؤرِّخ من طبقة الكتَّاب يجمع بين ثقافة واسعة وخبرة عملية في الإدارة. أمضى كثيراً من أيام شبابه في الأسفار وجمع المعلومات التاريخية والجغرافية[٢].

ألَّف اليعقوبي عدَّة مؤلفات، أبرزها: (تاريخ اليعقوبي)، و(البلدان)، و(مشاكلة الناس لزمانهم). تناول اليعقوبي في (تاريخه) خلاصةً وافيةً للتاريخ العالمي قبل الإسلام، إضافةً إلى التاريخ الإسلامي حتى سنة (٢٥٩هـ/ ٨٧٢م)، وهو قسمان: الأول أُلِّف حسب الموضوعات التي تتعلَّق بالشعوب والأسرات والدُّول والحكَّام مع مراعاة الترتيب الزمني، والثاني تناول التاريخ الإسلامي من مولد الرسول ﷺ ومغازيه ثم الخلفاء الراشدين ثم الأمويين والعباسيين حتى المعتمد[٣]. واهتم اليعقوبي بإيراد معلومات جغرافية وفلكية في بداية حديثه عن كل خليفة[٤].

اعتمد اليعقوبي أسلوب انتقاء رواياته بعد التدقيق، وعدَّد مصادره في الجزء الثاني؛ لذلك فهو لا يرى ضرورةً للإسناد فحذفه، وحذف الأشعار لأن فيها تطويلاً[٥]، وكان أساس منهجه هو الاختصار. واليعقوبي يحمل ميولاً علوية (متشيِّع إمامي)، يظهر ذلك بوضوح في حديثه عن الخلفاء الراشدين والأمويين، وفي اهتمامه بأحوال أئمة العلويين[٦] وأخبار العلويين أيام الرشيد. وعند حديثه

(١) اليعقوبي، مُشاكَلة الناس لزمانهم، ص٩. ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٣، ص١٥٦.

(٢) اليعقوبي، البلدان، ص٢٣٣. الدوري، بحث في نشأة التاريخ عند العرب، ص٥١.

(٣) عبدالعزيز الدوري، بحث في نشأة التاريخ عند العرب، ص٥١. السيد عبدالعزيز سالم، التاريخ والمؤرِّخون العرب، ص٩٣.

(٤) عبدالعزيز الدوري، بحث في نشأة التاريخ عند العرب، ص٥١.

(٥) اليعقوبي، التاريخ، ج٢، ص٥، ٦.

(٦) عبدالعزيز الدوري، بحث في نشأة التاريخ عند العرب، ص٥٢، ٥٣.

عن العباسيين يُظهر اليعقوبي نوعاً من المجاملة؛ فعند تناوله بعض الحوادث المُحرِجة للعباسيين؛ مثل سقوط البرامكة، يقدِّمها بصورة مناسبة حتى لا يحرجهم(١). وهو في الوقت نفسه يمثِّل أحد الذين واجهوا الشعوبية من خلال إبراز دور العرب وأنهم ورثوا الحضارات السابقة، وأن لهم جذوراً حضارية من العصر الجاهلي، وأنهم نشطوا في الإسلام وأخذوا من تلك الحضارات ما يناسبهم(٢).

يعدُّ اليعقوبي من أبرز المؤرِّخين الذين أرَّخوا لخلافة الرشيد؛ إذ قدَّم أخباراً مهمة انفرد ببعضها وتجاهل البعض الآخر. وجاءت أخباره في معظمها دون إسناد، وفي الحالات القليلة التي أسند فيها ذكر اليعقوبي اسمَيْن بشكل صريح؛ فذكر أنه استند إلى بعض المشايخ الذين نقلوا عن يحيى بن خالد وزير الرشيد (ت ١٩٠هـ/ ٨٠٦م)، فأورد عنه الخبر المتعلِّق بتربية الرشيد ورضاعته من نساء البرامكة، وبرز في الخبر دور البرامكة المُضخَّم في ذلك وفي الدفاع عن حق الرشيد في الخلافة حين أراد الهادي خلعه(٣).

كما استند اليعقوبي إلى إسماعيل بن صبيح الكاتب (تُوفِّي بعد ١٩١هـ/ ٨٠٦م)، وهو أحد كتَّاب الدولة العباسية، تقلَّد زمام ديوان الخراج أيام المهدي، ثم تولَّى الكتابة ليحيى بن خالد البرمكي، وكتب عدَّة كتب للرشيد حين تولَّى كتابة الرسائل له؛ مثل كتب العهود لأولاده بولاية العهد(٤). وأورد اليعقوبي عنه نيَّة الرشيد في نكبة البرامكة قبل أربع سنين من حصولها(٥).

وأسند اليعقوبي بعض أخباره إلى جهات مجهولة؛ فقد أورد حالتين: الأولى ذكر أنه روى خبر مقتل يحيى بن عبدالله بتجويعه عن طريق رجل من موالي بني

(١) عبدالعزيز الدوري، بحث في نشأة التاريخ عند العرب، ص٥٣.

(٢) عبدالعزيز الدوري، الجذور التاريخية للشعوبية، ص١٠٠.

(٣) اليعقوبي، التاريخ، ج٢، ص٤٠٦.

(٤) الطبري، التاريخ، ج٨، ص١٦٧، ٢٠٧، ٢٣٧. ابن النديم، الفهرست، ص١٣٩.

(٥) اليعقوبي، التاريخ، ج٢، ص٤٢٢.

هاشم وأحد الخدم دون أن يذكر اسمَيْهما[١]، والثانية ذكر أنه أخذ خبره عن مقتل إدريس العلوي من أهل المغرب[٢].

أما بقية أخبار اليعقوبي عن الرشيد فجاءت دون إسناد، وقد تفاوت في تناوله لها؛ إذ تناول بعض الأخبار باختصار شديد، منها أخبار غزواته وحجّه، فقدَّم قوائم مُوجَزة تبيِّن تاريخ الغزوة أو الحجة ومَن قام بها سواء الرشيد أو غيره[٣]، في حين نراه يقدِّم تفاصيل أخبار الحركات والفتن التي حصلت في أرمينيا وأذربيجان، إضافةً إلى حركات العلويين. ولم يهتمّ اليعقوبي ببعض الأحداث التي وردت لدى غيره ونالت اهتمامهم؛ مثل: تاريخ ولادة الرشيد، وخبر حجّه وغزوه قبل تولّيه الخلافة[٤]، إضافةً إلى إغفاله غزوةً مهمَّةً قام بها الرشيد سنة (١٨٧هـ/ ٨٠٣م)؛ إذ وجدت هذه الغزوة المشهورة صدًى واسعاً في بعض المصادر؛ مثل: الطبري، والمسعودي، وغيرهما.

كما لم يهتمّ اليعقوبي بأخبار نكبة البرامكة، فأشار باختصار إلى قتل الرشيد جعفراً وحبسه أهله ومصادرة أموالهم دون الاهتمام بأسباب النكبة، ولم يُورد قصة العبَّاسة وزواجها من جعفر البرمكي. ويبدو أن علاقة اليعقوبي الحسنة مع الخلفاء العباسيين تفسِّر عدم اهتمامه بالنكبة، ولكنها لا تفسِّر إغفاله بعض غزوات الرشيد المهمة كما سنرى فيما بعدُ.

كان تركيز اليعقوبي واهتمامه مُوجَّهاً إلى الجوانب السياسية والإدارية في خلافة الرشيد؛ فقدَّم في كتابه (البلدان) قائمةً بأسماء ولاة المدن والأقاليم في خلافته[٥].

---

(١) اليعقوبي، التاريخ، ج٢، ص٤٠٨.

(٢) اليعقوبي، التاريخ، ج٢، ص٤٠٥.

(٣) انظر: اليعقوبي، التاريخ، ج٢، ص٤٣٠، ٤٣١.

(٤) انظر: اليعقوبي، التاريخ، ج٢، ص٤٢١ وما بعدها.

(٥) اليعقوبي، البلدان، ص٣٠٤، ٣٠٥.

كما اهتمّ بأمر ولاية العهد؛ فقدَّم أخباراً عن ولدَي الرشيد الأمين والمأمون، وقدَّم مقارنةً ومفاضلةً بينهما مالت إلى صالح المأمون(١). كما قدَّم لنا نصوص كتب العهود التي كُتبت بين أولاد الرشيد(٢).

ويُلاحظ أن اليعقوبي اهتمّ بإبراز دور البرامكة في بعض الأحداث؛ إذ ظهروا بدور مُبالَغ فيه منذ الأيام الأولى للرشيد في إيوائهم له وإرضاع نسائهم وتربيتهن له، إضافةً إلى تضخيمه دور البرامكة في إدارة الدولة حتى إن الرشيد لم يكن يتدخَّل معهم بأمر أو نهي(٣)، وأيضاً إسهامهم المُبالَغ فيه في بعض الأحداث(٤). كما قدَّم لهم في كتابه (مشاكلة الناس لزمانهم) أوصافاً إيجابية مُبالَغ فيها، خصوصاً ما يتعلَّق ببلاغتهم وكرمهم(٥). ولكنه مع ذلك لم يهتمّ بالنكبة وأسبابها.

* مؤلِّف مجهول صاحب (الإمامة والسياسة) (تُوفِّي في القرن ٣هـ/ ٩م):

أثبت عدد من الباحثين عدم صحة نسبة كتاب (الإمامة والسياسة) إلى ابن قتيبة عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٠هـ/ ٨٨٣م)، وأنه لمؤلِّف مجهول من وفيات منتصف القرن الثالث الهجري(٦)، وأن مقارنةً بسيطةً بين مؤلَّفات ابن قتيبة و(الإمامة والسياسة) تُوصل الباحث إلى الفرق الشاسع بينهما في الأسلوب ودقة المعلومات؛ فكتاب (الإمامة والسياسة) حوى خلطاً وتزييفاً لبعض الأحداث(٧).

(١) اليعقوبي، التاريخ، ج٢، ص٤١٥.

(٢) اليعقوبي، التاريخ، ج٢، ص٤١٥-٤٢١.

(٣) اليعقوبي، التاريخ، ج٢، ص٤٢٩.

(٤) اليعقوبي، التاريخ، ج٢، ص٤٠١، ٤٠٧، ٤٢٦. البلدان، ص٢٨٩-٢٩١.

(٥) اليعقوبي، مُشاكَلة الناس لزمانهم، ص٣٧.

(٦) سعيد صالح هليل، الإمامة والسياسة لمؤلِّف من القرن الثالث الهجري (رسالة ماجستير)، ص٣٢-٤٢. ثروت عكاشة، مقدِّمة كتاب (المعارف) لابن قتيبة، ص٥٦.

(٧) انظر الخبر المتعلِّق بتولِّي الرشيد الخلافة بعد وفاة أبيه المهدي سنة ١٧٣هـ، مستثنياً الإشارة إلى خلافة الهادي. مؤلِّف مجهول، الإمامة والسياسة، ج٢، ص١٥٢، ١٥٣.

تناول صاحب (الإمامة والسياسة) التاريخ الإسلامي من وفاة الرسول ﷺ حتى نهاية الفتنة بين الأمين والمأمون دون التطرُّق إلى تاريخ الأمم الأخرى، وركَّز اهتمامه في الأحداث السياسية، خصوصاً التي ارتبطت بمؤسسة الخلافة. وجاءت أخباره عن الخلفاء الأمويين والعباسيين مختصرةً تتحدَّث عن وصولهم إلى الخلافة وعلاقتهم برجال الدين مع ميلٍ واضحٍ إلى القصص الشعبي والأساطير والتنبُّؤات(١). ويُلاحظ أن المؤلِّف يدافع عن مؤسسة الخلافة في فترةٍ سيطر فيها غير العرب على مؤسسات الدولة، خصوصاً الجيش. ويبدو أن هذا المنطلق هو دافعه إلى تأليف كتابه؛ لأنه توقَّف عند أيام الرشيد والفتنة بين الأمين والمأمون؛ إذ وجد أن تجاوز هذه المرحلة غير مفيد وغير نافع؛ لأنه رأى المرحلة التي تلتها فاسدةً ومتدهورةً(٢). ويُلاحظ أن صاحب (الإمامة والسياسة) تساهل في الإسناد، واستخدم الإسناد الجمعي (قالوا)؛ فمثلاً: عند تناوله فترة خلافة الرشيد قدَّم معظم أخباره دون إسناد، وبعضها جاء بإسناد جمعي، والقليل منها أُسند؛ إذ أورد خبرين فقط مُسنَدين:

الأول أسنده إلى:

- عمرو بن مسعدة بن سعيد بن صول (ت ٢١٧هـ/ ٨٣٢م): كاتب المأمون ووزيره، وُصف بأنه شاعر بليغ مترسِّل سديد المعاني، كان يوقِّع عند جعفر البرمكي(٣). وقد وقع صاحب (الإمامة والسياسة) في الخلط وعدم الدقة حين ذكر أن عمرو بن مسعدة هو وزير الرشيد(٤)، حيث ذكر خبراً مطولاً تناول فيه بأسلوب

---

(١) سعيد صالح هليل، مقدّمة كتاب (الإمامة والسياسة)، ص٤٣، ٥٦.

(٢) مؤلِّف مجهول، الإمامة والسياسة، ج٢، ص١٧٣.

(٣) ابن النديم، الفهرست، ص١٣٦. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٢، ص٢٠٣. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص٤٧٥-٤٧٨. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص١٨١.

(٤) مؤلِّف مجهول، الإمامة والسياسة، ج٢، ص١٥٨. ويذهب زامباور إلى أنه لم يكن للرشيد وزير اسمه عمرو بن مسعدة. انظر: زامباور، معجم الأنساب والأسرات، ص٦.

قصصي عدة أحداث، منها تتبُّع الرشيد أحد عمَّاله المختلسين، ثم يسرد قصةً مُبالَغ فيها لحجِّ الرشيد ماشياً(١).

والثاني أسنده إلى:

- سهل بن هارون بن راهيوني الدستميساني (ت ٢١٥هـ/ ٨٣٠م): وهو فارسي الأصل، كان أديباً كاتباً، شاعراً حكيماً، شعوبياً شديد التعصُّب للعجم على العرب، وكان يتولَّى خزانة الحكمة أيام المأمون(٢). أورد عنه صاحب (الإمامة والسياسة) خبراً يتعلَّق بالبرامكة تناول فيه صفاتهم وبعض أخبار نكبتهم وتبعاتها، وجاءت هذه التفاصيل في خبر مطوَّل روى فيه أيضاً عدة أخبار(٣)، ثم أشار في نهايته إلى قصة العبَّاسة، إلا أنه لم يُبْدِ تأكيده لتلك القصة فقال: (والله أعلم)(٤).

إن إيراد سهلٍ هذه القصة التي تحمل كل معاني الإساءة والتشويه للرشيد وأخته المزعومة دليل على جهل صاحب (الإمامة والسياسة) بالأحداث وأسماء الشخصيات، ودليل آخر على شعوبية الراوي سهل بن هارون؛ لأن القصة ـ كما سيمرّ معنا ـ قصة ضعيفة وواهية بكل مكوِّناتها، وهو ما يدعو إلى الحذر من روايات سهلٍ ومن سلوك منهجه.

* الطبري (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م):

هو محمد بن جرير بن يزيد؛ أبو جعفر الطبري. فقيه، ومحدِّث، ومؤرِّخ، ومفسِّر. وُلد سنة (٢٢٤هـ/ ٨٣٨م) في طبرستان، وتُوفِّي في بغداد(٥). وهو من

---

(١) مؤلِّف مجهول، الإمامة والسياسة، ج٢، ص١٥٨-١٦٤.

(٢) ابن النديم، الفهرست، ص١٣٣، ١٣٤. ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٣، ص٤٠٤، ٤٠٥.

(٣) مؤلِّف مجهول، الإمامة والسياسة، ج٢، ص١٦٦-١٧٠. ابن عبد ربِّه، العقد الفريد، ج٥، ص٥٨-٦٤.

(٤) مؤلِّف مجهول، الإمامة والسياسة، ج٢، ص١٦٦-١٧٣.

(٥) ابن النديم، الفهرست، ص٢٩١-٢٩٣. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٢، ص١٦٣-١٧٠. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣، ص٢١٥-٢١٧. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٤، ص١٩١،=

أشهر مؤرِّخي المسلمين في القرون الأولى، وقد تنقَّل بين بلدان المشرق الإسلامي طلباً للعلم(١).

يعدُّ كتاب الطبري (تاريخ الرُّسُل والملوك) أو (تاريخ الطبري) من أشهر مصادر التاريخ الإسلامي، ويمثِّل قمَّة ما وصلت إليه الكتابة التاريخية عند العرب(٢)، وهو يمثِّل تاريخاً عالمياً؛ إذ تناول فيه مؤلِّفه تاريخ البشر من بدء الخليقة حتى عصره(٣)، وهو بذلك يعبِّر عن فكرة عالمية التاريخ ووحدته المتمثِّلة في توالي الرسالات وأهمية خبرات الأمة واتِّصالها عبر الزمن(٤).

استخدم الطبري في تناوله الأحداث التاريخية النظام الحولي؛ إذ جاءت الأحداث مُرتَّبةً على السنين، باستثناء الفترة التي سبقت الإسلام؛ إذ تناولها حسب الموضوعات مراعياً التسلسل الزمني. وعندما تناول التاريخ الإسلامي بداه من سنة ١ هجرية وانتهى بسنة (٣٠٢هـ/ ٩١٤م)، فذكر في كل سنة الأحداث التي وجدها مهمَّةً تستحقُّ الذِّكْر(٥).

إن نظرة الطبري إلى التاريخ وأسلوبه العام في كتابته يتأثَّران بدراسته وثقافته بوصفه فقيهاً ومحدِّثاً؛ لذلك فإن نقده للروايات يتَّجه إلى التركيز على الإسناد، كما أن قيمة الروايات في نظره تعتمد على قوة أسانيدها(٦)؛ فهو يكتفي بسرد

= ١٩٢. ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٥، ص٢٤٢-٢٧٥. محمد أبو الفضل إبراهيم، مقدِّمة كتاب (تاريخ الطبري)، ج١، ص٥.

(١) ابن النديم، الفهرست، ص٢٩١.

(٢) عبدالعزيز الدوري، بحث في نشأة التاريخ عند العرب، ص٥٥.

(٣) الحسن الباز، مكانة تاريخ الطبري في التدوين التاريخي عند المسلمين حتى نهاية القرن الثالث الهجري، ندوة الإمام الطبري في ذكرى مرور احد عشر قرناً على وفاته، المنظمة الإسلامية للتنمية والعلوم والثقافة (١٤١٠هـ)، ج٢ (مؤرِّخاً ومفسِّراً)، ص١٠.

(٤) عبدالعزيز الدوري، بحث في نشأة التاريخ عند العرب، ص٥٥.

(٥) جواد علي، موارد تاريخ الطبري، مجلة المجمع العلمي العراقي، ج١، مج١، س١ (١٩٥٠م)، ص١٧٣.

(٦) المصدر السابق، ص١٦٩. عبدالعزيز الدوري، بحث في نشأة التاريخ عند العرب، ص٥٥.

الروايات ممَّن يثق فيهم جاعلاً العهدة في صحَّتها عليهم(١)، وهذا يعني أن الروايات قد تتأثر بعوامل مختلفة؛ مثل: الذاكرة، والميل، والرغبات، وغير ذلك.

إن اهتمام الطبري انصبَّ على التاريخ السياسي في منطقة العراق وبلاد فارس، وتجاهل المناطق الغربية وبلاد الشام(٢). اعتمد الطبري في تناوله خلافة الرشيد والفترة التي سبقتها على مصادر متنوِّعة ومتعدِّدة؛ كالرواة والأخباريين وشهود العيان من المقرَّبين والموظَّفين والأقارب. ويُلاحظ من خلال إيراد الطبري نصوص بعض المراسلات والوثائق والخطب أنه رجع إلى سجلات قصور الخلفاء ودواوين الأعمال وما دوَّنه رجال السياسة(٣)، وبدا ذلك واضحاً في تقديمه مادة تاريخية مهمة عن الرشيد من خلال الوثائق التي انفرد بتقديمها؛ مثل الخطب والمراسلات وكتب العهود التي كُتبت بين أولاده.

كما أورد الطبري جزءاً من أخباره حول الرشيد دون إسناد، وشكَّل ذلك ما يقارب ثلثي ما أورده عن الرشيد؛ مما يدلُّ على إهمال الطبري الإسناد في هذا الموضع، فنراه يُورد بعض الأقوال؛ مثل: (ذكر)، و(قيل)، و(ذكر بعضهم)، و(فيما ذكر)، و(قال بعضهم)، و(قال غيرهم)(٤). ويبدو أن دافعه إلى ذلك يعود إلى سببَيْن: الأول يرتبط بعدم ثقته الكاملة في رواياتهم، والثاني يرتبط بخشيته على رواته من غضب الساسة؛ لأن في رواياتهم ما يُعرِّضهم لغضب السلطان(٥)، لكن

(١) الطبري، التاريخ، ج١، ص٨.

(٢) جان سوفاجيه وكلود كاين، مصادر دراسة التاريخ الإسلامي، ص٢٠٣.

(٣) جواد علي، موارد تاريخ الطبري، ج١، مج١، س١ (١٩٥٠م)، ص١٥٩، ١٦٨، ١٦٩. محمد ماهر حمادة، دراسة وثقية للتاريخ ومصادره، ص١٤، ١٥.

(٤) الطبري، التاريخ، ج٨، ص١٤٨، ١٨٧، ٢١٢، ٢١٣، ٢٣٤، ٣١٤، ٣١٨، ٣٢٥، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٤٩، ٣٥٩.

(٥) جواد علي، موارد تاريخ الطبري، ج١، مج١، س١ (١٩٥٠م)، ص١٦٥. عماد الدين خليل، في التاريخ الإسلامي، ص١٩٥.

هذه الخشية لم تؤثّر في الطبري فتجعله يعمد إلى إخفاء بعض نقاط الضعف لدى العباسيين[1].

من خلال دراسة الأخبار غير المُسنَدة يُلاحَظ أن الطبري تعرَّض لها بالنقد؛ فقد شكَّك في بعضها؛ مثل أعداد الجنود القتلى والأسرى والغنائم من الروم في غزوة سنة (١٦٥هـ/ ٧٨١م) بقوله: «فيما قيل»[2]، وكذلك في عدد جيش الرشيد في غزوة سنة (١٩٠هـ/ ٨٠٦م)[3]، كما شكَّك في الخبر الذي يقول: إن الرشيد حجَّ وغزا في سنة (١٧٠هـ/ ٧٨٧م)[4]، ولم يؤكِّد خبر زواج الرشيد من أمة العزيز بقوله: «قيل»[5].

كما أن أخبار الطبري المُسنَدة وأسانيدها لم تسلم من النقد في بعض الأحيان؛ فقد شكَّك في الخبر الذي رواه عن البرامكة ويتناول مولد الرشيد بقوله: «أما البرامكة، فإنها – فيما ذُكر – تزعم»[6]. كما استخدم لفظة (زعم) أحياناً عند ذكر بعض الرُّواة المشهورين؛ فهو مثلاً يتبع الرواية التي تقول إن آخر حجة للرشيد كانت سنة (١٨٨هـ/ ٨٠٤م) بقوله: «فيما زعم الواقدي وغيره»[7].

قدَّم الطبري سيرةً مفصَّلةً للخليفة الرشيد تكاد تكون هي السيرة الأوضح والأشمل من بين ما قدَّمته المصادر الأخرى؛ فقد بسط الحديث عن أخباره قبل خلافته وبعدها؛ كمولده ورضاعته ومشاركته بوصفه ولياً للعهد في بعض النشاطات كالحج والغزو، وأورد مدائح الشعراء في ذلك، إضافةً إلى أخبار خلافه

(١) مارغليوث، دراسات عن المؤرِّخين العرب، ص٢٨.

(٢) الطبري، التاريخ، ج٨، ص١٥٢، ١٥٣.

(٣) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٣٢٠-٣٢٢.

(٤) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٢٣٤.

(٥) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٣٥٩.

(٦) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٣٢٠.

(٧) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٣١٣.

مع الهادي ومحاولته خلع الرشيد، وظهور البرامكة في موقف مؤيِّد ومساند للرشيد.

كما قدَّم الطبري تصويراً لبعض المشاهد عندما تولَّى الرشيد الخلافة؛ مثل: دخوله بغداد، وإخراج الخاتم من النهر، وما حصل لجعفر ابن الهادي وإعلانه أنه لا حقّ له في الخلافة، وما حصل لبعض أتباع الهادي. واهتمّ الطبري بتقديم جانب التديُّن في حياة الرشيد من خلال بعض الأخبار والقصص التي تعكس حرصه على الدِّين، وتلقِّيه العظات وتأثُّره بها، وممارسته العبادات من حجّ وصلاة وجهاد وصدقات، مع تقديم تفاصيل حول حجِّه وغزواته، وتقديم نصوص بعض المُراسلات المتبادَلة مع ملك الروم، وما رافق ذلك من مدائح للشعراء.

كما اهتمّ الطبري بشكل واضح بأخبار أقاليم الدولة العباسية؛ فقدَّم قوائم بأسماء الولاة، وركَّز في أخبار إقليم خراسان في فترة كلّ من علي بن عيسى بن ماهان والفضل بن يحيى البرمكي، فراح يقدِّم الانتقادات لعلي بن عيسى في حين ضخَّم أعمال الفضل في خراسان، إضافةً إلى أخبار حركة رافع بن الليث، وأخبار الحركات في الأقاليم الأخرى؛ كأرمينيا وأذربيجان والشام والجزيرة.

واهتمّ الطبري أيضاً بأخبار علاقة الرشيد بالعلويين التي بدأت بتسامح ثم انتهت بتصادم. وكان اهتمامه الأكبر بقضية يحيى بن عبدالله العلوي، مع إيراده نصوص الحوارات والمناظرات التي كانت تجري بينه وبين الرشيد، وعدم إغفاله دور السعايات والوشايات في تأزُّم العلاقة.

ومن جانب آخر، كان اهتمام الطبري بتقديم أخبار ولاية العهد واضحاً، فأفادت الدراسة من أخباره ونصوصه التي أوردها لكتب العهود بين أولاد الرشيد؛ إذ تميَّز الطبري بتقديم ثلاثة نصوص: الأول كتاب الأمين على نفسه، والثاني كتاب المأمون على نفسه، والثالث كتاب الرشيد للعمَّال يخبرهم بأمر العهود وبيعة القاسم وليَّ عهدٍ ثالثاً.

كما اهتمّ الطبري بأخبار البرامكة بشكل لافت للنظر، فقدَّم من خلال أخباره أدواراً مضخَّمةً ومُبالغاً فيها لأعمالهم، سواء دور يحيى البرمكي في دفاعه عن الرشيد أمام الهادي وظهوره بأنه أحرص من الرشيد على حقِّه في الخلافة، أو تصوير حال وزارة يحيى بأنه هو المسيطر على كل الأمور، ودور جعفر في بعض الأحداث وإبراز الخصوصية العالية التي وصل إليها في علاقته بالرشيد. ويُلاحَظ اهتمام الطبري بأخبار نكبة البرامكة من حيث مقدّماتها والأسباب التي أدَّت إلى تغيُّر موقف الرشيد منهم وسخطه وغضبه عليهم، فكان هو أول مَن أورد قصة العبَّاسة وزواجها من جعفر البرمكي بوصفه سبباً رئيساً للنكبة، إضافةً إلى تفاصيل النكبة، ومقتل جعفر وصلبه، والقبض على البرامكة ومصادرة أموالهم وممتلكاتهم، فوصف حالهم في السجن، وأورد بعض المراثي التي تشير إلى أفضالهم وكرمهم.

استند الطبري في سرده أخبار خلافة الرشيد إلى مجموعة مهمة من المصادر، ويُلاحظ أنها تساوت في الأهمية؛ فلم يستند الطبري إلى بعضها دون الآخر؛ إذ لم يتكرَّر إسناده إلى المصدر الواحد أكثر من ثلاث مرات، وأغلب المصادر أخذ عنها مرة واحدة أو مرتين. ويمكن تقسيم المصادر التي استند إليها الطبري إلى عدة مجموعات حسب ترابط هؤلاء الرواة برابط معيَّن؛ مثل: الانتماء إلى أسرة واحدة، أو فئة معينة، أو أنهم اختُصُّوا عن غيرهم بميزةٍ ما.

وأولى هذه الفئات هم الأخباريون الذين تخصَّصوا في رواية الأخبار، ومنهم:

- عمر بن شبة (ت ٢٦٢هـ/ ٨٧٥م): هو أبو زيد عمر بن شبة بن عبيد بن ريطة البصري النحوي، مولى بني نمير. شاعر وأخباري وفقيه، غير مدخول الرواية، وصاحب أدب. له تصانيف كثيرة، منها: (الكوفة)، و(البصرة)، و(مكة)، و(المدينة)، و(أخبار المنصور) و(التاريخ). تُوفِّي في سامراء [1]. نقل الطبري

(١) ابن النديم، الفهرست، ص١٢٥. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١١، ص٢٠٨. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص٤٤٠. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٢، ص٣٦٩-٣٧١.

عنه خبره الوحيد المتعلِّق بمبايعة الرشيد بولاية العهد من قبل أبيه المهدي[١].

– الواقدي: لم يؤكِّد الطبري خبره المتعلِّق بحجة الرشيد سنة (١٨٨هـ/ ٨٠٤م)، وأنها كانت آخر حجة له. كما أن الواقدي خالف غيره فذكر أن مقتل جعفر بن يحيى البرمكي كان سنة (١٨٧هـ/ ٨٠٣م)[٢]، بينما يرى غيره أنه قُتل سنة (١٨٨هـ/ ٨٠٤م).

– الهيثم بن عدي: أورد الطبري عنه خبر غزو الرشيد بلاد الروم سنة (١٦٣هـ/ ٧٧٩م)[٣].

– مصعب الزبيري (ت ٢٣٣هـ/ ٨٤٧م): هو أبو عبدالله مصعب بن عبدالله ابن مصعب بن ثابت الزبيري، راوية وأديب ومحدِّث وعالم بالنَّسب وعارف بأيام العرب. سكن بغداد وحدَّث بها. وُصف بأنه مُتحامِل على العلويين. له عدة مؤلَّفات، منها: (النسب الكبير)، و(نسب قريش)[٤]. أورد الطبري عنه عدة أخبار، منها: روايته شعراً يمدح بيعة المهدي للهادي والرشيد[٥]، وخبر يتعلَّق بقدوم الرشيد إلى موسم الحج وتوزيع الأعطيات فيه[٦]، وسؤال الرشيد والد مصعب عن أخبار الخليفة عثمان بن عفان وعن منزلة أبي بكر وعمر من الرسول ﷺ[٧]، وخبر ضرب الرشيد أحد عمَّاله حين انتقص من سيرة الخليفة عمر بن الخطاب[٨]. ورواية مصعب الزبيري أخبار الخلفاء الراشدين باستثناء علي بن أبي طالب تشير إلى ميله

(١) الطبري، التاريخ، ج٨، ص١٢١، ١٢٢.

(٢) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٣١٠-٣١٢.

(٣) الطبري، التاريخ، ج٨، ص١٤٤.

(٤) ابن النديم، الفهرست، ص١٢٣. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٣، ص١١٢. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١١، ص١٢٥.

(٥) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٢٢٣.

(٦) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٣٦٣، ٣٦٤.

(٧) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٣٥٣.

(٨) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٣٥٣، ٣٥٤.

الواضح لهم من خلال الأخبار التي تمجِّد سيرتهم، كما نلاحظ مُعاداته آل عليّ في روايته الأخبار عنهم، خصوصاً لدى الأصبهاني.

– أحمد بن زهير (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م): هو أحمد بن زهير بن حرب بن شداد النَّسائي الأصل المعروف بأبي بكر ابن أبي خيثمة. وُلد سنة (٢٠٥هـ/ ٨٦٤م). وهو من المحدِّثين والأخباريين. من مؤلَّفاته: (التاريخ)، و(المتيَّمون)، وكتب أخرى[١]. وثَّقه الخطيب البغدادي ووصفه بأنه عالم ثقة وبصير بأيام الناس. أخذ النسب عن مصعب الزبيري، وأيام الناس عن المدائني، والأدب عن محمد بن سلام الجمحي. وُصف (تاريخه) بأنه من أغزر التواريخ وأكثرها فائدةً[٢]. وتوثيق الخطيب لأحمد بن زهير لا يعني أن كل أخباره التي رواها صحيحة؛ فالطبري يروي عن أحمد بن زهير قصة العبَّاسة وزواجها من جعفر البرمكي[٣]، والقصة متناقضة وواهية كما سيرد في الفصل المتعلِّق بالبرامكة. ومن المؤكد أن أحمد بن زهير لم يعاصر ذلك الحدث، وربما رواه أو نقله عن آخرين غير معروفين بالثقة والصدق. كما أن صحة النقل لا تعني صحة المنقول، وهنا يقع خطأ الطبري؛ فهو لم ينقد الأخبار غير المنطقية ولم يخضعها للعقل، بل كان يُورد ما ثبت له صحَّة نقله ويحمِّل مسؤوليته لرواته (ناقليه).

– سليمان ابن أبي شيخ منصور بن سليمان؛ أبو أيوب الواسطي (ت ٢٤٦هـ/ ٨٦٠م): وُلد سنة (١٥١هـ/ ٧٦٨م). سكن بغداد وحدَّث بها. كان راوياً للأخبار عالماً بالنَّسب والتواريخ وأيام الناس وأخبارهم. وصفه ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م) بأنه صدوق ثقة[٤].

(١) ابن النديم، الفهرست، ص٢٨٦. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٤، ص١٦٢. القيسراني، تذكرة الحفَّاظ، ج٢، ص١٥٦. ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، ج١، ص١٧٤. ابن مفلح، المقصد الأرشد، ج١، ص٦٧٥.

(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٤، ص١٦٢.

(٣) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٢٤٩.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ج١١، ص٣٤٦.

وأشار ابن النديم إلى أن سليمان لقي جلّة الناس، وأخذ عنه أصحاب الأخبار، وله من الكتب: (الأخبار المسموعة)(١). أورد الطبري عنه خبرين: الأول يتعلّق بنيَّة الهادي قتل الرشيد في أثناء خلافهما(٢)، والثاني نصّ خطبة الرشيد حين تولّى الخلافة. ويشترك الصولي مع الطبري في إيراد نصّ هذه الخطبة(٣). وإيراد سليمان ابن أبي شيخ نصّ هذه الخطبة يشير إلى اطّلاعه على وثائق الدولة.

- أبو محمد اليزيدي (ت ٢٢٢هـ/ ٨٣٦م): هو أبو محمد يحيى بن المبارك اليزيدي، مولى بني عدي بن عبد مناة. النحوي اللغوي المقرئ، صاحب التصانيف الأدبية، له كتاب (النوادر) ومؤلّفات أخرى في اللغة(٤).

أشار اليزيدي في الخبر الذي أورده عنه الطبري إلى وجود تعاون سرّي بين البرامكة والعلويين بإطلاق البرامكة أحد العلويين المحبوسين لديهم، وأن ذلك كان من أسباب نكبتهم(٥).

كما استند الطبري إلى رواة من أسرة البرامكة ومواليهم ومقرّبيهم الذين رَوَوْا بعض الأحداث وكانوا بمثابة شهود عيان عليها، وهي أخبار لا تخلو من الميل إلى البرامكة. ذكر الطبري أنه روى عن:

- موسى بن يحيى بن خالد البرمكي (ت ٢٢١هـ/ ٨٣٦م): هو أخو الفضل وجعفر ابني يحيى. ولّاه الرشيد دمشق. روى عنه الأصمعي والمدائني(٦).

أشار موسى في روايته لدى الطبري إلى توقُّع يحيى بن خالد عقاباً ربّانياً يحلّ

(١) ابن النديم، الفهرست، ص١٢٧.

(٢) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٢٣٠.

(٣) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٢٣٠. الصولي، أخبار الشعراء، ص١٥٤-١٥٦.

(٤) ابن النديم، الفهرست، ص٥٦. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٤، ص١٤٦، ١٤٧. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص١١٢-١١٤. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٦، ص١٨٣-١٨٥.

(٥) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٢٨٩.

(٦) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٦، ص٢٣٢، ٢٣٣.

به وبأولاده بسبب ذنوبهم التي ارتكبوها[١]. واعتمد الجهشياري أيضاً على موسى في هذا الخبر[٢].

– يزيد مولى يحيى بن خالد البرمكي: روى الطبري عنه موقف الخيزران ومحبّتها الرشيد دون الهادي[٣].

– روح مولى الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي: بالغ في دور الفضل البرمكي في مبايعة الأمين بولاية العهد، فجعل دوره يفوق دور أبيه الرشيد[٤].

– أبو حفص الكرماني (تُوفِّي نحو ٢٠٠هـ/ ٨١٥م): هو أبو حفص عمر بن الأزرق الكرماني. كان مقرَّباً من المأمون وكاتباً لوزيره عمرو بن مسعدة، ويميل إلى البرامكة[٥]. له كتاب (أخبار البرامكة) نقل عنه ابن العديم (ت ٦٦٠هـ/ ١٢٦١م) في البغية[٦]، ولم يُشِرْ إليه ابن النديم. روى أبو حفص عدة أخبار عن الرشيد، منها ما ارتبط بخلاف الرشيد مع أخيه الهادي[٧]. وقد أبرز أبو حفص دور يحيى بن خالد المؤيِّد للرشيد في خلافه مع أخيه، كما أبرز دور الفضل البرمكي في إقناع يحيى بن عبدالله العلوي بقبول الصلح مع الرشيد وبذل الأمان له[٨].

كما اعتمد الطبري على رواة من الأسرة العباسية، سواء كانوا مُشاركين في الأحداث أو سمعوا عنها بوصفهم شهود عيان، منهم:

---

(١) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٢٩٢.

(٢) الجهشياري، الوزراء والكتّاب، ص١٨٦.

(٣) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٢١٠.

(٤) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٢٤٠.

(٥) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٥، ص٩٥.

(٦) ابن العديم، بغية الطلب، ج٢، ص١٥٤٧، ج٧، ص٣٠١٩.

(٧) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٢٠٨–٢١٠.

(٨) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٢٤٢–٢٤٤.

– إبراهيم بن المهدي (ت ٢٢٤هـ/ ٨٣٨م): يُعرف بابن شكلة، وهو أخو الرشيد، لكنه أسود البشرة. كان غزير الأدب، معروفاً بصنعة الغناء حاذقاً فيها(١). روى خبراً حول شعور جعفر بن يحيى البرمكي بالريبة من الرشيد، وقد أورد الطبري الخبر بدايةً لمقدّمات النكبة(٢). كما أورد الطبري عنه خبر بناء جعفر بن يحيى البرمكي قصره الذي سيكون سبباً لغضب الرشيد منه(٣).

– عيسى بن جعفر الهاشمي (ت ١٩٢هـ/ ٨٠٧م): هو ابن أبي جعفر المنصور، من وجوه بني هاشم، ولي إمارة البصرة، وتولّى عدة مناصب إدارية أيام الرشيد(٤). روى عنه الطبري خبر حبس الرشيد يحيى بن عبدالله العلوي والحوارات والمناظرات التي جرت معه في حضرة الرشيد(٥).

– العباس بن محمد (ت ١٨٥هـ/ ٨٠١م): هو العباس بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس. وصفه الجاحظ بأصالة الرأي، والعلم بأخبار قريش والدولة ورجال الدعوة، مع البيان العجيب(٦). كان العباس من ندماء الرشيد، وولي الجزيرة له(٧). أورد الطبري عنه وصفاً عاماً لشخصية الرشيد تركّز في جانب التديّن(٨). وأشار العباس إلى خروج الرشيد في غزوة إلى بلاد الروم سنة (١٦٣هـ/ ٧٧٩م)، وكان شاهد عيان على ذلك(٩).

---

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٦، ص١٤٢–١٤٨.

(٢) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٢٩١.

(٣) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٢٥٨، ٢٥٩.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص٢٠٨. اليعقوبي، التاريخ، ج٢، ص٤٠٩، ٤٢٩.

(٥) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٢٤٤–٢٤٦.

(٦) الجاحظ، البيان، ج١، ص٣٣٤، ٣٣٥.

(٧) ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص١٢٤.

(٨) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٣٤٧.

(٩) الطبري، التاريخ، ج٨، ص١٤٤.

- محمد بن هارون (ت ٣٠٨هـ/ ٩٢٠م): هو أبو بكر محمد بن هارون بن العباس بن عيسى ابن أبي جعفر المنصور. وُلد سنة (٢٣٣هـ/ ٨٤٧م)، وكان خطيباً للمسجد الجامع[١]. كان أبوه هارون معاصراً للرشيد ومقرَّباً منه يدخل عليه؛ لذا روى محمد عن أبيه عدة أخبار وقصص عن تلقّي الرشيد العظات وبكائه منها[٢].

- محمد بن إسحاق الهاشمي: أورد الطبري عنه خبر خلع جعفر ابن الهادي بعد تولّي الرشيد الخلافة من قبل جماعة من قادة الرشيد ومقرَّبيه[٣]، كما أورد عنه أيضاً موقف يحيى بن خالد البرمكي من قتل ابنه جعفر وتمنّيه وقوع المصيبة للرشيد وأولاده ودولته[٤].

- الفضل بن إسحاق الهاشمي: أورد عنه الطبري أخبار ولاية الفضل بن يحيى البرمكي في خراسان وتبذيره أموال الدولة فيها[٥].

- محمد بن يوسف بن يعقوب الهاشمي: شكَّك في قتل الرشيد واضحاً عامل بريد مصر حين ساعد إدريس العلوي على الهرب إلى إفريقيا بقوله: «ويقال: إن الرشيد الذي ضرب عنقه»[٦].

- زينب بنت سليمان بن علي بن عبدالله بن العباس (تُوفِّيت نحو ٢٠٠هـ/ ٨١٥م): من أفاضل نساء بني هاشم، حدَّثت عن أبيها، عاشت حتى أيام المأمون وكانت تدخل عليه[٧]. أشارت إلى علاقة الخيزران بولدَيْها الرشيد والهادي، وغلبة محبَّتها الرشيد على الهادي[٨].

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٣، ص٣٥٦.
(٢) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٣٥٧، ٣٥٨.
(٣) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٢٣٢، ٢٣٣.
(٤) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٢٩٩.
(٥) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٢٥٨، ٢٥٩.
(٦) الطبري، التاريخ، ج٨، ص١٩٨.
(٧) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٤، ص٤٣٤. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص١٢٧.
(٨) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٢١٣.

- أحمد بن الفضيل بن سليمان: هو مولى سليمان ابن أبي جعفر العباسي. وقد أشار إلى تغيُّر معاملة الرشيد ليحيى بن خالد البرمكي، وقد تمثَّل ذلك في عدم احترامه وتقديره(١).

واعتمد الطبري على رواة من العلويين نقلوا أخبار العلويين أيام الرشيد إضافةً إلى أخبار أخرى، منهم:

- عبدالله بن العباس بن الحسن بن عبيدالله العلوي (تُوفِّي بعد ٢٠٠هـ/ ٨١٥م): كان أبوه العباس مقرَّباً من الرشيد، فلم يخرجه من بغداد مع مَن أخرجه من الطالبيين إلى المدينة وبقي مقرَّباً منه(٢). كان عالماً وشاعراً وفصيحاً(٣). روى عبدالله عن أبيه بوصفه شاهد عيان على ما جرى ليحيى بن عبدالله العلوي من مناظرة واتِّهامه من قِبَل عبدالله بن مصعب الزبيري، وما جرى للزبيري من موت سريع ومأساوي بسبب كذبه في اتِّهامه يحيى بن عبدالله بنيَّته واستعداده للثورة والخروج على الرشيد(٤). كما روى عبدالله بن العباس خبراً تعلَّق بحبس الرشيد عبدالملك بن صالح بسبب خشيته من إيقاع زيد الأصغر(٥) بين ولدَيْه ولطمعه في الخلافة(٦). كما روى خبراً آخر تناول علاقة الرشيد بأبي مريم المديني أنيسه ومُضحِكه(٧).

ونقل الطبري أيضاً عن مجموعة من الرواة شاركوا أو أسهموا أو سمعوا عن

(١) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٢٢٨.
(٢) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٢٣٥.
(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٢، ص١٢٦.
(٤) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٢٤٧، ٢٤٨.
(٥) هو زيد بن علي بن حسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. انظر: المزِّي، تهذيب الكمال، ج١٠، ص٩٨.
(٦) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٣٠٥.
(٧) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٣٥٠، ٣٥١.

الأحداث، وكان لروايتهم هذه الأخبار أهمية معيَّنة لقربهم منها، سواء كانوا مقرَّبين أو موظَّفين شغلوا مناصب مهمة، وأهم هؤلاء:

– مسرور الخادم (تُوفِّي بعد ٢٢٠هـ/ ٨٣٥م): هو أبو هاشم مسرور الخادم الملقَّب بـ(مسرور الكبير)، كان يخدم المهدي ويرافقه، وكان أثيراً عند الرشيد وموضع سرّه ومنفذ أمره. استمر في الخدمة إلى أيام المعتصم، ومات أيامه[١]. روى مسرور عدة أخبار عن الرشيد؛ مثل أخبار تنقُّله واستقراره في الرقة، وأن ذلك كان بسبب الفتن بين القيسية واليمنية في الشام[٢]. كما روى مسرور كيفية قتل الرشيد جعفراً البرمكي، وكيفية نكبة البرامكة[٣]، وأشار إلى أوضاع البرامكة المحبوسين، وكيفية معاملة الرشيد لهم[٤].

– الفضل بن سهل (ت ٢٠٢هـ/ ٨١٧م): هو الفضل بن سهل بن عبدالله؛ أبو العباس السرخسي، الملقَّب بـ(ذي الرياستين)، أخو وزير المأمون الحسن بن سهل. أصله من المجوس، أسلم أبوه أيام المهدي، وأسلم الفضل على يد المأمون سنة (١٩٠هـ/ ٨٠٦م). وُصف الفضل بأنه كان شيعياً منجِّماً ماكراً، اتَّصل بيحيى بن خالد البرمكي وأولاده[٥]. وقد تناول الفضل الخلاف بين الأمين والمأمون وبعض أسبابه المتعلِّقة بشكّ المأمون في نوايا الأمين حين خرج الرشيد إلى خراسان سنة (١٩٢هـ/ ٨٠٧م)[٦].

(١) انظر: الطبري، التاريخ، ج٨، ص١٦٩، ٢٩٥، ٢٩٦، ٣٢٣، ٣٣٩، ٣٤٤، ج٩، ص١٧.

(٢) الطبري، التاريخ، ج٩، ص١٧.

(٣) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٢٩٥.

(٤) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٢٩٦، ٢٩٧.

(٥) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٢، ص٣٣٩، ٣٤٠. انظر: الجهشياري، الوزراء والكتَّاب، ص١٤٧، ١٤٨. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٤، ص٤١، ٤٦. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص٩٩، ١٠٠، ج١١، ص١٧٢، ج١٢، ص٣٣٩-٣٤٢.

(٦) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٣٣٨.

- بختيشوع بن جبريل الطبيب (ت ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م): كان طبيباً متقدِّماً لدى الخلفاء، خدم الرشيد والأمين والمأمون والمعتصم والواثق والمتوكِّل، وكسب أموالاً طائلة، وكان الخلفاء يثقون فيه[١]. كان يجالس الرشيد ويحضر طعامه ويدخل عليه كل يوم[٢]؛ لذلك شهد على بعض الأحداث التي حصلت أمامه، منها موقف الرشيد من يحيى بن خالد وتغيُّره عليه بسبب دخوله عليه دون إذن، وهي الحادثة التي أوردها الطبري على أنها من أسباب النكبة ومقدِّماتها[٣].

- ثمامة بن أشرس (تُوفِّي بعد ٢١٣هـ/ ٨٢٨م): من كتَّاب الدولة أيام الرشيد، ثم وزر للمأمون. وقد تناول ثمامة أسباب نكبة البرامكة وغضب الرشيد من يحيى بن خالد البرمكي[٤].

- محمد بن عمرو الرومي (تُوفِّي نحو ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م): ورد اسمه ضمن أسانيد روايات الخطيب البغدادي التي تحدَّثت عن حصار الأمين في بغداد[٥]، كما ذكره أيام الواثق[٦]. روى الطبري والمسعودي عن أبيه خبراً يتعلَّق بالخلاف بين الهادي والرشيد حول الخلافة (ولاية العهد)، وكان عمرو الرومي - حسب خبر الطبري - من مقرَّبي الرشيد الذين يأنس بهم[٧].

كما روى الطبري عن بعض شهود العيان من أقاليم الدولة التي كان يذهب إليها الرشيد، ويبدو أن الطبري اتَّصل بهم في أثناء رحلته في طلب العلم، فنقل عنهم أخبار الرشيد حينما كان يأتي إلى مناطقهم، ومن هؤلاء:

(١) ابن النديم، الفهرست، ص٤٠٣. ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص٤١٣.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص٢٣٠.

(٣) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٢٨٧.

(٤) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٢٨٨.

(٥) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٣، ص٣٣٩. ولم يَرِد اسمه في أسانيد روايات الطبري التي تحدَّثت عن تلك الفترة.

(٦) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٤، ص١٤٧. الأصبهاني، الأغاني، ج٨، ص٣٧٨.

(٧) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٢١٠-٢١٢. المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص١٩٤.

- إبراهيم بن محمد الحجبي: من حجّاب بيت الله الحرام، وكان الحجبيون من قريش من بني عبدالدار(١). روى إبراهيم خبر وقوع كتاب العهد بين الأمين والمأمون في أثناء تعليقه في الكعبة سنة (١٨٦هـ/ ٨٠٢م)، وما قيل من أن ذلك ينذر بالشؤم وأن هذا الأمر سريعٌ انتقاضه قبل تمامه(٢).

- عبدالله بن محمد بن عبدالله بن عبدالعزيز العمري: من العُبَّاد والزُّهَّاد في المدينة. اختُلف في تاريخ وفاته، فقيل: سنة (٢٢٨هـ/ ٨٤٢م)(٣)، وقيل: سنة (١٨٤هـ/ ٨٠٠م)(٤). أورد عن أبيه نصاً لدعاء الرشيد عند الكعبة(٥)، وخبر عظة عبدالله بن عبدالعزيز العمري للرشيد(٦).

- الليث بن عبدالعزيز الجوزجاني: أحد مجاوري الحرم في مكة. أورد نصاً لدعاء الرشيد عند الكعبة واستخارته في أمر يُعتقد أنه نكبة البرامكة(٧).

كما روى الطبري عن مجموعة من الرُّواة غير المشهورين، منهم:

- الحسن بن قريش: روى عنه الطبري خبر بيعة الرشيد للقاسم بطلبٍ من عبدالملك بن صالح(٨).

- محمد بن هشام المخزومي: نقل عنه الطبري الأخبار التي تتعلّق ببداية تولّي الرشيد الخلافة وما تبعها من إجراءات، ومقتل أبي عصمة وقصة الخاتم(٩).

(١) المقريزي، المُقفَّى الكبير، ج٤، ص٢٥٥.
(٢) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٢٧٨.
(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص٤٣٩.
(٤) ابن الجوزي، صفوة الصفوة، ج٢، ص١٨١، ١٨٤. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٨، ص٧٥.
(٥) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٣٥٤، ٣٥٥.
(٦) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٣٥٤، ٣٥٥.
(٧) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٣٥٥.
(٨) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٢٧٦.
(٩) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٢٣٢.

- صالح الأعمى مولى إبراهيم بن عثمان بن نهيك: نقل عنه الطبري خبر قتل الرشيد إبراهيم بن نهيك بعد نكبة البرامكة لتأييده لهم وتعاطفه معهم(١).

- محمد بن الصباح الطبري: ونقل عنه خبر مرض الرشيد عندما خرج إلى خراسان(٢).

كما روى الطبري عن مجموعة من الرُّواة المجهولين مشيراً إلى وظائفهم، فروى عن بعض خدم الرشيد تفاصيل أحد مجالس لهوه(٣)، وروى عن بعض قوّاده أسباب تركه بغداد واستقراره في الرقة(٤)، دون أن يصرّح بأسماء الرُّواة في الموضعين.

* البيهقي (ت ٣٢٠هـ/ ٩٣٢م):

هو إبراهيم بن محمد البيهقي، عاش زمن خلافة المقتدر بالله (٢٩٥ - ٣٢٠هـ/ ٩٠٧م - ٩٣٢م)(٥). وقد ذكر البيهقي في مقدّمة كتابه (المحاسن والمساوئ) أن منهجه قائم على اختيار أحسن ما وجده في كتب الأدب ويتعلق بالعلوم الغريبة، والحكم الرفيعة، والمذاهب، والتجارب الحكيمة، والأخبار عن القرون الماضية، والأمثال السائرة، والأمم البائدة(٦). وأوضح أن هدف الكتاب والفائدة المتوخّاة منه هي إثراء تجارب الناس وعقولهم ومروءتهم، وصون أعراضهم، وإصلاح دينهم ومالهم(٧). فالكتاب - إذنْ - مصدر أدبي لا يهتمّ بالحقائق التاريخية.

---

(١) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٣١٠.

(٢) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٣٣٨، ٣٣٩.

(٣) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٣٤٥-٣٥٠.

(٤) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٣١٧.

(٥) محمد أبو الفضل إبراهيم، مقدّمة تحقيق كتاب (المحاسن والمساوئ)، ج١، ص (ج).

(٦) البيهقي، المحاسن والمساوئ، ج١، ص١، ٥.

(٧) البيهقي، المحاسن والمساوئ، ج١، ص٦.

اهتمّ البيهقي بدور العرب الحضاري ومشاركتهم الفرس في ذلك، وأشار إلى أوابد معمارية للعرب تؤكّد ما ذهب إليه؛ مثل: كعبة نجران، وقصر مأرب، والأبلق، وغيرها[1]؛ مما يعني - في رأيه - أسبقية العرب إلى الحضارة. ويبدو أن هذا الكتاب وُضع للردّ على الشعوبية.

قدّم البيهقي أخباره عن الرشيد بشكل متناثر حسب الموضوعات والأبواب التي وضعها، وجاءت بعض أخباره عن الرشيد مُسنَدةً، وبعضها الآخر غير مُسنَد. وقد اعتمد البيهقي على مصادر يمكن تقسيمها إلى قسمين: الأول رواة الأدب، والثاني شهود عيان عاصروا الأحداث. وأهم هذه المصادر:

- الكسائي: روى البيهقي عنه عدة أخبار، منها ما تعلّق بقصة الخاتم الذي أُخرج من نهر دجلة حين دخل الرشيد بغداد في أول يوم لخلافته[2]، كما أورد خبراً مطوّلاً تضمن اهتمام الرشيد بتعرُّف أسباب تعريب الأمويين للنقد[3]، وخبراً آخر مطوّلاً أيضاً عن تنبُّؤ الرشيد بمصير ولدَيْه ووقوع الفتنة بينهما[4].

- أبو محمد اليزيدي: أورد قصةً لتأديب المأمون عكست موقفاً حكيماً وواعياً له وهو صبي[5].

- محمد بن يزيد المبرد؛ أبو العباس (ت ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م)[6]. روى البيهقي عنه أخبار لهو الرشيد مع الجواري، وقصص عشقه لهن[7].

---

(١) البيهقي، المحاسن والمساوئ، ج١، ص١١.

(٢) البيهقي، المحاسن والمساوئ، ج١، ص٢٣٦-٢٣٨.

(٣) البيهقي، المحاسن والمساوئ، ج٢، ص٢٣٢-٢٣٨.

(٤) البيهقي، المحاسن والمساوئ، ج٢، ص١٣٩-١٤٤.

(٥) البيهقي، المحاسن والمساوئ، ج٢، ص٤٠٦.

(٦) المبرد هو: شيخ أهل النحو، عالمٌ بالعربية، روى في بغداد عن أدبائها. وُصف بأنه موثوق الرواية، حسن المحاضرة، مليح الأخبار، كثير النوادر. ابن النديم، الفهرست، ص٦٤. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٣، ص٣٨٠-٣٨٧.

(٧) البيهقي، المحاسن والمساوئ، ج١، ص٣٧٢.

– الأحمر النحوي: هو علي بن المبارك الأحمر النحوي، صاحب الكسائي، ومؤدِّب الأمين. من المتقدمين في النحو وحفظ الشعر(١). روى الأحمر عن خالصة إحدى جواري زبيدة خبر النساء اللواتي جئن إليها في الرؤيا يتنبَّأن بمصير ولدها الأمين السيِّئ قبل أن يُولد(٢).

– برون الكبير: ربما يقصد به البيهقي مسرور الكبير؛ لأن القصة التي رواها عنه جاءت برواية مسرور الكبير في مصادر أخرى، فربما حصل خطأ بسبب التصحيف. روى مسرور قصة الشيخ الذي كان يأتي خرائب البرامكة ليبكي عليهم أيام المأمون، وتضمَّنت القصة مدحاً لأيامهم وصفاتهم وعدم إنكار المأمون ذلك(٣). وهذه القصة تدخل ضمن التيار المُسانِد للبرامكة الذي يسعى من خلال اختراع الأخبار إلى تمجيد سيرتهم بعد حدوث النكبة، وربما تكون دعايةً ضدّ المأمون.

– إبراهيم بن السندي بن شاهك: هو ابن أحد أشهر القادة الأمنيين لدى الرشيد؛ إذ كان يوكله بحبس بعض الخارجين والثوَّار في حبس خاص به(٤). وكان المأمون يعدُّ إبراهيم من العالمين بأمر الدولة ورجال الدعوة(٥). روى إبراهيم عن المأمون خبر المرأة التي تنبَّأت بولادة خليفة وموت خليفة وتولِّي خليفة(٦).

– صالح صاحب مصلَّى الرشيد: روى ما نقله إلى الرشيد من تشبيه أحد الشعراء له بالملك النائم بسبب تسيُّب كاتب ديوانه(٧).

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٢، ص١٠٤.

(٢) البيهقي، المحاسن والمساوئ، ج٢، ص٤٠٣، ٤٠٤.

(٣) البيهقي، المحاسن والمساوئ، ج١، ص١٨٨.

(٤) اليعقوبي، التاريخ، ج٢، ص٤١٤. ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص١٩٤. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٥، ص٣١٠. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٦، ص٢٧٣.

(٥) البيهقي، المحاسن والمساوئ، ج١، ص٢٤٣.

(٦) البيهقي، المحاسن والمساوئ، ج١، ص٢٤٣، ٢٤٤.

(٧) البيهقي، المحاسن والمساوئ، ج٢، ص٢٩٨-٣٠١.

وتشير دراسة بقية الروايات التي قدّمها البيهقي إلى اهتمامها بأخبار البرامكة. وقد جاءت هذه الروايات غير مُسنَدة؛ مما أتاح لها فرصة تقديم أوصاف للبرامكة مُبالَغ فيها، خصوصاً ما يتعلق بكرمهم؛ فقد أورد البيهقي عدة قصص وأخبار تشير إلى ذلك(١). وفي اتجاه آخر، سعت بعض روايات البيهقي غير المُسنَدة أيضاً إلى الانتقاص من كرامة الأمين وهو صبي من خلال بعض القصص غير الأخلاقية متأثِّرةً بالدعاية الشعوبية والمأمونية ضد الأمين(٢).

* ابن عبد ربّه (ت ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م):

هو أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربّه بن حبيب القرطبي، مولى الأمير الأموي هشام بن عبدالرحمن بن معاوية. أديب وأخباري وشاعر، غلب عليه الاشتغال في الأدب وجمعه، وله ديوان شعر، وألّف كتاباً مشهوراً سمّاه (العقد الفريد)(٣). ارتحل ابن عبد ربّه إلى المشرق، وألّف كتابه بعد عودته إلى الأندلس، وهو يحوي أخبار المشارقة وأدبهم وكل ما يتعلّق بهم، وأغفل إغفالاً تاماً أمر بلاده الأندلس(٤). وُصف ابن عبد ربّه بصفات الندماء من حبٍّ للموسيقى والغرام بأصوات المغنّين، وميله إلى اللهو من غناء وشرب، وهو ما يتّضح من خلال المادة المكوّنة لـ(العقد)؛ فهي تعكس ذوق المؤلّف وميله وثقافته. وقد ضمّ الكتاب إلى جانب ذلك ألواناً شتى من المعارف والفنون، منها: السياسة، والحرب، والفكاهات، والمُلَح، والطعام، وأخبار الخلفاء، وغيرها(٥).

---

(١) البيهقي، المحاسن والمساوئ، ج١، ص٣١٦، ٣١٧، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٦، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣٢، ج٢، ص١٤٦، ٢٩٨–٣٠٨، ٣٢٦–٣٢٨، ٣٦٠.

(٢) البيهقي، المحاسن والمساوئ، ج٢، ص٤٠٤، ٤٠٥.

(٣) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ج١، ص٣٨. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص١١٠–١١٢. الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٥، ص٢٨٣.

(٤) احمد امين، مقدّمة كتاب (العقد الفريد)، ج١، ص (ج–ز). محمد ماهر حمادة، دراسة وثقية للتاريخ ومصادره، ص١٨.

(٥) احمد امين، مقدّمة كتاب (العقد الفريد)، ج١، ص (و).

أوضح ابن عبد ربّه في مقدّمة (العقد) أن أسلوب عمله في الكتاب قائم على حسن الاختيار والاختصار، معتمداً في اختياره على الأدب الأعذب والأسهل لفظاً. وأشار إلى أنه حذف الأسانيد من أكثر الأخبار طلباً للاستخفاف والإيجاز وهرباً من التطويل؛ لأن هدفه كان الإمتاع والإيناس؛ فالحكم والنوادر لا ينفعها الإسناد ولا يضرُّها[1]. فالمؤلّف -إذنْ- لا يجعل الحقيقة التاريخية هدفاً له، بل يجعل الإمتاع هدفه، وهو ما يدعو إلى الحذر من مادّة الكتاب التي قدّمها حول الرشيد وغيره.

قدّم ابن عبد ربّه مادة تاريخية وأدبية حول الخليفة الرشيد جاء نصفها مُسنَداً، مع عدم وضوح البُعد الزمني في تلك الأخبار. وجاءت مادّته متوازنةً في استعراضه جوانب حياة الخليفة الرشيد؛ فقد تناول جانب التديُّن الذي تمثّل في بعض الإشارات إلى حجّه وغزوه، وإيراد تفاصيل إحدى غزواته، إضافةً إلى أخبار وقصص حول المواعظ التي كان يتلقّاها ومدى تأثُّره بها. ومن جانب آخر، اهتمّ ابن عبد ربّه بجانب اللهو والعبث في حياة الرشيد المتمثّل في اهتمامه بالمغنّين وعلاقته بهم وسماعه لهم، واهتمامه بالجواري وعلاقته معهن، إضافةً إلى قصص خليعة معهن أوردها ابن عبد ربّه منفرداً. كما اهتم ابن عبد ربّه بمجالس الرشيد الأدبية التي ظهرت فيها التيارات المتصارعة (العربي والفارسي)، إضافةً إلى الاهتمام بأخبار البرامكة الإدارية، وتقديم أوصاف مُبالَغ فيها عن كرمهم وسجاياهم الحميدة من خلال القصص والأشعار التي اهتمّت بهذا الجانب، إضافةً إلى مقدّمات النكبة وتفاصيلها وما تبعها من مراسلات وتوسُّلات لإطلاق المنكوبين والمحبوسين، مع اهتمام واضح لدى ابن عبد ربّه بالأدب المتعلّق بالبرامكة؛ مثل الأقوال والتوقيعات، فأفرد له باباً خاصاً به.

أسند ابن عبد ربّه أخباره المتعلقة بجانب اللهو من حياة الرشيد، وما رافق ذلك من حفلات للغناء والشراب وعلاقاته الغرامية مع الجواري، إلى مجموعة من رواة

(١) ابن عبد ربّه، العقد الفريد، ج١، ص١-٣.

المُلَح والنوادر والقصص الأدبية؛ مثل: الأصمعي(١)، وإسحاق بن إبراهيم الموصلي(٢)، ومحمد بن يزيد المبرد(٣).

* الجهشياري (ت ٣٣١هـ/ ٩٤٢م):

هو أبو عبدالله محمد بن عبدوس، أحد الكتاب الأخباريين المترسِّلين. من كتبه: (الوزراء والكتَّاب)، و(ميزان الشعر)(٤). كما أشار ابن النديم إلى تأليفه كتاباً في الأسمار والخرافات(٥). وقد حوى كتاب (الوزراء والكتَّاب) تأريخاً لأخبار الوزراء والكتَّاب من أيام خلافة أبي بكر إلى أيام وزارة الفضل بن سهل أيام المأمون سنة (٢٠٢هـ/ ٩١٤م).

أسند الجهشياري بعض أخباره، وتساهل في البقية، وفيما يخصّ ما أورده حول الرشيد والبرامكة يُلحظ انه أسند ثلث المادة المقدَّمة عنهم، فيما جاءت البقية دون إسناد؛ مما يدلُّ على تساهل واضح في أمر الإسناد.

وتناول الجهشياري أخبار خلافة الرشيد من خلال ما قدَّمه من أخبار عن الوزراء والكتَّاب، خصوصاً البرامكة؛ إذ بدا واضحاً أن فترة الرشيد كانت تأريخاً لسيرة البرامكة السياسية والإدارية، وكان حظّ الرشيد منها قليلاً؛ فقد اهتم الجهشياري بعلاقة الرشيد بالبرامكة، وصوَّر حال الإدارة في ظل البرامكة، ومدى نفوذ البرامكة ومقدرتهم العالية في تسيير شؤون الدولة، وأورد تفاصيل دقيقة عن الأعمال التي قاموا بها؛ مثل جلوسهم للمظالم. وقد بالغ الجهشياري في وصف أعمال البرامكة حتى جعل لهم دوراً عسكرياً في المعارك كما سيتَّضح في الفصول التالية، وهو ما لم يَرِدْ لدى مصادر أخرى.

(١) ابن عبد ربّه، العقد الفريد، ج١، ص٢٥٨، ج٥، ص٣٧٨، ٣٧٩، ج٦، ص٣٠١، ٣٠٢.

(٢) ابن عبد ربّه، العقد الفريد، ج٦، ص٤٠٣-٤٠٥. المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٢٣٥.

(٣) ابن عبد ربّه، العقد الفريد، ج٦، ص٣٨٢-٣٨٧.

(٤) ابن النديم، الفهرست، ص١٨٤.

(٥) ابن النديم، الفهرست، ص٤٢٣.

كما سعى الجهشياري إلى إظهار سياسة الرشيد الفاشلة في إقليم خراسان مقابل توجُّهات سليمة في سياسة البرامكة في إدارة هذا الإقليم. وفي الوقت الذي قدَّم فيه الجهشياري أوصافاً إيجابية للرشيد، وساق أمثلةً على تديُّنه، قدَّم عن البرامكة عدة أخبار حول كرمهم، كما قدَّم صفات إيجابية أخرى ليحيى بن خالد البرمكي وجميع أفراد أسرته فاقت ما قُدِّم حول الرشيد. وفي المقابل، أقام توازناً ضعيفاً من خلال إيراده بعض الأخبار التي تذمّ البرامكة. وتناول الجهشياري أيضاً أسباب نكبة البرامكة ومقدّماتها، مع سيطرة أفكار غيبية وأسطورية على تلك الأخبار.

وقد استند الجهشياري في تقديمه تلك الأخبار إلى مصادر متنوِّعة؛ منها: الأخباريون الذين رووا الأخبار التاريخية والأدبية، وبعض الكتب التي ذكر أسماء أصحابها منفرداً باعتماده عليهم، إضافةً إلى شهود عيان من موظفين ومقرَّبين كانوا معاصرين للأحداث. وأبرز تلك المصادر:

– محمد بن داود الجراح (ت ٢٩٦هـ/ ٩٠٨م): من كتَّاب الدولة العباسية، كان وزيراً لعبدالله بن المعتز. له عدَّة مؤلفات أدبية في الشعر والشعراء، وله كتاب (الوزراء)(١). نقل الجهشياري عن كتابه (الوزراء) خبر احتجان البرامكة الأموال دون الرشيد حين كان يطلبها منهم فيرفضون إعطاءه(٢).

– محمد بن أحمد بن عبدالحميد الكاتب: وصفه ابن النديم بأنه من أهل السِّيَر، وأن له كتاب (أخبار خلفاء بني العباس)، ووصفه بأنه كتاب كبير(٣). نقل الجهشياري عنه قائمة بخراج الدولة أيام الرشيد والمبالغ المُحصَّلة نقداً وعيناً، وقد انفرد الجهشياري من بين المصادر بإيراد تلك القائمة(٤).

(١) ابن النديم، الفهرست، ص١٤٢. الذهبي، العِبَر في خبر مَن غبر، ج٢، ص١١٢.

(٢) الجهشياري، الوزراء والكتَّاب، ص١٦١.

(٣) ابن النديم، الفهرست، ص١٢٠.

(٤) الجهشياري، الوزراء والكتَّاب، ص١٨٢، ١٨٣.

- كتاب (أخبار الخلفاء) للحارث بن أسامة[١] . نقل الجهشياري عنه خبر سكّ جعفر بن يحيى البرمكي دنانير تحمل صورته[٢] .

- الواقدي : نقل الجهشياري عنه وصفه الفضل بأنه متكبّر ومتبختر في مشيته[٣] .

- الجاحظ : أورد الجهشياري عنه خبراً يدلُّ على بخل جعفر البرمكي حين وصل أحد الشعراء بصلة قليلة[٤] .

- الأصمعي : أورد الجهشياري عنه خبراً تناول مجلساً أدبياً شارك فيه الأصمعي وحضره الرشيد[٥] .

- مسرور الكبير : أورد الجهشياري عنه عدة روايات، منها ما يتعلّق بتآمر البرامكة مع يحيى بن عبدالله العلوي[٦]، كما روى أخباراً عن أحوال البرامكة بعد النكبة في أثناء حبسهم[٧] . وقدَّم مسرور رأياً مهماً جداً يتعلّق بنفيه صحة قصة العبَّاسة وزواجها من جعفر البرمكي[٨] .

- الطبيب بختيشوع بن جبريل : روى الجهشياري عن أبيه خبراً يتعلّق بجلوس يحيى البرمكي للمظالم، وتبدُّل موقف الرشيد منه بعد أن كان راضياً عنه[٩] .

---

(١) ربما قصد به الحارث بن محمد بن أبي أسامة التميمي . وُلد سنة ١٨٦هـ، وتُوفّي سنة ٢٨٢هـ. وهو راوٍ صدوق الحديث، ألّف مسنداً له . الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٨، ص٢١٨، ٢١٩ . ابن الجوزي، المنتظم، ج١٢، ص٣٥٠ . الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١١، ص٢٦٠ .

(٢) الجهشياري، الوزراء والكتّاب، ص١٥٥ .

(٣) الجهشياري، الوزراء والكتّاب، ص١٢٦، ١٢٧ .

(٤) الجهشياري، الوزراء والكتّاب، ص١٣٤، ١٣٥ .

(٥) الجهشياري، الوزراء والكتّاب، ص١٩٨ .

(٦) الجهشياري، الوزراء والكتّاب، ص١٥٧ .

(٧) الجهشياري، الوزراء والكتّاب، ص١٥٦، ١٥٧ .

(٨) الجهشياري، الوزراء والكتّاب، ص١٦٢ .

(٩) الجهشياري، الوزراء والكتّاب، ص١٤٤، ١٤٥ .

- إبراهيم الموصلي (ت ١٨٨هـ/ ٨٠٤م): هو إبراهيم بن ميمون (ماهان) بن بهمن بن نسك الموصلي المعروف بـ(النديم)، مولى بني تميم. لم يكن من الموصل، بل سافر إليها، وأقام بها مُدَّةً فنُسب إليها، وأصله من أرجان من بلاد فارس، وهو من بيت كبير من العجم. وُلد في الكوفة سنة ١٢٥هـ[١]. كان مغنِّياً للمنصور ثم الرشيد، وله أخبار كثيرة في كتاب (الأغاني)[٢]. أورد الجهشياري مقارنته بين أولاد يحيى بن خالد البرمكي، وقد ذكر الموصلي من خلال هذه المقارنة أوصافاً إيجابية لهم[٣].

- إسحاق بن إبراهيم الموصلي (ت ٢٣٥هـ/ ٨٤٩م): ابن إبراهيم الموصلي المغنِّي المشهور. وُلد في بغداد سنة ١٥٠هـ. له كتاب (الأغاني الكبير) وكتب أخرى عن الشعراء والملاهي. ذكر الخطيب البغدادي أنه روى الحديث عن سفيان ابن عيينة وغيره، وأخذ الأدب عن الأصمعي وأبي عبيدة، كما وصفه بأنه حلو النادرة، جيِّد الشعر، مذكور بالسخاء، وأنه كان يقضي يومه في سماع الحديث والقرآن والعزف والغناء واللغة، ثم ينهيه بمجالسة الرشيد وقت العشاء. كما ذكر الأصبهاني أنه معروف بسعة علمه وأدبه وروايته وتقدُّمه في الشعر، وأن الغناء كان أقلَّ علومه وأدنى ما يُوصف به وإن كان الغالب عليه، وأنه كان أكره الناس للغناء وأشدَّهم بغضاً لأن يُدعى إليه أو يُسمَّى به. كما أورد شهادة المأمون فيه أنه لولا شهرته عند الناس بالغناء لولأه القضاء في حضرته؛ لعفته وصدقه وأمانته وتديُّنه أكثر من بعض القضاة[٤].

---

(١) ابن النديم، الفهرست، ص١٥٧. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص٤٢. الأصفهاني، الأغاني، ج٥، ص١٦.

(٢) الأصبهاني، الأغاني، ج٥، ص١٠٦-٢٨٥.

(٣) الجهشياري، الوزراء والكتَّاب، ص١٢٧.

(٤) ابن النديم، الفهرست، ص١٥٧، ١٥٨. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٦، ص٣٣٨-٣٤٠. الأصبهاني، الأغاني، ج٥، ص١٧٧. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٤، ص١٤٥-١٤٨. ابن العديم، بغية الطلب، ج٣، ص١٤١٣-١٤١٦.

وقد أورد إسحاق أخباراً عن البرامكة تشير إلى دالَّة قوية لجعفر بن يحيى البرمكي على الرشيد من خلال قصَّته مع عبدالملك بن صالح(١)، إضافةً إلى خبر يتعلَّق بكرم يحيى البرمكي مع إبراهيم الموصلي وصلته له بمبلغ كبير لشراء ضَيْعة(٢).

– عيسى بن يزدانيروذ: أحد كتَّاب الرشيد. وقد أورد الجهشياري إشارته إلى استجواب الرشيد له عن ولاء جعفر بعد نكبته، فلم يثبت له ما يؤيِّد وجهة نظره، فأبدى الرشيد ندمه وأسفه على جعفر(٣).

– الفضل بن مروان (ت ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م): وزير المعتصم، كان كاتباً لأم المتوكل (ت ٢٥٠هـ)(٤). قدَّم الفضل معلومة فريدة وغريبة تشير إلى تأثُّر دولة الرشيد سلبياً بنكبة البرامكة، وأن الأمور اختلَّت وأُهملت بعدهم(٥).

* الصولي (ت ٣٣٥هـ/ ٩٤٦م):

هو أبو بكر محمد بن يحيى بن عبدالله بن العباس بن صول. أحد العلماء بفنون الآداب، وواسع الرواية، حسن الحفظ للآداب، وحسن المعرفة بأخبار الملوك وأيام الخلفاء ومآثر الأشراف. نادم عدَّة خلفاء، وصنَّف في أخبارهم وسِيَرهم، وجمع أشعارهم وأشعار الوزراء والكتَّاب والرؤساء(٦). له من الكتب كتاب (الأوراق في أخبار الخلفاء والشعراء)، ولكنه لم يتمّه، فخرج منه: (أخبار الخلفاء)، و(أشعار أولاد الخلفاء)، و(أشعار مَن بقي من بني العباس)، و(أشعار الطالبيين)(٧).

---

(١) الجهشياري، الوزراء والكتَّاب، ص١٣٦، ١٣٧.

(٢) الجهشياري، الوزراء والكتَّاب، ص١١٦–١١٨.

(٣) الجهشياري، الوزراء والكتَّاب، ص١٦٩.

(٤) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٤٨، ص٣٦٧–٣٧٣.

(٥) الجهشياري، الوزراء والكتَّاب، ص١٧.

(٦) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٣، ص٤٢٧. المسعودي، مروج الذهب، ج٥، ص٢٣.

(٧) ابن النديم، الفهرست، ص١٦٧، ١٦٨.

يعدُّ الصولي من أهم المصادر الأدبية التي قدَّمت أخباراً حول الرشيد والبرامكة، خصوصاً في كتابيه: (أشعار أولاد الخلفاء)، و(أخبار الشعراء المحدثين). وكانت أخباره متنوعة، شملت عدة جوانب من حياة الرشيد الخاصة والرسمية المتعلِّقة بالخلافة والأمور السياسية والعسكرية، إضافةً إلى الجانب الأدبي الذي ارتبط بالرشيد أو البرامكة. وجاءت تلك الأخبار متفرِّقة، فتناول أخبار بعض غزوات الرشيد، مع اهتمام واضح بالأدب المتعلِّق بها من قصائد قيلت لتصف مشاركة الرشيد فيها. وقد استند الصولي في ذلك إلى عمر بن شبة(١) وإسحاق الموصلي(٢)، كما اعتمد في خبره الذي يسيء إلى الرشيد عن العلاقة الغرامية بين عُلَيَّة أخته وواحد من خدَّامه يُقال له (طَلٌّ)(٣) على الكاتب سعيد بن هريم الذي كان يتولَّى بيت الحكمة أيام المأمون مع سهل بن هارون، فنهج نهجه في شعوبيته(٤).

وأورد الصولي قصائدَ تمدح البرامكة وتمجِّدهم وتبرز صفاتهم الإيجابية، معتمداً على عدد من الرواة؛ أهمهم:

- أبان بن عبدالحميد اللاحقي: هو أبان بن عبدالحميد بن لاحق بن عفير الرقاشي، مولى بني رقاش، من أهل البصرة. كان شاعراً مكثراً، اختصّ بنقل بعض الكتب المنثورة إلى شعر. اتَّصل أبان بالبرامكة وانقطع إليهم(٥). أورد أبان قصيدتين في مدح الفضل البرمكي بمناسبة قدوم يحيى بن عبدالله العلوي وقبوله الصلح، ودور الفضل البرمكي في ذلك(٦).

---

(١) الصولي، أشعار أولاد الخلفاء، ص١٥، ١٦.

(٢) الصولي، أخبار الشعراء المحدثين، ص٨٠، ٨١.

(٣) الصولي، أشعار أولاد الخلفاء، ص٥٦، ٥٧.

(٤) ابن النديم، الفهرست، ص١٣٣، ١٣٤. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٥، ص٢٦٩.

(٥) ابن النديم، الفهرست، ص١٨٦. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٧، ص٤٤.

(٦) الصولي، أخبار الشعراء المحدثين، ص١١-١٥، ١٩-٢٢.

- شاكر بن عبدالله بن عبدالحميد اللاحقي: وقد أورد مدائح أبان بن عبدالحميد في يحيى بن خالد البرمكي[١].

- الكاتب منصور بن زياد: وهو أحد كتّاب يحيى بن خالد البرمكي، وكان مقرّباً منه وأحبّ الكتّاب إليه، وكان من مُنادِميه ومُجالِسيه[٢].

كما اعتمد الصولي في إيراده مدائح البرامكة على عدد من الشعراء، منهم: أبو العيناء (ت ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م)[٣]، وكلثوم بن عمرو العتابي (ت ٢٢٠هـ/ ٨٣٥م)[٤]، وعلي بن الجهم (تُوفّي بعد ٢٤٩هـ/ ٨٦٣م)[٥]. وهو ما يشير إلى أن الصولي اعتمد على دواوينهم في إيراده تلك القصائد[٦].

* المسعودي (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م):

هو أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، من ذرية الصحابي عبدالله بن مسعود. كان اخبارياً علاّمة صاحب غرائب ومُلَح ونوادر[٧]. كما أنه كان جغرافياً ورحّالة، تنقل كثيراً بين البلدان وجمع أخباره عنها[٨]. له عدّة مؤلّفات اشار إليها في مقدّمتَيْ كتابَيْه (المروج) و(التنبيه والإشراف)، ولكن لم يصلنا منها إلا هذان الكتابان.

(١) الصولي، اخبار الشعراء المحدثين، ص٣٣.

(٢) الجهشياري، الوزراء والكتّاب، ص١١٥، ١٢٠، ١٢٤، ١٤٣، ١٤٤.

(٣) هو محمد بن القاسم بن خلاد اليمامي، مولى بني هاشم، يُكنّى ابا عبدالله. كان ضريراً ذا لسان، على رواية واسعة، قليل الشعر. له مع المتوكّل اخبار. انظر: المرزباني، معجم الشعراء، ص٤٠٢، ٤٠٣.

(٤) هو كلثوم بن عمرو بن أيوب بن عبيد التغلبي، كان شاعراً خطيباً بليغاً مجيداً. من أهل قنسرين، قدم بغداد، ومدح الرشيد وغيره من الخلفاء. وصفه الأصبهاني بأنه شاعر مترسّل بليغ مطبوع مُقدَّم في الخطابة والرواية. انظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٢، ص٤٨٨.

(٥) هو علي بن الجهم بن بدر السامي. من ناقلة خراسان، له ديوان شعر مشهور. كان جيِّد الشعر عالماً بفنونه. اختصَّ بالمتوكّل. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١١، ص٣٦٧.

(٦) انظر هذه القصائد في: الصولي، أخبار الشعراء المحدثين، ص٢، ٣، ...، ٧٩.

(٧) ابن النديم، الفهرست، ص١٧١. الكتبي، فوات الوفيات، ج٣، ص١٢، ١٣. ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٤، ص٤٨.

(٨) المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص٩، ١٢.

يعدُّ كتاب (مروج الذهب ومعادن الجوهر) من الكتب التاريخية ذات الطابع الموسوعي؛ إذ دوَّن فيه المسعودي التاريخ إلى جانب معلومات جغرافية واجتماعية ودينية وثقافية، فتناول فيه مبتدأ الخليقة، ثم تناول الأنبياء من إبراهيم عليه السلام حتى محمد ﷺ، ثم سرد أحداث التاريخ الإسلامي حتى أول خلافة المطيع العباسي، ووصف إيران والمناطق البيزنطية، وأورد أخبار الكنيسة والديانة النصرانية(١).

كان دافع المسعودي في تأليف (المروج) هو ما وجده من مؤلَّفات قد قصَّر أصحابها أو أسهبوا أو بالغوا، فوجد أنه من الواجب عليه إزالة ذلك التقصير من خلال أسلوب جديد للتأكُّد من الأخبار، وهو السَّفَر؛ لأن الجالس في مكانه مُنتظراً أن تأتيه الأخبار لن يكون حاله مثل الذي يسافر ليستخرج الحقيقة من منابعها(٢). ومن هنا تكمن أهمية المسعودي بوصفه صاحب منهج رائد في البحث التاريخي، إضافةً إلى أنه أعطى التاريخ أهميةً بوصفه علماً مستقلاً ذا فائدة للدارسين والمهتمين وعموم الناس، وأيضاً بوصفه دافعاً له في التأليف(٣). لقد قدَّم المسعودي في (المروج) دراسة ناقدة لمصادره التي عدَّدها في مقدِّمة الكتاب، فنقد بعضها وأشاد بالبعض الآخر(٤).

أما كتاب (التنبيه والإشراف) فهو كتاب مُختصَر يحوي معلومات جغرافية وفلكية، فيتناول أثر الجغرافيا والفلك في الناس، ويقدِّم أوصافاً جغرافية للأقاليم السبعة أيَّامَهُ، وتهتمّ أوصافه بالجانب الحضاري للأمم القديمة؛ كاللغة والمساكن.

(١) حول وصف الكتاب انظر: المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص٢٠-٣٠.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص١٢.

(٣) عن نظرة المسعودي إلى فوائد علم التاريخ انظر: مروج الذهب، ج٢، ص١٨٦، ١٨٧.

(٤) المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص١٥، ١٦. وعلى الرغم من نظرة المسعودي القيِّمة إلى التاريخ إلا أنه كان عرضةً للنقد من غيره؛ كابن خلدون. انظر: مقدِّمة ابن خلدون، ص٢٧، ٢٨.

كما تناول ملوك الفرس والروم وطبقاتهم وأخبارهم، وتناول سيرة الرسول ﷺ وغزواته وسيَر الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين، وتناول ما جرى من أفدية حصلت بين المسلمين والروم(١).

أورد المسعودي أخباره عن الخليفة الرشيد في كتابَيْه (المروج) و(التنبيه)؛ ففي (المروج) جاءت أخباره مفصَّلة ومقسَّمة قسمين: قسم ورد في الباب الثلاثين الذي تناول فيه ملوك الروم بعد ظهور الإسلام، فذكر أخبار غزوات الرشيد إلى بلاد الروم(٢). أما بقية أخبار الرشيد فقد جاءت في الباب الحادي عشر بعد المائة الذي تناول فيه خلافة هارون الرشيد، إضافةً إلى الباب التالي الذي تناول فيه البرامكة وأخبارهم(٣). كما وردت بعض الأخبار عن الرشيد أيام بعض الخلفاء العباسيين المتأخِّرين؛ مثل: المكتفي بالله (٢٨٩ - ٢٩٥هـ/ ٩٠١ - ٩٠٧م)، والقاهر بالله (٣٢٠هـ / ٩٣٣م)(٤)، من خلال أحاديث جرت أيامهم استُذْكر فيها الرشيد وسيرته. كما أشار المسعودي إلى أنه ذكر أخباراً عن الرشيد في كتب أخرى لم تصلنا(٥).

تناول المسعودي في (المروج) أخبار الرشيد قبل خلافته، خصوصاً خلافه مع أخيه الهادي ودور البرامكة فيه. كما تناول غزوات الرشيد وحجَّاته، وقدَّم تفاصيل مهمة حول بعضها معتمداً على مصادر مباشرة هم شهود عيان من أهل مناطق الثغور. وقد أشار المسعودي في (التنبيه والإشراف) إلى تبادل الأسرى أيام الرشيد. ولم يغفل جانب اللهو في حياة الرشيد، ولكنه كان مُقلاً في الحديث عنه. كما أشار إلى أوصاف خلافة الرشيد وتأثُّرها سلباً بسبب نكبة البرامكة. كما قدَّم تفاصيل حول علاقة الرشيد ببعض العلويين؛ كيحيى بن عبدالله وموسى

(١) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص٢-٧.
(٢) المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص٥٣-٦٤.
(٣) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص١٩٦-٢٦٠.
(٤) المسعودي، مروج الذهب، ج٥، ص١٩١، ٢١١-٢١٣.
(٥) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٢٣٢.

الكاظم. ويبدو أن ذلك كان نتيجة تأليف المسعودي رسالته (بيان أسماء الأئمة القطعية من الشيعة)(١)، إضافةً إلى اعتماده على أشهر العلويين في عصره. كما تناول المسعودي أخبار وليَّيْ عهد الرشيد الأمين والمأمون والتنبؤات حول مصيرهما ومستقبل العلاقة بينهما، مع تقديم مُفاضَلة بين الأخوين جاءت لصالح المأمون.

أما البرامكة، فقد تناول المسعودي علاقة الرشيد بهم، ووظائفهم الإدارية، مع تقديم أوصاف إيجابية لهم. كما تناول أسباب النكبة، ومن ضمنها قصة العبَّاسة وزواجها من جعفر البرمكي، وما جرى للبرامكة في أثناء النكبة وبعدها من إيراد المراثي فيهم.

لم يخْلُ تناول المسعودي لأخبار الرشيد من ورود بعض الأفكار الأسطورية المتمثِّلة في الرؤى والتنبُّؤات والأحلام، خصوصاً الأخبار التي ارتبطت بمصائر الأشخاص؛ كالهادي والأمين والمأمون.

ومن خلال دراسة المادة التى قدَّمها المسعودي حول الرشيد نجد أنه لم يهتمّ كثيراً بالإسناد، فقدَّم ثلثَيْ مادته عن الرشيد دون إسناد، أما المُسنَد فقد اعتمد فيه على مصادر متعدِّدة ومتنوِّعة. وكان لمنهجيته المُبتكَرة في الاعتماد على مشاهدة مواقع الأحداث ومعاينتها أثر واضح في تميُّزه باطِّلاعه على مصادر جديدة لم يستند إليها أحد من قبله، وإثراء كتبه بتقديم تصوُّر دقيق وموضوعي للأحداث، إضافةً إلى اطِّلاعه على مؤلَّفات مكتوبة أشار إليها. كما وفَّرت له أسفاره عدَّة مصادر أخرى؛ أهمها:

– جماعة من أهل الخبرة من أهل الثغور: وقد أورد عنهم تفاصيلَ حول غزوة الرشيد سنة (١٩٠هـ/ ٨٠٦م) التي برز فيها دور فرسان أهل الثغور الذين شاركوا في المعارك، إضافةً إلى شيوخها الذين قدَّموا آراءً ونصائحَ ساعدت في تحقيق النصر على الروم وفتح مدينة هرقلة(٢).

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج٦، ص٢١٦.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص٥٩–٦٢.

- أبو عمير عدي بن أحمد بن عبدالباقي الأذني الطرسوسي: رئيس الثغور الشامية، عاصر المقتدر، والتقى به سنة (٣٠٥هـ/ ٩١٧م)، حدَّث بحلب وطرسوس(١). أورد المسعودي عنه تفاصيل مهمة حول غزوة الرشيد سنة (١٩٠هـ/ ٨٠٦م)(٢).

- محمد بن علي المصري الخراساني الأخباري (تُوفِّي نحو ٣٣٣هـ/ ٩٤٤م): أنيس القاهر بالله، كان راويةً لأخبار الخلفاء العباسيين وصفاتهم، عاشر أهل الرياسة، وصفه المسعودي بأنه حسن الفهم، جيِّد الرأي(٣). أورد عنه المسعودي وصْفَهُ للرشيد وتديُّنه وعدد أعماله الخيرية، ووصْفَهُ أيامه بأحسن الأوصاف(٤).

- جماعة ممن عُنوا بأخبار العباسيين؛ كالمدائني (ت ٢٢٥هـ/ ٨٣٩م)، والعتبي (ت ٢٢٨هـ/ ٨٤٢م).

والمدائني هو أبو الحسن علي بن محمد بن أبي سيف، شيخ الأخباريين في عصره، كان منقطعاً لإسحاق الموصلي، وله عدَّة مؤلَّفات(٥).

والعتبي هو أبو عبدالرحمن محمد بن عبدالله بن عمرو بن معاوية البصري، شاعر فصيح، له عدَّة مؤلَّفات(٦). وقد أورد المسعودي عنهما خبر النساء اللواتي جئن إلى زبيدة في الرؤيا يتنبَّأن بمصير الأمين المأساوي(٧).

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١، ص١٠٤. ابن العديم، بغية الطلب، ج٣، ص١١٢٦، ١١٢٧، ج١٠ ص٤٥٠٢.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص٥٦-٥٨.

(٣) المسعودي، مروج الذهب، ج٥، ص٢١٤.

(٤) المسعودي، مروج الذهب، ج٥، ص٢١٢.

(٥) ابن النديم، الفهرست، ص١١٣.

(٦) ابن النديم، الفهرست، ص١٣٥.

(٧) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٢١٣، ٢١٤.

- ذوو المعرفة بأخبار البرامكة: ونقل عنهم المسعودي خبراً يتعلّق بسلوك الفضل بن يحيى البرمكي اللاهي في أثناء ولايته خراسان[١]، إضافةً إلى قصة العبّاسة وزواجها من جعفر البرمكي بوصفه أحد أسباب نكبة البرامكة[٢].

- أبو العباس أحمد بن يحيى بن ثعلب (ت ٢٩١هـ/ ٩٠٣م)[٣]: وأشار إلى حبس الرشيد للشاعر أبي العتاهية (ت ٢١١هـ/ ٨٢٦م) بسبب تغزُّله في جاريته بثينة[٤].

كما اعتمد المسعودي على رواة آخرين تكرَّر ورود أخبارهم في مصادر متقدِّمة، منهم:

- إسحاق الموصلي: وروى عنه أخبار لهو الرشيد مع جواريه[٥].

- الأصمعي: وأورد عنه أخباراً متنوِّعة، منها ما يتعلَّق بوعظ الرشيد، وعلاقته ببعض الأمويين، وخلافه مع عبدالملك بن صالح، وأخبار ولدَيْه الأمين والمأمون[٦].

- الكسائي: وروى عنه أخبار تأديبه ولدَي الرشيد الأمين والمأمون، وتنبُّؤات الرشيد بحصول الفتنة بينهما[٧].

* الأصبهاني (ت ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م):

هو علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم؛ أبو الفرج الأصبهاني الكاتب، من أحفاد مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية. كان عالماً بأيام الناس والأنساب والسِّيَر، وكان شاعراً محسناً، والغالب عليه رواية الأخبار والآداب[٨].

---

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٢٣٤.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٢٤٦-٢٤٩.

(٣) حاجي خليفة، كشف الظنون، ج٢، ص١٥٧٧.

(٤) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٢١٨-٢٢٠.

(٥) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٢٣٥.

(٦) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٢٠٣،٧، ٢٠٤، ٢١٣، ٢١٤، ٢٣١، ٢٣٢.

(٧) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٢١٠-٢١٢.

(٨) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١١، ص٣٩٨. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٤، ص١٨٥.

ذكر ابن خلكان (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م) عن المحسن بن علي التنوخي (ت ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م) قوله فيه: «ومن المتشيّعين الذين شاهدناهم أبو الفرج الأصبهاني، كان يحفظ من الشعر والأغاني والأخبار والآثار والأحاديث المُسنَدة والنَّسَب ما لم أر قطّ مَن يحفظ مثله، ويحفظ دون ذلك من علوم أخر؛ منها: اللغة، والنحو، والخرافات، والسِّيَر، والمغازي، ومن آلة المنادمة شيئاً كثيراً؛ مثل: علم الجوارح، والبيطرة، ونتف من الطبّ والنجوم والأشربة، وغير ذلك»[١].

ألّف الأصبهاني عدّة مؤلفات، منها: (الأغاني)، و(مقاتل الطالبيين)، و(أخبار الإماء الشواعر)، و(الديارات)، و(أدب الغرباء)، إضافةً إلى مؤلّفات في الأنساب[٢] والنوادر، وكتب أخرى[٣].

لم يُجمع المؤرّخون وأصحاب التراجم على موقف واضح من مصداقية الأصبهاني؛ فصاحب (الفهرست) أشار إلى اعتماده على الأصول الجيّدة[٤]، في حين أورد الخطيب البغدادي رأي التنوخي الذي يصفه بالتشيُّع، وأنه كان يحفظ الخرافات، كما أورد وصف النوبختي (تُوفّي في القرن ٣هـ/ ٩م) له بالكذب، وأنه كان يذهب إلى سوق الورّاقين وهي عامرة، فيشتري منها الكتب والصحف، ويحملها إلى بيته، ثم تكون رواياته كلها منها. وفي الوقت نفسه أورد الخطيب رأياً آخر بأنه لم يكن هناك أوثق من أبي الفرج الأصبهاني[٥].

أما ابن الجوزي فقد وصفه بالتشيُّع أيضاً، وبأنه غير موثوق الرواية، وأنه يصرّح في كتبه بما يوجب عليه الفسق، وأنه يهوّن شرب الخمر ويمارس ذلك، ويصف

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص٣٠٧. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٦، ص٢٠٢.

(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١١، ص٣٩٨. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص٣٠٧، ٣٠٨.

(٣) ابن النديم، الفهرست، ص١٦٦.

(٤) ابن النديم، الفهرست، ص١٦٦.

(٥) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١١، ص٣٩٨.

كتابه (الأغاني) بقوله: «مَن تأمَّل كتاب الأغاني رأى كل قبيح ومنكر»(١). أما الذهبي (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٨م) فيعجب من كونه أموياً شيعياً، ويصفه بأنه كان وسخاً زرياً، وأن الناس كانوا يتَّقون هجاءه(٢).

جمع الأصبهاني في كتابه (الأغاني) الأشعار المُغنَّاة، ونسب كل ما ذكره من أشعار وأغانٍ إلى قائله، وصانعِ لحنه، وطريقة إيقاعه، والسبب الذي دفعهما إلى قول الشعر، أو صنع اللحن، والمناسبة التي قيل فيها، إلى جانب بعض الآثار والأخبار من أيام العرب وقصص ملوك الجاهلية والخلفاء في الإسلام، معتمداً على المائة صوت التي اختيرت للخليفة هارون الرشيد من قبل إبراهيم الموصلي وابن جامع وفليح بن العوراء، ثم أتبعه بأغاني الخلفاء وأولادهم، ثم سائر الغناء الذي عُرف له قصة تُستفاد، وحديث يُستحسن، وله فائدة ورونق يروق للسامع ويلهيه(٣). ولم يرتِّب الأصبهاني كتابه حسب أبواب طرائق الغناء أو طبقات المغنِّين، لكنه رتَّبه حسب الأصوات المختارة(٤).

فكتاب (الأغاني) مصدر أدبي يهدف إلى التسلية واللهو والإمتاع والمؤانسة، فجمع مؤلِّفه بين دفتيه أقاصيص اللهو والغرام. ويرى بعض الباحثين أن الأصبهاني تتبَّع جانب اللهو والعبث والخلاعة من حياة الشعراء والمغنِّين والخلفاء الذين تناولهم؛ لأن ذلك يعكس مزاجه الخاص واهتمامه وميوله وميول الذين ألَّف لهم كتابه ليرضي خيالهم أكثر مما يرضي عقولهم(٥). ويبدو ذلك واضحاً من خلال ما

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٤، ص١٨٥.

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٦، ص٢٠٢.

(٣) الأصبهاني، الأغاني، ج١، ص٣٨، ٣٩.

(٤) الأصبهاني، الأغاني، ج١، ص٤٠، ٤١.

(٥) محمد أحمد خلف الله، صاحب الأغاني، ص١٩٧، ١٩٩. وانظر أيضاً: جان سوفاجيه وكلود كاين، مصادر دراسة التاريخ الإسلامي، ص٨٢. محمد رجب البيومي، هارون الرشيد، ص١٠٧. محمد القاضي، الخبر في الأدب العربي، ص١٨٣.

قدَّمه عن الخليفة الرشيد؛ إذ كان معادياً له ولغيره من خلفاء بني العباس، وهو ما نتج عن عاملين مهمَّيْن: عصبيَّته الأموية، وتشيُّعه للعلويين(١).

أما كتاب (مقاتل الطالبيين) فقد تناول الأصبهاني فيه أخبار مَن قُتل من ذُرِّيَّة أبي طالب منذ عهد الرسول ﷺ إلى الوقت الذي ألَّف فيه كتابه سنة (٣١٣هـ/ ٩٢٥م)، متناولاً من قُتل منهم بسُمٍّ، أو مَن هرب من ملاحقة السلطان فتوارى فمات في تواريه، أو مَن قُبض عليه منهم فحبس فمات في حبسه، مرتِّباً ذلك حسب حصوله زمنياً، سالكاً في ذلك منهج الاختصار(٢).

اهتم الأصبهاني في كتابيه (الأغاني) و(مقاتل الطالبيين) بالإسناد اهتماماً واضحاً. وحرصه على الإسناد كما يرى البعض لا يتلاءم مع تساهله في رواياته وأخذه عن الكذابين الأخبار الموضوعة والمصنوعة، وهو لا يحكم على رواياته، ولا يفاضل بينها ولا ينقدها، بل يكتفي بذكرها حين تتعدَّد وتختلف، وحين تبدو الأخبار مخالفةً للواقع في نظره، فإنه لا يسقطها، بل يوردها ويتبرأ من العهدة فيها كأن عمله هو مجرَّد جسر تمرّ فوقه المعلومات جيِّدها ورديئها(٣).

إن إيراد الأصبهاني الأخبار والأقاصيص مُسنَدةً إلى سلاسلَ من الرواة لا يمكن أن يُفسَّر بأنه كان يرى في الإسناد دليلاً على صدق الخبر(٤)، بل يبدو أنه سعى إلى تقليد معاصره الطبري في الاهتمام بالإسناد، مع فارق كبير بين ثقافتَيْهما؛ فالأصبهاني كان مقلِّداً للطبري في الشكل دون المضمون، فكان يجمع الغثّ والسمين دون أن تكون لديه أدنى مقدرة على اختيار ما يراه مناسباً. ويبدو أن وصف النوبختي في ذلك كان دقيقاً حين أشار إلى أنه كان يجمع كل ما في سوق الورّاقين ليضعه في كتبه.

(١) محمد أحمد خلف الله، صاحب الأغاني، ص١٨٦.

(٢) الأصبهاني، مقاتل الطالبيين، ص٤، ٥.

(٣) محمد القاضي، الخبر في الأدب العربي، ص١٩٢. محمد أحمد خلف الله، صاحب الأغاني، ص٢٦٩.

(٤) محمد أحمد خلف الله، صاحب الأغاني، ص٢٧٩.

أورد الأصبهاني أخباراً متنوّعة حول خلافة الرشيد والفترة التي سبقت تولّيه الخلافة، مع اهتمام واضح بالجوانب الأدبية والترفيهية في حياته؛ فقد تناول الأصبهاني مدائح الشعراء في بيعة المهدي للرشيد بولاية العهد، إضافةً إلى لهو الرشيد أيام أبيه(١). أما في فترة خلافته، فقد نوّع الأصبهاني في أخباره، فتناول أخبار بعض حجّاته وغزواته، وأسهب في الحديث عن بعضها، خصوصاً غزوة سنة (١٩٠هـ/ ٨٠٦م)(٢). إلا أن اهتمامه انصبَّ على أخبار لهوه ومجونه، فأورد عدة أخبار حول علاقته بالمغنّين ومتابعته لهم، إضافةً إلى استماعه حفلات الغناء والطرب، وما كان يرافقها من شرب للخمر وظهور للجواري، مع إيراد أوصاف سلوكيات الرشيد وممارساته من رقص وحركات في أثناء تلك الحفلات(٣). كما تناول الأصبهاني قصص عشق الرشيد للجواري، فبالغ في وصفه بالابتذال لهن ولمطالبهن وصلاته العظيمة لهن(٤)، كما بالغ في تصوير الرشيد بعدم الغيرة؛ إذ اصطحب معه يحيى البرمكي ليُسمعه غناء أخته عُليَّة(٥).

إن هذه الصفات المتنوعة والمتناقضة في شخصية الرشيد يصعب قبول اجتماعها في شخص واحد. ويمكن تفسير هذا التنوُّع في اتجاهات الأخبار التي قدّمها الأصبهاني وغيره بأنها كانت سمةَ المجتمع الذي تجتمع فيه اتجاهات وتيارات سياسية واجتماعية متعدّدة ومتناقضة؛ مثل: التيار العربي، والتيار الشعوبي الفارسي، وتيار البذخ والترف، وغيرها.

---

(١) الأصبهاني، الأغاني، ج٥، ص١٠٩، ج٧، ص١٨٦.

(٢) الأصبهاني، الأغاني، ج١٦، ص٤٤٠، ٤٤١، ج١٨، ص٤١٥، ٤١٦.

(٣) الأصبهاني، الأغاني، ج١، ص٤٢، ٤٣، ج٥، ص١١٥، ١١٧، ١١٨، ١٣٥، ١٣٨-١٤٠، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٤، ١٩٦، ج٧، ص٧٦.

(٤) الأصبهاني، الأغاني، ج٤، ص٣٠٥، ج٥، ص١١٢، ١٦٠، ج١٦، ص٤٩٧-٤٩٩، ج١٨، ص٣٠٥، ج٢٢، ص٣٠١، ٣٠٢.

(٥) الأصبهاني، الأغاني، ج١٠، ص٣٦٤، ٣٦٥.

كما تناول الأصبهاني علاقة الرشيد بالشعراء واهتمامه بشعر الغزل والمديح؛ فذكر علاقته بالشاعر أبي العتاهية(١). كما تناول أخبار بيعة الرشيد لولديه بولاية العهد، وأورد القصائد التي تُبالغ في مدح البيعة(٢).

كما اهتم الأصبهاني بأخبار البرامكة، فأورد القصائد التي تمدحهم وتصفهم بالكرم، وأشار إلى صلات الرشيد المُبالَغ فيها لهم(٣)، إضافةً إلى اهتمامه بأخبار علاقة الرشيد بهم، واشتراكهم معه في لهوه، ودالَّتهم عليه، وتقاسمه المغنِّين معهم(٤). كما تناول نكبة البرامكة ومقدِّماتها والتنبُّؤات التي قيلت فيها، مع ملاحظة عدم إشارته إلى قصة العبَّاسة(٥).

وفي كتابه (مقاتل الطالبيين) تناول الأصبهاني ما جرى بين الرشيد والعلويين، خصوصاً الذين تحرَّكوا أو كانوا ينوون الخروج، وتمثَّل ذلك في مُلاحَقة إدريس العلوي، وإرسال الرشيد إليه مَن قتله، وأورد الأصبهاني حول ذلك عدة روايات(٦)، إضافةً إلى خبر يحيى بن عبدالله العلوي وخروجه في الديلم، وما جرى قبل الموادعة والصُّلح، ودور البرامكة العلني والسرِّي في ذلك، إضافةً إلى إبرازه نصوص المناظرات والحوارات التي كان يُجريها الرشيد بحضور الشهود، إضافةً إلى اخبار موسى الكاظم والقبض عليه وحبسه ومصيره. وقدَ كانت اخباره عن بقية العلويين مختصرة ومُوجَزة(٧).

---

(١) الأصبهاني، الاغاني، ج٤، ص٢٧٩، ٢٨٠، ٣٠١، ٣٠٢، ج١٣، ص١٤، ج٢٢، ص٣٠٤.

(٢) الأصبهاني، الأغاني، ج١٠، ص٣٧٠، ج١٨، ص٤٠٨، ج٢٠، ص٣٧٣.

(٣) الأصبهاني، الأغاني، ج٤، ص٤٧٨، ج١٤، ص٣٨٢، ج١٨، ص٤٠١، ٤٠٥، ٤٠٨، ج١٩، ص٨٧، ج٢٠، ص٢٤٨، ج٢١، ص٤٤٢، ج٢٣، ص١٢، ١٣.

(٤) الأصبهاني، الأغاني، ج٥، ص١١٤، ١٢١-١٢٣، ١٣١، ١٣٢، ١٣٨-١٤٠، ١٩٧، ١٩٨، ٢٦٧، ٢٦٨، ج١٠، ص٣٦٤، ٣٦٥، ج١٨، ص٣٨٩، ج١٩، ص٤٠-٤٣.

(٥) الأصبهاني، الأغاني، ج٥، ص٢٦١، ج١٢، ص٤٠٥، ٤٠٦.

(٦) الأصبهاني، مقاتل الطالبيين، ص٤٦٥-٤٨٥.

(٧) الأصبهاني، مقاتل الطالبيين، ص٤٢٤، ٤٢٥، ٤٩٣، ٤٩٨، ٥٠٦، ٦٢٢-٦٢٧.

استند الأصبهاني في كتابه (الأغاني) إلى عدد كبير من المصادر من الرُّواة والأخباريين، إضافةً إلى عدد من شهود العيان من أبناء الشعراء والمغنِّين أو المغنِّين أنفسهم أو المقرَّبين من الخليفة أو موظَّفي الدولة؛ فقد اعتمد عند تناوله لهو الرشيد وعلاقته بالمغنِّين والغناء على مجموعة من الرواة من المغنِّين والشعراء وأولادهم وأحفادهم؛ مثل: إبراهيم الموصلي[١]، وإسحاق الموصلي وابنه حماد الذي كان دائماً يروي عنه[٢]، وإبراهيم بن المهدي[٣]، إضافةً إلى الشاعر يحيى ابن مرزوق المكي (تُوفِّي نحو ٢٢٠هـ/ ٨٣٥م)، وكان ابنه أحمد يروي عنه أخباره مع الرشيد[٤]، لكن يحيى المكي لم يكن موثوقاً به في كتابه الذي ألَّفه في الأغاني لكثرة تخليطه حسب رأي الأصبهاني فيه[٥]. كما اعتمد الأصبهاني على المغنِّي مخارق بن يحيى (ت ٢٣١هـ/ ٨٤٥م) وابنه هارون[٦]، ودعبل بن علي الخزاعي (ت ٢٤٦هـ/ ٨٦٠م)[٧].

كما استند الأصبهاني في هذا الجانب ـ اللهو والمجون ـ إلى عدد من رواة الأدب والأخباريين وشهود العيان؛ مثل: عمر بن شبة[٨]، وإبراهيم بن العباس الصولي (ت ٢٤٣هـ/ ٨٥٧م)[٩]، ومسرور الخادم[١٠]، وصالح صاحب مصلَّى الرشيد[١١].

(١) الأصبهاني، الأغاني، ج١، ص٤٢، ٤٣، ج٥، ص١٤٩.

(٢) الأصبهاني، الأغاني، ج١، ص١٢، ج٥، ص١٠٩، ١١٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٥، ١٥٨-١٦١، ١٦٤، ١٧٠، ١٩٦، ٢٤٤، ٢٤٥، ج١٨، ص٤٠٣.

(٣) الأصبهاني، الأغاني، ج٥، ص١١٥، ١١٧، ج١٩، ص١٩٢، ١٩٣، ١٩٥، ١٩٦.

(٤) الأصبهاني، الأغاني، ج٥، ص١٣٨-١٤٠، ج٦، ص٤١٤، ج١٨، ص٣٠٥.

(٥) الأصبهاني، الأغاني، ج٦، ص١٨٦.

(٦) الأصبهاني، الأغاني، ج٤، ص٢٧٩، ٢٨٠، ج١٨، ص٤٧٩، ٤٨٠.

(٧) الأصبهاني، الأغاني، ج٥، ص١٣٦.

(٨) الأصبهاني، الأغاني، ج٦، ص٤٠٠، ٤٩٦.

(٩) الأصبهاني، الأغاني، ج١٦، ص٤٩٧.

(١٠) الأصبهاني، الأغاني، ج٥، ص٣٦٢، ٣٦٣.

(١١) الأصبهاني، الأغاني، ج٢١، ص١٦٥.

واستند الأصبهاني في أخباره حول غزوات الرشيد إلى مجموعة من المصادر، منها: محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م) الذي نقل عن شهود عيان من مشايخ المطوِّعة وملازمي الثغور[١]. كما استند الأصبهاني في أخباره عن الرشيد وعلاقته بالشعراء إلى الشعراء أنفسهم أو أولادهم؛ فقد اعتمد على محمد ابن أبي العتاهية في تناوله العلاقة بين الرشيد والشاعر أبي العتاهية[٢]، كما اعتمد على الشاعر الحسين بن الضحاك الخليع (ت ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م)[٣]، وعلى بعض رواة الأدب؛ مثل الصولي[٤].

أما أخبار الأصبهاني عن البرامكة وعلاقتهم بالرشيد وما قيل فيهم من مدائح، فإنه اعتمد في إيرادها على مصادر مختلفة؛ مثل: النسَّابة الزبير بن بكار (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م)[٥]، والمغنِّين؛ مثل: إسحاق الموصلي[٦]، ويحيى المكي[٧]، ومخارق المغنِّي[٨]، ومعبد اليقطيني (تُوفِّي نحو ٢٠٠هـ/ ٨١٥م)[٩]، إضافةً إلى الشعراء؛ مثل: العتبي (ت ٢٣٥هـ/ ٨٤٩م)[١٠]، وأبي العيناء[١١]، وبعض الموظفين؛ كمسرور الخادم[١٢].

---

(١) الأصبهاني، الأغاني، ج١٨، ص٤١٥، ٤١٦.

(٢) الأصبهاني، الأغاني، ج٤، ص٣٠٢-٣٠٦، ٣٣٢.

(٣) الأصبهاني، الأغاني، ج٧، ص١٩٧.

(٤) الأصبهاني، الأغاني، ج٤، ص٣٢٩، ٣٣٠.

(٥) الأصبهاني، الأغاني، ج٢٠، ص٢٤٨، ج٢٣، ص١٨.

(٦) الأصبهاني، الأغاني، ج٤، ص٤٧٨، ج٥، ص١١٤، ١٣١، ١٣٢، ٢٦١، ٢٦٧، ج١٥، ص٢٠.

(٦) الأصبهاني، الأغاني، ج٥، ص١٣٨-١٤٠.

(٧) الأصبهاني، الأغاني، ج٥، ص١٢١-١٢٣.

(٨) الأصبهاني، الأغاني، ج١٤، ص١١٥، ٣٣٠.

(١٠) الأصبهاني، الأغاني، ج١٨، ص٣٨٩.

(١١) الأصبهاني، الأغاني، ج٢١، ص٤٤٢.

(١٢) الأصبهاني، الأغاني، ج١٢، ص٤٠٥، ٤٠٦.

كما اعتمد الأصبهاني في إيراده الأشعار التي تهجو البرامكة أو الأخبار التي تنتقص من قيمتهم وتسيء إليهم على الزبير بن بكار، وأبي الشبل البرجمي (ت ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م)، وعبدالله بن مالك الخزاعي[١].

واعتمد الأصبهاني في (مقاتل الطالبيين) على مجموعة من الرُّواة والأخباريين الذين ألّفوا في أخبار العلويين، إضافةً إلى استخدامه الإسناد الجمعي بعد أن يذكر مصادره، وأهم هذه المصادر:

– أحمد بن عبيدالله بن عمار الثقفي (ت ٣١٩هـ/ ٩٣١م): صاحب كتاب (المبيضة في أخبار مقاتل آل أبي طالب). وقد اعتمد الأصبهاني عليه عند تناوله خبر هروب أحمد بن عيسى بن زيد العلوي من سجن الرشيد[٢]، وعند تناوله قتل جعفر بن يحيى البرمكي عبدَالله بن الحسن بن علي بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب[٣].

– هارون بن محمد بن عبدالملك الزيات: وصفه ابن النديم بأنه من جمّاعي الأخبار وأحد الرُّواة، له كتاب (الرسائل)[٤]. حدَّث عن الزبير بن بكار وعمر بن شبة، ووثَّقه الخطيب البغدادي[٥]. ذكر الأصبهاني أنه نسخ من كتاب هارون بن محمد ـ دون تحديد اسم الكتاب ـ أخبارَه عن أحمد بن عيسى بن زيد، وتحايُل الزيدية في تهريبه من سجن الرشيد[٦].

– علي بن محمد بن سليمان بن عبدالله بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب (تُوفِّي نحو ١٩٠هـ/ ٨٠٦م): روى عن أبيه محمد الذي كان مع عبدالله بن عليّ

(١) الأصبهاني، الأغاني، ج٥، ص٢٥٧، ج١٤، ص٣٨٢، ج٢٣، ص١٨.
(٢) الأصبهاني، مقاتل الطالبيين، ص٦٢٠.
(٣) الأصبهاني، مقاتل الطالبيين، ص٤٩٣، ٤٩٤.
(٤) ابن النديم، الفهرست، ص١٧٨.
(٥) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٤، ص١٢٦.
(٦) الأصبهاني، مقاتل الطالبيين، ص٦٢٠.

حين دخل دمشق[١]. ويبدو أن علياً عاش حتى آخر أيام الرشيد؛ لأن الطبري لم ينقل عنه إلا أخبار فترة الرشيد ولم يتجاوزها[٢]. أورد الأصبهاني عن علي بن محمد أخبار مقتل إدريس بن عبدالله العلوي في المغرب[٣]، وخبر مقتل يحيى ابن عبدالله العلوي[٤]، وأخبار مُلاحَقة أحمد بن عيسى بن زيد العلوي من قِبَل أتباع الرشيد[٥].

- إدريس بن محمد بن يحيى بن عبدالله العلوي: روى خبر موت جدِّه يحيى ابن عبدالله في حبس الرشيد[٦].

- داود بن القاسم الجعفري (ت ٢٦١هـ/ ٨٧٤م): من أحفاد جعفر بن أبي طالب، حدَّث عن أبيه وعن علي بن موسى الرضا. أقام في بغداد، وحُبس في سامراء بسبب سلاطة لسانه[٧].

أشار داود إلى اتِّهام أحد أتباع الزيدية بسمه إدريس بن عبدالله العلوي في المغرب[٨]، وأبعد التهمة عن الرشيد.

- سليمان ابن أبي شيخ: أورد تفاصيل المُناظَرة التي جرت بين الرشيد ويحيى ابن عبدالله حول قرابته من الرسول ﷺ[٩].

- إبراهيم بن رباح بن شبيب الجوهري (تُوفِّي بعد ٢٢٩هـ/ ٨٤٣م): هو أحد

---

(١) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٥٣، ص١٢٦.

(٢) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٤٥٦.

(٣) الأصبهاني، مقاتل الطالبيين، ص٤٨٩.

(٤) الأصبهاني، مقاتل الطالبيين، ص٤٨٢.

(٥) الأصبهاني، مقاتل الطالبيين، ص٦٢٢-٦٢٥.

(٦) الأصبهاني، مقاتل الطالبيين، ص٤٨٣.

(٧) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٨، ص٣٦٩.

(٨) الأصبهاني، مقاتل الطالبيين، ص٤٩١.

(٩) الأصبهاني، مقاتل الطالبيين، ص٤٧٣، ٤٧٤.

كتَّاب الدولة أيام الخليفة الواثق(١). وقد روى خبر قتل الرشيد يحيى بن عبدالله العلوي بأن بنى عليه أسطوانة(٢).

- عمرو بن حماد (ت ٢٢٢هـ/ ٨٣٦م): هو عمرو بن حماد بن طلحة القتاد، صاحب (تفسير أسباط بن نصر). توفي بالكوفة، وأصله من أصبهان، وكان ثقة(٣). روى عن رجل مجهول كان مع يحيى بن عبدالله العلوي في السجن خبر تجويع الرشيد له وتعذيبه وتعطيشه إلى أن مات(٤).

- عبدالرحمن بن عبدالله بن عمر بن حفص العمري (ت ١٨٦هـ/ ٨٠٢م): من أهل المدينة، سكن بغداد وحدَّث بها. ضعَّفه شيوخ الخطيب البغدادي، وقالوا: إنه متروك(٥). ذكر عبدالرحمن أن الرشيد سمَّ يحيى بن عبدالله(٦)، كما أورد نصّاً لمناظرة بين الرشيد ويحيى بن عبدالله أمام القضاة واتهامات أحد الزبيريين ليحيى أمام الرشيد(٧).

كما استخدم الأصبهاني الإسناد الجمعي (قالوا) بعد أن عدَّد مصادره؛ مثل: محمد بن سليمان النوفلي، وأحمد بن سليمان ابن أبي شيخ، وغيرهما. وكان يذكر (قالوا) عند اتِّفاقهم على مضمون خبرٍ ما، بينما يذكر عند اختلافهم اسم الراوي الذي ربما كان أحدهم ليوضِّح أن الخبر من روايته فقط، ثم يعود إلى الإسناد الجمعي (قالوا) بعد سرده رواية الراوي(٨).

(١) الطبري، التاريخ، ج٨، ص١٢٥٠، ١٢٨.

(٢) الأصبهاني، مقاتل الطالبيين، ص٤٨٢.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٦، ص٨٤.

(٤) الأصبهاني، مقاتل الطالبيين، ص٤٨٠، ٤٨١.

(٥) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٠، ص٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٤.

(٦) الأصبهاني، مقاتل الطالبيين، ص٤٨٢، ٤٨٣.

(٧) الأصبهاني، مقاتل الطالبيين، ص٤٨٢، ٤٨٣.

(٨) الأصبهاني، مقاتل الطالبيين، ص٤٧١، ٤٧٢.

وقد استخدم الأصبهاني الإسناد الجمعي في أخباره عند تناوله خبر يحيى بن عبدالله العلوي وخروجه إلى بلاد الديلم، وما جرى بينه وبين الفضل البرمكي من بذله الأمان وعودته إلى بغداد(١)، وعند إشارته إلى تعاون الفضل البرمكي السرِّي مع يحيى بن عبدالله دون علم الرشيد(٢)، وعند تناوله اتِّهامات أحد الزبيريين وجماعة من أهل الحجاز يحيى بن عبدالله بحضرة الرشيد(٣)، وعند إيراده المناظرة في صحة أمان يحيى بن عبدالله أمام الفقهاء والقضاة(٤)، وعند تناوله أسباب القبض على موسى الكاظم وحبسه ودور البرامكة في ذلك(٥) والأسباب الأخرى التي ارتبطت بنيَّته في الخروج(٦).

* الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م):

هو أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي؛ أبو بكر الخطيب البغدادي. أشهر أئمَّة الحديث وضابطيه في عصره. ولد سنة (٣٩١هـ/ ١٠٠٠م)(٧). له من المؤلَّفات ما يزيد على الستين، وقيل: المائة، أشهرها: (تاريخ بغداد)(٨).

تمتَّع الخطيب بثقافة واسعة في العلوم الدينية واللغوية والأدبية، وكان على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ثم انتقل إلى الشافعي. تنقَّل الخطيب إلى عدة أماكن طلباً للعلم؛ مثل: دمشق، والكوفة، والبصرة، وهمذان، والري، والحجاز(٩).

---

(١) الأصبهاني، مقاتل الطالبيين، ص٤٦٥.
(٢) الأصبهاني، مقاتل الطالبيين، ص٤٦٨، ٤٦٩.
(٣) الأصبهاني، مقاتل الطالبيين، ص٤٧٢، ٤٧٤-٤٧٨.
(٤) الأصبهاني، مقاتل الطالبيين، ص٤٨٠.
(٥) الأصبهاني، مقاتل الطالبيين، ص٥٠٠.
(٦) الأصبهاني، مقاتل الطالبيين، ص٥٠١-٥٠٤.
(٧) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٥، ص٣١. ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج٢، ص٢٤١. ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص١٠١.
(٨) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص١٠١.
(٩) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٥ ص٣١، ٣٢. ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج٢، ص٢٤١، ٢٤٢. أكرم العمري، موارد الخطيب البغدادي، ص٣٣، ٣٤.

قدَّم الخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد) نموذجاً مهماً وفريداً للتواريخ المحلية؛ لأنه ترجم في الجزء الأكبر من تاريخه لأعلام بغداد منذ بنائها حتى أيامه، ورتَّبهم حسب حروف المعجم. لكن تركيزه واهتمامه انصبَّا على علماء الدين من فقهاء ومحدِّثين، فكانت تراجمهم أوسع من غيرهم(١).

يعدُّ الخطيب البغدادي أول مَن قدَّم ترجمة للخليفة هارون الرشيد؛ إذ قدَّم مادة تاريخية ذات قيمة عالية حول حياته الخاصة والعامة، إضافةً إلى ما قدَّمه عن الذين ترجم لهم ممن كانت لهم علاقة بالخليفة الرشيد أو ارتبطوا به من علماء وفقهاء أو مقرَّبين من ندماء ومغنِّين أو كبار رجال الدولة؛ كالبرامكة وغيرهم من الكتَّاب والعمال. وجاءت معظم أخباره عنهم مُسنَدةً، وهو ما يرجع إلى كونه محدِّثاً يتبع أسلوب المحدِّثين في الاهتمام بالإسناد. لكن الأخبار التي أوردها الخطيب لم تغطِّ جوانب خلافة الرشيد السياسية والإدارية والاقتصادية والعسكرية، كما لم يهتمّ بتحديد زمن الأحداث التي أشار إليها.

تناول الخطيب فترة ما قبل خلافة الرشيد بإشارتين بسيطتين: الأولى تعلَّقت بتاريخ مولد الرشيد، والثانية بمبايعته بولاية العهد من قِبل أبيه، دون أن يشير إلى خلافه مع أخيه الهادي. وفي فترة الخلافة اهتمّ بصفات الرشيد، خصوصاً صفة التديُّن وما ارتبط بها من متابعته العلماء من قُرَّاء وفقهاء ومحدِّثين وقضاة وعلاقته بهم؛ إذ ظهر الرشيد في صورة الخليفة المتواضع للعلماء، غزير الدمع في مواقف الوعظ. ولأن الخطيب من محدِّثي أهل السُّنَّة الذين ينظرون إلى الخلافة والخلفاء باحترام نراه لا يُورد مسائل اللهو والمجون والجواري والخلاعة التي كانت تُشاع عن الرشيد.

كما تناول الخطيب علاقة الرشيد بالعلويين، فاهتمّ بقضية يحيى بن عبدالله وموسى الكاظم، دون أن يوجِّه اتهامات مباشرة إلى الرشيد، أو تحميله مسؤولية التدهور في العلاقة معهم، أو قتل بعضهم.

---

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٤، ص٥.

كما تعرَّض الخطيب بإيجاز لأخبار أولاد الرشيد، خصوصاً المأمون، وأمْر مبايعة ولدَيْه الأمين والمأمون بولاية العهد.

أما البرامكة، فقد أشار إلى أعمالهم الإدارية، وقدَّم عنهم أوصافاً إيجابية مُبالَغ فيها، إلى جانب إيراده بعض الصفات السلبية، وحمَّلهم في الوقت نفسه مسؤولية النكبة، خصوصاً جعفر بن يحيى البرمكي، دون الإشارة إلى قصة العبَّاسة.

استند الخطيب في تناوله أخبار الرشيد إلى مصادرَ عديدة ومتنوِّعة، وانفرد من بين الذين سبقوه بالاعتماد على مجموعة من المصادر لم يسبق أن أشار إليها أحد من المؤرخين؛ مثل: اليعقوبي، والبلاذري، والطبري، والمسعودي، إضافةً إلى اعتماده على مصادر سابقيه. وتجدر الإشارة إلى أن الخطيب روى عن بعض الرواة أشار هو وغيره إلى تضعيفهم في رواية الحديث. وأهم هذه المصادر:

– إبراهيم بن المنذر؛ أبو إسحاق القرشي (ت ٢٣٦هـ/ ٨٥٠م): وهو محدِّث صدوق(١).

– أبو بكر عبدالله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس، ابن أبي الدنيا (ت ٢٨١هـ/ ٨٩٤م): هو مولى قرشي مؤدِّب للخلفاء وعالِم بالأخبار، وله مؤلَّفات في الأدب والغرائب(٢).

وقد اعتمد عليهما الخطيب في تناوله مولد الرشيد وصفاته الجسدية(٣).

– إبراهيم بن محمد بن عرفة (ت ٣٢٣هـ/ ٩٣٤م): روى الحديث وأيام الناس، وكان فيه تشيُّع، وله كتاب (التاريخ)(٤). أورد عنه الخطيب خبر تولِّي

(١) البخاري، التاريخ الكبير، ج١، ص٣٣١. القيسراني، تذكرة الحفَّاظ، ج٢، ص٤٧٠. الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٠، ص٨٩.

(٢) ابن النديم، الفهرست، ص٢٣٦. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٠، ص٨٩، ٩٠. الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٣، ص٣٩٧-٤٠١.

(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٤، ص٥.

(٤) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٦، ص١٥٩، ١٦١. ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، ج١، ص١٠٩.

الرشيد الخلافة ووفاة الهادي ومولد المأمون(١)، وأخبار علاقة الرشيد بقريبه محمد ابن سليمان بن علي العباسي أمير البصرة حين جاء يهنّئه بالخلافة وحين صادر الرشيد أمواله بعد وفاته(٢)، إضافةً إلى خبر اتِّهام الرشيد بقتل العباس بن محمد ابن علي بن عبدالله بن العباس(٣).

- محمد بن أحمد بن البراء بن المبارك؛ أبو الحسن العبدي القاضي (ت ٢٩١هـ/ ٩٠٣م): وُثِّق في الحديث(٤). أورد عنه الخطيب وصفه الرشيد بأنه يحجُّ عاماً ويغزو عاماً(٥).

- أبو معاوية الضرير (ت ١٩٥هـ/ ٨١٠م): هو محمد بن خازم التميمي السعدي الكوفي. قدم بغداد وحدَّث بها. كان الرشيد يُبجِّله ويُحضره مجالسه(٦). أشار إلى تديُّن الرشيد وحبِّه لسيرة الرسول ﷺ وحبِّه للجهاد، ورغبته في ذلك(٧). كما أشار إلى تكليف الرشيد ولدَيْه اقتياده إلى مكان قضاء الحاجة(٨).

- عمر بن حبيب العدوي (ت ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م): من بني عدي بن عبد مناة، من أهل البصرة. ولي قضاء الشرقية للمأمون(٩). وُصف بأنه كذَّاب وضعيف

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٤، ص٦.
(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٥، ص٢٩١.
(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١، ص٩٥.
(٤) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١، ص٢٨١، ٢٨٢.
(٥) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٤، ص٦.
(٦) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٥، ص٢٤٢. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٢١. الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج١٣، ص٥٠٥-٥٠٧.
(٧) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٥، ص٢٤٣، ج١٤، ص٧.
(٨) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٤، ص٧.
(٩) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١١، ص١٩٦-١٩٩. المزي، تهذيب الكمال، ج٢١، ص٢٩٠-٢٩٥. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص١٦٢-١٦٥.

ومتروك[١]. كان عمر حسب رواية الخطيب شاهد عيان على اجتماع علماء الحديث في مجلس الرشيد يناقشون صحة بعض الأحاديث[٢].

- أحمد بن عطية (ت ٣٠٨هـ/ ٩٢٠م): ذكر الخطيب اختلاف الناس حوله؛ فيُقال: أحمد بن عطية، ويُقال: أحمد بن الصلت. ووصفه بأنه يضع الأحاديث[٣]. كما وصفه أبو نعيم الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ/ ١٠٣٨م) بأنه كذّاب وقليل الحياء[٤]. أورد الخطيب عنه حادثة عدم قيام الفقيه محمد بن الحسن الشيباني للرشيد حين دخل مجلساً كان يجلس فيه[٥].

- علي ابن المديني (ت ٢٣٤هـ/ ٨٤٨م): هو أبو الحسن علي بن عبدالله بن جعفر بن نجيح السعدي مولاهم المديني البصري. صاحب التصانيف، من أعلم الناس بالحديث. تُوفِّي في سامراء. له نحو مائتي مؤلَّف[٦]. أورد قصة صبّ الرشيد الماء على يدي أبي معاوية الضرير[٧].

كما استند الخطيب في إيراده قصصاً تتناول استماع الرشيد للوعظ إلى عدد من الرواة، منهم:

- عمرو بن خالد (ت ٢٢٩هـ/ ٨٤٣م): هو عمرو بن خالد بن فروخ الحافظ؛ أبو الحسن التميمي، ويُقال: الخزاعي الجزري الحراني، وهو والد الإمام أبي علاثة محمد بن عمرو، وأبي خيثمة علي بن عمرو. وُصف بأنه ثقة وصدوق. نزل مصر

---

(١) ابن الجوزي، كتاب الضعفاء والمتروكين، ج٢، ص٢٠٦.

(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١١، ص١٩٧.

(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٥، ص٣٣.

(٤) أبو نعيم الأصبهاني، كتاب الضعفاء، ص٦٥. ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، ج٣، ص٢٦١.

(٥) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٢، ص١٧٣، ١٧٤.

(٦) القيسراني، تذكرة الحفّاظ، ج٢، ص٤٢٨، ٤٢٩.

(٧) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٢، ص٨.

ومات بها[1]. أورد عنه الخطيب خبر وعظ ابن السماك الرشيدَ[2].

– منصور بن عمار (تُوفِّي نحو ٢٠٠هـ/ ٨١٥م): بغدادي صاحب مواعظ، وُصف بأنه ليس بالقوي[3]. أورد الخطيب عنه وصفه الرشيد بغزارة الدمع عند الموعظة[4].

– شعيب بن حرب؛ أبو صالح المدائني (ت ١٩٦هـ/ ٨١١م): من أهل بغداد، من أبناء خراسان، جاور مكة، وُصف بأنه ثقة ومأمون[5]. أورد شعيب قصَّته مع الرشيد حين اعترضه في طريق الحج ووعظه[6].

كما اعتمد الخطيب عند تناوله علاقة الرشيد بالعلويين على مصادر أغلبها من العلويين أنفسهم، منها:

– يحيى بن محمد العلوي: صاحب كتاب (نسب الطالبيين). واعتمد عليه الخطيب في أخبار يحيى بن عبدالله العلوي؛ إذ أشار إلى أن الرشيد قتله بالسُّم[7].

– إدريس بن محمد بن يحيى بن عبدالله العلوي: وقد أشار إلى موت جدِّه يحيى في حبس الرشيد دون تحديد كيفية ذلك[8].

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص٤٢٧، ٤٢٨.

(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٥، ص٣٢٧.

(٣) الرازي، الجرح والتعديل، ج٨، ص١٧٦. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٩، ص٩٣، ٩٨. ميزان الاعتدال، ج٦، ص٥٢١، ٥٢٢.

(٤) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٤، ص٨.

(٥) البخاري، التاريخ الكبير، ج٤، ص٢٢٢. الربعي، مولد العلماء ووفياتهم، ج١، ص٤٤١. الرازي، الجرح والتعديل، ج٤، ص٣٤٢. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٤، ص٤٧٠. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٩، ص١٨٨–١٩٠.

(٦) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٩، ص٢٣٩، ٢٤٠.

(٧) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٤، ص١١٠.

(٨) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٤، ص١١٠، ١١١.

– الحسن بن محمد العلوي: اعتمد الخطيب عليه في إيراد عدّة أخبار، منها خبر إخراج الرشيد العلويين من بغداد إلى المدينة(١)، كما أشار إلى صفات موسى الكاظم وتديُّنه في أثناء حبسه عند السندي بن شاهك(٢)، وأيضاً قيام علاقة حسنة بين الرشيد وموسى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن؛ إذ كان موسى يدخل على الرشيد ويحضر مجالسه(٣).

– عبدالرحمن بن عبدالله بن عمر بن حفص العمري: أورد خبر قتل الرشيد يحيى بن عبدالله بالسُّم(٤)، كما أورد مناظرة بين الرشيد ويحيى بن عبدالله أمام القضاة واتهامات أحد الزبيريين ليحيى أمام الرشيد(٥).

كما اعتمد الخطيب في إيراد بَقية أخبار الرشيد على مجموعة من المصادر من الأخباريين ورواة الأدب وبعض شهود العيان من الموظَّفين تكرُّر الاعتماد عليهم من قِبَل مصادر متقدِّمة؛ منهم:

– الكسائي: وروى عنه إشارته إلى اهتمام الرشيد بالقرَّاء وسؤاله المستمر عنهم(٦).

– الأصمعي: وأورد عنه تفاصيل حول المجالس الأدبية التي كانت تُعقد في قصر الرشيد، وبعض أخبار الرشيد الإدارية؛ مثل تعيينه وعزله للقضاة، إضافةً إلى إشارته إلى كرم جعفر البرمكي(٧).

– كلثوم بن عمرو العتابي: وروى عنه إشارته إلى اجتماع الناس على باب

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٢، ص١٢٦.
(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٣، ص٣١.
(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٣، ص٢٧.
(٤) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٤، ص١١٠، ١١١.
(٥) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٤، ص١١٠، ١١١.
(٦) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٣، ص١٤٦، ج٩، ص٤١٨.
(٧) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١، ص٤١٤، ج٨، ص١٨٨، ١٨٩، ج١٠، ص٤١٢، ٤١٣.

الفضل البرمكي لتلقِّي الصلات[١].

– أبو محمد اليزيدي: وأورد عنه قصة تأديبه المأمون التي عكست وعي المأمون وفطنته منذ صباه[٢].

– إسحاق الموصلي: وروى عنه إشارته إلى استماع الرشيد للغناء، وخبراً يتعلَّق بتعاطف الرشيد مع مقتل الخليفة عثمان بن عفان[٣].

– الجاحظ: وأورد عنه ميزات خلافة الرشيد من حيث وجود بعض الموظَّفين والمقرَّبين والشعراء والمغنِّين[٤].

– الزبير بن بكار: وروى عنه قصيدةً للشاعر منصور النمري يمدح فيها الرشيد، وإشارته إلى مواقف أتباع البرامكة من النكبة وحزنهم عليهم[٥].

– محمد بن يزيد المبرد: وأورد عنه اعتراف يحيى البرمكي بأن سبب نكبتهم هو ظلمهم الناس[٦].

– أبو الحسن الخادم لؤلؤ بن عبدالله: وروى عنه خبر تدخُّل أحد الفقهاء لتخليص الرشيد من مأزق شرعي[٧].

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٢، ص٣٣٦، ٣٣٧.
(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٠، ص١٨٤، ١٨٥.
(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٠، ص٤١٦، ٤١٧، ج١٤، ص١٠.
(٤) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٤، ص١١.
(٥) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٧، ص١٥٩، ١٦٠، ج١٣، ص٦٨.
(٦) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٤، ص١٣٢.
(٧) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٤، ص١٣٢.

الدراسات الحديثة:

اهتمّ عدد من الباحثين المُحدَثين بأخبار الرشيد فقدّموا عدة دراسات حوله، سواء من خلال حديثهم عن الدولة العباسية أو من خلال دراسات خاصة عن الرشيد وخلافته. وقد تفاوتت تلك المؤلّفات من حيث جدّيتها وموضوعيتها.

كان الأوروبيون أسبق من العرب في دراسة الرشيد؛ إذ ألّف الإنجليزي بالمر (Palmer) سنة ١٨٨١م أول دراسة حول الرشيد في العصر الحديث[١]، في حين أن العرب نهضوا لدراسة الرشيد في الربع الأول من القرن العشرين، فوضع كلٌّ من عمر أبو النصر وأحمد أمين دراسة حول الرشيد[٢]. ويبدو أن هذه الدراسات جاءت رداً على ما صدر من روايات أدبية تناولت الرشيد في بداية القرن العشرين؛ إذ شعر البعض أن الرشيد قد هُوجم من خلالها، فكان لا بدّ من الدفاع عنه[٣].

ثم تلا هذه الدراسات دراسات أخرى تناولت الخليفة الرشيد بطريقة تقليدية وغير موضوعية تبنّت موقف المدافع عن الرشيد، وكان هذا الموقف نتيجة عدم تخصُّص هؤلاء الكتّاب في علم التاريخ؛ فمعظمهم هواة ممّن حملهم شعورهم ودافعهم القومي والديني على هذا العمل[٤]، حتى إن الأمر وصل ببعضهم إلى

(١) طُبع هذا الكتاب في لندن عام ١٨٨١م بعنوان: Haroun Al Raschid Caliph of Bagdad.

(٢) أصدر عمر أبو النصر كتابه (هارون الرشيد) عام ١٩٣٤هـ عن المكتبة الأهلية في بيروت، في حين نُشر كتاب أحمد أمين (هارون الرشيد) عام ١٩٥١م عن دار الهلال في مصر.

(٣) ألّف بعض الأدباء روايات أدبية تناولت الرشيد بوصفه موضوعاً للترفيه والتسلية والمتعة دون الالتفات إلى الحقائق التاريخية، ومن ذلك: رواية (الرشيد والبرامكة) للأب انطون رباط اليسوعي الصادرة في بيروت عام ١٩١٠م، و(العبّاسة أخت الرشيد) و(الأمين والمأمون) لجورجي زيدان.

(٤) من هذه الدراسات: (هارون الرشيد الخليفة المظلوم) لأحمد الزين وأحمد قطان، و(هارون الرشيد الخليفة المُفترَى عليه) لصلاح النبراوي، و(هارون الرشيد الخليفة العالم والفارس المجاهد) لمحمد رجب البيومي، و(هارون الرشيد أمير الخلفاء وأجلّ ملوك الدنيا) لشوقي أبو خليل، و(أسرار الأمير العاشق: ليالي هارون الرشيد بين الحقيقة والأسطورة) لمحمد رضوان، و(المظلومون في التاريخ) لشاكر مصطفى.

استحضار روح الخليفة الرشيد لسؤاله عن قصة العبَّاسة ليُثبت عدم صحَّتها ومن ثَمَّ يؤلِّف كتاباً في ذلك(١). كما اتَّجه بعض الكتَّاب إلى دراسة سيرة الرشيد من خلال مقارنتها بما ورد في قصص (ألف ليلة وليلة)، محاولين إثبات صلة الرشيد بتلك القصص أو نفيها(٢). لذلك تجاهلت الدراسة مثل تلك المؤلَّفات.

وفي المقابل، اتَّجه بعض الباحثين المختصين إلى دراسة الرشيد بشكل منهجي وموضوعي؛ نظراً إلى تخصُّصهم في علم التاريخ، وكانت دراساتهم ذات قيمة للباحثين والمهتمين بأمر الرشيد. ومن هؤلاء:

* طيب الهبري (Tayeb El-hibri):

يُعدُّ كتابه (Reinterpreting Islamic Historiography: Harun Al- Rashid and the Narrative of the Abbasid Caliphate)(3) من الدراسات التي تحدَّثت عن المنهجية التاريخية في دراسة الخليفة الرشيد. وجاءت الدراسة ـ كما صرَّح الباحث ـ نقديةً أدبيةً للمصادر بناءً على فرضيات جديدة لتعرُّف المعنى المقصود للروايات. وهي ليست معنية بالبحث عن الحقيقة التاريخية أو تبنِّي تفسيرات دينية أو سياسية أو اجتماعية للأحداث؛ فقد ربط الهبري بين الروايات في فترات مختلفة مهتماً بالمعاني والألغاز الأدبية فيها، فوجد تماثلاً وتشابهاً بينها، مُستنتجاً أن الروايات في الفترات المختلفة جُمعت على أيدي رواة بعينهم؛ لأن أسلوب عرض الروايات والمؤثرات التي أثَّرت فيها كانت واحدة.

وفي هذا المجال، وصل الهبري إلى نتائج مثيرة ولافتة للنظر؛ فقد وجد تشابهاً

(١) طنطاوي جوهري، براءة العبَّاسة أخت الرشيد.

(٢) محمد علي الهرفي، هارون الرشيد بين السيرة الواقعية والسيرة الشعبية. وانظر أيضاً: محمد عبدالرحمن يونس، ملامح شخصية الخليفة هارون الرشيد في حكايات ألف ليلة وليلة، مجلة أفق، س٢، إبريل/ نيسان ٢٠٠٢م، (الصين)، ص١-١٣ (www. ofouq. com). أندريه كلو، هارون الرشيد وعصره (ألف ليلة وليلة)، ترجمة: محمد الرزقي.

(٣) طُبع هذا الكتاب عام ١٩٩٩م، ونشرته مطبعة جامعة كامبريدج، لندن.

وتماثلاً بين أسرتي الرشيد ويحيى البرمكي من حيث صفات الأب والزوجة والأولاد ومصير أفراد كل أسرة(١). إلا أن الهبري في دراسته كان انتقائياً للروايات والأخبار التي تؤيّد وجهة نظره وتصوّره، مع عدم تمييزه بين الأخبار التاريخية أو الأساطير؛ كالأحلام والرؤى والتنبّؤات والقصص الشعبي، فخلط بينها وسلّم بصحة الكثير منها ولم ينقدها، وقدّم آراءه ونتائجه اعتماداً على ذلك. ويبدو أن الهبري كان مدركاً ذلك؛ إذ ذكر أن التمييز بين الخرافي والواقعي في تاريخ البرامكة كان محاولةً مستحيلةً وخارج هدف دراسته(٢). وعلى الرغم من ذلك فقد نوّه الهبري إلى فكرة مهمة، وهي استخدام الألغاز والتضليل من قِبَل الرواة في بعض الروايات بهدف تحدّي عقل القارئ وتجنيب الأسرة الحاكمة (العباسيين) الإحراج بشكل علني في معالجة قضايا الأخلاق السياسية والتغيّر التاريخي وقضايا ذات علاقة بالقدر والمصير، وهو ما تمثّل واضحاً في موت الخلفاء أو قتلهم أو نهاية حكمهم أو بدايته.

كما قدّم الهبري في دراسة أخرى(٣) تحليلاً ونقداً لكتب العهود التي كتبها الرشيد بين أولاده، فقارن بين تلك العهود في المصادر التي وردت بها، وقدّم نتائج مهمة من خلال دراسة مضامين تلك العهود ومقارنتها بالروايات التي تناولت فترة حكم الأمين وعلاقته مع المأمون فيما يخصّ ولاية العهد وتقسيم الدولة بين الأخوَيْن وصلاحيات كل واحد منهما، فوجد أن العهود تمّت إعادة صياغتها بعد الفتنة لتتلاءم مع ظروف الصراع ولتكون في مصلحة المأمون.

* سعدي ضناوي:

تناول في (موسوعة هارون الرشيد) المكوّنة من ثلاثة أجزاء دراسة الأدب المتعلّق بالرشيد الذي ورد في المصادر الأدبية ودواوين الشعر دون الاهتمام

(1) Tayeb El-hibri, Harun Al Rashid, p34, 37-40.

(2) Tayeb El-hibri, Harun Al Rashid, p47.

(3) Tayeb El-Hibri, Harun Al Rashid and Mecca protocol of 802 A. plan for Division or succession (article) I.J.M.E.S, vol.24 No 3. August 1992. P. 465-469, 473-475.

بالأحداث التاريخية أو الاعتماد على المصادر التاريخية بشكل رئيس، وكانت مادته تتركَّز في الأشعار والنثر من خطب ومراسلات التي تناولت المجالس الأدبية في قصر الرشيد وأجواء الأدب والمناظرة وأدب المناسبات؛ كغزوات الرشيد وتنقُّلاته ومبايعته أولاده وأعياده، والمناسبات الترفيهية من سمر ومنادمة وغناء. كما تناول شخصية الرشيد والعوامل التي أثَّرت فيها، وعالج التناقض الذي أوردته المصادر، ورأى أنه كان نتيجة مجريات حياته، خصوصاً فترة النكبة وما تلاها. ولا ينكر سعدي ضناوي أثر عصر الرشيد المتناقض في شخصيته، وأنه يعدُّ نموذجاً صادقاً لعصره(١).

* عبدالعزيز الدوري:

تناول الرشيد من خلال دراسته (العصر العباسي الأول)، فأفرد له مساحة جيِّدة. وكان تناوله فترة خلافة الرشيد متميزاً؛ إذ قدَّم آراء مهمة أفادت الدراسة وغيرها من الدراسات التي نقلت عنها، وعالج القضايا الرئيسة في خلافة الرشيد بموضوعية عالية؛ كقضية شخصية الرشيد وأسباب شهرته، موضِّحاً أسباب التبايُن في صورته. وقد انتقد الدوري المصادر لعدم تمحيصها الأخبار التي قدَّمت البرامكة على أنهم سرّ مجد الرشيد وأنهم مثال الكرم، وأن الرشيد كفر بنعمته حين نكبهم. ورأى الدوري أن تطرُّف خصوم البرامكة وأصدقائهم، إضافةً إلى شدَّة تكتُّم الرشيد في أمر النكبة؛ فسحا المجال للأراجيف والإشاعات، وجعل بعض المؤرِّخين يتخبَّطون في ظلامٍ ويختلفون فيها. لكن الدوري عالج أسباب النكبة بموضوعية، فرأى أنها نتجت عن أسباب متنوِّعة سياسية ومالية، إضافةً إلى ميولهم الفارسية وتعاظُم جاههم ونفوذهم، وأيضاً دور الخصوم وسعايتهم. كما نقد قصة العبَّاسة ورأى أنها مدسوسة.

كما عالج الدوري في دراسته المشكلات الداخلية التي حصلت في عهد

(١) سعدي ضناوي، موسوعة هارون الرشيد.

الرشيد وعلاقته بالعلويين، فرأى أن الرشيد استخدم أساليب الخداع في علاقته معهم، ومارس فيها التقاليد الميكيافلية(١). وقدَّم الدوري آراءً ونتائج مهمة، فأشار إلى تعصُّب الرُّواة، وتحزُّب المصادر في أخبارها عن الرشيد والبرامكة والأمين سواء معهم أو عليهم، وممارستها الدعاية الشعوبية، واستخدامها الأخبار والأساطير في مهاجمة الأمين وإسناد الضعف إليه(٢).

* عبدالجبار الجومرد:

قدَّم في كتابه (هارون الرشيد) دراسة تاريخية مهمة عالج فيها بشمولية كل القضايا المتعلقة بالرشيد من خلال أسلوب أدبي بنائي، فعالج شخصية الرشيد والمؤثرات التي أثَّرت فيها، إضافةً إلى قضايا أخرى قدَّم آراءه فيها، فأشار إلى صُنع الأخبار من قِبَل الرواة فيما يتعلَّق بأخبار الرشيد ولهوه ومجونه. إلا أن الجومرد حمَّل في بعض الأحيان النصوص أكثر مما ينبغي، وبالغ في استنتاجاته، وكان متأثِّراً بالتيار المعادي للشعوبية، فاندفع كثيراً في هذا الاتجاه(٣).

* فاروق عمر:

تناول الخليفة الرشيد في عدَّة دراسات، منها: (الخليفة المجاهد هارون الرشيد)، و(الخلافة العباسية: عصر القوة والازدهار)، إضافةً إلى مقالاته في دائرتي المعارف الإسلامية والبريطانية(٤).

قدَّم فاروق عمر في دراساته الجادَّة آراء ذات قيمة عالية من خلال دراسة تحليلية ناقدة للأخبار التي تناولت الرشيد، منوِّهاً إلى وجود دور للرُّواة الشعوبيين في

(١) عبدالعزيز الدوري، العصر العباسي الأول، ص١١٢.

(٢) عبدالعزيز الدوري، العصر العباسي الأول، ص١٢٨-١٣٦.

(٣) كما اندفع في هذا الاتجاه فخري الزبيدي معتمداً بشكل رئيس على دراسة الجومرد. انظر: فخري الزبيدي، الموجز المنتخب.

(4) F. Omer, (Harun Al Rashid), Encyclopedia of Islam 2, vol 3, pp232-235, (Barmakids). Encyclopedia, Britannica. Vol. 3, pp 722-724.

تضخيم دور البرامكة في خلافة الرشيد(١). كما أشار إلى خلط الرواة في أسماء بعض العلويين(٢). وانفرد فاروق عمر بإيراده أخبار حركة حمزة بن عبدالله الخارجي اعتماداً على مصادر فارسية اطَّلع عليها، فقدَّم دراسة تحليلية للمُراسلات التي جرت بين الرشيد وحمزة الخارجي(٣).

---

(١) فاروق عمر، الخليفة المجاهد هارون الرشيد، ص٩. الخلافة العباسية عصر القوة والازدهار، ج١، ص١٨٩.

(٢) فاروق عمر، الخليفة المجاهد هارون الرشيد، ص٤٢.

(٣) فاروق عمر، الخليفة المجاهد هارون الرشيد، ص٤٢-٤٤. الخلافة العباسية عصر القوة والازدهار، ج١، ص٢٠٤، ٢٠٥. وانظر أيضاً: فاروق عمر، الرسائل المُتبادَلة بين الرشيد والثائر حمزة بن عبدالله، المجلة التاريخية العراقية، ع٣، بغداد ١٩٧٢م.

الفصل الثاني

المصادر وشخصية هارون الرشيد

شخصية هارون الرشيد قبل الخلافة

اتَّفقت الروايات التي تحدَّثت عن الرشيد أن مولده كان في مدينة الري بين سنتي (١٤٥هـ/ ٧٦٢م) و(١٥٠هـ/ ٧٦٧م)؛ إذ قدَّم خليفة بن خياط تاريخين لمولده؛ هما: ١٤٦، و١٥٠هـ[١]. كما قدَّم الطبري أيضاً تاريخين لمولده؛ رجَّح الأول منهما، وهو ١٤٥هـ/٧٦٢م، وشكَّك في الثاني، وهو ١٤٩هـ/٧٦٦م[٢]. وخالفه الجهشياري، فذكر أن الرشيد وُلد سنة ١٤٩هـ، وأن الفضل بن يحيى وُلد قبل ذلك بسنة؛ أي ١٤٨هـ/٧٦٥م[٣]. أما اليعقوبي[٤] والمسعودي[٥] وصاحب (الإمامة والسياسة) فلم يشيروا إلى تاريخ ولادة الرشيد. وأورد الخطيب البغدادي، وهو أوَّل مَن ترجم للرشيد من أصحاب التراجم، تاريخين لمولد الرشيد، هما: ١٤٩، و١٥٠هـ[٦]. وأشار صاحب (العقد الفريد) إلى أن مولد الرشيد كان سنة ١٤٨هـ[٧].

إن إيراد بعض المصادر أكثر من تاريخ لمولد الرشيد يُوقع في الارتباك؛ فالطبري يورد أن عمر الرشيد عندما تولَّى الخلافة سنة (١٧٠هـ/ ٧٨٦م) كان ٢٢ عاماً[٨]، فيكون مولده سنة ١٤٨هـ، على رغم أنه رجَّح الرواية التي تذكر أن مولده كان سنة ١٤٥هـ.

(١) خليفة بن خياط، التاريخ، ص٤٦٠.

(٢) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٢٣٠. وقد شكَّك في التاريخ الثاني لأنه من رواية البرامكة. ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص١٠٦. ولم يُشِر ابن الأثير إلى مصدره، ولم يُشكِّك في رواية البرامكة.

(٣) الجهشياري، الوزراء، ص٨٧.

(٤) لم يهتمّ اليعقوبي بسنوات ولادة الخلفاء العباسيين. اليعقوبي، التاريخ، ج٢، ص٤٠٤ وما بعدها.

(٥) لم يذكر المسعودي تاريخ مولد الرشيد، بينما ذكر تاريخ مولد خلفاء آخرين. المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص١٩٦.

(٦) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٤، ص٥.

(٧) ابن عبد ربِّه، العقد الفريد، ج٥، ص١١٧.

(٨) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٢٣٠. ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص١٠٦.

وترجّح الدراسة أن يكون الرشيد قد وُلد سنة ١٤٨هـ بسبب اتّفاق معظم المصادر، ومنها الطبري، على أن عمر الرشيد عندما تولّى الخلافة كان ٢٢ عاماً.

كما اختلفت الروايات التاريخية في قضية رضاعة الرشيد من نساء البرامكة؛ فشكّك الطبري في الرواية البرمكية التي ترى أن زينب بنت منير أم الفضل بن يحيى أرضعت الرشيد بلبان الفضل، وأن الخيزران أرضعت الفضل بلبان الرشيد[(١)]. وتنبّهت نابية عبود إلى شكوك الطبري تلك، ورأت أن تأخير مولد الرشيد إنما كان من اختراع البرامكة؛ ليكون مولده في السنة التي وُلد فيها الفضل[(٢)]. كما أن إيراد اليعقوبي قصة رضاعة الرشيد من نساء البرامكة يجلب الشكوك أيضاً؛ لأن مصدره يروي عن يحيى بن خالد البرمكي، فقد قال اليعقوبي: «حدّثني بعض المشايخ عن يحيى بن خالد ... وكان الرشيد قد دُفع إلينا مولوداً في الخِرَق، فغذّته ثدي نسائنا، وربّي في حجورنا»[(٣)]. فالنقد الداخلي لهذه الرواية يشير إلى دعاية واضحة للبرامكة. ولكن اليعقوبي أشار إلى تلك الرضاعة مرّة أخرى خلال حديثه عن مدينة الري في كتابه (البلدان)، فقال: «وأرضع نساء الوجوه من أهلها الرشيد»[(٤)].

كما أشار الجهشياري إلى رضاعة الرشيد من أم الفضل، ولكن بتفاصيل

(١) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٢٣٠. كما سمّاها في موضع آخر زبيدة بنت منير. الطبري، التاريخ، ج٨، ص٢٩٧. وانظر أيضاً: الشابشتي، الديارات، ص٢٢٩. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٤، ص٤٧. ابن خلدون، التاريخ، ج٣، ص٢٧٣.

(٢) نابية عبود، ملكتان في بغداد، ص٣٦. ويرى الهبري أن المهدي ويحيى البرمكي تبادلا إرضاع أولادهما من زوجاتهما بهدف تأكيد العلاقة العربية الفارسية في السلطة.

Tayeb El-hibri, Harun Al Rashid, p. 8.

(٣) اليعقوبي، التاريخ، ج٢، ص٤٠٦.

(٤) اليعقوبي، البلدان، ص٢٧٥، ٢٧٦. وبالغ الجومرد في فهمه من خبر اليعقوبي ما لم يُشِرْ إليه، فذكر أن «الخيزران كانت مُتعَبة على إثر تلك الولادة، فلم تستطع الاستمرار والسهر منفردةً على العناية بهارون، فدفعته إليهن في خرقة». عبدالجبار الجومرد، هارون الرشيد، ص٤٦.

مختلفة، فأشار إلى مولد الفضل بن يحيى قبل الرشيد بسنة، وهو ما يقلّل من احتمال إرضاع الخيزران ـ التي لم تضع الرشيد بعدُ ـ للفضل. ولكن الجهشياري أراد تأكيد فكرة ارتباط الرضاعة بحرمة يحيى حين قال: «وكان الفضل بن يحيى بن خالد قد وُلد قبل ذلك بسنة، فأرضعت الخيزران الفضل، وأرضعت زبيدة بنت منير أمُّ الفضل هارونَ، فتأكدت حرمة يحيى واتّصل سببه»(١)؛ أي أنه أصبح بمثابة الأب للرشيد، وبالتالي فإن ذلك سيظهر في علاقة الرشيد بيحيى والبرامكة فيما بعدُ.

وأشار صاحب (الإمامة والسياسة) وابن عبد ربّه إلى رضاعة الرشيد من زوجة أخرى ليحيى البرمكي، هي فاطمة بنت محمد بن الحسن بن قحطبة أمّ جعفر، وأنه تربّى في حجرها؛ لأن أمّه ماتت وهو في المهد(٢). ويُلاحظ اختلاف رواية صاحب (الإمامة والسياسة) عما ورد لدى كلّ من الطبري واليعقوبي فيما يخصّ المرضعة، فهي عنده فاطمة أم جعفر وليست زينب أم الفضل، علماً أن جعفراً أصغر من الرشيد بسنتين؛ إذ وُلد سنة (١٥٠هـ/ ٧٦٧م)(٣). كما أشارت الرواية إلى موت أم الرشيد وهو في المهد، وهي معلومة غير صحيحة؛ لأن أم الرشيد تُوفّيت سنة (١٧٣هـ/ ٧٨٩م) بعد تولّيه الخلافة(٤).

يُلحظ مما سبق تناقض الأخبار التي تقدّمها المصادر في هذا الشأن، كما يُلحظ أن رواة هذه الأخبار هم من البرامكة أو ممّن ارتبطوا بعلاقات وثيقة معهم؛ مما يثير الشكوك حول صحتها. كما أن هذه الأخبار عند اليعقوبي وصاحب (الإمامة والسياسة) والجهشياري تمثّل وجهة نظر برمكية؛ فجاءت لدى اليعقوبي في سياق

(١) الجهشياري، الوزراء، ص٨٧.

(٢) مؤلّف مجهول، الإمامة والسياسة، ص٢، ج١٦٩. ابن عبد ربّه، العقد الفريد، ج٥، ص٦٢-٦٤.

(٣) قُتل جعفر سنة ١٨٧هـ وكان عمره ٣٧ سنة، فيكون مولده سنة ١٥٠هـ. التنوخي، الفرج بعد الشدّة، ج١، ص٣٦٦. الزركلي، الأعلام، ج٢، ص١٣٠.

(٤) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٢٣٨. المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص١٩٧. ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص٣٤٦. ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص١١٩.

حديثه عن حبس يحيى بن خالد بسبب وقوفه مع الرشيد في أثناء محاولة الهادي خلعه، وجاءت عند صاحب (الإمامة والسياسة) في سياق تذكير الرشيد بفضل البرامكة عليه وفي فترة ما بعد النكبة، وجاءت لدى الجهشياري عند حديثه عن الخليفة المنصور وإرساله ابنه المهدي إلى الري.

كما تناولت الروايات التاريخية قضية ولاية العهد، فقدَّمت معلومات مفصَّلة ومتعدِّدة أحياناً اتَّفق أغلبها على مبايعة المهدي ولدَيْه الهادي والرشيد بولاية العهد، سواء جاءت بيعة الرشيد في آنٍ واحد مع بيعة الهادي أو بعدها. ولكن هذه الروايات اختلفت في وقت البيعة؛ فقد أشار البسوي (٢٧٧هـ/ ٨٩٠م) إلى أن المهدي بايع الرشيد بولاية العهد سنة (١٦٦هـ/ ٧٨٢م)(١)، وأنه جدَّد هذه البيعة في مكة سنة (١٦٩هـ/ ٧٨٥م)(٢). أما البلاذري فلم يحدِّد تاريخاً لمبايعة المهدي للرشيد(٣)، بينما يذكر الدينوري أن المهدي بايع الرشيد سنة (١٦٢هـ/ ٧٧٨م)(٤).

ويشير اليعقوبي إلى أن بيعة الرشيد كانت بعد سنة (١٥٩هـ/ ٧٧٥م)(٥)، في حين لم يُشِرْ صاحب (الإمامة والسياسة) إلى مبايعة المهدي أياً من أولاده بولاية العهد، وذهب بعيداً في أخباره فذكر أن الرشيد تولَّى الخلافة في السنة التي تُوفِّي فيها المهدي (١٧٣هـ/ ٧٨٩م) متجاوزاً الهادي وفترة خلافته، بل أشار إلى أخٍ للرشيد، اسمه عبدالله، كان يريد المهدي استخلافه بعده، لكنه بسبب طيشه دفع السُّم إلى أبيه، فلما اكتشف المهدي ذلك عجَّل بكتابة العهد إلى الرشيد وأخذ البيعة له سنة (١٧٣هـ/ ٧٨٩م)، فتولَّى الخلافة(٦).

---

(١) البسوي، المعرفة والتاريخ، ج١، ص١٥٤.

(٢) البسوي، المعرفة والتاريخ، ج١، ص١٥٨، ١٥٩.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، القسم الثالث، ص٢٥٥.

(٤) الدينوري، الأخبار الطوال، ص٣٥٣.

(٥) اليعقوبي، التاريخ، ج٢، ص٣٩٥.

(٦) مؤلِّف مجهول، الإمامة والسياسة، ج٢، ص١٥٢، ١٥٣. من المعروف لدى معظم المصادر=

ويظهر الرشيد في هذه الرواية وكأنه غير راغب في ولاية العهد، كما يظهر المهدي في صورة متناقضة، وأنه لا يريد تولية الرشيد لحداثة سنه، لكنه اضطرَّ إلى ذلك، إضافةً إلى أن تعيينه الرشيد كان بسبب تنبُّؤات جدِّه المنصور الذي توسَّم فيه الخير(١). فالرواية -إذَنْ- فيها الكثير من الخلط والتناقض؛ مما يرجِّح عدم الثقة بها.

وكلّ هذه الروايات عن تاريخ مبايعة المهدي للرشيد بولاية العهد جاءت دون إسناد باستثناء الطبري؛ إذ تعدَّدت لديه مصادر الروايات، فأورد رواية عن عمر بن شبة تشير إلى أن المهدي بايع الرشيد بولاية العهد سنة (١٥٩هـ/ ٧٧٥م)(٢)، كما أورد رواية عن الوضاح بن حبيب تشير إلى أن الرشيد كان ولياً للعهد في الغزوة التي أرسله فيها أبوه سنة (١٦٣هـ/ ٧٧٩م)(٣)، وهو ما يعني أن المهدي عهد إليه قبل هذه السنة؛ مما يرجِّح رواية عمر بن شبة. كما أورد الطبري رواية ثالثة غير مُسنَدة تشير إلى أن المهدي بايع الرشيد وأطلق عليه هذا اللقب سنة (١٦٦هـ/ ٧٨٢م)(٤)، وتأتي هذه الرواية في سياق الحديث عن عودة الرشيد من غزوته التي كان قد انطلق فيها إلى بلاد الروم سنة (١٦٥هـ/ ٧٨١م)(٥).

= التاريخية أن المهدي تُوفِّي سنة (١٦٩هـ/ ٧٨٥م)، ثم خلفه ابنه الهادي الذي حكم سنةً وبعض السنة.

(١) مؤلِّف مجهول، الإمامة والسياسة، ج٢، ص١٥٢، ١٥٣. عوَّل بعض الباحثين على المعلومات التي قدَّمها صاحب (الإمامة والسياسة)، فرأى فاروق عمر وعجمي الجنابي أن تعيين المهديّ للرشيد كان نتيجة رأي جدّه المنصور فيه. فاروق عمر، الخليفة المجاهد هارون، ص١٥. عجمي الجنابي، هارون الرشيد ومؤسَّسات الخلافة في عهده، ص٢٧.

(٢) الطبري، التاريخ، ج٨، ص١٢١، ١٢٢. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٤٣٦.

(٣) الطبري، التاريخ، ج٨، ص١٤٦، ١٤٧. الجهشياري، الوزراء، ص٩٣.

(٤) الطبري، التاريخ، ج٨، ص١٥٤. مؤلِّف مجهول، العيون والحدائق، ج٣، ص٢٧٩. ابن خلدون، التاريخ، ج٣، ص٢٥٨.

(٥) على الرغم من ربط بعض المؤرِّخين المُحدَثين بين حادثتي عودة الرشيد من هذه الغزوة منتصراً ومبايعته بولاية العهد إلا أن سياق الخبر لدى الطبري لا يشير إلى ذلك. انظر: عبدالجبار الجومرد، هارون الرشيد، ص٨٦. فاروق عمر، الخليفة المجاهد هارون الرشيد، ص١٦، ١٧. =

ولـم تحـدِّد رواية علي بن يقطين التي أوردها ابن أعـثـم (ت ٣١٤هـ/ ٩٢٦م) وخبر المقدسي (ت ٣٥٥هـ/ ٩٦٥م) تاريخ مبايعة المهدي للرشيد بولاية العهد، وذكرا أنه بايعه عند شعوره باقتراب أجله بسبب الحلم الذي رآه يتنبأ بموته(١).

لقد وجدت خطوة المهدي هذه صدى لدى الشعراء، وأشارت بعض المصادر إلى تلك الأشعار التي بالغت في مدح هذا الحدث؛ مثل: الطبري(٢)، وابن أعثم(٣)، والأزدي(٤)، والمسعودي(٥)، والأصبهاني(٦).

كما تثير بعض المصادر قضية أخرى في هذا الجانب، وهي نيَّة المهدي في تقديم الرشيد على الهادي في ولاية العهد؛ فقد ذكر الطبري والجهشياري أن المهدي عزم سنة (١٦٩هـ/ ٧٨٥م) على تقديم الرشيد على الهادي في ولاية العهد، وأغفل الطبري ذكر السبب الذي دفع المهدي إلى ذلك(٧)، بينما بالغ الجهشياري في السبب الذي قدَّمه، وهو خلاف المهدي مع الهادي حول إبراهيم بن ذكوان الحرَّاني الذي هرب مع الهادي إلى جرجان(٨).

= العبَّاسيون الأوائل، ج٢، ص٢٢٠، ٢٢١. F. Omer, Harun Al Rashid, EI2, vol 3, p232-234 فخري الزبيدي، الموجَز المنتخَب، ص١٤. أحمد الزين وأحمد قطان، هارون الرشيد الخليفة المظلوم، ص٤٠.

(١) ابن أعثم، الفتوح، ج٨، ص٣٩٩، ٤٠٠. المقدسي، البدء والتاريخ، ج٦، ص٩٨.

(٢) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٢٢٣.

(٣) ابن أعثم، الفتوح، ج٨، ص٤٠٠.

(٤) الأزدي، تاريخ الموصل، ص٢٥٧.

(٥) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص١٨٦. وانظر أيضاً: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٧٣، ص٢٨٧. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٤٥٣.

(٦) الأصبهاني، الأغاني، ج٧، ص١٨٦، ج٢٢، ص٤٣٨.

(٧) الطبري، التاريخ، ج٨، ص١٦٨. وانظر أيضاً: ابن الجوزي، ج٨، ص٣٠٤. ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص٨١. ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٠، ص١٦٠. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١٠، ص٣٢. سير أعلام النبلاء، ج٧، ص٤٤٢. ابن خلدون، التاريخ، ج٣، ص٢٦٢.

(٨) الجهشياري، الوزراء والكتَّاب، ص١٠٧، ١٠٨. كما أورده التنوخي نقلاً عنه في: الفرج بعد الشدة، ج٣، ص٣٢٦، ٣٢٧.

أما عن موقف الرشيد من موت أبيه وأخذ البيعة بالخلافة لأخيه الهادي، فقد أشار كلّ من البلاذري واليعقوبي وابن أعثم والجهشياري والمسعودي باختصار ودون إسناد إلى وفاة المهدي في ماسبذان سنة (١٦٩هـ/ ٧٨٥م)، وأن الرشيد أخذ البيعة للهادي الغائب في جرجان(١).

لكن الطبري قدَّم صورة مفصَّلة عن موقف الرشيد من موت أبيه تظهره في موقف ضعيف؛ إذ لا يتمكَّن من اتخاذ قرار إلا من خلال يحيى البرمكي الذي استشاره فيما يجب فعله داعياً إياه بالأبوة، وقد جاء لفظ الأبوة على لسان الرشيد مرَّتين؛ إذ يروي الطبري: «قال هارون: ادعوا إليَّ أبي يحيى بن خالد البرمكي ... قال: مضى يحيى بن خالد إلى هارون، فقال له: يا أبَتِ، ما تقول فيما يقول عمر بن بزيغ ونصير والمفضل؟». فاقترح يحيى على الرشيد أن يدفن المهدي في مكان وفاته، فنفَّذ الرشيد اقتراح يحيى(٢). ويُلاحظ أن الطبري لم يُبْدِ أية شكوك ضمنية حول هذه الرواية التي تحمل ميولاً برمكية. ويذكر الطبري روايةً ثانيةً حول ما قام به الرشيد عند وصوله إلى بغداد وأخذه البيعة من الناس لأخيه الهادي ثم لنفسه من بعده(٣).

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، القسم الثالث، ص٢٧٥، ٢٧٨. اليعقوبي، التاريخ، ج٢، ص٤٠٤. ابن أعثم، الفتوح، ج٨، ص٤٠١. الجهشياري، الوزراء والكتَّاب، ص١٠٧. المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص١٦٥، ١٨٣. القلقشندي، مآثر الإنافة في معالم الخلافة، ج١، ص١٨٤.

(٢) الطبري، التاريخ، ج٨، ص١٨٧. وانظر أيضاً: ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص٣٠٥. ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص٨٧، ٨٨.

(٣) الطبري، التاريخ، ج٨، ص١٨٨. وانظر أيضاً: مؤلِّف مجهول، العيون والحدائق، ج٣، ص٢٨٢، ٢٨٣. ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص٣٠٥. ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص٨٧-٨٩. ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص١٢٨. وتشير نابية عبود إلى هذه القضية عند استعراضها وانتقادها رأي جون فلبي صاحب كتاب (هارون الرشيد) الذي رأى أن الرشيد برهن بشكل مؤكَّد على استحقاقه للخلافة حين زهد فيها تجنُّباً لحرب أهلية تعصف بالدولة. انظر: نابية عبود، ملكتان في بغداد، ص٩٧.

كما تناول الطبري محاولة الهادي خلع الرشيد بتفصيلات دقيقة وروايات مُسنَدة، فأشار إلى طبيعة العلاقة بينهما بعد تولّي الهادي الخلافة مباشرةً، وكانت علاقةً حسنةً في أول الأمر. ثم يُورد الطبري روايةً لعمرو الرومي تظهر بداية تغيُّر العلاقة وظهور عدم الثقة بينهما عندما اتُّهم الهادي في مجلسه الرشيد بالسعي إلى الخلافة استناداً إلى رؤيا رآها(١)، وظهر الرشيد في ردِّه بشخصية قوية تحمل طابع الجرأة والشجاعة في توجيه الانتقاد إلى الخليفة، كما أن سكوت الهادي وتقبُّله هذه الانتقادات يعدُّ إدانةً له. وقد جاء ذكر رؤيا المهدي(٢) في الرواية بشكل اعتراضي لتتنبأ بما ستكون عليه كلّ من خلافة الهادي والرشيد، وهي تركِّز في خلافة الرشيد وتمدحها فتقول: «وتكون أيامه أحسن الأيام، ودهره أحسن الدهور»(٣)، وهو ما يشير إلى أن الرواية تحمل طابع الدعاية للرشيد بمدحه ومدح أيامه وخلافته على الرغم من أنه لم يكن قد تولّى الخلافة بعدُ؛ مما يدلُّ على تدخُّل الراوي في الرواية لمصلحة الرشيد، وهو أمر طبيعي لأن عمراً الرومي هو أحد مقرَّبي الرشيد ومن الذين يأنس بهم(٤).

أمر آخر يؤكِّد الشك في الرواية وتدخُّل الراوي فيها؛ إذ ذكر أن الهادي مرض

(١) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٢١١. كان عمرو الرومي شاهد عيان ومقرَّباً من الرشيد. وانظر أيضاً: المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص١٩٤. ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص٩٨. ابن خلدون، التاريخ، ج٣، ص٢٦٥.

(٢) يُحمِّل الجومرد قصة رؤيا المهدي أكثر مما تحتمل؛ إذ يضعها في سياق غير الذي وضعها فيه كلّ من الطبري والمسعودي، فيرى الجومرد أن المهدي عندما عهد إلى الرشيد كان مُكرَهاً في ذلك؛ إذ سهر ليلة هذه البيعة قلقاً يفكِّر في الأمر ويستعرض الاحتمالات السيئة التي قد تحدث بين ولدَيْه، ثم أخذه النعاس، فرأى في منامه أنه دفع إلى موسى قضيباً، ومثله إلى هارون، فأورق قضيب موسى ... إلى آخر القصة المعروفة. انظر: عبدالجبار الجومرد، هارون الرشيد، ص١١٠.

(٣) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٢١١، ٢١٢. وانظر أيضاً: المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص١٩٤. ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص٩٨.

(٤) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٢١١. المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص١٩٤.

بعد هذه الجلسة التي حصلت في أول خلافته ومات بعدها بثلاثة أيام، وهو ما يتناقض مع حقيقة أن خلافة الهادي دامت سنة وثلاثة أشهر تقريباً(١).

وقد تمثَّل التأزُّم في العلاقة بين الأخوين في محاولة الهادي خلع الرشيد والمبايعة لابنه جعفر؛ فقد اهتمّ معظم المؤرِّخين بهذه القضية، فأوردها كلّ من اليعقوبي والطبري والجهشياري والمسعودي بتفاصيل مختلفة، في حين لم يُشِرْ إليها ابن أعثم وصاحب (الإمامة والسياسة). وقد أسند كلّ من اليعقوبي والطبري أخبارهما، وكانت مصادر الطبري متعدِّدة في ذلك، في حين لم يسند الجهشياري والمسعودي أخبارهما(٢). وقد اتَّفق جميع هؤلاء المؤرِّخين على إبراز دور البرامكة، خصوصاً موقف يحيى بن خالد الداعم للرشيد، باستثناء بعض روايات الطبري والمسعودي. فقد أورد اليعقوبي روايةً ليحيى بن خالد نقلها عن (بعض المشايخ) تشير إلى إبراز دور البرامكة وتضخيمه بتحمُّلهم المعاناة من أجل الرشيد منذ طفولته والدفاع عن حقه في الخلافة، ولم تظهر الرواية أي دور أو موقف للرشيد من خلعه، بل كان مغيَّباً عن الأحداث(٣).

كما أورد الطبري روايةً عن محمد بن يحيى البرمكي يظهر فيها الرشيد في صورة المُذْعِن لرغبة أخيه الهادي في خلعه، كما يظهر في صورة الأمير الذي لا همّ له إلا العيش مع ابنة عمه زبيدة أم جعفر(٤) التي كان يحبها في إقطاع الهنيء

(١) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٢١٢.

(٢) الجهشياري، الوزراء والكتّاب، ص١١٢، ١١٣. المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص١٩١، ١٩٢.

(٣) اليعقوبي، التاريخ، ج٢، ص٤٠٦.

(٤) هي أم جعفر أمة العزيز بنت جعفر ابن أبي جعفر المنصور المعروفة بزبيدة؛ زوجة الخليفة هارون الرشيد، وأمّ الخليفة الأمين. يُقال إنها وُلدت في حياة المنصور، فكان يرقِّصها وهي صغيرة فيقول لها: أنت زبدة، وأنت زبيدة، فغلب ذلك على اسمها. ماتت في بغداد سنة (٢١٠هـ/ ٨٢٥م). وكانت زبيدة معروفة بالخير والأفضال على اهل العلم، والبرّ للفقراء والمساكين، ولها آثار كثيرة في طريق مكة وفي مكة والمدينة. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٤، ص٤٣٣. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢، ص٣١٤.

والمريء(١)، فتقول الرواية: «وقد كان هارون طاب نفساً بالخلع، فقال له يحيى: لا تفعل!. فقال: أليس يترك لي الهنيء والمريء؛ فهما يسعانني وأعيش مع ابنة عمي؟! وكان هارون يَجِدُ بأم جعفر وجداً شديداً»(٢). أما يحيى فيظهر في صورة الحريص على مصلحة الرشيد وحقِّه في الخلافة أكثر من الرشيد نفسه الذي لا حول له ولا قوة إلا من خلال يحيى. وتتكرر الإشارة إلى ذلك في أكثر من رواية أوردها الطبري(٣).

ويُلحظ من روايات الطبري تأثُّرها بالتيار المؤيِّد للبرامكة، ويظهر ذلك من خلال تضخيم ـ وربما اختلاق ـ الدور الذي قام به يحيى في المحافظة على حق الرشيد في الخلافة؛ ليدعم الفكرة التي تقول: إن دولة الرشيد كانت من صنع البرامكة(٤).

ويشير الجهشياري إلى ظهور البرامكة في صورة المدافعين عن الرشيد باختراع الحِيَل له، كما تظهر الرشيد في صورة النائم في قصر الخلد غير مبالٍ بما يجري من حوله، كما تشير هذه الرواية إلى أن موت الهادي كان بسبب المرض الذي ألمَّ به(٥).

وقد انفردت بعض روايات الطبري والمسعودي بالإشارة إلى اتِّخاذ يحيى البرمكي موقفاً متعاوناً مع الهادي ضدّ مصلحة الرشيد عندما نصحه بالمبايعة لجعفر

(١) الهنيء والمريء: نهران حفرهما هشام بن عبدالملك فاستخرج الضيعة التي تُعرف باسمهما وأحدث فيها واسط الرقة. وقد استولى العبَّاسيون على هذه الضيعة في أول دولتهم، ثم صارت بعد ذلك لأم جعفر زبيدة، فابتنت فيها القطيعة التي تُنسب إليها، وزادت عمارتها. البلاذري، فتوح البلدان، ص١٨٤. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٤١٩.

(٢) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٢٠٨. ابن الاثير، الكامل، ج٦، ص٩٦.

(٣) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٢٠٧، ٢٠٨، ٢١٠. وانظر أيضاً: مؤلِّف مجهول، العيون والحدائق، ج٣، ص٢٨٥، ٢٨٦. النويري، نهاية الأرب، ج٢٢، ص١٢٢.

(٤) يرى ميشيل بونر أن روايات الطبري هذه تُعطي القارئ انطباعاً بأن هارون الرشيد كان كسولاً في أثناء صراعه مع أخيه الهادي على الخلافة غير طامح إليها، وأن البرامكة رفضوا الاستسلام، ولم يسمحوا للرشيد بالاستقالة. Michael Bonner, Al Khalifa Al Mardi, J. A. O. S, vol 108, no 1, January (1988), p84.

(٥) الجهشياري، الوزراء والكتَّاب، ص١١٢، ١١٣. وانظر أيضاً: التنوخي، الفرج بعد الشدة، ج١، ص٢٨٢، ٢٨٣. ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٠، ص١٦٥.

ابنه بعد الرشيد، وتأجيل فكرة الخلع حتى بلوغ جعفر مبلغ الرجال(١).

وتنفرد رواية المسعودي بتقديم معلومة جديدة تضمَّنت دخول الرؤى والتنبُّؤات في الفكرة التي تشير إلى علم يحيى بقِصَر عمر الهادي؛ لذلك اقترح على الرشيد الابتعاد عن الهادي والذهاب إلى الصيد؛ إذ ذكر يحيى أن «مدة موسى قصيرة على ما أوجبته قضية المولد»(٢)، وكذلك ما ورد على لسان الهادي نفسه حين اشتدَّ مرضه فقال لوالدته: «أنا هالك في هذه الليلة، وفيها يلي أخي هارون، وأنت تعلمين ما قضى به أصل مولدي بالري»(٣).

إن الاختلاف بين خبر المسعودي والمصادر الأخرى يتركَّز في قضية مصير الهادي وموته؛ فخبر المسعودي يؤكِّد أن موت الهادي كان بذلك القدر المحتوم عليه الذي تنبَّأ به والده (رؤيا المهدي)، والأهم من ذلك الإشارة إلى أن كلاً من الرشيد ويحيى البرمكي والخيزران لم يكن لهم أي دور في موت الهادي؛ فالرواية تريد إظهار ذلك على لسان الهادي نفسه، الذي تصوَّره بأنه مؤمن بهذا القدر المحتوم، وأن أخاه سيتولَّى بعده(٤).

وترد قصة هرثمة بن أعين(٥) مع الهادي وتكليفه له قتل الرشيد سبباً آخر لتأزُّم

---

(١) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٢٠٩، ٢١٠. المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص١٩١، ١٩٢. وانظر أيضاً: ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص٩٧.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص١٩٢.

(٣) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص١٩٣. ويرى عبدالمنعم رشاد أن موت الخلفاء المفاجئ جعل الناس يلجاون إلى الأساطير لتبريره، وكانت الرؤيا عندئذٍ مجالاً خصباً لاختلاق مثل هذه الأساطير بهدف إظهار هذا الموت المفاجئ للخليفة في صورة قدر محتوم؛ تنفيساً لمشاعر الذين يستنكرونه. عبدالمنعم رشاد وموفق سالم النوري، الأمين الخليفة المُفترى عليه، ص١٥. ويرى فخري الزبيدي أن للشعوبية يداً في ذلك من خلال تآمُر البرامكة، وعلى رأسهم يحيى وأولاده. فخري الزبيدي، المُوجَز المُنتخَب، ص١٥.

(٤) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص١٩٣.

(٥) من أشهر القادة العسكريين في الدولة العباسية، ومن المقرَّبين إلى الرشيد. ولأه الرشيد مصر سنة=

العلاقة بين الأخوين؛ فقد أورد هذه القصة كلّ من المحسن بن علي التنوخي وصاحب (العيون والحدائق في أخبار الحقائق) (تُوفِّي في القرن ٤هـ/ ١١م)، فجاءت غير مُسنَدة عند صاحب (العيون والحدائق)؛ إذ بدأها بـ(حكى)(١)، في حين جاءت مُسنَدة عند التنوخي؛ إذ رواها هرثمة بن أعين نفسه(٢). وقد تشابهت التفاصيل الدقيقة لدى كل منهما مع وجود فوارق بسيطة؛ مما يدلُّ على أن كليهما استقى القصة من مصدر واحد. كما اتَّفق المصدران على إيراد الحوار المطوَّل بين الهادي وهرثمة حول مسوِّغات الهادي لقتل الرشيد التي عزاها إلى تآمر يحيى البرمكي مع الرشيد لقتله حتى تصل الخلافة إليه. ودخلت الأسطورة في الرواية حين سمعت الخيزران الحوار الذي دار بين الهادي وهرثمة وعلمت نيَّته في قتل الرشيد، فدعت عليه في صلاتها وهي تبكي، فاستجاب الله لها ومات(٣).

لقد جاءت معظم تفاصيل هذه القصة لدى التنوخي وصاحب (العيون والحدائق) على شكل حوارات، فتضمَّنت تفاصيل دقيقة يظهر التناقض فيها أحياناً؛ فالقصة تشير إلى غضب الهادي من يحيى البرمكي، لكن هذا الغضب انعكس على الرشيد ولم ينعكس على يحيى المتآمر كما يدَّعي الهادي؛ فالمسوِّغات التي قدَّمتها القصة لمحاولة الهادي قتل الرشيد تبدو ضعيفة أمام نقاش هرثمة له عندما ذكَّره بأن الرشيد أخوه ووليّ عهده، وأن صورته ستهتزّ أمام الناس، وأنه سينال العقاب من الله. كما أن القصة تدخل إلى تفاصيل أخرى تتعلَّق بما يدور في نفس هرثمة وفكره ونواياه، وما دار بين الخيزران والهادي، ودخول

= ١٧٨هـ لإخضاع فتنة فيها، وخراسان سنة ١٨١هـ، والصائفة سنة ١٩١هـ. انظر: الطبري، التاريخ، ج٨، ص٢٥٦، ٢٦٦، ٣٢٣، ٤٣٢، ٤٤١. الكندي، الولاة والقضاة، ص١٣٦.

(١) مؤلِّف مجهول، العيون والحدائق، ج٣، ص٢٨٦.

(٢) التنوخي، الفرج بعد الشدة، ج٣، ص١٩.

(٣) مؤلِّف مجهول، العيون والحدائق، ج٣، ص٢٨٦–٢٨٨. التنوخي، الفرج بعد الشدة، ج٣، ص١٩–٢٢.

الخيزران راويةً إضافيةً لتكمل رواية هرثمة(١). وحمَّل صاحب (العيون والحدائق) في خبرآخر منفصل الخيزران مسؤولية مقتل الهادي(٢).

وانفرد ابن الجوزي بالإشارة إلى رأي جديد لم يَرِدْ عند بقية المؤرخين، وهو أن الرشيد أبدى موقفه المُذْعِن للهادي بالتنازل عن ولاية العهد نتيجة خوفه على حياته منه؛ فقد ذكر ابن الجوزي أنه «طابت نفس هارون بالخلع لشدة خوفه على نفسه»(٣). وقد يكون هذا الرأي هو الأقرب إلى الصحة؛ لأن ابن الجوزي لم يُشِرْ إلى الهنيء والمريء، ولا إلى زبيدة ابنة عم الرشيد التي كان من أجلها يريد التنازل عن حقه في الخلافة، ولا إلى دور البرامكة حسب ما ورد عند معظم المصادر.

أما موقف الرشيد من وفاة أخيه الهادي، فهو غير واضح لدى معظم المصادر في الوقت الذي أثار فيه المؤرِّخون التساؤلات حول وفاته المفاجئة وربطها بمحاولة الهادي خلع الرشيد. إن إظهار الرشيد عند تولِّيه الخلافة في موقف الصامت يشير إلى عدة احتمالات أشارت إليها بعض المصادر بشكل غير مباشر جاءت نتيجة تعدُّد الروايات في مثل هذه الحالات وتنوُّعها وعدم وضوحها:

الاحتمال الأول: أن صمت الرشيد كان بسبب عدم شكِّه في تلك الوفاة المفاجئة لأخيه، وأنه عدَّها وفاة طبيعية. وقد أشارت إلى ذلك بعض روايات الطبري(٤) وابن أعثم(٥) والجهشياري(٦). ويعتقد الجومرد ـ اعتماداً على ما أورده المسعودي(٧) ـ أن إخبار يحيى البرمكي الرشيدَ بقِصَر عمر الهادي هي إشارة غير مباشرة على وجود مؤامرة يُدبِّرها في الخفاء لاغتياله وقُرب موعد تنفيذها، وأن

(١) مؤلِّف مجهول، العيون والحدائق، ج٣، ص٢٨٨. التنوخي، الفرج بعد الشدة، ج٣، ص٢١.

(٢) مؤلِّف مجهول، العيون والحدائق، ج٣، ص٢٨٨.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص٣٣٥.

(٤) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٢١٣. وانظر أيضاً: مؤلِّف مجهول، العيون والحدائق، ج٣، ص٢٨٩. الأزدي، تاريخ الموصل، ص٢٥٩.

(٥) ابن أعثم، الفتوح، ج٨، ص٤٠١.

(٦) الجهشياري، الوزراء والكتَّاب، ص١١٢.

(٧) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص١٩٢.

الرشيد لم يكن مطّلعاً على حقيقة تلك المؤامرة؛ لأنه كان محبوساً(١).

الاحتمال الثاني: أن صمت الرشيد جاء نتيجة علمه بالمؤامرة التي حِيكَتْ ضدّ أخيه الهادي بالتعاون بين والدته والبرامكة، وهي مؤامرة كانت تصبُّ في مصلحته، وصمته هذا يعني علمه بالمؤامرة ورضاه عنها.

الاحتمال الثالث: ما أشار إليه اليعقوبي وبعض روايات الطبري من أن هناك أخباراً تذكر أن الرشيد كان محبوساً، وأن الهادي كان ينوي قتله(٢)؛ أي إن الرشيد كان مهدَّداً في حياته من قبل أخيه، وهو ما يُفسِّر صمته ورضاه عما حصل.

إن الأخبار التي تقدِّمها المصادر لا تشير إلى ارتباط مباشر بين الرشيد وموت الهادي سوى ذلك الارتباط الزمني بين اليوم الذي تُوفِّي فيه الهادي واليوم الذي تولَّى فيه الرشيد الخلافة؛ فمعظم المصادر تشير إلى وجود كل من الهادي والرشيد في بغداد؛ إذ كان الهادي في ضاحية من ضواحي بغداد الشرقية تُعرف بـ(عيساباذ)(٣)، وكان الرشيد يقيم في قصر الخلد ببغداد أيضاً؛ مما مكَّنه من الصلاة على الهادي؛ لأن المسافة بين المكانين ليست بعيدة(٤). وقد اتَّفقت معظم المصادر على أن الرشيد بُويع في اليوم نفسه الذي تُوفِّي فيه الهادي، وهو منتصف ربيع الأول من

(١) عبدالجبار الجومرد، هارون الرشيد، ص١٠٨، ١١٦. كما أكد فخري الزبيدي تآمُر البرامكة على قتل الهادي. انظر: فخري الزبيدي، المُوجَز المُنتخَب، ص١٥.

(٢) اليعقوبي، التاريخ، ج٢، ص٤٠٦. الطبري، التاريخ، ج٨، ص٢٣٠. الأزدي، تاريخ الموصل، ص٢٦١. مؤلِّف مجهول، العيون والحدائق، ج٣، ص٢٨٧.

(٣) عيساباذ: لفظة (باذ) بالفارسية تعني (عمارة)؛ أي أن معناها (عمارة عيسى). وهي محلّة شرقيّ بغداد منسوبة إلى عيسى ابن المهدي. وقد بنى فيها المهدي قصر السلام الذي كان ينزل فيه، وضرب بها الدنانير والدراهم. كما استقرَّ بها الهادي أوَّل خلافته. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص١٧٢، ١٧٣. الطبري، التاريخ، ج٨، ص١٥٧، ١٦٢، ٢٢٨).

(٤) الدينوري، الأخبار الطوال، ص٣٥٣. المقدسي، البدء والتاريخ، ج٦، ص١٠١. الأزدي، تاريخ الموصل، ص٢٥٩. الطبري، التاريخ، ج٨، ص٢١٣. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٣، ص٢٢، ج١٤، ص٥، ٦. البلاذري، أنساب الأشراف، القسم الثالث، ص٢٧٨. مؤلِّف مجهول، العيون والحدائق، ج٣، ص٢٨٦.

عام (١٧٠هـ/ ٧٨٦م)، فاتفقت جميع المصادر على الشهر والسنة واختلفت في اليوم، كما أن بعضها لم يهتمّ بتحديد ذلك اليوم، وهو ما يوضّحه الجدول التالي:

المصدر	الإشارة إلى الوفاة أو البيعة	التاريخ	التوثيق
خليفة بن خياط	- تُوفّي الهادي يوم النصف من شهر ربيع الأول. - بُويع الرشيد في النصف من شهر ربيع الأول.	١٥ ١٥	التاريخ، ص٤٤٦، ٤٤٧.
ابن قتيبة	- تُوفّي الهادي يوم الجمعة لأربع عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول. - أفضت الخلافة إلى هارون في اليوم الذي تُوفّي فيه موسى.	١٥	المعارف، ص٣٨١.
اليعقوبي	- وَلِيَ هارون في اليوم الذي تُوفّي فيه أخوه موسى لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول.	١٤	التاريخ، ج٢، ص٤٠٧.
الطبري	- بُويع الرشيد ليلة الجمعة التي تُوفّي فيها أخوه موسى. - تُوفّي موسى ليلة الجمعة للنصف من شهر ربيع الأول. - هلك موسى لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول ليلة الجمعة. - تُوفّي موسى ليلة الجمعة لستة عشر يوماً من ربيع الأول. - تُوفّي موسى يوم السبت لعشر خلت من ربيع الأول.	١٥ ١٥ ١٤ ١٦ ١٠	التاريخ، ج٨، ص٢٣٠. التاريخ، ج٨، ص٢١٣. التاريخ، ج٨، ص٢١٣. التاريخ، ج٨، ص٢١٣. التاريخ، ج٨، ص٢١٣.
الأزدي	- مات الهادي ليلة الجمعة لست عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول. - بُويع الرشيد في ليلة الجمعة لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول.	١٦ ١٤	تاريخ الموصل، ص٢٥٩. تاريخ الموصل، ص٢٦١.
المسعودي	- بُويع الرشيد يوم الجمعة صبيحة الليلة التي مات فيها الهادي لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ربيع الأول.	١٨	مروج الذهب، ج٤، ص١٩٦.
ابن عبد ربّه	- تُوفّي الهادي ليلة الجمعة لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول. - بُويع هارون في يوم وفاة أخيه لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول.	١٤ ١٤	العقد الفريد، ج٥، ص١١٦، ١١٧.
مجهول	- مات موسى وولي هارون ليلة الجمعة لأربع عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول.	١٦	العيون والحدائق، ج٣، ص٢٨٩.
المقدسي	- بُويع هارون يوم تُوفّي الهادي.	—	البدء والتاريخ، ج٦، ص١٠١.
الخطيب البغدادي ابن الجوزي	- بُويع الرشيد في اليوم الذي تُوفّي فيه الهادي. - بُويع الرشيد في الليلة التي تُوفّي فيها أخوه الهادي في ليلة السبت لأربع عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول.	— ١٦	تاريخ بغداد، ج١٤، ص٦. المنتظم، ج٨، ص٣٢٠.

يُلحظ من الجدول اتّفاق معظم المؤرّخين على أن الحدَثَيْن (الوفاة والبيعة) ترافقا في منتصف شهر ربيع الأول؛ أي يوم (١٥) منه، علماً أن هذا الشهر من سنة (١٧٠هـ/ ٧٨٦م) كان ٣٠ يوماً[١]، وأيّد ذلك خليفة بن خياط وابن قتيبة وبعض رواة الطبري. كما يُلحظ أن المقدسي والخطيب البغدادي لم يشيرا إلى تاريخ ذلك اليوم. كما يُلاحظ أيضاً وقوع بعض المؤرّخين في الخطأ[٢].

وفيما يتعلّق بجانب اللهو في شخصية الرشيد في هذه الفترة المبكرة قبل تولّيه الخلافة، فقد قدّمت المصادر أخباراً ضئيلة جداً حول ذلك، فجاء الطبري برواية عن صالح بن سليمان تشير بشكل غير مباشر إلى اتّصال إبراهيم الموصلي بالرشيد ومنادمته إياه، واستدعاء الهادي يحيى البرمكي ليقوم بمنع الموصلي من منادمة الرشيد[٣]. ويورد الأصبهاني الخبر بصيغة أوضح مُبالِغاً في إدانة الرشيد؛ فقد ذكر في رواية إسحاق الموصلي أن الرشيد كان في خلافة أبيه مستهتراً بشرب النبيذ[٤].

ومن جانب آخر، تظهر لدى المؤرّخين صفات إيجابية لشخصية الرشيد تتمثّل في التديّن والالتزام بتعاليم الإسلام؛ فقد اشتهر الرشيد لدى الكثير من المؤرّخين

(١) بدأ هذا الشهر يوم الخميس وانتهى يوم الجمعة، فيكون العاشر منه يوم السبت، والرابع عشر يوم الأربعاء، والخامس عشر يوم الخميس، والسادس عشر يوم الجمعة، والسابع عشر يوم السبت، والثامن عشر يوم الأحد. انظر: محمد مختار باشا، التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية، ج١، ص٢٠٢.

(٢) أخطأ راوي الطبري هشام بن محمد، وكذلك ابن عبد ربّه، عندما جعلا يوم الرابع عشر من ربيع الأول يوافق ليلة الجمعة، والصواب أن الخامس عشر منه هو الذي يوافق هذه الليلة. كما أخطأ الأزدي أيضاً عندما أشار إلى جمعتين: الأولى توافق يوم الرابع عشر من ربيع الأول، والثانية توافق يوم السادس عشر منه. وأخطأ المسعودي أيضاً عندما جعل الثامن عشر من ربيع الأول يوافق يوم الجمعة، بينما الصواب أنه يوافق يوم الأحد. انظر: محمد مختار باشا، التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية، ج١، ص٢٠٢.

(٣) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٢٠٨.

(٤) الأصبهاني، الأغاني، ج٥، ص١٠٩. وانظر أيضاً: ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج٩، ص٣٢، ٣٣. النويري، نهاية الأرب، ج٤، ص٣٣١، ٣٣٢.

بأنه كان يحجُّ عاماً ويغزو عاماً، فهل انطبقت هذه الصفة على فترة ما قبل خلافته وهو في ريعان شبابه؟ إن إشارات المصادر التاريخية حول هذا الموضوع ـ على الرغم من وضوحها ـ قليلة ومحدودة؛ فمعظم المصادر تجمع على ذكر غزوتين وحجة واحدة قام بها جميعاً في خلافة أبيه المهدي. وتفاوتت المصادر في ذكر غزوتي الرشيد بين الإشارة إلى إحداها وإغفال الأخرى، وذكر كلا الغزوتين مع فارق في ذكر التفاصيل حولهما؛ فالبسوي ذكر غزوة واحدة للرشيد سنة (١٦٥هـ/ ٧٨١م) وصل فيها إلى خليج القسطنطينية، فهادن الروم بعد أن تعرَّض جيشه لجهد ومشقة[١]. ولم يكن البسوي هو الوحيد الذي أشار إلى غزوة واحدة، بل شاركه الجهشياري؛ فأشار إلى الغزوة التي حصلت سنة (١٦٣هـ/ ٧٧٩م)، كما أشار إلى دور عسكري مُختلَق لخالد وابنه يحيى البرمكي في الغزوة، وأورد مدحاً مُبالَغاً فيه لخالد[٢]. وتجدر الإشارة إلى أن كلاً من البسوي والجهشياري قدَّما معلومات ناقصة؛ لأن الرشيد غزا غزوتين حسب إجماع بقية المصادر.

إن معظم المؤرِّخين؛ مثل خليفة بن خياط[٣] واليعقوبي[٤] والبلاذري[٥]، أجمعوا على ذكر غزوتين للرشيد: الأولى سنة (١٦٣هـ/ ٧٧٩م)، والثانية سنة (١٦٥هـ/ ٧٨١م). وتفاوتت هذه المصادر في تقديم التفاصيل، واتَّفقت في عدم الإسناد؛ فخليفة اختصر، في حين أبرز اليعقوبي والبلاذري دور الرشيد الشخصي في المشاركة في هاتين الغزوتين، وأنه وصل في الثانية منهما إلى خليج القسطنطينية[٦]،

(١) البسوي، المعرفة والتاريخ، ج١، ص١٥٤.

(٢) الجهشياري، الوزراء والكتَّاب، ص٩٥، ٩٦.

(٣) خليفة بن خياط، التاريخ، ص٤٣٧، ٤٣٨.

(٤) اليعقوبي، التاريخ، ج٢، ص٣٩٦، ٤٠٢. ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٠، ص٢٢٢.

(٥) البلاذري، فتوح البلدان، ص١٧٢، ١٧٥.

(٦) اعتقد الجومرد استناداً إلى خبر اليعقوبي أن الرشيد وصل إلى القسطنطينية، وعدَّها المرة الرابعة التي تصل فيها قوة عربية إلى أسوارها. انظر: عبدالجبار الجومرد، هارون الرشيد، ص٨٥. وانظر أيضاً: فاروق عمر، الخلافة العباسية، ج٢، ص٣٢٨.

وقدّما تفاصيل أكثر عن حصار الرشيد للمدن والحصون؛ مثل حصن سمالو(١).

واستعرض الطبري هاتين الغزوتين، وجاء بتفصيلات جديدة مهمة لم يسبق لأحد من المؤرّخين الإشارة إليها، إضافةً إلى أنه قدّم عدة روايات عنهما معظمها مُسنَد؛ فاستند في روايةٍ إلى شاهد عيان، هو العباس بن محمد، أشار إلى خروج المهدي ومعه جماعة من أهل بيته لتوديع الرشيد في غزوة سنة (١٦٣هـ/ ٧٧٩م)(٢)، وأشار في رواية ثانية عن الهيثم بن عدي إلى أن المهدي أغزى هارونَ بلادَ الروم في تلك السنة، وضمّ إليه جماعة من القوّاد دون تقديم أية تفاصيل(٣). كما أشار في رواية ثالثة للوضاح بن حبيب ويحيى بن خالد البرمكي إلى اشتراك عدد كبير من القادة إلى جانب الرشيد، وظهر الرشيد في هذه الرواية في موقف فيه سخرية واستهزاء من قبل أقاربه(٤). وتُبرز هذه الرواية الدور الكبير الذي قام به خالد البرمكي في فتح حصن سمالو، ومديحاً مُبالَغاً فيه ليحيى البرمكي(٥)، ورداً جاء إضافةً رواها يحيى تتمةً للرواية، وهو منهج معروف لدى الطبري؛ إذ يعتمد على راوٍ للخبر، ثم يكمل بقية تفاصيله من مصدر آخر.

ويُلحظ في الرواية الأخيرة التي أوردها الطبري إغفال دور البرامكة، سواء خالد

---

(١) حصن في الثغر الشامي قرب المصيصة وطرسوس، سُمِّي دير قرب بغداد باسمه حين رُحِّل اهل هذا الحصن إلى بغداد وأُسكنوا ضاحية الشماسية. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٥١٦، ج٣، ص٤٢٣.

(٢) الطبري، التاريخ، ج٨، ص١٤٤. كما أشار إليها الأزدي في: تاريخ الموصل، ص٢٤٣.

(٣) الطبري، التاريخ، ج٨، ص١٤٥.

(٤) أشار التوحيدي والزمخشري والراغب الأصبهاني والسيوطي إلى أن الرشيد كان يلعب بالصوالجة دون الإشارة إلى أية غزوة، وأن يزيد بن مزيد نبّه الرشيد إلى أن عيسى بن موسى كان يهزأ به، وأن يزيد لا يريد أن يشارك عيسى في ذلك. التوحيدي، البصائر والذخائر، ج٣، ص٤٥، ٤٦. الزمخشري، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، ج١، ص٣٨١. الراغب الأصبهاني، محاضرات الأدباء، ج١، ص٢٣٩. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٤٦.

(٥) الطبري، التاريخ، ج٨، ص١٤٥-١٤٧.

أو يحيى، في مساعدة الرشيد، وأن المهدي خرج لتوديع الرشيد حتى بلغ نهر جيحان[1]. وأشارت الرواية كذلك إلى دور الرشيد الشخصي في حصار حصن سمالو، واستسلام أهله له[2].

ويثير الجومرد عدة تساؤلات مفيدة حول ما جاء في رواية الوضاح بن حبيب ويحيى بن خالد البرمكي لدى الطبري تعلّقت بأسباب إشراك المهدي للرشيد في الغزوة وعمره ١٦ عاماً مع اشتراك آل برمك جميعهم فيها[3]؛ إذ أعطتهم الرواية دوراً عسكرياً كبيراً لم يكن من مهمّاتهم المُتعارَف عليها، وهو ما يشير إلى دور واضح للتيّار المساند للبرامكة في تضخيم أعمالهم.

أما غزوة سنة (١٦٥هـ/ ٧٨١م) فقد أشار إليها الطبري وغيره من المؤرّخين دون اهتمام بالإسناد مع وجود تفاوت بسيط في التفاصيل؛ إذ قُدِّمت تفاصيل حول إسهامات الرشيد العسكرية، وأنه هو نفسه الذي افتتح منطقة ماجدة[4]. كما بالغت الرواية في أعداد الجنود والغنائم وقتلى الروم وأسراهم، وبالغت في الآثار الاقتصادية لتلك الغنائم. وقد أبدى الطبري شكوكه حول هذه المبالغات حين ذكرها بصيغة (فيما قيل)[5].

---

(١) هو نهر بالمصيصة في الثغر الشامي يصبُّ في بحر الشام. والمصيصة مدينة بين أنطاكية وبلاد الروم. انظر: المسعودي، التنبيه والإشراف، ص٥٨. ابن خرداذبه، المسالك والممالك، ص١١٧. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص١٩٦.

(٢) الطبري، التاريخ، ج٨، ص١٤٧، ١٤٨.

(٣) عبدالجبار الجومرد، هارون الرشيد، ص٧٦، ٧٨، ٧٩.

(٤) هي مطمورة من أعمال الروم مما يلي الثغور الشامية تقع على نحو عشرين ميلاً من قلعة لؤلؤة. انظر: المسعودي، التنبيه والإشراف، ص١٧٨. ابن خرداذبه، المسالك والممالك، ص١٠٨.

(٥) الطبري، التاريخ، ج٨، ص١٥٢، ١٥٣. وانظر أيضاً: مؤلّف مجهول، العيون والحدائق، ج٣، ص٢٧٨، ٢٧٩. الأزدي، تاريخ الموصل، ص٢٤٥. المقدسي، البدء والتأريخ، ج٦، ص٩٦. ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص٢٨١. ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص٦٦، ٦٧. ابن خلدون، التاريخ، ج٣، ص٢٦١.

وذكر ابن العبري (ت ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م) أخباراً جديدة تخصّ جانب الروم لم يوردها المؤرّخون المسلمون حول غزوة سنة (١٦٥هـ/ ٧٨١م)، فاهتمّ في كتابه (تاريخ الزمان) بإبراز أعمال الروم الدفاعية، وكيفية إفشالهم غزوة الرشيد، كما ركّز في ضعف الطرفين في هذه الغزوة، وما واجهه جيش الرشيد من المتاعب والمشاقّ، ومطالبة الرشيد بالصلح[١]. وفي كتابه الآخر (تاريخ مختصر الدول) أشار إلى عكس ذلك، وأن ريني[٢] هي التي طلبت الصلح خوفاً من الرشيد. كما يورد ابن العبري رأيه في ذلك فيقول: «ولو كانت ذات همّة لأمكنها منع المسلمين من الخروج والفتك بهم»[٣].

إن ما قدّمه ابن العبري يمثّل وجهة نظر الروم في مجريات أحداث تلك الغزوة ونتائجها والأسباب التي أدّت إلى عدم حسمها، وهو ما أغفلته المصادر الإسلامية وإن أشار بعضها إلى حصول الجهد والتعب في جيش المسلمين؛ مما أدّى إلى ذلك الصلح[٤].

(١) ابن العبري، تاريخ الزمان، ص١٢.

(٢) هي الملك السابع والثلاثون من ملوك الروم، وهي زوجة أليون بن قسطنطين، حكمت الروم هي وابنها قسطنطين، وهادنت المهدي والهادي. وقد سعت ريني إلى تنحية ابنها من مشاركتها في الحكم بعد أن أخذ ينابذ الرشيد ويهدّد عرشها، فدبّرت له حيلة جعلته يفقد بصره ليبقى العرش لها. وهادنت الرشيد، وحملت له الإتاوة، لكن الروم أعانوا نقفور على انتزاع العرش منها سنة (١٨٧هـ/ ٨٠٢م). انظر: المسعودي، التنبيه والإشراف، ص١٦٦، ١٦٧. مروج الذهب، ج٢، ص٥٥. ابن الأثير، الكامل، ج١٢، ص٣٣٦. وانظر ما قاله محمد بن ناصر الملحم من أن ريني نعتت نفسها بأنها إمبراطور وليست إمبراطورة. محمد بن ناصر الملحم، العلاقات السياسية بين الدولة العباسية والدولة البيزنطية في عهد الخليفة هارون الرشيد، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية، الرياض، مجلد ١٢، عدد ٢٠ صفر ١٤٢١هـ/ أيار (مايو) ٢٠٠٠م، ص١١.

(٣) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص١٢٦.

(٤) البسوي، المعرفة والتاريخ، ج١، ص١٥٤. الطبري، التاريخ، ج٨، ص١٥٢، ١٥٣. المقدسي، البدء والتاريخ، ج٦، ص٩٦.

وتشير المصادر إلى مرافقة الرشيد للمهدي في الحج وهو صغير؛ فالطبري يذكر أن ذلك حصل سنة (١٦٠هـ/ ٧٧٧م)(١)، ويرى صاحب (العيون والحدائق) أنه حصل سنة (١٥٨هـ/ ٧٧٥م)(٢). بينما لم يُشِرْ كلّ من اليعقوبي والمسعودي إلى حجّ الرشيد قبل الخلافة(٣).

شخصية هارون الرشيد بعد الخلافة

قدّمت المصادر معلومات واسعة حول شخصية الخليفة هارون الرشيد التي اقترنت بصفات متناقضة أحياناً، الأمر الذي أدّى إلى تقديم بعض الباحثين تفسيرات وتحليلات مختلفة حول شخصية الرشيد، فوصفوه بالازدواجية والانفعالية(٤). وتأتي هذه الدراسة لتكوين تصوُّرات عن شخصية الرشيد من خلال استقراء المصادر ومنهجيتها في تناول شخصيته، وهو ما لم تنجح فيه دراسة طيب الهبري التي سعت إلى تجميع صورة معيَّنة من مختلف المصادر حتى التي لا تتمتَّع بأي قيمة تاريخية؛ مثل (حكايات ألف ليلة وليلة)، وقدَّمت مقارنةً وربطاً غير منطقي بين شخصيتي الرشيد ويحيى البرمكي أو بين أولادهما(٥).

لقد قدَّمت المصادر وصفاً شمولياً مُختصَراً لشخصية الرشيد جمع معظم الأوصاف حسب وجهة نظر تلك المصادر، وأحياناً جاءت تلك الأوصاف بشكل غير مباشر من خلال الحديث عن الأحداث التي جرت في خلافته، وارتبط ذلك

(١) الطبري، التاريخ، ج٨، ص١٣٢، ١٣٣. وانظر أيضاً: ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص٢٣٨. ابن خلدون، التاريخ، ج٣، ص٢٥٦.

(٢) مؤلِّف مجهول، العيون والحدائق، ج٣، ص٢٧١، ٢٧٢. ويرى ابن الأثير أنها حصلت سنة (١٦١هـ/ ٧٧٨م). انظر: ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص٤٨.

(٣) اليعقوبي، التاريخ، ج٢، ص٣٦٥، ٣٦٦. المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص١٩٠.

(٤) أحمد أمين، هارون الرشيد، ص٣٦. شاكر مصطفى، دولة بني العباس، ص٤٠٠، ٤٠١.

(٥) انظر المقارنة التي عقدها الهبري بين شخصيتي الرشيد ويحيى البرمكي، وخرج منها بأن يحيى هو الأفضل؛ إذ تمتَّع بالحكمة والورع والاتّزان، بينما كان الرشيد عكس ذلك.
Tayeb EL Hibri, Harun Al Rashid, p40.

بالمنهج العام لكل مصدر، فمنها ما جاء ليؤرّخ للسنوات أو الموضوعات، ومنها ما جاء للتراجم وتواريخ المدن، ومنها الفقهي والأدبي.

تناولت المصادر في وصفها الشمولي المُختصَر للرشيد الجانب الإيجابي، فبالغت في جمع صفات التديُّن وبعض الصفات السياسية والثقافية والأدبية له. وانفرد الطبري من هذه الفئة من المصادر بإسناد معلوماته عن العباس بن محمد عن أبيه(١).

وقد أجمعت هذه الفئة على وصف الرشيد بأنه كان متديِّناً، يُصلّي في كل يوم مائة ركعة إلى أن فارق الدنيا، وأنه كان يتصدَّق من ماله الخاص في كل يوم بألف درهم، وأنه كان إذا حجَّ حجَّ معه مائة من الفقهاء وأبنائهم، وإذا لم يحجّ أنفق على حجّ ثلاثمائة رجل، وأنه كان يقتفي آثار المنصور إلا في بذل المال؛ فإنه كان من أبذل الخلفاء له، كما كان يحب الشعر والشعراء، ويحبّ المديح ويصل مادحيه، ويميل إلى أهل الأدب والفقه، ويكره المراء في الدين(٢).

وذكر آخرون وصفاً مقتضباً للرشيد، ولكنه لم يخرج عما سبق؛ فصاحب (الإمامة والسياسة) قدَّم أوصافاً إيجابية له، مهتماً بالتديُّن والجانب السياسي في شخصيته، فذكر أنه «كان معظِّماً للخير وأهله، ومحباً لله ورسوله»(٣). كما وصف سيرته في الخلافة بالحسنة، وأنه كان محكِماً لأمر الرعية؛ لأن الناس لم

(١) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٣٤٧.

(٢) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٣٤٧. ابن أعثم، الفتوح، ج٨، ص٤٣١. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٤، ص٦، ٧. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٧٣، ص٢٨٧، ٢٨٨. ابن ظافر الأزدي، أخبار الدول المنقطعة، ج٢، ص٣٢٠. ابن الطقطقا، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، ص١٩٣. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١٣، ص٤٢٣. سير أعلام النبلاء، ج٩، ص٢٨٧. النويري، نهاية الأرب، ج٢٢، ص١٦٣. ابن خلدون، التاريخ، ج٣، ص٢٧٥. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٤٥٣.

(٣) مؤلّف مجهول، الإمامة والسياسة، ج٢، ص١٧٣.

يختلفوا عليه، ولم يكرهه أحد، فكان من أميز أهل بيته، فلم يشبهه أحد من الخلفاء(١).

كما وصفه المسعودي في كتابه (التنبيه والإشراف) بكمال الأخلاق والسماحة والشجاعة وكثرة الحج والجهاد، لكنه انتقده في الفترة الأخيرة من خلافته، فوصفه بأنه «أفسد الصنائع، وأحبَّ جمع المال»(٢). ولم يتطرَّق المسعودي إلى ذلك في كتابه (مروج الذهب).

كما تجنَّبت بعض المصادر الإشارة إلى مثل هذا الوصف الشمولي المُختصَر للرشيد، وإن كان هذا لا يعني أنهم لم يتناولوا صفاته بصيغ أخرى؛ فقد ذكر الطبري قصة ابن أبي مريم المديني ـ أحد ندماء الرشيد ـ حين مزح مع الرشيد في أثناء صلاته، وهي قصة تدلّ على حرص الرشيد على الدِّين وعدم السماح لأيّ أحد مهما وصلت منزلته لديه أن يستخفَّ به(٣). كما أورد ابن قتيبة والخطيب البغدادي أخباراً تشير إلى اهتمام الرشيد بقرَّاء القرآن وقراءاتهم، فكان يسأل عن أفضل القرَّاء ويبدي إعجابه واهتمامه ببعضهم(٤). وجاء اهتمام ابن قتيبة والخطيب بالأخبار التي تعلَّقت بأصحاب القراءات نتيجة ثقافتيهما الفقهية واللغوية اللتين كانا يتمتَّعان بهما.

ومن الصفات التي اشتهر بها الرشيد: أنه كان يحجُّ عاماً ويغزو عاماً، وقد سبق أن أشارت الدراسة إلى تناول المؤرِّخين حج الرشيد وغزوَه قبل الخلافة؛ فقد غزا

(١) مؤلِّف مجهول، الإمامة والسياسة، ج٢، ١٥٣.

(٢) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص٣٤٦. وانظر أيضاً: ابن ظافر الأزدي، أخبار الدول المنقطعة، ج٢، ص٣١٨.

(٣) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٣٤٩. وانظر أيضاً: ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص٣٢٧. ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج٧، ص٣٢٠. الراغب الأصبهاني، محاضرات الأدباء، ج١، ص١٧٩. ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٠، ص٢٢٣.

(٤) ابن قتيبة، المعارف، ص٥٣٣. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٣، ص١٤٦، ج٩، ص٤١٨.

غزوتين وحجٌّ حجة واحدة. واستمر هذا السلوك لدى الرشيد بعد تولّيه الخلافة؛ مما دفع بعض المصادر، خصوصاً المتأخرة منها، إلى إطلاق صفة تعميمية على سلوك الرشيد، فذكر بعضهم أنه كان يحجُّ عاماً ويغزو عاماً. ويمكن القول: إن الجهشياري هو أوّل مَن عمّم مثل هذه الصفة على الرشيد من بين مؤلّفي القرنين الثالث والرابع الهجريين؛ فقد قال: «وكان الرشيد قد أحبَّ الغزو، وكان من رسمه أن يحجَّ سنةً ويغزو سنةً، وكان يلبس دُرَّاعة قد كُتب من خلفها حاجّ، ومن قُدَّامها غازٍ»(١). كما أطلق تلك الصفة الخطيب البغدادي، فذكر عن محمد بن أحمد بن البراء أن الرشيد «كان يحجُّ سنةً ويغزو سنةً»، وأورد أبيات شعر تصفه بذلك(٢).

وهذا لا يعني أن غيرهما لم يُشِرْ إلى ذلك؛ فقد ذكر اليعقوبي أنه «كان مُتابعاً للحج والغزو»(٣)، وذكر المسعودي أنه «كان مواظباً على الحج مُتابِعاً للغزو»(٤)، وأنه كان «كثير الحج والجهاد»(٥). ولكن اليعقوبي والمسعودي لم يعمّما بأنه يحجُّ أو يغزو كل سنة.

أما الطبري وابن أعثم والخطيب البغدادي، فقد تناولوا هذا الموضوع دون إسناد، فوصفوا كيفية حج الرشيد(٦)؛ فأشار الطبري عند تناوله فتح الرشيد مدينة هرقلة

(١) الجهشياري، الوزراء والكتّاب، ص١٣٢. ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص٣٢٥. ابن ظافر الأزدي، أخبار الدول المنقطعة، ج٢، ص٣١٨.

(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٤، ص٦. وانظر أيضاً: ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص٣٢٥. ابن ظافر الأزدي، أخبار الدول المنقطعة، ج٢، ص٣١٨. ابن الطقطقا، الفخري في الآداب السلطانية، ص١٩٣. الأربيلي، خلاصة الذهب المسبوك، ص١١٠. السيوطي، التاريخ، ص٤٥٢.

(٣) اليعقوبي، مشاكلة الناس لزمانهم، ص٣٦. وانظر أيضاً: الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١٣، ص٤٢٦.

(٤) المسعودي، مروج الذهب، ج٥، ص٢١٢.

(٥) المسعودي، التنبيه والإشراف ص٣٤٦. وانظر أيضاً: مؤلّف مجهول، العيون والحدائق، ج٣، ص٣١٨. ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٠، ص٢٢٢. السيوطي، التاريخ، ص٤٥٢.

(٦) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٣٤٧. ابن أعثم، الفتوح، ج٨، ص٤٣١. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٤، ص٦. ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٠، ص٢٢٢.

سنة (١٩٠هـ/ ٨٠٦م) إلى اتخاذ الرشيد قلنسوةً يلبسها مكتوباً عليها (غازٍ حاج)[١].

كما أورد المؤرخون عدد حجّات الرشيد بعدة أشكال وصيغ، منها ما أورده فئة من المؤرخين عند تأريخهم للسنوات؛ مثل: خليفة بن خياط، والبسوي، والطبري، فكانوا يذكرون في أحداث كل سنة مَن حجَّ فيها، سواء الرشيد أو غيره، وفئة أخرى جمع فيها المؤلف قائمةً بعدد الحجّات التي أدّاها كل خليفة، ومنها التي قام بها الرشيد، دون تفاصيل؛ مثل: محمد بن حبيب (ت ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م)[٢]، واليعقوبي[٣]، والمسعودي[٤].

كما تناول المؤرخون أداء الرشيد للحج بصيغتين: الأولى مختصرة، والثانية موسّعة. وتختلف هاتان الصيغتان من مؤرخ إلى آخر، ومن حجة إلى أخرى، وهو ما يوضّحه الجدول التالي الذي يبيّن المؤرخين الذين أشاروا فقط إلى أداء الرشيد الحج أو أولئك الذين فصلوا حوله فأوردوا معلومات إضافية.

---

(١) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٣٢١. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١٢، ص٤٤.

(٢) ابن حبيب، المحبر، ص٣٨.

(٣) اليعقوبي، التاريخ، ج٢، ص٤٣٠.

(٤) المسعودي، مروج الذهب، ج٥، ص٢٩٣، ٢٩٤.

الحجّة / المصدر	حجّة سنة (١٧٠هـ/ ٧٨٧م)	حجّة سنة (١٧٣هـ/ ٧٩٠م)	حجّة سنة (١٧٤هـ/ ٧٩١م)	حجّة سنة (١٧٥هـ/ ٧٩٢م)	حجّة سنة (١٧٧هـ/ ٧٩٤م)	حجّة سنة (١٧٩هـ/ ٧٩٦م)	حجّة سنة (١٨١هـ/ ٧٩٨م)	حجّة سنة (١٨٦هـ/ ٨٠٢م)	حجّة سنة (١٨٧هـ/ ٨٠٣م)	حجّة سنة (١٨٨هـ/ ٨٠٤م)
ابن حبيب، المحبر	ذكرها (ص٣٨)	ذكرها (ص٣٨)	ذكرها (ص٣٨)	ذكرها (ص٣٨)	ذكرها (ص٣٨)	ذكرها (ص٣٨)	ذكرها (ص٣٨)	ذكرها (ص٣٨)	ذكرها (ص٣٨)	ذكرها (ص٣٨)
خليفة بن خياط، التاريخ	ذكرها (ص٤٤٨)	ذكرها (ص٤٤٩)	ذكرها (ص٤٤٩)	ذكرها (ص٤٤٩)	ذكرها (ص٤٥٠)	ذكرها (ص٤٥١)	ذكرها (ص٤٥٦)	ذكرها (ص٤٥٧)	-	ذكرها (ص٤٥٨)
البسوي، المعرفة	ذكرها (ج١، ص١٦١)	فصّل (ج١، ص١٦٣)	فصّل (ج١، ص١٦٥)	ذكرها (ج١، ص١٦٦)	ذكرها (ج١، ص١٦٨، ١٦٩)	ذكرها (ج١، ص١٧٠)	ذكرها (ج١، ص١٧١)	ذكرها (ج١، ص١٧٨)	-	ذكرها (ج١، ص١٧٩)
اليعقوبي، التاريخ	ذكرها (ج٢، ص٤٣٠)، وفصّل (ص٤٠٧)	ذكرها (ج٢، ص٤٣٠)	ذكرها (ج٢، ص٤٣٠)	ذكرها (ج٢، ص٤٣٠)	ذكرها (ج٢، ص٤٣٠)	ذكرها (ج٢، ص٤٣٠)	ذكرها (ج٢، ص٤٣٠)	ذكرها (ج٢، ص٤٣٠)	-	ذكرها (ج٢، ص٤٣٠)
الدينوري، الأخبار	فصّل (ص٣٨٧)	-	فصّل (ص٣٨٧)	-	-	-	فصّل (ص٣٩٠)	فصّل (ص٣٩٠)	-	ذكرها (ص٣٩١)
ابن قتيبة، المعارف	-	-	-	-	-	-	-	أشار إلى ٦ حجّات (ص١٤٢، ٣٨١)	-	-
الطبري، التاريخ	فصّل (ج٨، ص٢٣٤)	ذكرها (ج٨، ص٢٣٨)	فصّل (ج٨، ص٢٣٩)	ذكرها (ج٨، ص٢٤١)	ذكرها (ج٨، ص٢٥٥)	-	فصّل (ج٨، ص٢٦٨)	فصّل (ج٨، ص٢٧٥)	-	فصّل (ج٨، ص٣١٣)
المسعودي، مروج الذهب، والتنبيه	ذكرها (ج٥، ص٢٩٤)	ذكرها (ج٥، ص٢٩٤)	ذكرها (ج٥، ص٢٩٤)	-	ذكرها (ج٥، ص٢٩٤)، وأنها كانت سنة (١٧٦هـ/ ٧٩٣م)	ذكرها (ج٥، ص٢٩٣)، وأنها كانت سنة (١٧٨هـ/ ٧٩٥م)	ذكرها (ج٥، ص٢٩٤)	ذكرها (ج٥، ص٢٩٤)، كما ذكر ٨ حجّات في (التنبيه) (ص٣٤٦)	-	ذكرها (ج٥، ص٢٠٣، ٢٩٥)
ابن الجوزي، المنتظم	فصّل (ج٨، ص٣٣١)	ذكرها (ج٨، ص٣٤٥)	فصّل (ج٩، ص٣)	ذكرها (ج٩، ص١١)	ذكرها (ج٩، ص٢٩)	-	فصّل (ج٩، ص٥٧)	فصّل (ج٩، ص١١٠)	-	فصّل (ج٩، ص١٥٥)

يُلحظ من الجدول أن الرشيد حجَّ حجةً واحدةً بعد حجِّه سنة (١٨٧هـ/ ٨٠٣م)، وهو ما قد يشير إلى تقلُّص تحرُّكاته، وربما ارتبط ذلك بنتائج نكبة البرامكة. بينما لا ينطبق هذا الوصف على غزواته وحروبه التي زادت بعد هذه السنة كما سيتَّضح فيما بعدُ.

أورد المؤرِّخون تفاصيلَ متباينة حول عدد مرَّات الحج جاءت جميعها دون إسناد؛ فقد انفرد كلٌّ من الدينوري واليعقوبي والطبري بذكر تفاصيل تتعلَّق بإنفاق الرشيد الأموال على أهل الحرمين في حجِّه سنة (١٧٠هـ/ ٧٨٧م)[١]، وانفرد الطبري عنهما بذكر معلومة غير مؤكَّدة بصيغة (وقد قيل)، وهي أن الرشيد حجَّ في هذه السنة وغزا فيها[٢]. وهو أمر مُبالَغ فيه؛ لأن احتمال قيام الرشيد بالغزو والحج في أول سنة تولَّى فيها الحكم أمر غير ممكن؛ لكونه في حاجة إلى الوقت لتثبيت حكمه. كما أن الطبري نفسه أشار إلى غزو سليمان بن عبدالله البكائي الصائفة في تلك السنة[٣].

أما حجة سنة (١٨٦هـ/ ٨٠٢م) فقد انفرد بذكرها ابن قتيبة وعدَّها آخرَ حجَّة حجَّها الرشيد[٤]. ولم يختلف أحد من المؤرِّخين في أن هذه الحجة هي التي كتب فيها الرشيد العهود بين أولاده بعد أن عهد إليهم بولاية العهد[٥]. لكن اليعقوبي

(١) الدينوري، الأخبار الطوال، ص٣٥٤. اليعقوبي، التاريخ، ج٢، ص٤٠٧. الطبري، التاريخ، ج٨، ص٢٣٤. ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص١٠٩.

(٢) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٢٣٤. وانظر أيضاً: ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص٣٢٥. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٤٦٤.

(٣) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٢٣٤.

(٤) ابن قتيبة، المعارف، ص٣٨١.

(٥) خليفة بن خياط، التاريخ، ص٤٥٧. اليعقوبي، التاريخ، ج٢، ص٤١٥. الطبري، التاريخ، ج٨، ص٢٨٨ وما بعدها. المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٢١٤. ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص١٧٣. المقدسي، البدء والتاريخ، ج٦، ص١٠٦. ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٠، ص٢٠٢.

والمسعودي عداًّ حجة سنة (١٨٨هـ/ ٨٠٤م) هي آخر حجّة حجّها الرشيد، وأن الرشيد آخر مَن حجَّ من خلفاء بني العباس، وأنه لم يحج بعده خليفة[١]. وعلى الرغم من أن الطبري أورد ذلك أيضاً إلا أنه أبدى رأيه فشكّك في راوي هذا الخبر حين قال: «وهي آخر حجّة حجّها الرشيد فيما زعم الواقدي وغيره»[٢].

وتورد بعض كتب التراجم والأدب؛ مثل: ابن سعد (ت ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م)[٣]، والأصبهاني[٤]، وابن عساكر (ت ٥٧١هـ/ ١١٧٥م)[٥]، أخباراً أخرى مرتبطة بحج الرشيد، وتفاصيل حول بعض المواقف والأحداث التي تعرّض لها في أثناء أدائه مناسك الحج، ولكن هذه الأخبار غير موثّقة زمنياً؛ أي لا يُعرف في أي حجّة كانت، ويبدو أن هذه الأخبار هدفت إلى تقديم صورة إيجابية حول سلوك الرشيد وأخلاقه في الحج.

واهتمّت بعض المصادر الأدبية؛ مثل: الجاحظ، والمبرد، والتوحيدي (ت ٤١٤هـ/ ١٠٢٣م) بتقديم أوصاف مُبالَغ فيها مرتبطة بسلوك الرشيد في أثناء أدائه مناسك الحج؛ مثل تأزُّره ومشيته، فوُصف من خلالها بالهيبة والجلالة حتى إنه

---

(١) اليعقوبي، التاريخ، ج٢، ص٤٣٠. المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٢٠٣.

(٢) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٣١٣. كما أشار إلى هذه الحجة كلٌّ من: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٧٣، ص٢٨٨. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١٢، ص٢٠. سير أعلام النبلاء، ج٩، ص٢٩٢. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٢، ص١٥٢.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ج٥، ص٤٢٥-٤٢٧. وأشار إلى التقاء الرشيد مع الواقدي في المدينة، وأن الواقدي دلّ الرشيد على قبور الشهداء وجميع المواضع والمشاهد. وانظر أيضاً: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٥٤، ص٤٦٠-٤٦٣. محمد رجب البيومي، هارون الرشيد، ص١٢٥-١٢٧.

(٤) الأصبهاني، الأغاني، ج١٦، ص٤٤٠، ٤٤١. وأورد قصة رجلَيْن اعترضا الرشيد في طريقه إلى الحج فشكيا إليه حالتهما وضعفهما وطلبا منه صلته، فوصلهما.

(٥) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٧٣، ص٣٦. الزمخشري، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، ج٢، ص٦٥٣. ابن الجوزي، الأذكياء، ص٢٤١. الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، ج٢، ص٢٩٣. وأوردوا قصة امرأة تعرّضت للرشيد وهو في طريقه إلى الحج فشكت ضعف حالها، فأمر بصلتها.

ليفتن مَن يراه، وأوردوا في ذلك أشعاراً لم ينسبوها إلى أحد سوى الجاحظ[١].

كما استغلَّ بعض المؤرِّخين شهرة الرشيد بكثرة الحج، فوجدها فرصةً مناسبةً لإيراد معلومات مُبالَغ فيها تحمل صوراً متناقضة للرشيد في آنٍ واحد؛ فقد أورد صاحب (الإمامة والسياسة) قصة طويلة حول حجّ الرشيد ماشياً رواها عمرو بن مسعدة وزير الرشيد المزعوم؛ إذ لم يُعرف لدى المؤرِّخين المتقدِّمين أو المتأخِّرين أن الرشيد استوزر وزيراً بهذا الاسم. كما أنه ذكر أن هذه الحجة كانت سنة (١٨٠هـ/ ٧٩٧م)[٢]، ولكن من خلال ما سبق استعراضه من حجَّات الرشيد لم يَرِدْ أي ذكر لحجةٍ قام بها سنة ١٨٠هـ[٣].

إن تفاصيل هذه القصة فيها الكثير من المبالغة وعدم الدقة؛ فالراوي يذكر سببين دفعا الرشيد إلى الحج ماشياً: أولهما يرتبط بحلفه يميناً بالمشي إلى الكعبة، والثاني يرتبط بزوجته زبيدة التي أرادت معاقبته دون توضيح أسباب ذلك. إن ربط أحد سببَيْ هذه الحجة بزبيدة يهدف إلى إظهار الخليفة في صورة مَن تُسيِّر أمورَه النساء، وفي الوقت نفسه يظهر السبب الآخر حرص الرشيد على تطبيق الدِّين من خلال عدم نكثه يمينه. كما تبدو المبالغة في هذه القصة في وصف ما قام به وزير الرشيد من تمهيد طريق الحج في زمن قياسي[٤]، كما أنها عكست حالة البذخ

(١) الجاحظ، البيان والتبيين، ج١، ص١٢٦. المبرد، الكامل، ج٢، ص١٦٣. التوحيدي، البصائر والذخائر، ج٦، ص٣٨. الزمخشري، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، ج٢، ص٥٧٤. ونسب الجاحظ هذه الأشعار إلى الشاعر العماني محمد بن ذؤيب، لكنه لم يذكر المناسبة التي قيلت فيها.

(٢) مؤلِّف مجهول، الإمامة والسياسة، ج٢، ص١٦١.

(٣) انظر الجدول المرفق لحجَّات الرشيد، ص ١١٦.

(٤) مؤلِّف مجهول، الإمامة والسياسة، ج٢، ص١٦١، ١٦٢. وقد وصف كيف تمكَّن الوزير من تمهيد طريق حجّ الرشيد، وتغيير مسار الانهار وجعلها بمحاذاته بعد أن سوَّى الجبال وردم الخنادق والأودية، حتى أصبحت الطريق مستوية لا يشوبها أي عائق، وكلّ ذلك في سنة واحدة. وذكر تفاصيل دقيقة بأسلوب قصصي عن كيفية مسيره وطعامه ومقامه بملازمة زوجته زبيدة في الدُّور والقصور التي بُنيت على هذا الطريق، ومرافقة القادة وأعيان الدولة له.

التي كان ينعم بها الرشيد، فهذا البذخ في قصر من القصور على طريق الحج. فما بالك بقصور بغداد والرافقة؟!

كما ربطت بعض المصادر حجّ الرشيد ماشياً بزواجه من أمة العزيز أم ولد أخيه موسى الهادي؛ إذ ذكرت بعض المصادر أن الرشيد كان قد حلف لأخيه الهادي أن لا يتزوج أمته تلك بعد وفاته، وأنه إذا فعل ذلك وجب عليه الحج ماشياً(١). وذلك أمر مُستبعَد؛ لأن هناك فارقاً زمنياً كبيراً بين القصتين؛ فزواج الرشيد من أمة العزيز كان في أول خلافته سنة (١٧٠هـ/ ٧٨٦م)(٢)، بينما كانت حجته هذه التي مشى فيها ـ كما يذكر صاحب (الإمامة والسياسة) ـ سنة (١٨٠هـ/ ٧٩٧م)؛ أي أن الفارق بينهما عشر سنوات.

وعلى الرغم من انفراد صاحب (الإمامة والسياسة) بتقديم هذه القصة المفصَّلة إلا أن الدراسة لم تجد لدى المتأخرين نقداً لِما قدَّمه حول هذه الحجة أو أية ملاحظة حول تلك المبالغات أو حتى تأييدها، سوى ما أشار إليه باختصار شديد ابن عبد ربِّه وابن الطقطقا من تأييدٍ لِما جاء به صاحب (الإمامة والسياسة)، ولعل هذا ناتج عن نقلهما عنه(٣). كما ذكر المسعودي أن الرشيد حجَّ مع أبي العتاهية في بعض

---

(١) ابن أعثم، الفتوح، ج٨، ص٤٠١. ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص٣٤٩. الأربيلي، خلاصة الذهب المسبوك، ص١١٧، ١١٨. الأتليدي، إعلام الناس، ص١٤٥-١٤٧.

(٢) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٣٥٩. ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص٣١٨-٣٢٠. ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص٢١٦، ٢١٧. الأربيلي، خلاصة الذهب المسبوك، ص١٠٧.

(٣) ابن عبد ربِّه، العقد الفريد، ج٦، ص٢٨٨. ابن الطقطقا، الفخري في الآداب السلطانية، ص١٩٣. وذكر ابن تغري بردي أن الرشيد حجَّ ماشياً سنة (١٧٠هـ/ ٧٨٧م) على اللُّبود الذي بُسط له على عدة مراحل، وذلك نتيجة وصية النبي ﷺ للرشيد في منامه، إضافةً إلى تكفيره عن يمينه لزواجه من غادر أم ولد أخيه الهادي التي تزوَّجها بعد وفاته. انظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٢، ص٦٥، ٧٣. ورأى سعدي ضناوي أن هذه القصة كانت مجالاً واسعاً للمبالغة وأسطورةً عُملت لصالح الرشيد. انظر: سعدي ضناوي، موسوعة هارون الرشيد، ج٢، ص٤٦٣، ٤٦٤.

حجَّاته، فنزل الرشيد عن راحلته ومشى ساعةً إلى أن تعب، فاستراح في ظل تلّة ثم أكمل مسيره(١). ولعل هذا الاحتمال هو الأكثر قبولاً لمشي الرشيد إلى الحج.

وإلى جانب اهتمام المصادر بحج الرشيد فقد ظهر اهتمامها أيضاً بغزواته، إضافةً إلى موضوعات أخرى ارتبطت بأعماله الجهادية؛ مثل: اهتمامه بالحصون والثغور إدارياً وعسكرياً، والعلاقات السلمية مع أعداء الدولة. فقد اهتمت بعض المصادر الفقهية وكتب التراجم؛ مثل: أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم (ت ١٨٣هـ/ ٧٩٩م)، والخطيب البغدادي، بإيراد أخبار تتضمن حبّ الرشيد للجهاد والغزو في سبيل الله اقتداءً بسيرة الرسول ﷺ(٢).

لقد أجمعت معظم المصادر على أن الرشيد غزا في خلافته ثلاث غزوات قادها بنفسه: الأولى سنة (١٨١هـ/ ٧٩٧م)، والثانية سنة (١٨٧هـ/ ٨٠٣م)، والثالثة سنة (١٩٠هـ/ ٨٠٦م). وخالف المسعودي هذا الإجماع عندما أشار في كتابه (التنبيه والإشراف) إلى أن الرشيد غزا ثماني غزوات، فقال: «حجَّ الرشيد في خلافته ثماني حجَّات، وغزا ثماني غزوات»(٣)، لكنه أشار في (مروج الذهب) إلى غزوتَيْ سنتَيْ (١٨٧هـ/ ٨٠٣م) و(١٩٠هـ/ ٨٠٦م)(٤).

ولو افترضنا أن المسعودي يقصد خروج ثماني غزوات في عهد الرشيد فهذا غير دقيق أيضاً؛ لأن معظم المؤرّخين أشاروا إلى خروج أكثر من هذا العدد، بل أحصى

---

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٣٣٤.

(٢) ابو يوسف يعقوب بن إبراهيم، الخراج، ص٦. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٤، ص٧. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٧٣، ص٢٨٨. ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص٣٢٣، ٣٢٤. الأربيلي، خلاصة الذهب المسبوك، ص١٠٩، ١١٠. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٩، ص٢٨٨. السيوطي، التاريخ، ص٤٥٤.

(٣) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص٣٤٦. مؤلّف مجهول، العيون والحدائق، ج٣، ص٣١٨.

(٤) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٥٥-٦٣.

بعضهم الغزوات في عهد الرشيد فبلغت أضعاف هذا العدد الذي أشار إليه المسعودي(١).

أولى الغزوات التي قادها الرشيد كانت غزوة سنة (١٨١هـ/ ٧٩٧م)، وأشار إليها كلٌّ من اليعقوبي والطبري والأزدي وابن الجوزي، فقدَّموا معلوماتٍ متفاوتةً عنها دون إسناد؛ فاليعقوبي أشار إليها إشارةً مختصرةً جداً ضمن قائمته للغزوات التي حصلت في عهد الرشيد(٢)، كما انفرد الطبري بإيراد قصيدة طويلة لمروان ابن أبي حفصة مكوَّنة من اثنين وعشرين بيتاً يمدح فيها الرشيد بمناسبة فتح حصن الصفصاف(٣).

أما غزوة سنة (١٨٧هـ/ ٨٠٣م) فكانت من أشهر الغزوات؛ لذا أشار إليها العديد من المؤرِّخين، لكن معظمهم لم يسند معلوماته؛ فاليعقوبي لم يُشِرْ إلى أن الرشيد خرج في هذه السنة (١٨٧هـ/ ٨٠٣م)، بل أشار إلى خروج القاسم بن الرشيد وعبدالملك بن صالح وغيرهما في هذه الغزوة(٤).

ومن المُستغرَب عدم إيراد اليعقوبي هذه الغزوة ضمن غزوات الرشيد؛ لأنها من الغزوات المشهورة، وكانت نتيجةً لاستفزاز ملك الروم نقفور للرشيد بكتابٍ أرسله إليه وردّ الرشيد عليه، فلاقت تلك الغزوة اهتماماً كبيراً من قِبَل مؤرِّخين آخرين.

---

(١) أشار اليعقوبي إلى ما يزيد على ٢٠ غزوة حصلت في خلافة الرشيد. انظر: اليعقوبي، التاريخ، ج٢، ص٤٣١.

(٢) اليعقوبي، التاريخ، ج٢، ص٤٣١.

(٣) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٢٦٨، ٣٤٧-٣٤٩. الأزدي، تاريخ الموصل، ص٢٩٠. ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص٥٧. الأربيلي، خلاصة الذهب المسبوك، ص١٢٦. ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٣١٥. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١٢، ص٦، ٣٨. سير أعلام النبلاء، ج٢، ص٢٩٢. ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٠، ص١٨٣. والصفصاف كورة من ثغور المصيصة. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٤١٣.

(٤) اليعقوبي، التاريخ، ج٢، ص٤٣١.

وقد أشار إلى هذه الغزوة العديد من المصادر؛ مثل: الطبري(١)، والجهشياري(٢)، والمسعودي(٣)، والأصبهاني(٤)، وابن العبري(٥)، وغيرهم(٦). وتفاوتت هذه المصادر في تناولها هذه الغزوة، فجميعهم لم يسندوا أخبارهم عدا الأصبهاني الذي أسند أخباره إلى المبرد. ومن حيث التفاصيل، قدَّم الطبري والمسعودي والأصبهاني تفاصيل دقيقة لأحداث هذه الغزوة، بينما أشار إليها الجهشياري باختصار. أما عن الرسالتين(٧) اللتين كانتا بين الرشيد ونقفور، فقد أورد كلٌ من الطبري والأصبهاني وابن العبري نصَّيْهما مع اختلاف واضح جاء عند ابن العبري؛ إذ لم يذكر الشتيمة التي وجَّهها الرشيد إلى نقفور، وهي (كلب الروم)، بل ذكر وصفاً آخر هو (زعيم الروم)(٨)، ولعل هذا ناتج عن ميل ابن

---

(١) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٣٠٧، ٣٠٨.

(٢) الجهشياري، الوزراء والكتَّاب، ص١٣٢، ١٣٣.

(٣) المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص٥٥، ٥٦.

(٤) الأصبهاني، الأغاني، ج١٨، ص٤١٥، ٤١٦.

(٥) ابن العبري، تاريخ الزمان، ص١٤-١٦. تاريخ مختصر الدول، ص١٢٩.

(٦) مؤلِّف مجهول، العيون والحدائق، ج٣، ص٣٠٩، ٣١٠. العسكري، الأوائل، ج١، ص٣٨٣، ٣٨٤. ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص١٣٨. ابن العديم، بغية الطلب، ج٤، ص١٧٧٣-١٧٧٥. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١٢، ص٣٣، ٣٤. ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٠، ص٢٠١. النويري، نهاية الأرب، ج٢٢، ص١٤٩، ١٥٠. ابن خلدون، التاريخ، ج٣، ص٢٧٦. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٦، ص٤٤٦. السيوطي، التاريخ، ص٤٥٨-٤٦٠. ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٣٣٦.

(٧) يؤكِّد مضمون رسالة نقفور ومطالبته باسترداد المبالغ التي دفعها الروم إلى المسلمين أن دولته كانت تعاني من أزمة اقتصادية، وأن وظيفة نقفور السابقة بوصفه مسؤولاً عن مالية الدولة قد أثَّرت في سياسة الإمبراطورية التي تركزت في إصلاح الاقتصاد المالي للبلاد. انظر: محمد بن ناصر الملحم، العلاقات السياسية بين الدولة العباسية والدولة البيزنطية في عهد الخليفة هارون الرشيد، ص١٤.

(٨) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص١٢٩.

العبري إلى الروم. كما أشار المسعودي إلى وجود هاتين الرسالتين، لكنه لم يورد نصَّيْها. أما الجهشياري فلم يُشِرْ إليهما.

واهتمَّت معظم هذه المصادر، خصوصاً الطبري، بإبراز دور الرشيد الشخصي في هذه المعركة؛ إذ لم يبرز إلى جانبه في تولِّي قيادة الغزوة أو القيام بالأعمال الحربية أحد من قادته العسكريين(١).

أما عن البرامكة، فلم يظهروا لدى الطبري والمسعودي؛ لأنهم كانوا قد نُكِبُوا(٢)، بينما ظهروا عند الجهشياري والأصبهاني، فعند الأول يُلاحظ وجود دور استشاري ليحيى البرمكي في اقتراحه على الرشيد الصلح مع نقفور، وعند الثاني ظهر يحيى البرمكي ليخبر الرشيد بنقض نقفور الصلح الذي عقده معه.

كما اختلف المؤرِّخون حول فتح مدينة هرقلة(٣) في هذه الغزوة؛ فلم يُشِر الطبري إلى فتحها، وإنما قال: و«سار حتى أناخ بباب هرقلة ... فكرٌ راجعاً في أشدّ محنة وأغلظ كُلفة حتى أناخ بفنائه»، بينما أشار الجهشياري والمسعودي والأصبهاني إلى فتح الرشيد هرقلة في هذه الغزوة، وهذا يدلُّ على عدم دقَّتهما؛

(١) يرى سعدي ضناوي أن الأعمال المنسوبة إلى الرشيد في هذه الغزوة هي أعمال جنده، لكن الرواية دمجت شخصيته في شخصية الجماعة؛ نتيجة الحكم الفردي الذي يستأثر فيه الحاكم بكل شيء. انظر: سعدي ضناوي، موسوعة هارون الرشيد، ج٢، ص٣٦٣، ٣٦٤.

(٢) تؤيِّد الدراسة ما قدَّمه سعدي ضناوي من أن شخصية الرشيد الأسطورية تكوَّنت من ردَّة فعله على النكبة ومن أمجاد الحروب والانتصارات؛ إذ أصبح عليه بعد نكبة البرامكة أن يقوم بأعمال جليلة تحفظ له الصورة المجيدة التي بدا عليها أيام البرامكة، فكانت حروبه وغزواته، وأنه جسَّد في هذه المرحلة دور الأب الديني الذي يحمي الإسلام من المشركين؛ ليثبت أنه ما زال الرشيد الموفَّق بتأييد من الله، ولكي يُذهب خوف الكثيرين من زوال عزّ الدولة بعد غياب البرامكة. انظر: سعدي ضناوي، موسوعة هارون الرشيد، ج٣، ص٧٠٣-٧٠٤.

(٣) مدينة ببلاد الروم سُمِّيت بهرقلة بنت الروم بن اليغز بن سام بن نوح عليه السلام، غزاها الرشيد بنفسه ثم افتتحها عنوةً بعد حصار وحرب شديدة. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٣٩٨، ٣٩٩.

لأنهما عدَّا فتحها امتداداً لغزوة سنة (١٨٧هـ/ ٨٠٣م) التي استمرَّت ثلاث سنوات (١٨٧هـ-١٩٠هـ/ ٨٠٣-٨٠٦م)، فأورد المسعودي أنه حين أُخبر الرشيد بنقض ملك الروم العهد «تجهَّز وغزاه، فنزل على هرقلة في سنة تسعين ومائة»(١)، وهو أمر مُستغرَب من المسعودي والأصبهاني؛ لأن فتح هرقلة كان في غزوة سنة (١٩٠هـ/ ٨٠٦م)، ولا يمكن أن تستمرَّ غزوة الرشيد كلَّ هذه المدَّة.

كما انفرد الطبري والمسعودي بالإشارة إلى مُبادَلة الأسرى المسلمين سنة (١٨٩هـ/ ٨٠٥م) بعد نهاية الغزوات بين المسلمين والروم؛ فذكر الطبري أن من أحداث هذه السنة حصول الفداء بين المسلمين والروم(٢)، وانفرد المسعودي بتقديم تفاصيل دقيقة ومهمة عن ذلك، فذكر أعداد أسرى المسلمين، والكيفية التي تمَّت بها عملية المبادلة(٣).

واختلف المؤرِّخون في تناولهم غزوة سنة (١٩٠هـ/ ٨٠٦م)؛ فأشار إليها باختصار شديد دون إسنادٍ كلٌّ من خليفة بن خياط وابن قتيبة والدينوري واليعقوبي، وذكروا أن الرشيد فتح فيها مدينة هرقلة(٤)، بينما ذكر خليفة بن خياط أن الرشيد غزا بلاد الروم في هذه السنة دون الإشارة إلى فتحه مدينة هرقلة(٥).

كما أورد كلٌّ من البلاذري والصولي معلومات مُسنَدة عن هذه الغزوة، فأشارا إلى خروج الرشيد إلى غزو الروم سنة (١٩٠هـ/ ٨٠٦م)، لكنهما لم يُشيرا إلى فتحه مدينة هرقلة، وقد اعتمد البلاذري في ذلك على مَن يثق فيه، بينما اعتمد

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص٥٦.

(٢) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٣١٨. وانظر أيضاً: ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص١٦٣.

(٣) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص١٨٩، ١٩٠، ١٩٥.

(٤) ابن قتيبة، المعارف، ص٣٨٢. الدينوري، الأخبار الطوال، ص٣٥٨. اليعقوبي، التاريخ، ج٢، ص٤٢٨، ٤٣١.

(٥) خليفة بن خياط، التاريخ، ص٤٥٩. وقد أشار ابن عساكر إلى هذه الغزوة باختصار عند ترجمته للرشيد. انظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٧٣، ص٢٨٩.

الصولي على عمر بن شبة الذي أورد أبيات شعر فيها نقد للعباسيين[١] . وتجدر هنا الإشارة إلى أن البلاذري أورد معلومات مُوجَزة عن الرشيد؛ لأنه توقَّف في كتابه (أنساب الأشراف) عند هذه الفترة[٢]، إلا أنه في (الفتوح) اهتمَّ بأعمال الرشيد الإدارية وفتوحاته في منطقة الثغور كما سيرد لاحقاً.

وقدَّم مجموعة أخرى من المؤرِّخين؛ مثل: الطبري[٣]، وابن عبد ربِّه[٤]، والمسعودي[٥]، والأصبهاني[٦]، وابن العديم[٧]، وغيرهم[٨]، أخباراً مُفصَّلة عن هذه الغزوة. وتفاوتت هذه المصادر في تقديمها تلك الأخبار، فيُلحظ أنهم جميعاً أسندوا أخبارهم إلا الطبري؛ فابن عبد ربِّه أسند أخباره إلى علي بن داود، بينما أسند المسعودي أخباره إلى شهود عيان، هم جماعة من أهل الخبرة من أهل الثغور وشبل ترجمان الرشيد، أما الأصبهاني فاعتمد على محمد بن يزيد المبرد وشهود عيان من مشايخ المطوِّعة وملازمي الثغور، كما اعتمد ابن العديم على شاهد عيان من أهل المصيصة هو عثمان بن زياد المصيصي الذي رافق الرشيد في تلك الغزوة، إضافةً إلى كتاب (النسب) لهارون بن محمد بن إسحاق الهاشمي.

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، القسم الثالث، ص٢٧٦. الصولي، أشعار أولاد الخلفاء، ص١٥، ١٦.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، القسم الثالث، ص٢٧٨ وما بعدها.

(٣) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٣٢٠-٣٢٢.

(٤) ابن عبد ربِّه، العقد الفريد، ج٣، ص٢١١.

(٥) المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص٥٦-٦٢.

(٦) الأصبهاني، الأغاني، ج١٨، ص٤١٦.

(٧) ابن العديم، بغية الطلب، ج٩، ص٤١٧٧-٤١٧٩، ج١٠، ص٤٦٧٤.

(٨) الأزدي، تاريخ الموصل، ص٣٠٨، ٣٠٩. مؤلِّف مجهول، العيون والحدائق، ج٣، ص٣١٢. ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص١٩٦. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١٢، ص٤٣-٤٥. النويري، نهاية الأرب، ج٢٢، ص١٥١-١٥٣. ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٠، ص٢٠٣. ابن خلدون، التاريخ، ج٣، ص٢٢٦. القلقشندي، صبح الأعشى، ج١، ص١٩٥. ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج٣، ص١٣٣. ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص١٨١.

لقد كان لاعتماد المسعودي والأصبهاني وابن العديم على مثل هذه المصادر أثره في مضمون أخبارهم، فيُلحظ إبراز المسعودي وابن العديم دور أهل الثغور في هذه الغزوة حتى طغى على دور الرشيد؛ فرواة المسعودي أبرزوا دور شيوخ أهل الثغور[1]؛ مثل: أبي إسحاق الفزاري[2]، ومخلد بن الحسين[3]، في مساعدة الرشيد في تحقيق النصر وفتح مدينة هرقلة، وأنه لولا اقتراحاتهم لما تمكَّن الرشيد من فتحها، كما أبرز هؤلاء الرُّواة دور فرسان أهل الثغور في المعارك. وكان إبراز هذا الدور واضحاً أيضاً عند ابن العديم الذي رأى أن انتصار الرشيد لم يكن ليتحقَّق لولا نجدة أهل الثغور له حين حصره الروم في شَرَكٍ. ولكن هذا الاتجاه لم يظهر عند الطبري الذي سعى إلى إبراز الدور الشخصي للرشيد في المعارك.

كما اهتمَّ ابن عبد ربِّه بتفاصيل دخول الرشيد وجيشه مدينة هرقلة، إضافةً إلى اهتمامه بالكتابات والنقوش الموجودة في المدينة ومضامينها الأدبية، ولعل هذا ناتج عن ثقافته واهتماماته بوصفه من المصادر الأدبية[4].

---

(١) يشير الهبري إلى أن فئةً من الأشخاص المتديِّنين الوَرِعين الذين خُدعوا بنتائج الثورة العباسية اتَّجهوا نحو الجبهة البيزنطية لنشر الإسلام، فنشأ مجتمع جديد من الزاهدين الذين عاشوا في مدن مثل ملطية والمصيصة وطرسوس. Tayeb El Hibri, Harun Al Rashid, p29.

(٢) من شيوخ الثغور الشامية، اسمه إبراهيم بن محمد بن الحارث بن أسماء بن خارجة. أحد أئمة المسلمين وأعلام الدين، قدم دمشق وحدَّث بها، مات بالمصيصة سنة (١٨٨هـ/ ٨٠٤م). ألَّف كتاب (السِّيَر). انظر: المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص٥٦. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٧، ص١١٩-١٣٣.

(٣) ذكر شارل بلا محقِّق كتاب (مروج الذهب) للمسعودي أنه من شيوخ الثغور وأنه كان يقوم بوظيفة دينية. انظر: المسعودي، مروج الذهب، ج٧، ص٦٦٩. وذكر ابن العديم أنه كان مرافقاً لأبي إسحاق الفزاري، وأنه من أهل المصيصة ويُنسب إليها. انظر: ابن العديم، بغية الطلب، ج١، ص١٠٣، ج٣، ص١٥١٧، ج٩، ص٤١٧٨.

(٤) ابن عبد ربِّه، العقد الفريد، ج٣، ص٢١١. وانظر أيضاً: ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج٣، ص١٣٣.

أمـا عن نقـد هؤلاء المؤرِّخين الأخبـار التي قـدَّمـوها، فنلاحظ أن الطبـري والمسعودي نقدا بعض الأخبار التي قدَّماها؛ فالطبري شكَّك في أعداد جيش الرشيد، والمسعودي قدَّم رأيَيْن تداولهما الرُّواة لفتح المدينة: الأول أنها فُتحت عَنْوَةً، والثاني أنها فُتحت صلحاً، فرجَّح الاحتمال الأول قائلاً: «وافتتاحها عَنْوَةً أشهرُ من قول مَن قال: إنها فُتحت صلحاً»(١)، كما انتقد بعض القصائد التي قيلت في مدح فتح الرشيد هرقلة(٢)، وهو ما يدلُّ على أن المؤرِّخين المسلمين لم يكونوا دائماً مجرَّد نَقَلَةٍ للأحداث.

وقدَّم ابن الطقطقا وصفاً وتقييماً لغزوات الرشيد وحروبه مع الروم، فهو يرى أنها مثَّلت حالة الضعف التي عانت منها دولة الرشيد، فيقول: «ومع ذلك، لم تكن دولتهم تخلو من ضعف ووهن من عدَّة جهات، منها امتناع الروم عليهم وقيام الحرب بينهم وبين ملوكها النصارى في كل سنة على ساقٍ، ومع ذلك كانت جبايتها تستصعب عليهم، وملوكها لا يزالون على الامتناع منهم»(٣).

ويرى طيب الهبري أن هذه الغزوات التي قام بها الرشيد أنتجت أخباراً أكثر مما أنتجت شيئاً آخر، وأن وجود الرشيد على رأسها كان صورياً، وأن هدفه لم يكن مواجهة القوة الكبرى في تلك الفترة، بل إظهار حماسته للدين متشبِّهاً بالخلفاء الراشدين(٤). ويؤيِّده عبدالعزيز الدوري في الشق الأخير من رأيه، فيؤكد أن اهتمام الرشيد بهذه الغزوات إنما كان للعظمة التي ستلقيها على حكمه، ولأنها تظهر سطوة الإسلام وعناية الخليفة بحرب أعدائه. كما يرى الدوري أن هذه الغزوات لم تكن تسير وفق هدف معين، ولم تكن تتبع خطَّةً رشيدةً، وإنما انتهت

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص٥٩-٦١. وانظر أيضاً: ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص١٨١. ابن العديم، بغية الطلب، ج١٠، ص٤٦٧٤.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص٦٢.

(٣) ابن الطقطقا، الفخري في الآداب السلطانية، ص٣٠.

(4) Tayeb EL Hibri, Harun Al Rashid, p29.

دون تغيير موقف الطرفين، كما أنها لم تَحْوِ خطةً منظَّمةً للفتح أو الاستيلاء الدائم، بل كان الخليفة يكتفي بأخذ الجزية. ويرى الدوري أن هذه الغزوات على رغم إثباتها تفوُّق العرب الحربي إلا أنها في الوقت نفسه تُثبت قِصَر نظر قوّادهم بعدم متابعتهم الضغط على البيزنطيين وعدم إدراك ظروفهم الحرجة(١). ويؤكِّد محمد عبدالحي شعبان أن انشغال الرشيد بتلك الحروب كان جهداً مُضيَّعاً؛ لأن البيزنطيين لم يكونوا في هذه الفترة عدوانيين، والمشكلة أن مشروعات الرشيد كانت في حاجة إلى قوات عسكرية أكثر مما توفَّر(٢).

كما تَرِدُ في بعض المصادر إشارات إلى أن الرشيد كان المشرف والمعدّ في غزوة سنة (١٩٠هـ/ ٨٠٦م)؛ فقد انفرد كلّ من اليعقوبي(٣) والطبري(٤) وصاحب (العيون والحدائق)(٥) بإيراد تلك المهمة، فبعد تعرُّض جيش المسلمين لهجوم من الروم وقتلهم قائد الجيش وخمسين رجلاً معه أرسل الرشيد الجيوش للانتقام منهم وأقام منتظراً في الثغور. ولكن هذه المصادر لم توضِّح نتيجة تلك الغزوة؛ فالطبري لم يُشِرْ إلى نهايتها، أو ما حصل لجيش المسلمين فيها وموقف الرشيد من ذلك، بل أشار إلى أن الرشيد أمر بهدم الكنائس في الثغور، وأمر بتغيير لباس أهل الذمة في

(١) عبدالعزيز الدوري، العصر العباسي الأول، ص١١٣، ١٣٩.

(٢) محمد عبدالحي شعبان، الدولة العباسية، ص٥٧. وانظر أيضاً:

B. Lewis (ABBASIDS), EI2, vol: 1, p 18.

لكن ينتقض هذا الرأي بما أورده الطبري والمسعودي حول عمليات تبادل الأسرى بين المسلمين والروم أيام الرشيد في الفترة (١٨١-١٩٢هـ/ ٧٩٧-٨٠٨م)؛ إذ كان البيزنطيون عدوانيين، فكانوا يهاجمون أراضي الدولة العباسية، ويأخذون الأسرى من المسلمين، ومن بينهم النساء. انظر: الطبري، التاريخ، ج٨، ص٣١٨. المسعودي، التنبيه والإشراف، ص٢٩٥.

(٣) اليعقوبي، التاريخ، ج٢، ص٤٣١.

(٤) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٣٢٤.

(٥) مؤلِّف مجهول، العيون والحدائق، ج٣، ص٣١٢، ٣١٣. وانظر أيضاً: ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص٢٠٦. ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٠، ص٢٠٦.

بغداد ومركبهم ليتميزوا عن المسلمين[1].

كما أوردت المصادر التاريخية؛ كالطبري[2] والمسعودي[3]، والأدبية؛ كالصولي[4] والأصبهاني[5]، قصائد مدحٍ في أعمال الرشيد الجهادية، وقد بالغت هذه القصائد في مدح الرشيد ونسبة الأعمال الحربية إليه وتضخيم نتائج غزواته[6].

وتجدر الإشارة إلى أن هناك دلائل على قيام علاقة سلمية بين الروم والرشيد تمثَّلت في الرسالة التي بعثها الرشيد إلى ملك الروم قسطنطين السادس، ووردت هذه الرسالة في كتاب ابن طيفور (ت ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م) (اختيار المنظوم والمنثور)[7]، وهو الوحيد الذي أوردها من بين المؤرّخين. وذكر ابن النديم في أخباره عن أبي الربيع محمد بن الليث كاتب الرسالة أن له العديد من المؤلَّفات، منها: (جواب قسطنطين عن الرشيد)[8]، وهو ما يشير إلى أن قسطنطين كان قد

---

(١) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٣٢٤. وذكر جان موريس فييه أن الرشيد أزال تلك الإجراءات تقديراً لطبيبه جبرائيل. انظر: جان موريس فييه، أحوال النصارى في خلافة بني العباس، ص٩٤.

(٢) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٣٠٨-٣١٠.

(٣) المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص٥٥، ٥٦، ٦١، ٦٢. مؤلِّف مجهول، العيون والحدائق، ج٣، ص٣١٠.

(٤) الصولي، أخبار الشعراء المحدثين، ص٨٠، ٨١.

(٥) الأصبهاني، الأغاني، ج١٨، ص٤١٦، ٤١٧.

(٦) سعدي ضناوي، موسوعة هارون الرشيد، ج٢، ص٣٥٢، ٣٦٩.

(٧) ابن طيفور، اختيار المنظوم والمنثور، ج١٢، ص٢٢٦. احمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب، ج٣، ص٢١٧-٢٧٤. كما نُشرت هذه الرسالة على شكل كتاب صغير في مطبعة النجاح في عكا عام ١٩٢٨م تحت عنوان: رسالة إلى الربيع التي كتبها الرشيد إلى قسطنطين ملك الروم، نشرها الشيخ عبدالله الجزار قاضي عكا ومفتيها على نفقة الشيخ محمد الهادي اليشرطي، ويحوي هذا الكتاب نصّ الرسالة فقط دون أية شروح أو تعليقات، وهو مكوَّن من ٦٢ صفحة.

(٨) كتب أبو الربيع محمد بن الليث ليحيى بن خالد البرمكي، وله ولاء ببني أمية. كان بليغاً فقيهاً متكلِّماً بارعاً، وكانت البرامكة تُقدِّمه وتُحسن إليه. انظر: ابن النديم، الفهرست، ص١٣٤. وذكر الطبري أن محمد بن الليث رفع رسالةً إلى الرشيد يَعِظُهُ فيها وينتقد البرامكة. انظر:=

بعث إلى الرشيد رسالةً فردَّ عليه بتلك الرسالة التي كتبها محمد بن الليث(١). وقد تضمَّنت هذه الرسالة عرضاً ومناقشة فلسفية لمبادئ العقيدتين الإسلامية والمسيحية، وتقديم الحُجَج والحُجَج المضادة. وقدَّم سعدي ضناوي دراسة تحليلية لهذه الرسالة من حيث أهدافها وأهميتها وموضوعاتها(٢).

كما اهتمَّت المصادر بقضية أخرى، هي اهتمام الرشيد بالثغور المُواجِهة للأعداء؛ فهو يعدُّ أول خليفة عباسي يهتمّ بمنطقة الثغور والعواصم ويعيد تنظيمها إدارياً وعسكرياً(٣)؛ إذ أشارت المصادر التاريخية وكتب البلدان والفتوح إلى اهتمامه بتلك المناطق؛ فقد أورد كل من البلاذري وابن الفقيه الهمذاني وصف التقسيم الذي أجراه الرشيد على إقليم الثغور مُسنِدَيْن معلوماتهما، لكنهما لم يحدِّدا متى فعل الرشيد ذلك. وقد اختلف وصف البلاذري عن وصف ابن الفقيه الهمذاني في أسماء المدن المكوِّنة لجند العواصم بسبب اختلاف رواتهما(٤)؛ فابن

= الطبري، التاريخ، ج٨، ص٢٨٨. وانظر أيضاً: سعدي ضناوي، موسوعة هارون الرشيد، ج٢، ص٣٧١، ٣٧٢.

(١) سعدي ضناوي، موسوعة هارون الرشيد، ج٢، ص٣٧١.

(٢) تنقسم الرسالة ثلاثةَ أقسام: قسم يتعلَّق بالدعوة الإسلامية، وقسم يتعلَّق بالمعتقدات المسيحية، وقسم يتناول عروض الرشيد على قسطنطين. سعدي ضناوي، موسوعة هارون الرشيد، ج٢، ص٣٧٦-٣٨٦. وانظر أيضاً: ابن طيفور، اختيار المنظوم والمنثور، ج١٢، ص٢٢٦. أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب، ج٣، ص٢١٨-٢٤٩، ٢٥٧-٢٧٤.

(٣) فاروق عمر، الخليفة المجاهد هارون الرشيد، ص١١. محمد عبدالحي شعبان، الدولة العباسية، ص٤٥، ٤٦.

(٤) ذكر البلاذري أن الرشيد فصل مجموعة من مدن الثغور وجعلها جنداً واحداً، فجعل قنسرين وكورها جنداً واحداً، وسمَّى كلاً من منبج ودلوك ورعبان وقورس وأنطاكيا وتيزين عواصم؛ لأن المسلمين يعتصمون بها فتعصمهم وتمنعهم إذا انصرفوا من غزوهم وخرجوا من الثغر، وجعل مدينة العواصم منبج. أما ابن الفقيه الهمذاني فقد اختلف مع البلاذري في أسماء المدن المكوِّنة لجند العواصم؛ إذ نقل عن مشايخ انطاكيا أن الرشيد شكَّل العواصم من قورس والجومة ومنبج وانطاكيا وتوزين وبالس ورصافة هشام. انظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص١٣٧، ١٣٨. ابن الفقيه الهمذاني، مختصر كتاب البلدان، ص١٦١.

الفقيه الهمذاني نقل عن مشايخ أنطاكيا، وربما كانت معلوماته أدقّ؛ لأنه نقل عن مصدر أقرب مكانياً إلى الحدث. وأشار كلٌّ من الطبري والأزدي إلى ذلك، وأنه كان في سنة (١٧٠هـ/ ٧٨٦م) دون تحديد المدن التي كوّنت ذلك الجند[١].

كما أشار العديد من المؤلّفين؛ مثل: البلاذري، وابن الفقيه الهمذاني، والمسعودي، وابن حوقل (تُوفّي بعد ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م)، إلى أعمال الرشيد في بناء المدن وتحصينها؛ فاعتمد كلٌّ من البلاذري وابن الفقيه الهمذاني على مصادر مهمة في هذا الجانب، فأخذ البلاذري معلوماته عن بعض مشايخ الثغور، وهم مصدر مهم؛ لأنهم يقدّمون معلومات مباشرة وواقعية، بينما اعتمد ابن الفقيه على الواقدي.

وذكر كلّ من البلاذري وابن الفقيه الهمذاني أن الرشيد بنى مدينتَيْ عين زربة[٢] والهارونية[٣] سنة (١٨٣هـ/ ٧٩٩م) وشحنهما بالمقاتلة[٤]. وانفرد

---

(١) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٢٣٤. الأزدي، تاريخ الموصل، ص٢٦٤. وانظر أيضاً: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص٣٦٥. ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص١٠٨. القلقشندي، مآثر الإنافة في معالم الخلافة، ج١، ص١٩٧. صبح الأعشى، ج٤، ص١٣٥. ويرى محمد عبدالحي شعبان أن خطوة الرشيد هذه بمثابة خطة دفاعية للاحتفاظ بالأراضي التي يسيطر عليها العباسيون، وقد رافقها تنظيم للحدود تضمّن إقامة خط دفاعي يمتدّ على المنحدرات الجنوبية لجبال طوروس. انظر: محمد عبدالحي شعبان، الدولة العباسية، ص٤٥، ٤٦.

(٢) عين زربة: بلد بالثغر من نواحي المصيصة، أهلها أرمن، جُدِّدت عمارتها على يد أبي سليمان التركي الخادم سنة (١٩٠هـ/ ٨٠٦م) عندما كان يلي الثغور للرشيد، ثم استولى عليها الروم فخرّبوها، ثم أعاد عمارتها سيف الدولة الحمداني، وظلّت تحت يده حتى استولى عليها الروم في أيامه. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص١٧٧، ١٧٨.

(٣) الهارونية: مدينة صغيرة قرب مرعش بالثغور الشامية في طرف جبل اللكام، بناها هارون الرشيد ونُسبت إليه، ثم خرّبها الروم، ثم استعادها سيف الدولة الحمداني وأعاد عمارتها. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٣٨٨. وانظر أيضاً: ابن حوقل، صورة الأرض، ص١٦٧. الإصطخري، المسالك والممالك، ص٦٣. ابن العديم، بغية الطلب، ج١، ص١٧٣، ٢١٩. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٤١.

(٤) البلاذري، فتوح البلدان، ص١٧٥. ابن الفقيه الهمذاني، مختصر كتاب البلدان، ص١٦٢، ١٦٣.

البلاذري بالإشارة إلى بناء الرشيد مدناً أخرى؛ مثل: الحدث[١]، وحصن المنصور[٢]، ومدينة كفربيا[٣].

وفي جانب آخر من تديُّن الرشيد، اهتمَّت المصادر، خصوصاً كتب التراجم، بتناول اهتمام الرشيد وعنايته بالحديث النبوي الشريف وروايته؛ فوصف ابن الجوزي الرشيد بأنه كان يحبُّ الحديث وأهله[٤]، كما ذكر الخطيب البغدادي أن الرشيد استدعى أبا حذيفة إسحاق بن بشر البخاري من مدينة بخارى إلى بغداد ليحدِّث بها[٥]، كما ذكر رواية شاهد عيان، هو عمر بن حبيب العدوي، تشير إلى اجتماع علماء الحديث في مجلس الرشيد ليتناقشوا في الأحاديث وصحتها[٦].

وأشارت بعض المصادر؛ مثل: صاحب (الإمامة والسياسة)، وصاحب (العيون والحدائق)، وأبي نعيم الأصبهاني، وابن حمدون (ت ٥٦٢هـ/ ١١٦٦م)، وابن عساكر، وغيرهم من المتأخرين، إلى اهتمام الرشيد بسماع كتب الحديث والفقه

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص١٩٤، ١٩٥. والحدث: قلعة حصينة بين ملطية وسميساط ومرعش من الثغور، ويقال لها: الحمراء؛ لأن تربتها جميعاً حمراء، وقلعتها على جبل الأحيدب. بُنيت أيام المهدي سنة ١٦٢هـ، وأعاد الرشيد عمارتها وأسكنها الجند. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٢٢٧، ٢٢٨.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص١٩٦. ويُنسب حصن المنصور إلى منصور بن جعونة بن الحارث العامري من بني عامر بن صعصعة؛ لأنه هو الذي تولَّى بناءه ومرمَّته.

(٣) البلاذري، فتوح البلدان، ص١٧٠، ١٧١. وكفربيا: مدينة بإزاء المصيصة على شاطئ جيحان، وهي مدينة كبيرة ذات أسواق كثيرة، وسور مُحكَم، وأربعة أبواب. خربت قديماً فجدَّد الرشيد بناءها، وقيل: ابتدأ بناءها المهدي، ثم غيَّر الرشيد بناءها وحصَّنها بخندق. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٤٦٨.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص٣١٩.

(٥) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٦، ص٣٢٦، ٣٢٧. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٨، ص١٩٠. ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٢، ص٦٢٢.

(٦) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١١، ص١٩٧. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص١٦٢، ١٦٣.

وسفره من أجل ذلك، وهو ما يعني أن تلك المصادر المتأخرة سعت إلى إظهار العلاقة المثالية بين الرشيد والفقهاء ورجال الحديث[1]، ولكن لم يأتِ ذكرُ ذلك في المصادر المتقدِّمة؛ مثل أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم.

فصاحب (الإمامة والسياسة) أشار إلى قدوم الرشيد إلى المدينة في موسم حجّ سنة (١٧٤هـ/ ٧٩١م)، وأنه التقى مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ/ ٧٩٥م) فسمع منه كتابه (الموطَّأ)، كما عُرف عن الرشيد تأييده علماء قريش ودعمهم، وقيامه بتوزيع الأموال في المدينة على عادة أبيه المهدي[2]. بينما يشير صاحب (العيون والحدائق) إلى أن الرشيد طلب من مالك بن أنس القدوم إليه في حجّته سنة (١٧٩هـ/ ٧٩٦م) لسماع الحديث، ولكن مالكاً رفض، فسار الرشيد إليه فسمع منه عدة أحاديث عن رسول الله ﷺ[3]. وذكر أبو نعيم الأصبهاني أن الرشيد أشار على مالك بتعليق (الموطَّأ) في الكعبة وتعميمه على الناس وإجبارهم عليه، فلم يقبل مالك[4]. كما وردت هذه الإشارة عند صاحب (الإمامة والسياسة)، ولكنها جاءت من الخليفة المنصور وليس الرشيد[5].

كما تجدر الإشارة إلى وجود رسالة كتبها الإمام مالك إلى الرشيد، وهي منشورة بعنوان: (رسالة الإمام مالك في السنن والمواعظ والآداب كتبها إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد ووزيره يحيى بن خالد البرمكي)[6]. وحوت هذه الرسالة سندَيْن

(1) Tayeb EL Hibri, Harun Al Rashid, p29.

(٢) مؤلِّف مجهول، الإمامة والسياسة، ج١، ص١٥٣-١٥٥.

(٣) مؤلِّف مجهول، العيون والحدائق، ج٣، ص٢٩٨. وانظر أيضاً: الزمخشري، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، ج٣، ص٢١٠، ٢١١. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١١، ص٣٢٥. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٤٦٨.

(٤) أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء، ج٦، ص٣٣٢.

(٥) مؤلِّف مجهول، الإمامة والسياسة، ج٢، ص١٤٩، ١٥٠.

(٦) نشرها وصحَّحها الشيخ أحمد سعد علي، وأصدرتها مطبعة مصطفى البابي الحلبي في القاهرة، وهي مكوَّنة من ثلاثين صفحة.

للرواة الذين رووا الرسالة عن الإمام مالك(١). وعند الرجوع إلى نصّ الرسالة نجد أنها لم تَحْوِ أي إشارة إلى الرشيد أو يحيى البرمكي، ولم يتّضح إلى مَن وُجِّهت هذه الرسالة، إضافةً إلى أنها حَوَتْ نصائحَ وعظاتٍ عامةً تُوجَّه إلى الإنسان العادي(٢).

كما ذكر ابن النديم أن الإمام مالكاً ألّف كتاب (رسالة إلى الرشيد)، رواها عنه أبو بكر بن عبدالعزيز من ولد عمر بن الخطاب رضي الله عنه(٣)، ولم يعلّق ابن النديم عليها. في حين ذكر القاضي عياض أن من مؤلّفات مالك رسالته إلى هارون الرشيد في الآداب والمواعظ، وذكر أن هناك فئة أثبتت نسبة الرسالة إلى مالك، وفئة ثانية أنكرت نسبتها إليه، وفئة ثالثة ذكرت أن هذه الرسالة وضعها مالك أدباً للناس(٤). وهذا الاتجاه هو الأقرب إلى الصحة؛ لأن هذه الرسالة غير مشهورة، ولم تتداولها المصادر التاريخية ولا الأدبية على أنها رسالة إلى الرشيد. وقد قدَّم الذهبي رأيه في هذه الرسالة فذكر أن إسنادها منقطع، وأنها رسالة موضوعة(٥).

كما أشار أبو نعيم الأصبهاني والخطيب البغدادي إلى أن الرشيد كان يروي الأحاديث، ويأتي ضمن سلسلة من الرواة يروي عنهم ويروون عنه(٦). ويُلحظ من

---

(١) الأول: عبدالله بن نافع الزبيري، عن أبي بكر بن عبدالعزيز بن عبدالله بن عبدالله بن عمر بن الخطاب، عن مالك بن أنس، وفيها أنه كتب هذه الرسالة إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد. والثاني: عن إسحاق بن إبراهيم المروزي، ثم السند السابق نفسه، وفيها أنه كتبها إلى يحيى بن خالد البرمكي. انظر: مالك بن أنس، رسالة الإمام مالك في السنن والمواعظ والآداب كتبها إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد ووزيره يحيى بن خالد البرمكي، تصحيح: أحمد سعد علي، ص٣.

(٢) مالك بن أنس، رسالة الإمام مالك في السنن والمواعظ والآداب، ص٦-١٣.

(٣) ابن النديم، الفهرست، ص٢٥١.

(٤) القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ج١، ص٢٠٥، ٢٠٦.

(٥) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٨، ص٨٩.

(٦) أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء، ج٦، ص٣٥٠. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٦، ص٣٠٧، ج١٠، ص١٨٧. وانظر أيضاً: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٣٣، ص٢١٣.

تخريج هذه الأحاديث عدم تطابق سندها الذي تُورده كتب التراجم؛ مثل: أبي نعيم الأصبهاني، والخطيب البغدادي، مع سندها في كتب الحديث؛ إذ لم تسندها كتب الحديث إلى الرشيد، بل أسندتها إلى رواة آخرين؛ لذلك فإن عدم إيراد كتب الحديث تلك الأحاديث بإسناد الرشيد وتقديمها بإسناد آخر مختلف دليلٌ على عدم اعترافهم بالرشيد بوصفه راوياً للحديث، وأن ذلك نُسب إليه في وقت لاحق بهدف إظهار تديُّنه وحبِّه لسيرة الرسول ﷺ(١).

وقد نشأت بين الرشيد والفقهاء علاقة حسنة، وكانت علاقته مع القاضي أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم من أشهر هذه العلاقات؛ إذ تولّى له منصب قاضي القضاة(٢)، كما أن تأليف أبي يوسف كتاب (الخراج) وفتاواه المشهورة للرشيد التي أوردتها المصادر التاريخية كانا من أسباب شهرة تلك العلاقة ومن أدلّة قوّتها.

وقد اهتمّت المصادر الأدبية وكتب التراجم بفتاوى أبي يوسف المشهورة للرشيد، فجعلتها مادةً غنيةً بالنوادر والمُلَح(٣). كما سعت بعض المصادر إلى إظهار أبي يوسف في صورة القاضي المُقرَّب إلى الخليفة المُمالِئ له في فتاواه؛ فيُورد

(١) اشتهر الرشيد بحرصه على الاقتداء بسُنَّة النبي ﷺ؛ فقد روى ابن عساكر عن الأصمعي أن الرشيد كان يقلّم أظافره يوم الجمعة. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٧٣، ص٢٩٥. وانظر أيضاً: ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٠، ص٢٢٤.

(٢) أشار عبدالعزيز الدوري إلى استحداث منصب قاضي القضاة في خلافة الرشيد. عبدالعزيز الدوري، العصر العباسي، ص١٣٧. كما ذكر فاروق عمر أن الرشيد كان أوّل خليفة يُوجد منصب قاضي القضاة في بغداد. فاروق عمر، الخليفة المجاهد هارون الرشيد، ص٣٢.

(٣) يرى سعدي ضناوي أن ممارسة أبي يوسف الطويلة للقضاء أهّلته لإصدار تلك الفتاوى؛ فقد كان يعمد إلى الإصلاح بين الخصمين والتوفيق بينهما قبل الحكم في القضية، وهو ما رسّخ عنده مهارة التقريب بين وجهات النظر والتخلّص من المواقف المحدودة والمحصورة. سعدي ضناوي، ديوان هارون الرشيد، ص١٤٥.

الأزدي(١) والمحسن بن علي التنوخي(٢) والخطيب البغدادي(٣) وغيرهم(٤) قصصاً تشير إلى تخليص أبي يوسف الرشيد من يمين حلفه أو حنث فيه أو أمرٍ كان يُسبِّب له القلق، وأنه كان يتلقَّى بعد هذه الفتاوى الهدايا والصلات. وكانت معظم هذه الأخبار التي أظهرت الرشيد في تلك الصورة من رواية أبي يوسف نفسه، وهي إشارة واضحة إلى أن مقرَّبي الخليفة كانوا مصدراً مهماً للأخبار عن الرشيد وخلافته وما كان يجري في حياته الخاصة والعامة، وفي الوقت نفسه تشير إلى أن أعداء أبي يوسف كانوا يسوقون الروايات على لسانه ليجعلوا منه نموذجاً للقاضي عديم المبادئ الذي يتفنَّن في إيجاد طريقة سهلة لإخراج الخليفة من الصعوبات والمآزق الفقهية(٥). وقد تكرَّر ذلك مع الفقيه الليث بن سعد في قصةٍ أوردها أبو نعيم الأصبهاني والخطيب البغدادي يستخدم فيها الليث بن سعد حيلةً

---

(١) أورد الأزدي قصة اتِّهام الرشيد جاريةً عنده في القصر بسرقة عقد ثمين، وأنه حلف بالطلاق والعتاق والحج لتصدقنَّه، فانكرت. فأُحضر أبو يوسف وطُرحت عليه المسألة، فامر الجارية أن تجيب الرشيد عن ثلاثة أسئلة تكون فيها صادقة. الأزدي، تاريخ الموصل، ص٢٩٠.

(٢) أورد التنوخي قصَّةً رواها أبو يوسف نفسه تتضمَّن استدعاء الرشيد له ليسأله عن تطبيق الحدّ على شخص رآه الرشيد يزني، وكان هذا الشخص حسب اعتقاد أبي يوسف أحد أبناء الرشيد، فأجابه بعدم جواز تطبيق الحدّ عليه؛ لأنه لم يستكمل شروط إقامة الحد، وأن يدرأ الحدود بالشبهات. فامر الرشيد لأبي يوسف بمال جليل، وأرسل له ذلك الفتى وأمَّهُ الهدايا. ولم تحدِّد الرواية أيّ أولاد الرشيد كان هذا الفتى. التنوخي، نشوار المحاضرة، ج١، ص٢٥٢، ٢٥٣.

(٣) ذكر الخطيب البغدادي قصَّة جارية امتنع صاحبها أن يهبها أو يبيعها، وكان الرشيد يرغب فيها، فتحايل أبو يوسف بحِيَلٍ شرعيةٍ ليزوِّجها للرشيد. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٤، ص٢٥٠، ٢٥١.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص٧٣، ٧٤، ٧٧–٧٩. الأذكياء، ص٩٩، ١٠٠. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٦، ص٣٨١. الأربيلي، خلاصة الذهب المسبوك، ص١٣٠. التوحيدي، البصائر والذخائر، ج٦، ص١١٧، ١١٨. ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج٨، ص٢٢٥، ٢٢٦. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٧٣، ص٢٩٨–٣٠٠.

(5) J. Schacht, (ABU YUSUF), EI2, vol 1, p164.

شرعيةً لتخليص الرشيد من مأزقٍ وقع فيه مع زوجته زبيدة(١).

وقدّمت مصادر مختلفة نمطاً جديداً من العلاقة بين الرشيد والفقهاء تمثّل في حالة من التأزّم بينهم؛ فقد أشار الطبري والأصبهاني إلى موقف محمد بن الحسن الشيباني(٢) من الرشيد ومعارضته عندما عرض عليه الأمان الذي كتبه ليحيى بن عبدالله(٣). كما أورد التنوخي والخطيب البغدادي قصة عدم قيام الشيباني للرشيد عندما دخل مجلسه(٤)، وهي إشارة إلى احتفاظ الشيباني بمكانته واعتزازه بها، ولعل هذه المواقف وغيرها هي التي جعلت الرشيد يتّخذ موقفاً من محمد بن الحسن الشيباني.

---

(١) وهي أن الرشيد قال لزوجته زبيدة: انت طالق إن لم أكُنْ من أهل الجنة. ثم ندم على هذا اليمين، فجمع الفقهاء ليُخرجوه منه، فأخرجه من ذلك الليث بن سعد؛ إذ جعله يقرأ آية: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦]، ثم جعله يحلف انه يخاف مقام ربّه، ثم قال له: يا امير المؤمنين، فهي جنّتان وليست جنّة واحدة. أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء، ج٧، ص٣٢٣. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٣، ص٤. وانظر أيضاً: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٥٠، ص٣٢٨. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٤، ص١٢٩.

(٢) هو محمد بن الحسن بن فرقد؛ أبو عبدالله الشيباني بالولاء. صاحب أبو حنيفة، وإمام أهل الرأي. أهله من حرستا قرب دمشق، وُلد بواسط ونشأ بالكوفة. ولأه الرشيد القضاء في الرقة. تُوفّي في الري سنة ١٨٩هـ. انظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٢، ص١٧٢.

(٣) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٢٤٧. الأصبهاني، مقاتل الطالبيين، ص٤٧٩، ٤٨٠. وانظر أيضاً: ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص١٧. ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص١٢٥، ١٢٦. ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٠، ص١٧٣. النويري، نهاية الأرب، ج٢٥، ص٧٢. واشار الخطيب البغدادي إلى المناظرة، ولكنه لم يذكر فيها محمد بن الحسن الشيباني. انظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٤، ص١١١. ويحيى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، يُكنى أبا الحسن، وأمه قريبة بنت عبدالله. كان حسن المذهب، روى الحديث. انظر ترجمته في: الأصبهاني، مقاتل الطالبيين، ص٤٦٢، ٤٦٣. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١٢، ص٤٥٥، ٤٥٦.

(٤) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٢، ص١٧٣، ١٧٤. التنوخي، نشوار المحاضرة، ج٥، ص١٨٦، ١٨٧.

كما أشارت بعض كتب التراجم؛ مثل: أبي نعيم الأصبهاني، والخطيب البغدادي، إلى وجود علاقة حسنة بين الرشيد والإمام الشافعي بسبب علاقة القرابة؛ لأن الشافعي من قريش؛ فقد أورد أبو نعيم الأصبهاني عن محمد بن إسماعيل الحميري أن الرشيد وصل الشافعي بخمسين ألف درهم بعد أن غلب بشراً المريسي في مناظرة(١). كما أورد الخطيب البغدادي عن الربيع بن سليمان أن الرشيد كان يفخر بالشافعي ويقدِّمه على غيره من الفقهاء؛ فقد أبدى الرشيد إعجابه به عندما أثبت حجَّته على الشيباني في إحدى المناظرات، وكان الرشيد يفخر كثيراً برجال قريش، ومنهم الشافعي(٢).

وعلى الرغم من هذا الدعم والتأييد الذي تمتَّع به الشافعي فقد أشار كلٌّ من ابن أعثم وابن النديم وأبي نعيم الأصبهاني بروايات مُسنَدة إلى تأزُّم طارئ حصل في العلاقة بين الرشيد والشافعي، واختلفت هذه المصادر في تقديمها أسباب ذلك التأزُّم، كما أنها استقت أخبارها من مصادرَ مختلفة أيضاً.

(١) أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء، ج٩، ص١٣١.

(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٢، ص٦١. وأشار ابن عساكر إلى مناظرة حصلت بين الشافعي والشيباني وأورد تفاصيلها، فأثبت الشافعي رأيه على الشيباني، فكتب أصحاب الأخبار إلى هارون بذلك، فضحك وقال: ماذا يُنكر لرجل من ولد المطلب أن يقطع مثل محمد ابن الحسن؟! انظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٥١، ص٢٨٨. كما أشار الخطيب البغدادي إلى حوار جرى بين الشيباني والشافعي بحضرة الرشيد، فرأى الرشيد أن الشيباني أخطأ في حق الرسول ﷺ في إحدى إجاباته، فأمر بالنطع والسيف ليقتله، ولكن الشافعي تدخَّل وبرَّر رأي الشيباني، فصفح عنه الرشيد. انظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٢، ص١٨٧. وانظر أيضاً: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٥١، ص٢٨٩. وأورد ابن عساكر مناظرة أخرى بين الشافعي والشيباني يظهر فيها الشيباني في صورة المغلوب الذي لا يستطيع الإجابة. انظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٥١، ص٣٢١. وانظر أيضاً: المقريزي، المقفّى الكبير، ج٥، ص٣٦١. وعلى الرغم من ذلك أشار الخطيب البغدادي إلى أن الرشيد أبدى تقديره للشيباني عند وفاته هو والكسائي في يوم واحد، فقال: «دُفنت اليوم اللغة والفقه». انظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٢، ص١٨١. وانظر أيضاً: ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص١٧٥. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٤، ص١٨٥.

فابن أعثم عزا هذا التأزُّم إلى مساعدة الشافعي عند تولّيه صدقات اليمن أحد العلويين أراد الخروج في اليمن ضد الرشيد، وأسند ابن أعثم خبره إلى أحمد بن عبيد الحميري[1].

أما ابن النديم، فقد عزاه إلى مساندة الشافعي رجلاً من بني أبي لهب خرج في المغرب، ونقل ذلك عن كتاب أبي القاسم الحجازي (الأخبار الداخلة في التاريخ)[2]، كما ذكر ابن النديم روايةً ثانيةً تفيد بأن الشافعي كان شديد التشيُّع، وأنه كان يرى أحقّيَّة الطالبيين بالخلافة[3]. وكلا الروايتين مُبالَغ فيها، خصوصاً قِران الشافعي بأحد بني أبي لهب، كما أنه لم تَرِدْ في كتب التاريخ أيّ إشارة إلى خروج أحد منهم في المغرب.

أما أبو نعيم الأصبهاني، فقد أورد ثلاث روايات مُسنَدة: الأولى لم يحدِّد فيها سبب التأزُّم ودخلت فيها الغيبيات[4]، والثانية كان سبب التأزُّم فيها هو سوء فهمٍ نتج عن اتِّصال الشافعي بخارجيّ، ولكن هذا الاتصال كان لصالح الرشيد وليس ضدّه، كما يورد في الرواية نفسها سبباً آخر للتأزُّم، وهو معارضة الشافعي فتوى كان الفقهاء قد أجابوا الرشيد فيها ووافقوه دون أن يحدِّد فحوى الفتوى[5]، والثالثة أوردها أبو نعيم عن عبدالله بن محمد البلوي، ويعزو التأزُّم فيها إلى أن الشيباني اتَّهم الشافعي بأنه يُؤيِّد أحد أبناء عبدالله بن الحسن بن الحسن العلوي ويرى أنه أحقّ بالخلافة من الرشيد[6].

---

(١) ابن أعثم، الفتوح، ج٨، ص٤٠٣-٤٠٨.

(٢) ابن النديم، الفهرست، ص٢٦٣. وانظر أيضاً: المقريزي، المقفّى الكبير، ج٥، ص٣٤٧، ٣٤٨.

(٣) ابن النديم، الفهرست، ص٢٦٣.

(٤) أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء، ج٩، ص٧٩، ٨٠.

(٥) أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء، ج٩، ص٨٠.

(٦) أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء، ج٩، ص٨٤-٩١. وأشار محقّق الكتاب إلى أن عبدالله بن محمد البلوي راوي الخبر كذّاب معروف. وانظر الخبر أيضاً في: ابن عساكر، تاريخ دمشق،=

إن إيراد المصادر نمطَيْن متناقضَيْن من العلاقة بين الرشيد والشافعي يُفسَّر بأنه اتِّهامات ناتجة عن حسد وتنافس بين الفقهاء أنفسهم بسبب تلك المكانة الرفيعة التي تبوَّأها الشافعي لدى الرشيد بوصفه فقيه بني عبدالمطلب، أو أن الشافعي تعاطف فعلاً مع أبناء الحسن وتشيَّع، ولكن ذلك جاء في فترة متأخِّرة.

كما تحدَّثت بعض المصادر؛ مثل الخطيب البغدادي وآخرين، عن علاقة الاحترام والإجلال التي كان يكنُّها الرشيد للعلماء وتواضعه لهم؛ ومن ذلك: قصة صبّ الرشيد الماء على يدَيْ أبي معاوية الضرير(١). كما أورد الخطيب خبراً آخر يشير إلى تقدير كبير من الرشيد لأبي معاوية الضرير؛ إذ كلَّف ولدَيْه الأمين والمأمون أن يأخذا بيديه ليقضي حاجته(٢).

وقد اختلفت المصادر في إظهار ردّ فعل الرشيد لما يسمعه من عظات الفقهاء والنُّسَّاك؛ فقدَّم الطبري عدة روايات مُسنَدة تفاوت فيها ردّ فعله؛ فظهر في عظات ابن السماك(٣)

= ج٥١، ص٣١٩. كما أورد ابن عساكر الخبر برواية أخرى عن راوٍ آخر في: تاريخ دمشق، ج٥١، ص٢٨٩، ٢٩٠. وانظر أيضاً: ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٦، ص٢٣٩٦-٢٣٩٨.

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٤، ص٨. الزمخشري، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، ج٢، ص٧٤٢. ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج٣، ص١٠٦. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٧٣، ص٢٩٤. ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص٣٢٣. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٩، ص٢٨٩. ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٠، ص٢٢٣.

أبو معاوية الضرير: هو محمد بن خازم؛ أبو معاوية التميمي السعدي، مولى سعد بن زيد مناة، من أهل الكوفة. كان ضريراً، ويُقال: إنه عمي وهو ابن أربع، وقيل: ثمانِ سنين. قدم بغداد وحدَّث بها. كان الرشيد يُبجِّله ويُحضره مجالسه. وُلد سنة ١١٣هـ، وتُوفِّي سنة ١٩٥هـ. انظر ترجمته في: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٥، ص٢٤٢. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١٣، ص٥٠٥-٥٠٧.

(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٥، ص٢٤٣. وانظر أيضاً: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٢٢.

(٣) هو أبو العباس محمد بن صبيح، مولى بني عجل. تُوفِّي سنة ١٨٣هـ. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٥، ص٣٦٨-٣٧٣.

باكياً[١]، وظهر في عظتَيْ عبدالله بن عبدالعزيز العمري[٢] مرةً باكياً[٣] ومرةً أخرى ساكتاً دون بكاء[٤]، دون الإشارة إلى مضمون العظتَيْن، كما أنه ظهر في العظة الأولى في موقف الضعيف أمام عظات العمري وانتقاداته، محاولاً إسكاته بالمال، لكنه لم ينجح، بينما ظهر في العظة الثانية أكثر قوةً، كما يبرز في العظة الثانية التقليل من شأن العمري.

ويظهر الرشيد في قصة غير مُسنَدة عند الطبري في صورة الرافض للعظة والمتسامح في الوقت نفسه عندما تعرَّض له أحد النُّسَّاك داعياً إيَّاه إلى تقوى الله، فحاوره الرشيد متعجِّباً من أسلوبه المتشدِّد في طرحه تلك العظة مبرِّراً صحة موقفه وخطأ هذا الناسك؛ لأن الله عزَّ وجلَّ طلب من نبيِّه موسى أن يكلِّم فرعون بكلام ليِّن، والرشيد خير من فرعون، ودافع الرشيد عن نفسه بأنه يحافظ على العبادات وأعمال الخير؛ مما أدَّى إلى تراجُع الواعظ[٥]. وتشير هذه القصة إشارةً واضحةً إلى

(١) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٣٥٧. وانظر أيضاً: ابن عبد ربِّه، العقد الفريد، ج٣، ص١٦١. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٥، ص٣٧٢. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٣، ص٢٩٢. ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص٨٦. الأربيلي، خلاصة الذهب المسبوك، ص١٣٥. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١٢، ص٣٦٨، ٣٦٩، ج١٣، ص١٥. ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٠، ص٢٢٦. الطرطوشي، سراج الملوك، ص٥٢٧. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٤٦٧. الأبشيهي، المستطرف، ج٣، ص٣٥٤.

(٢) هو عبدالله بن عبدالعزيز بن عبدالله بن عبدالله بن عمر بن الخطاب؛ أبو عبدالرحمن المدني الزاهد، أحد علماء المدينة. تُوفِّي سنة ١٨٤هـ. ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص١٠٠. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١٢، ص٢١١، ٢١٢.

(٣) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٣٥٤، ٣٥٥. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١٢، ص٢١٢، ٢١٣.

(٤) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٣٥٧. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١٢، ص٢١٤.

(٥) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٣٥٨. وأشار بعض المؤرِّخين المتأخرين إلى هذا الخبر بشكل مختصر. انظر: الراغب الأصبهاني، محاضرات الأدباء، ج١، ص١٦٨. ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج٧، ص١٨٤. الأربيلي، خلاصة الذهب المسبوك، ص١١٣. ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٠، ص٢٢٥.

تدخُّل الراوي فيها أو حتى اختلاقها بقصد الانتصار للرشيد من منتقديه؛ لأنها أبرزت صفات الصلاح والخير التي يتمتَّع بها الرشيد . وربما تشير هذه القصة أيضاً إلى أمر آخر ذكره طيب الهبري، وهو أن مثل هذه القصص تشير إلى وقوف المصادر إلى جانب الخليفة حتى تسمح له بالدفاع عن نفسه بنجاح، فرأى أن وراء هذه القصة رسالتين: الأولى انه لا يمكن نقد الخليفة نقداً شديداً ما دام محافظاً على أهم مبادئ الإسلام، والثانية أن عملية النقد الديني ليست قناةً مفتوحةً لأيّ واعظ غير معروف، وأن العلماء المشهورين بعمق المعرفة الدينية هم فقط مَن لهم الحق في نقد الحاكم ورفض عطاياه(١).

كما أورد المسعودي روايةً لسفيان بن عيينة(٢) تفيد بأن الفضيل بن عياض وعظ الرشيد بتذكيره بمسؤوليته عن الأمة فأبكاه(٣).

وبالغ صاحب (الإمامة والسياسة) وأبو نعيم الأصبهاني في إيراد تفاصيل قصة خروج الرشيد من العراق إلى الحجاز لسماع عظة الفضيل بن عياض(٤)، فقد برز في هذه القصة التنافر الواضح بين الرشيد والفضيل، وحلم الرشيد على إساءة

(1) Tayeb El- hibri, Harun Al - Rashid, p29-30.

(٢) هو سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي، محدِّث، كان عالماً ناقداً وزاهداً عابداً. وُلد بالكوفة سنة ١٠٧هـ، وسكن مكة وتُوفِّي فيها سنة ١٩٨هـ. أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء، ج٧، ص٢١٨-٢٧٠ . الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٩، ص١٧٤-١٨٤ . ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢، ص٣٩١-٣٩٣ .

(٣) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٢١٥ . وانظر أيضاً: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٤٨، ص٤٣٦ . ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٤، ص٤٧ . الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١٢، ص٣٤١ . ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٠، ص٢٢٦ . السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٤٥٥ .

(٤) هو الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر؛ أبو علي التميمي. وُلد بخراسان، وقدم الكوفة وحدَّث بها، ثم انتقل إلى مكة ومات بها سنة ١٨٧هـ. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص٥٠٠ . ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٢٨، ص٣٨٠ . ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٤، ص٤٧ .

الفضيل له(١).

كما يشير أبو نعيم الأصبهاني إلى موقف متناقض للفضيل بن عياض من الرشيد؛ إذ ذكر أن الناس كانوا يكرهون الرشيد، وكان الفضيل يكرهه أيضاً، لكنه في الوقت نفسه كان يتمنّى له طول العمر، وأن ينقص الله من عمره أو عمر ولده ليزيده في عمر الرشيد؛ لأنه كان يخشى النتائج المترتّبة على موته(٢).

أما كتب الأدب، فقد وجدت من قصص الوعظ مادةً دسمةً للمبالغة، فأخذت تزيّنها بالبلاغة والزخرفة مع المحافظة على إيراد مضامين العظات. كما رسمت هذه الكتب للرشيد صوراً جديدة؛ فأورد ابن عبد ربّه ثلاث قصص دون إسناد يظهر فيها عنصر المبالغة واضحاً(٣)؛ إذ يظهر الرشيد في صورة المتشدّد مع واعظيه ومنتقديه.

(١) مؤلّف مجهول، الإمامة والسياسة، ج٢، ص١٥٦، ١٥٧. أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء، ج٨، ص١٠٥-١٠٧. وانظر أيضاً: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٤٨، ص٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٧-٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١. ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج١، ص١٨٨-١٩٠. الطرطوشي، سراج الملوك، ص١٢١-١٢٦. ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص١٤٩-١٥٢. ابن قدامة المقدسي، كتاب التوابين، ص١٥٧-١٦١. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١٣، ص٤٢٧. وأشار ابن كثير إلى القصة باختصار في: البداية والنهاية، ج١٠، ص٢٠٦.

(٢) أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء، ج٨، ص١٠٥، ١٠٦. وانظر أيضاً: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٤، ص١٢. وللمزيد حول عظات الفضيل للرشيد انظر: التوحيدي، البصائر والذخائر، ج٣، ص٣٠، ج٤، ص١٧٢. الإمتاع والمؤانسة، ج٢، ص١٣٠. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٤، ص٤٨. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٩، ص١٨٩. ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٠، ص٢٠٧.

(٣) في القصة الأولى ظهر الرشيد في صورة متشدّدة عندما وعظه رجل مجهول وانتقده وهو يخطب، فغضب الرشيد وأمر بعقابه وضربه. وفي الثانية وعظه ابن السماك بآيات من القرآن الكريم تذكّره بالأقوام السابقين. وفي الثالثة ـ وانفرد بها ابن عبد ربّه ـ تفاصيل مختلفة تضمّنت انتقاداً غير مباشر للرشيد؛ إذ سافر الرشيد إلى رجل زاهد معتزل في جبال تهامة، فرفض ذلك الزاهد توجيه النصائح والعظات إليه وانتقده بأنه لا يطيع أوامر الله ويطيع عبداً من عبيده. ابن عبد ربّه، العقد الفريد، ج١، ص٥٣، ج٣، ص١٥٠، ص١٧٠.

ويورد الحسن بن محمد بن حبيب (ت ٤٠٦هـ/ ١٠١٦م) في كتابه (عقلاء المجانين) خبرَيْن مُسنَدَيْن أشار فيهما إلى وعظ بُهلول المجنون[١] الرشيد؛ إذ ذكَّره بالموت ويوم القيامة، وحثَّه على العفة والسخاء. ولم يظهر الرشيد في هذه العظة أيضاً في صورة الباكي[٢]، كما يُلحظ ان عظة بُهلول تجاوزت الرشيد لتصل إلى حاشيته، وهي إشارة ضمنية مهمَّة إلى ان المسؤولية لا يتحمَّلها الرشيد فقط، بل تقع على عواتق آخرين يشاركونه في الحكم.

ووصف الخطيب البغدادي الرشيدَ بأنه كان من اغزر الناس دمعاً عند الموعظة[٣]، كما انفرد بالإشارة إلى تعرُّضه لعظةٍ من شعيب بن حرب[٤]، وهو راوي الخبر؛ إذ اعترضه فناداه باسمه قائلاً: يا هارون، قد أتعبت الأمة وأتعبت البهائم[٥]. وهي إشارة إلى حال الناس المتردِّي، لكن الأهمّ من ذلك هو عدم وضوح موقف الرشيد بسكوته وعدم اتِّخاذه أي إجراء يُدافع به عن نفسه، ولعل

(١) هو بهلول بن عمرو بن المغيرة؛ أبو وهيب الصيرفي الكوفي. كان من عقلاء المجانين، وُسوس في عقله. له كلام مليح ونوادر واشعار. استقدمه الرشيد وغيره من الخلفاء ليسمعوا كلامه. تُوفِّي سنة ١٩٢هـ. الكتبي، فوات الوفيات، ج١، ص٢٢٨. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١٢، ص٨٩. الخوانساري، روضات الجنات، ج٢، ص١٤٨. ويرى الجاحظ انه كان يتشيَّع. انظر: الجاحظ، البيان والتبيين، ج١، ص٣٢٧.

(٢) الحسن بن محمد بن حبيب، عقلاء المجانين، ص١٤٠، ١٤١. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٥، ص٤٠٨. ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص١٥٥، ٢٠٢. الخوانساري، روضات الجنات، ج٢، ص١٥١.

(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٤، ص٨. وانظر أيضاً: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٧٣، ص٣٠١. ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص٣٢٨. الاربيلي، خلاصة الذهب المسبوك، ص١١٢.

(٤) شعيب بن حرب المدائني؛ أبو صالح. من أبناء خراسان، كان احد المذكورين بالعبادة والصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢، ص٤٧٠.

(٥) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٩، ص٢٣٩. وانظر أيضاً: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٧٣، ص٣٠٢. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢، ص٤٧٠، ٤٧١. ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٠، ص٢٢٦.

هذا ما تقصده الرواية من تأكيد سوء سياسة الرشيد وتوجيه النقد إليه.

ويُلحظ تفاوُت المصادر في تصويرها موقف الرشيد من تلك العظات؛ فهو باكٍ، أو صامت، أو مُدافِع ومُواجِه لها بالحُجَج، أو مُحاجِج في كيفية ما يجب أن تكون عليه العظة، إلى أن وصل موقفه إلى عقاب بعض واعظيه؛ فقد قدَّم الطبري وصاحب (الإمامة والسياسة) الرشيد في صورة المدافع القويّ ضدّ واعظيه ومنتقديه، حتى إن الطبري أحجم عن ذكر نصوص العظات التي وُجِّهت إلى الرشيد، كما أن بعض المصادر اتَّجهت نحو الرمزية في إغفالها عن عمدٍ أسماء الأشخاص الذين وعظوا الرشيد بهدف تعميم فكرة النقد على الناس عامةً أو لتحقيق أغراض خاصة لدى هؤلاء الرُّواة والمؤرِّخين.

كما يُلحَظ أن المصادر التي أغفلت نصوص هذه العظات كانت تهدف إلى إبراز صورة إيجابية للرشيد والدفاع عنه بشكل غير مباشر. وتمثَّل هذا الاتجاه في كتب التاريخ والتراجم؛ مثل: صاحب (الإمامة والسياسة)، والطبري، والمسعودي، وأبي نعيم الأصبهاني، والخطيب البغدادي. بينما لم تهتمّ المصادر التي أوردت نصوص هذه العظات بموقف الرشيد منها؛ لأن هدفها لم يكن إبراز موقف الرشيد بل توجيه النقد إليه من خلال مضمون العظة، وتمثَّل ذلك في المصادر الأدبية، خصوصاً عند ابن عبد ربِّه والحسن بن محمد بن حبيب والتوحيدي.

ويرى طيب الهبري أن الرشيد نال من بين الخلفاء السابقين واللاحقين اهتماماً مُضاعَفاً بتقديم عدَّة روايات وقصص عن حساسيته الشديدة للوعظ، ولكن على الرغم من اهتمام المصادر بهذه الصفة فإن الزهد لم يكن أسلوب حياته، بل كانت بعض هذه القصص تمثِّل انتصاراً لهؤلاء الوعَّاظ عليه، كما يرى أن قصص الوعظ صِيغت بدقة عالية مع اهتمامها بالقيم الإنسانية والمثالية ومسؤولية الحاكم(١).

ويذكر سعدي ضناوي أن هذه العظات ركَّزت في دعوة الرشيد إلى التواضع

(1) Tayeb El- hibri, Harun Al - Rashid, p25-27.

وتحمُّل مسؤولية رعاية الأمة، وأن الخلافة منصبُ تكليفٍ وخدمةٍ ورعايةٍ للمسلمين، ويرى أن المصادر أظهرت الرشيد كسائر البشر يُذنب ويخطئ ويندم عكس المديح الذي كان يرفعه إلى مصافّ الأولياء والأنبياء(١).

كما وصفت بعض المصادر التاريخية الرشيد ـ إلى جانب تديُّنه ـ بصفات مُناقِضَة؛ منها اللهو والانصراف إلى الملذّات والمتعة. وتميَّزت المصادر الأدبية في هذا الجانب، فذكرت بعض الممارسات التي كان يقوم بها الرشيد في مجال اللهو؛ مثل حبّه الغناء واهتمامه به، وتقريبه المغنّين، وعقده مجالس الطرب التي كان يدخل فيها العبث والشرب. فوصف اليعقوبي الرشيد بأنه أوَّل مَن اتَّخذ القِيَان(٢) من بني هاشم، وأن الناس تشبَّهوا به وسلكوا سبيله(٣).

كما اهتمت المصادر الأدبية بالتفاصيل المتعلّقة باهتمام الرشيد بالغناء والمغنّين، ويعدُّ الأصبهاني أشهر مَن تناول هذا الجانب من حياة الرشيد في كتابه (الأغاني)؛ فقد أبرز بشكل واضح اهتمامه بالغناء والمغنّين(٤)، وأشار إلى بروز المغنّين في اللحظات الأولى من خلافته، فذكر في روايتَيْن؛ الأولى لدعبل بن علي، والثانية لحماد بن إسحاق الموصلي: أن إبراهيم الموصلي كان أوَّل مَن غنّى الرشيد بعد تولّيه الخلافة؛ إذ أعدَّ الرشيد مجلس الشراب وغنّاه إبراهيم الموصلي قصيدةً من شعره يصفه فيها بالإمام العادل(٥). كما أشار كلٌ من الثعلبي (تُوفِّي في القرن ٣هـ/ ٩م)

(١) سعدي ضناوي، موسوعة هارون الرشيد، ج٣، ص٦٣٣.

(٢) القَيْنة هي الأَمَة المغنِّية المتزيِّنة التي تتَّخذ الغناء مهنةً، وجمعها قيان. ابن منظور، لسان العرب، مادة (قين)، ج١٣، ص٣٥١.

(٣) اليعقوبي، مشاكلة الناس لزمانهم، ص٣٦، ٣٧.

(٤) الأصبهاني، الأغاني، ج١، ص٤٢، ٤٣. وانظر أيضاً: ابن خلدون، المقدّمة، ج١، ص٦٤٢.

(٥) الأصبهاني، الأغاني، ج٥، ص١٣٦، ١٦٠، ١٦١. وانظر أيضاً: الزمخشري، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، ج٢، ص٥٨٨. الأبشيهي، المستطرف، ج٢، ص٣٧٠. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٤٦٧.

وابن عبد ربّه والأصبهاني إلى اهتمام الرشيد بالمغنّين ومتابعة أحوالهم وتقسيمهم طبقات(١).

ومن جانب آخر، رأى بعض أصحاب التراجم؛ مثل الخطيب البغدادي، في وجود هؤلاء المغنّين المُبدعين ميزةً مهمّةً لعصر الرشيد، وأن خلافته تميَّزت باجتماع عدد كبير من كبار موظّفي الدولة والشعراء والمغنّين وغيرهم من الفئات؛ فقد ذكر الخطيب البغدادي روايةً عن الجاحظ أنه «اجتمع للرشيد ما لم يجتمع لأحد من جدٍّ وهزل ... ومغنّيه إبراهيم الموصلي واحد عصره في صناعته، وضاربه زلزل، وزامره برصوما»(٢)؛ بمعنى أن ذلك كان ميزةً رفيعةً للرشيد ولخلافته لم ينلْها أحد غيره.

وعلّق ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م) في (مقدّمته) على الغناء وكتاب الأصبهاني، فرأى أن الغناء جزء من الأدب؛ لأنه تابعٌ للشعر؛ إذ الغناء إنما هو تلحينه. كما أوضح النظرة التي كانت سائدةً للغناء، فقال: «كان الكُتّاب والفضلاء من الخواصّ في الدولة العباسية يأخذون أنفسهم به؛ حرصاً على تحصيل

(١) الثعلبي، أخلاق الملوك، ص٦٣-٦٦. ابن عبد ربّه، العقد الفريد، ج٦، ص٣١، ٣٢. الأصبهاني، الأغاني، ج٥، ص١٣٨-١٤٠، ٢٥٠، ج٦، ص٤٠٠، ٤٩٦. وانظر أيضاً: التنوخي، الفرج بعد الشدّة، ج١، ص٤٠٢. ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج٩، ص٢٩-٣١، ٤٣، ٤٤، ص٧٥. الزمخشري، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، ج٣، ص٤٨٩، ٤٩٠. الأبشيهي، المستطرف، ج٣، ص٦.
وأشار الأصبهاني إلى أن سبب انقسام المغنّين إلى حزبين هو العداوة بين إبراهيم بن المهدي وإسحاق الموصلي. كما تظهر أخبار الأصبهاني أيضاً تفوّقاً واضحاً لابن جامع مغنّي الرشيد على إبراهيم الموصلي. انظر: الأصبهاني، الأغاني، ج١٨، ص٤٥٤.

(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٤، ص١١. وانظر أيضاً: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٧٣، ص٢٩٧. ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص٣٢١. ابن ظافر الأزدي، أخبار الدول المنقطعة، ج٢، ص٣٢٣. ابن الطقطقا، الفخري في الآداب السلطانية، ص١٩٥، ١٩٦. الأربيلي، خلاصة الذهب المسبوك، ص١٠٨، ١٠٩. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٩، ص٢٩٠. ابن كثير، البداية والنهاية، ج١، ص٢٢٥.

أساليب الشعر وفنونه، فلم يكن انتحاله قادحاً في العدالة والمروءة»[١].

كما أورد الأصبهاني عدَّة روايات بالغت كثيراً في تصوير علاقة الرشيد بالمغنِّي إبراهيم الموصلي وابنه إسحاق، وسعت بعض هذه الروايات إلى تقديم مواقف مُبالَغ فيها ومتناقضة للرشيد لا يمكن القبول بها[٢]، مع الاهتمام بشرب الرشيد بعد طربه وظهور الجواري في بعض هذه الروايات[٣]. كما اهتمت روايات الأصبهاني بتقديم الرشيد في صورة الخليفة الماجن الذي يشرب حتى طلوع الفجر مُغرَماً بشعر الخمريات، خصوصاً خمريات أبي نواس[٤]. كما أشارت من خلال بعض القصص إلى أن الشرب كان عادةً للرشيد تصاحب استماعه إلى المغنِّين دون أن يخصّ بذلك أحد من المغنِّين[٥]. كما أشارت هذه الروايات إلى استهتار الرشيد وعبثه ببعض المغنِّين[٦]، وعكست حالة الترف والبذخ والإسراف في الطعام واللباس في جلسات اللهو والغناء التي كان يعقدها الرشيد[٧]، إضافةً إلى اهتمامها بسلوكيات الرشيد في مجالس الغناء؛ مثل رقصه وحركاته[٨]؛ فقد وصف الأصبهاني الرشيد في إحدى جلسات الغناء بعدم الاتزان حين كان به خمار شديد، فكاد الرشيد يرقص، واستخفَّه الطرب حتى ضرب بيديه ورجليه[٩].

---

(١) ابن خلدون، المقدّمة، ج١، ص٦٤٢.

(٢) الأصبهاني، الأغاني، ج١١، ص٢٤٤.

(٣) الأصبهاني، الأغاني، ج٥، ص١١٥، ١١٧، ١٣٥، ١٤٩، ١٦٤، ١٩٦.

(٤) الأصبهاني، الأغاني، ج٥، ص١٢٩، ١٣٠، ٢٤٤، ٢٤٥، ج١٨، ص٤٠٣. وانظر أيضاً: ابن العديم، بغية الطلب، ج٣، ص١٤٢١، ١٤٢٢.

(٥) الأصبهاني، الأغاني، ج٦، ص٤١٤، ج١٨، ص٤٧٩، ٤٨٠، ج٢١، ص١٦٥.

(٦) الأصبهاني، الأغاني، ج١٩، ص١٩٥، ١٩٦. وانظر أيضاً: ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج٨، ص١٨٧-١٨٩. النويري، نهاية الأرب، ج٤، ص٤٨-٥٠.

(٧) الأصبهاني، الأغاني، ج١٩، ص١٩٢، ١٩٣.

(٨) الأصبهاني، الأغاني، ج٥، ص١٦٠.

(٩) الأصبهاني، الأغاني، ج٧، ص٧٦.

ومن جانب آخر، يورد كلّ من ابن عبد ربِّه والتوحيدي أخباراً تشير إلى اشتراك الأصمعي في جانب من حياة الرشيد الماجنة؛ فابن عبد ربِّه يشير برواية الأصمعي نفسه إلى أنه شرب مع الرشيد(١)، أما التوحيدي فيذكر برواية الأصمعي أيضاً أن الرشيد طلب منه أن ينشده أشعر ما قيل في المجون، فأنشده أبياتاً ماجنة فاضحة في المجون والفسق(٢).

ويبالغ الأزدي في إحدى رواياته عندما يذكر أن الكسائي عربد في مجلس الرشيد بعد أن شرب فسُحب منه، فأرسل إلى الرشيد بشعر يعتذر فيه ويطلب منه العفو، فوصله الرشيد على كل بيت شعر أحسن فيه الاعتذار ألف دينار، وكانت أربعة أبيات(٣).

وقدَّم الأصبهاني عدَّة روايات تظهر فيها المبالغة وتثير الاستغراب من عدم غيرة الرشيد وقيامه باللهو والشرب في جلسة غناء مع أخته عُلَيَّة بنت المهدي؛ فقد ذكرت روايتا مسرور الكبير وحماد بن إسحاق ورواية ثالثة أسندت إلى بعض كتَّاب السلطان أن الرشيد كان يذهب إلى سماع غناء أخته عُلَيَّة ويشرب عليه(٤). ويبالغ الأصبهاني أيضاً بإيراده خبراً غريباً يرويه محمد بن جعفر بن يحيى البرمكي يقوم فيه الرشيد باصطحاب يحيى البرمكي إلى إحدى حجرات قصره للاستماع إلى أخته عليَّة وهي تغنِّي من وراء الباب، فيطربان ويرقصان، ثم يطلب الرشيد من يحيى أن يُبقي هذا الأمر سراً، ويهدِّده بالقتل إن أخبر به أحداً(٥). ويُلاحَظ أن

(١) ابن عبد ربِّه، العقد الفريد، ج٥، ص٣٧٨، ٣٧٩.

(٢) التوحيدي، البصائر والذخائر، ج٦، ص١٤٣.

(٣) الأزدي، تاريخ الموصل، ص٢٧٣، ٢٧٤.

(٤) الأصبهاني، الأغاني، ج٥، ص١٤٥، ١٤٦، ج١٠، ص٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٥، ٣٦٦. وانظر أيضاً: ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج٩، ص٣١، ٣٢.

(٥) الأصبهاني، الأغاني، ج١٠، ص٣٦٤، ٣٦٥. وانظر أيضاً: ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج٩، ص٥٥، ٥٦. النويري، نهاية الأرب، ج٤، ص٢١٧، ٢١٨.

بعض المصادر نقلت هذا الخبر وتداولته اعتماداً على الأصبهاني وسنده المتَّصل بالبرامكة، وهو ما يُضعف من أهمية الخبر ومصداقيته.

إن روايات الأصبهاني سعت في أحيان كثيرة إلى إظهار الرشيد في صورة الخليفة الذي يجعل شغله الشاغل هو الاستماع إلى الغناء وعقد المجالس للمغنِّين، أو الذي ينتقل برفقتهم ليُحضروا له صوتاً يكافئهم عليه بالصلات العظيمة التي وصلت إلى الملايين، إضافةً إلى شربه المُرافِق لطربه. لكن هذه الروايات لم تحدِّد نوع الشراب الذي كان يشربه الرشيد، ومن المؤكَّد أنها قصدت الخمر أو النبيذ. وقد أظهرت بعض روايات الأصبهاني الرشيد في صورة المستهتر بالشراب، حتى إنه ليشرب منه عدَّة أرطال، وربما كان يحمل معه شرابه إذا انتقل إلى إحدى الجلسات لسماع الغناء.

ولم يستغرب بعض الباحثين سلوك الرشيد هذا، ويرون أنه لم يكن ليُلهيَهُ عن القيام بواجباته؛ لأن الاستماع إلى الغناء في ذلك العصر لم يكن فعلاً مَعِيباً(١)، واستندوا في ذلك إلى رأي ابن خلدون.

وأشار كلٌّ من ابن عبد ربِّه والأصبهاني والخطيب البغدادي إلى اهتمام الرشيد بالسؤال عن آراء الفقهاء في الغناء، فقد سأل الرشيد إبراهيم بن سعد الزهري (ت ١٨٣هـ/ ٧٩٩م)(٢) عمَّن يحرِّم الغناء في المدينة، فأجابه بأن مالك بن أنس يحرِّم ذلك(٣). بينما

(١) سعدي ضناوي، موسوعة هارون الرشيد، ج١، ص١٤، ١٥. أحمد أمين، هارون الرشيد، ص١٨٦، ١٨٧. عمر أبو النصر، هارون الرشيد، ص١١، ١٢. عبدالأمير مهنا، الطرب والظرف والنشيد في مجالس هارون الرشيد، ص٤٠، ٤١.

(٢) هو إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف؛ أبو إسحاق الزهري. من العلماء الثقات، من أهل المدينة، وولي القضاء فيها. اختُلف في تاريخ وفاته، فقيل: سنة ١٨٤هـ، وقيل: سنة ١٨٥هـ، وقيل غيرهما. انظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٨، ص٨١-٨٥. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١٢، ص٥، ٦.

(٣) ابن عبد ربِّه، العقد الفريد، ج٦، ص١١، ١٢. الأصبهاني، الأغاني، ج٢، ص٤٨٦. وانظر أيضاً: الزمخشري، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، ج٢، ص٥٥٥.

أورد الخطيب البغدادي ذلك برواية أخرى، وهي أن الرشيد سأل إبراهيم بن سعد الزهري عن الغناء، فأفتى بتحليله، ثم سأله إذا ما كان أحد فقهاء المدينة يكره السماع، فأجابه بأنه لا أحد من فقهاء المدينة أفتى بذلك حتى مالك بن أنس، وأشار إلى أن مالكاً كان يغنّي في إحدى الحفلات. فضحك الرشيد ووصله بمال عظيم(١).

وأضاف صاحب (التاج) أن الرشيد كان يشرب ظاهراً؛ أي: دون تستُّر، معظم أيام الأسبوع عدا يومي السبت والثلاثاء؛ لأنهما مُخصَّصان للندماء(٢). وأورد التوحيدي رأي القاضي شريك بن عبدالله النخعي في شرب النبيذ عندما سأله يحيى بن عبدالله بن الحسن البصري عن ذلك وهما في دار الرشيد، فقال: حلال(٣). ويذكر الطبري في روايته عن أحمد بن الحسن بن حرب أن الرشيد عتب على الفضل بن يحيى لتركه الشرب معه(٤).

وقدَّم بعض المؤرِّخين المتأخِّرين؛ مثل الذهبي وابن خلدون، رأيهم في قضية شرب الرشيد، فأورد الذهبي قول ابن حزم الظاهري (ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م) عن الرشيد: «أراه كان يشرب النبيذ المُختلَف فيه، لا الخمر المُتَّفق على حرمتها، ثم جاهر جهاراً قبيحاً»(٥).

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٦، ص٨٤. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٧، ص٩. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١٢، ص٥١. النويري، نهاية الأرب، ج٤، ص٢٢٨.

(٢) الجاحظ (منسوب إليه)، التاج، ص١٥٥.

(٣) التوحيدي، البصائر والذخائر، ج٥، ص٧١. وانظر أيضاً: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢، ص٤٦٦. الزمخشري، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، ج١، ص٣٨٥.

(٤) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٢٩٣.

(٥) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٩، ص٢٩٠. تاريخ الإسلام، ج١٣، ص٤٣٠. وأورد القاضي وكيع في أخبار القضاة عن أبي معشر أن القاضي أبا يوسف أدخل النبيذ الجمهوري الذي يُطبخ ثم يُذهب بثلثيه ثم يُصبُّ عليه الماء ثم يُطبخ، وأن الناس أنكروا ذلك على أبي يوسف وتكلموا فيه. وكيع، أخبار القضاة، ج٣، ص٢٥٦. وأوردت المصادر الأدبية؛ كالجاحظ وابن=

أما ابن خلدون، فدافع عن الرشيد، ونفى ذلك الاتهام، ورأى أنه كان يشرب النبيذ غير المحرَّم؛ إذ يقول في (تاريخه): «حال الرشيد في اجتناب الخمر كانت معروفة عند بطانته وأهل مائدته، ولقد ثبت عنه أنه عهد بحبس أبي نواس لما بلغه من انهماكه في المعاقرة حتى تاب وأقلع. وإنما كان الرشيد يشرب نبيذ التمر على مذهب أهل العراق، وفتاويهم فيه معروفة. أما الخمر الصرف فلا سبيل إلى اتِّهامه بها، ولا تقليد الأخبار الواهية فيها»(١). كما دافع ابن خلدون عن الرشيد عندما دافع عن التُّهم الموجَّهة إلى المأمون وقاضيه يحيى بن أكثم بأنهما كانا يعاقران الخمر، فقال: «وحال ابن أكثم والمأمون في ذلك من حال الرشيد، وشرابهم إنما كان النبيذ، ولم يكن محظوراً عندهم، وأما السكر فليس من شأنهم»(٢).

من خلال ما تمَّ استعراضه من أخبار الرشيد يُلاحَظ انفراد الأصبهاني بتقديم

= عبد ربِّه والتنوخي، الآراء التي حلَّلت أو حرَّمت شرب النبيذ؛ فأورد الجاحظ في رسالة (كتابٌ فصلٌ ما بين العداوة والحسد) مناقشةً لما كتبه بشر المريسي للمأمون في تحليل النبيذ. انظر: رسائل الجاحظ، ج١، ص٣٤٢، ٣٤٣. وأورد الجاحظ في رسالة (الشارب والمشروب) الآراء التي تحلِّل شرب النبيذ دون الخمر. انظر: رسائل الجاحظ، ج٤، ص٢٧٤-٢٨١. كما أورد ابن عبد ربِّه مفارقةً بين الخمر والنبيذ في (كتاب الفريدة الثانية في الطعام والشراب) ذكر فيها الآراء التي تحرِّم شرب النبيذ والآراء التي تحلِّله. انظر: ابن عبد ربِّه، العقد الفريد، ج٦، ص٣٥٢-٣٧٣. وأورد التنوخي ثلاث قصص تدلُّ على تحليل شرب نبيذ التمر. انظر: التنوخي، نشوار المحاضرة، ج٣، ص١٤١-١٤٣.

(١) ابن خلدون، التاريخ، ج١، ص١٩.

(٢) ابن خلدون، التاريخ، ج١، ص٢٠. ويذكر عبود الشالجي محقِّق كتاب (الفرج بعد الشدة) للتنوخي أن النبيذ هو عصير التمر، وهو نوعان: الأول مسكر يُصنع بتركه في وعاء ويُصبُّ عليه الماء حتى يفور، أما النوع الثاني فهو مطبوخ يُغلى على النار، وهو غير مسكر، وربما هو الذي كان يشربه الرشيد على مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان. انظر: التنوخي، الفرج بعد الشدة، ج٢، ص٢٦٢، ٢٦٣. وللمزيد حول الموقف الشرعي والفقهي من شرب النبيذ انظر: مالك بن أنس، المدوَّنة الكبرى، ج١٦، ص٢٦١-٢٦٣، ٢٧٨. ابن قدامة المقدسي، المغني، ج٩، ص١٤٣-١٤٥. النووي، المجموع، ج٢، ص٥٢٠-٥٢٢. السرخسي، المبسوط، ج٢٤، ص٩.

معظم هذه الأخبار، كما يُلاحَظ محدودية المصادر التاريخية في ذلك. ولا يعني انفراد الأصبهاني في هذا الجانب أنه قدَّم لنا روايات تاريخية واقعية على الرغم من إسناده تلك الروايات إلى شهود عيان معروفين، كما أن ذلك الإسناد لا يعطي هذه الأخبار مصداقيةً بسبب وجود صلات بين رواة هذه الأخبار والأشخاص الفاعلين فيها؛ مثل: أولاد إبراهيم الموصلي الذين كانوا ينقلون أخبار المُغنِّيَيْن إبراهيم وإسحاق عنهما مباشرةً، وهبة الله بن إبراهيم المهدي الذي كان يروي أخبار أبيه مع الرشيد، وأحد المقرَّبين الذين كانوا على صلة بالرشيد مثل الأصمعي. وفي أحيان أخرى، كانت تُسند هذه الأخبار إلى جهة مجهولة، فتُستخدم ألفاظ مثل: (قِيلَ)، و(يُروى)، وأحياناً تأتي الروايات دون إسناد، وهي حالات قليلة. كما لُوحِظ في هذه المصادر وجود تيَّار معادٍ للرشيد سعى إلى تقديمه في صورة مُبالَغ فيها كثيراً، وهو أمر ناتج عن ميول الرُّواة الذين كانوا من البرامكة أو أتباعهم أو المقرَّبين منهم؛ مثل أبناء الموصلي وأحفاده.

اهتمَّت المصادر التاريخية بعلاقة الرشيد بالنساء من أهل بيته قبل خلافته وبعدها، خصوصاً والدته وزوجاته. ويُلاحظ كثرة الأخبار وتركُّزها في فترة خلافته مقارنةً بالفترة التي سبقتها؛ إذ كانت أخبارها قليلةً، خصوصاً علاقته بوالدته الخيزران؛ فالمصادر تكثر من ذكر الخيزران[1] في عدَّة مواقف، لكن القليل منها يشير إلى علاقتها بالرشيد في فترة خلافة الهادي عند تأزُّم العلاقة بين الأخوَيْن، بينما تغيب في فترة طفولة الرشيد وصباه.

فاليعقوبي يشير إلى ظهور الخيزران عند موت الهادي مخبرةً يحيى البرمكي

(١) الخيزران هي زوجة المهدي أم ولده، وهي أم الهادي والرشيد، وكانت جُرشية من اليمن. وكان المهدي قد اشتراها من نخاس، تُوفِّيت سنة ١٧٣هـ. انظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٤، ص٤٣٠-٤٣٢. ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص٣٤٦. وأشار ابن أعثم إلى أن أناساً قالوا إنها عربية. ابن أعثم، الفتوح، ج٨، ص٤٠١.

بذلك، وبأنها متآمرة مع يحيى من أجل الرشيد[١]. وعند الطبري تظهر الخيزران في فترة تأزُّم العلاقة بين الأخوين الهادي والرشيد في صورة الأم الحريصة على مصلحة الرشيد المُحبَّة له دون أخيه؛ إذ أرسلت إلى يحيى البرمكي تطلب منه عدم تحريض الرشيد على معاندة الهادي، وأن يتركه يجيب طلب أخيه بأن يتنازل له عن ولاية العهد[٢]. كما يشير الطبري إلى وضع الخيزران وعلاقتها بالرشيد فيقول: «وكانت المُستوليةَ على أمر الرشيد وتدبير الخلافة إلى أن هلك»[٣]، والمقصود هنا هلاك الهادي، وهي إشارة إلى السيطرة التامة للخيزران على خلافة الهادي وحياة الرشيد في هذه المرحلة. كما يُورد الطبري روايةً أخرى تؤكِّد هذا الموقف للخيزران، وتؤكِّد اهتمامها وحبها الشديد للرشيد، وذلك عندما أخبرتها الجارية خالصة بموت الهادي ودفنه، فقالت: «إن كان مات موسى فقد بقي هارون، هاتِ لي سويقاً. فجاءت بسويق، فشربت وسقتنا»[٤].

ويستبعد ابن الجوزي رواية الطبري التي رجَّحت الدور الكبير للخيزران في مقتل الهادي، فيقول: «وحكى أبو جعفر ابن جرير الطبري عن جماعة أنهم قالوا: إن الخيزران أُمَّه أمرت بقتله. فأنا أستبعد ذلك»[٥]. ولعل هذه الاتهامات التي وُجِّهت إلى الخيزران بقتل ابنها جاءت من خصومها وأعدائها بهدف تشويهها. وترى نابية عبود أن بعض الروايات التي تتَّهم الخيزران بقتل ابنها الهادي هي أقوال ومزاعم لا تقوم على أساس سليم، وهي لا تعدو كونها أخباراً جرت على ألسنة الناس فتلقَّاها بعض المؤرِّخين على أنها وقائع حقيقية وأخبار صادقة[٦]. وتؤيِّد

(١) اليعقوبي، التاريخ، ج٢، ص٤٠٦.

(٢) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٢١٠.

(٣) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٢١٢. وانظر أيضاً: الجهشياري، الوزراء والكتَّاب، ص١١٢.

(٤) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٢١٣.

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص٣٣٤.

(٦) نابية عبود، ملكتان في بغداد، ص١١٩.

هذه الاتهامات الرأي الذي يقول: إن الخيزران كانت تميل إلى الرشيد وتكره الهادي إلى درجة التحريض على قتله؛ لأن ذلك يصبُّ في مصلحة الرشيد.

أما في فترة خلافة الرشيد فيُلاحَظ أن المصادر التاريخية لم تذكر الخيزران كثيراً، سوى ما أشار إليه الطبري، وهي إشارة مهمة جداً، من تدخُّلها الكبير في أمور الدولة بالتعاون مع البرامكة الذين كانوا يتمتَّعون بعلاقة وثيقة وقديمة مع الأسرة العباسية، فقال: «وكانت الخيزران هي الناظرة في الأمور، وكان يحيى البرمكي يعرض عليها ويصدر عن رأيها»[1]. ويظهر من رواية يحيى بن الحسن[2] التي أوردها الطبري مدى سيطرة الخيزران على الرشيد وقوة نفوذها، حتى إنه لم يكن يجرؤ على معارضتها، فيُصرِّح الرشيد للفضل بن الربيع بعد وفاة الخيزران سنة (١٧٣هـ/ ٧٨٩م) وبعد أن حلف له بحقّ أبيه المهدي بأنه كان يريد توليته بعض الأعمال فتمنعه أمه الخيزران، وأنه كان يطيع أمرها[3]. وهذا الخبر مُبالَغ فيه؛ لأن الطبري لا يذكر سواه، كما أن الأخبار التي أوردها الطبري عن خلافة الرشيد لا تُظهر تأثيراً للخيزران في الأحداث.

وأشار الجهشياري إلى بداية تدخُّل الخيزران في أمور الدولة من خلال موقفها من الذين تسرَّعوا في خلع الرشيد وبايعوا جعفر ابن الهادي، فعندما تولَّى الرشيد

(١) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٢٣٤. مؤلِّف مجهول، العيون والحدائق، ج٣، ص٢٩١.

(٢) هو يحيى بن الحسن بن عبدالخالق خال الفضل بن الربيع. انظر: الطبري، التاريخ، ج٧، ص٦٥٢، ج٨، ص٨٧، ٩٥، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢١٣.

(٣) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٢٣٨. وانظر أيضاً: ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص٣٤٨. ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص١١٩. الأربيلي، خلاصة الذهب المسبوك، ص١١٦. ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٠، ص١٦٩. وترى نابية عبود أن السبب في تدخُّل الخيزران ومحاولة فرضها سلطانها على ابنَيْها الهادي والرشيد هو أنها كانت تعدُّ نفسها هي التي أوصلتهما إلى العرش بتأثيرها في المهدي. انظر: نابية عبود، ملكتان في بغداد، ص٦٨. وانظر أيضاً: فاروق عمر، الخليفة المجاهد هارون الرشيد، ص٢٠. العباسيون الأوائل، ج٢، ص٢٢١، ٢٢٢.

الخلافة أمرت الخيزران بقتل مَن بايع جعفراً، لكن يحيى البرمكي اقترح عليها إرسالهم إلى الثغور، فأذنت له الخيزران بذلك، فتخلّص منهم جميعاً[١]. ولا يُستبعد مثل هذا الموقف من الخيزران؛ لأن الرشيد كان في أوّل خلافته، ولم تكن مُجريات أحداث موت الهادي وبيعته من بعده تحت سيطرته، وإنما كانت في أيدي الخيزران والبرامكة.

وقد اهتمّت المصادر بقصّة غرام الرشيد بابنة عمّه زبيدة أم جعفر وزواجه منها، فظهر الرشيد في بعضها في صورة العاشق المُتيَّم. وقد اتّفقت معظم هذه المصادر على تسميتها أم جعفر احتراماً لها. فذكر كل من البسوي والطبري أن الرشيد تزوّجها سنة (١٦٥هـ/ ٧٨١م) في خلافة أبيه المهدي[٢]، ولكن الطبري لم يؤكّد هذا الخبر، وإنما أورده بصيغة (قيل)[٣]. واعتقد كلّ من ابن عبد ربّه والأصبهاني والخطيب البغدادي أنها أمة العزيز[٤]، وهي جارية تسرّى بها الرشيد وكانت أمَّ ولدٍ لأخيه موسى الهادي، وستشير الدراسة إلى ذلك فيما بعد.

لم يُورد المؤرّخون أو أصحاب التراجم تفصيلات حول طبيعة علاقة الرشيد بزبيدة ومدى غلبتها عليه قبل خلافته سوى ما ورد عند كل من الطبري والجهشياري من أن الرشيد كاد يتنازل عن حقّه في الخلافة مقابل أن يعيش إلى جوار ابنة عمه زبيدة في الهنيء والمريء[٥]. وهناك معلومات كثيرة ودقيقة لدى المؤرّخين عن علاقة زبيدة بالرشيد في فترة خلافته، خصوصاً فيما يتعلّق بولاية العهد لولدها محمد الأمين، وهو ما ستتناوله الدراسة في الفصل المتعلّق بولاية العهد.

---

(١) الجهشياري، الوزراء والكتّاب، ص١١٤، ١١٥.

(٢) البسوي، المعرفة والتاريخ، ج١، ص١٥٣. وانظر أيضاً: ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص٢٧٨.

(٣) الطبري، التاريخ، ج ٨، ص٣٥٩.

(٤) ابن عبد ربّه، العقد الفريد، ج٥، ص١١٧. الأصبهاني، الأغاني، ج١٠، ص٣٧٩. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٤، ص٤٣٣.

(٥) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٢٠٨. الجهشياري، الوزراء والكتّاب، ص١٠٩.

وترى نابية عبود أن المؤرِّخين المسلمين؛ كاليعقوبي والمسعودي، كانوا كثيري الحذر والاختصار فيما يتعلَّق بأخبار النساء وتحرُّكاتهم، خصوصاً ذوات المراكز العليا منهن(١)، بينما راق للمصادر الأدبية الحديث عن الموضوع كما سيأتي.

وينفرد أبو نعيم الأصبهاني برواية تصف الرشيد بعدم العدل، وذلك من خلال قصَّة موضوعة تشير إلى رغبته في الزواج على زبيدة، وخلافه معها في جواز ذلك، واحتكامهما إلى سفيان الثوري، فسأله الرشيد عن حكم زواجه على زبيدة استناداً إلى قول الله تعالى: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ﴾ [النساء: ٣]، وسكت. فقال له سفيان: تمِّم الآية، يُريد قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾، وأنت لا تعدل. فيكافئ الرشيد سفيان الثوري على ردِّه هذا(٢). وتثير هذه الرواية الاستغراب بإشارتها إلى مكافأة الرشيد سفيان الثوري على ذلك، كما أنها رواية غريبة متناقضة ومُختلَقة؛ لأن سفيان الثوري مات سنة (١٦١هـ/ ٧٧٧م)(٣)، وزواج الرشيد من زبيدة كان سنة (١٦٥هـ/ ٧٨١م).

ويشير بعض المؤرِّخين؛ مثل: ابن طيفور، والطبري، وابن أعثم، إلى زواج الرشيد من أمة العزيز التي أُطلق عليها عدَّة أسماء، منها: غادر، وأم موسى. وانفرد ابن أعثم بإيراد تفاصيل قصة موضوعة ارتبط فيها اسم هذه الجارية بموقف مُستغرَب من الرشيد سُعي من خلاله إلى تصوير الرشيد في هيئة مَن يخون عهوده ولا يحترمها(٤). وهي صورة لم تجد مكاناً لدى ابن طيفور والطبري؛ فكلاهما

(١) نابية عبود، ملكتان في بغداد، ص٦٦، ٩٥.

(٢) أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء، ج٦، ص٣٧٨.

(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٩، ص١٧١، ١٧٢.

(٤) ابن أعثم، الفتوح، ج٨، ص٤٠١. يذكر ابن أعثم في رواية لأحد موالي المهدي أن الهادي كان يخشى أن يتزوج هارون الرشيد جاريته أم موسى بعد وفاته، فأخذ العهود والأيمان من أخيه الرشيد والجارية بأن لا يحصل ذلك. ويكمل ابن أعثم خبره برواية لإسحاق الموصلي أن الرشيد لما تولَّى الخلافة تزوَّج أم موسى بعد أن أخبرها أنه كفَّر عن يمينه. وقصدُ التشويه واضح لدى ابن =

يشير إلى أن الرشيد تزوَّج أمة العزيز بعد موت موسى الهادي، فولدت له عليّ ابن الرشيد(١)، كما يُقرّ كلّ منهما بأنها كانت جاريةً للهادي، ولم يذكرا أيّ شيء يتعلّق بالأيمان والعهود.

أما بقية زوجات الرشيد فأخبارهن قليلة في المصادر؛ فالطبري يذكر عند نهاية حديثه عن أخبار خلافة الرشيد أسماء النساء المهائر اللواتي تزوَّجهن، وهنّ ستّ نساء، ثم يذكر عند تعداده أولاد الرشيد وبناته عشرين من أمهات الأولاد دون ذكر أيّ تفاصيل عنهن(٢).

وقد أوردت بعض المصادر الأدبية؛ مثل: ابن المعتز (ت ٢٩٦هـ/ ٩٠٨م)، والبيهقي، وابن عبد ربّه، والصولي، والأصبهاني، وبعض كتب التراجم قصصاً عديدة عن علاقة الرشيد بجواريه غلب عليها طابع النوادر والملح، وكانت في الوقت نفسه مادة خصبة لخيالهم نحو المبالغة(٣).

= أعثم وراويه الموصلي، كما أن التناقض والأسلوب القصصي واضحان في الرواية التي يُثير بعض مضامينها التساؤل: فهل يعلم الهادي الغيب وأنه سيموت قبل الرشيد؟ وأن الرشيد لن يكون أمامه إلا هذه الجارية ليتزوجها؟ ولو افتُرض صحة وقوع الشك عند الهادي فهل الرشيد مضطرٌّ إلى حلف هذا اليمين لإثبات صحة نيّته؟! والأمر اللافت للانتباه لدى ابن أعثم المعروف بتشيّعه إيراده هذا الخبر في صدارة أخباره عن خلافة الرشيد، ولعله يقصد من ذلك تشويه سيرته وإظهاره في صورة الخليفة الذي تغلب عليه شهوته، ويغلب حبّه للنساء على مبادئه وأيمانه وعهوده لأخيه المتوفّى، وهو ما يؤكّد فكرة وضع الرواية. انظر: ابن أعثم، الفتوح، ج٨، ص٤٠٢.

(١) ابن طيفور، كتاب بغداد، ص٢١. الطبري، التاريخ، ج٨، ص٢٢٨، ٣٥٩.

(٢) المهائر الستّ هن: أم جعفر زبيدة بنت جعفر بن المنصور، وأمة العزيز أم ولد موسى، وأم محمد ابنة صالح المسكين، والعباسة بنت سليمان ابن أبي جعفر، وعزيزة بنت الغطريف بن عطاء، والجرشية العثمانية ابنة عبدالله بن محمد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان. الطبري، التاريخ، ج٨، ص٣٥٩. وانظر أيضاً: ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص٣١٨-٣٢٠. ابن الأثير، الكامل، ح٦، ص٢١٦، ٢١٧. الأربيلي، خلاصة الذهب المسبوك، ص١٠٧.

(٣) ابن المعتز، طبقات الشعراء، ص٢٥٥، ٢٥٦. البيهقي، المحاسن والمساوئ، ج١، ص٣٧٢. ابن عبد ربّه، العقد الفريد، ج٦، ص٤٦، ٣٨٢-٣٨٧. الصولي، أخبار الشعراء المحدثين، ص ١٨. =

وتبالغ روايات الأصبهاني في إظهار الرشيد في صورة الخليفة الضعيف أمام جواريه؛ فهو يرضخ لمطالبهن، ويسمح لهن بالتدخُّل في شؤون الدولة[١]. كما تظهره في صورة الخليفة المُسرف في شراء الجواري[٢]، والمبذِّر في تقديم الهدايا الثمينة لهن[٣]. كما تُبالغ إحدى روايات الأصبهاني في قصة وصْل الرشيد بعض جواريه بمبلغ ضخم من المال جاءه من الموصل، وأن الناس استعظموا ذلك وتحدَّثوا به، حتى إن الشاعر أبا العتاهية أبدى اعتراضه على ذلك قائلاً: «سبحان الله! أيُدفع هذا المال الجليل إلى امرأة ولا تتعلَّق كفِّي بشيء منه؟!»[٤].

وتحمل بعض مضامين هذه النصوص - إن صحَّت - رأياً مناهضاً لسلوك الرشيد سِيقَ على لسان أبي العتاهية وغيره من الناس ليعبِّر عن رأيٍ للراوي أو المؤرِّخ لم يجرُؤا على الإفصاح به، أو ليمثِّل اتجاهاً للرأي العام؛ مما يعني أن هذه المضامين هي نقد غير مباشر من الرواة لبعض مجريات الأحداث.

ويُبالغ ابن عبد ربِّه فيذكر روايةً يصف فيها الأصمعيُّ الرشيد بالابتذال عندما يُصرُّ على شراء عنان جارية الناطفي[٥] مساوياً بينها وبين الخلافة بقوله: «خُلعت

= المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٢٣٥. وتعكس رواية المسعودي جانباً من اللهو والبذخ الذي ظهر في عصر الرشيد من خلال قصة مُبالَغ فيها رواها إسحاق بن إبراهيم الموصلي تتضمَّن تبادل الرشيد وإحدى جواريه العتاب بالكتابة على تفاحة بالغالية (نوع من العطور الثمينة). وانظر أيضاً: الأصبهاني، الأغاني، ج٥، ص١٦٠، ج١٦، ص٤٩٨، ٤٩٩، ج٢٢، ص٣٠١-٣٠٢. الزمخشري، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، ج٣، ص١٢٣. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٧٣، ص٣٠٩، ٣١٦. ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج٦، ص١٢٧.

(١) الأصبهاني، الأغاني، ج١٦، ص٤٩٧. وانظر أيضاً: النويري، نهاية الأرب، ج٥، ص٩١، ٩٢.

(٢) الأصبهاني، الأغاني، ج٥، ص١١٢.

(٣) الأصبهاني، الأغاني، ج١٨، ص٣٠٥. وانظر أيضاً: النويري، نهاية الأرب، ج٥، ص٩٣.

(٤) الأصبهاني، الأغاني، ج٤، ص٣٠٥.

(٥) مولَّدة من مولَّدات اليمامة، بها نشأت وتأدَّبت، اشتراها الناطفي وربَّاها، وكانت صفراء جميلة الوجه، مليحة الأدب والشعر سريعة البديهة. الأصبهاني، الأغاني، ج٢٣، ص٦٦، ٦٧.

الخلافة من عنقي إن باتت إلا عندي»(١). بينما أشارت رواية أخرى لأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم إلى رفض الرشيد شراء عنان بمبلغ كبير، وأنه اشتراها بعد وفاة صاحبها بربع الثمن(٢).

كما يُبالغ ابن عبد ربّه في إيراد أربع قصص فاسقة رواها إسحاق بن إبراهيم الموصلي بهدف تشويه سيرة الرشيد تتحدث عن علاقات الرشيد الجنسية مع جواريه وتحوي أحاديث جاوزت الحدّ في المجون والخلاعة(٣).

إن المبالغة ووضع الأخبار أو الإضافة إليها واضحة في روايات بعض المصادر الأدبية لعدة أسباب؛ منها: عدم صحة وصول تلك الأخبار إلى رُواتها؛ لأنها علاقة خاصة جداً تحدث بين اثنين فقط، ولن يكون هناك شهود على ذلك، ولا يمكن أن يحدِّث الرشيد أحداً بها، فكيف وصلت هذه الأخبار إلى هؤلاء الرواة؟! كما أن هذه القصص وردت في باب النوادر والمُلَح عن رُواة يُعادون الرشيد من أتباع البرامكة؛ كإسحاق الموصلي، وهم يقصدون بذلك تشويه سيرة الخليفة الرشيد، وجعلها مجالاً للتسلية والسخرية والتهكُّم، ووصْمها بالمجون والتهتُّك.

وفيما يخصُّ عُلَيَّة بنت المهدي أخت الرشيد، فقد وصف الصولي علاقتها بالرشيد بأنها حسنة، وأنه كان يعظمها ويجلسها معه على سرير الخلافة، فكانت تأبى ذلك وتوفيه حقه(٤). كما أشار الصولي والأصبهاني والحصري القيرواني (ت ٤٥٣هـ/ ١٠٦١م) وغيرهم من المتأخِّرين إلى قصة غريبة مُبالَغ فيها هدفها الإساءة

(١) ابن عبد ربّه، العقد الفريد، ج٦، ص٥٧، ٥٨. وانظر أيضاً: ابن الجوزي، المنتظم، ج١١، ص١١٢. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٧٣، ص٣١٥، ٣١٦. النويري، نهاية الأرب، ج٥، ص٧٨.

(٢) الأصبهاني، الأغاني، ج٢٣، ص٧١. ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج٨، ص٢٧٣.

(٣) ابن عبد ربّه، العقد الفريد، ج٦، ص٤٠٣–٤٠٥. وانظر: ابن الجوزي، الأذكياء، ص٢٤٠. الثعالبي، لطائف اللطف، ص٩٩، ١٠٠.

(٤) الصولي، أشعار أولاد الخلفاء، ص٥٥. وانظر أيضاً: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٢٣٠.

إلى الرشيد، وتشير القصة إلى وجود علاقة غرامية بين علية أخت الرشيد وأحد خدمه وسكوته عن ذلك(١). ويروي الصولي هذه القصة عن سعيد بن هريم(٢)، وهو كاتب كان يتولّى بيت الحكمة أيام المأمون مع سهل بن هارون، وسهل هذا معروف بشعوبيته؛ مما يعني أن الهدف من ذكر هذه القصة هو الإساءة إلى الرشيد وأخته بشكل مباشر؛ لأن موقف الرشيد فيها غريب ومُستهجَن؛ إذ كيف بعد أن يغضب من أخته يهبها الخادم؟!. أما الأصبهاني فيسند القصة إلى الراوي سعيد بن إبراهيم، وهو اسم مجهول، ولعلّه من تصحيف النُّسّاخ. ورواية الأصبهاني مُختصَرة؛ إذ أشارت إلى أن الرشيد حجب خادمه طلاً عن علية بعد علمه بورود اسمه في أشعارها، لكن الرواية لم تذكر أن الرشيد عاد فرضي عنها ووهبها إيَّاه(٣).

ويُلاحظ أن هذه القصة تعرَّضت للإضافات والمبالغات مع مرور الزمن عند المتأخرين(٤)؛ إذ كان القصد منها الإساءة إلى الرشيد. لكن الضعف في إسنادها

(١) أورد الصولي ذلك برواية سعيد بن هريم، وفيها أن عُليَّة كانت تختصُّ طلاً خادم الرشيد بأشعارها، فلما علم الرشيد بذلك حلف عليها أن لا تكلِّمه، فامتنعت عن ذلك، حتى إنها لم تلفظ بكلمة طلّ عندما قرأت الآية ٢٦٥ من سورة البقرة: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾. فلما علم الرشيد بذلك رضي عنها ووهبها طلاً ولم يمنعها منه أو من أيّ شيء تريده. الصولي، أشعار أولاد الخلفاء، ص٥٦، ٥٧. وانظر أيضاً: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٢٣١. النويري، نهاية الأرب، ج٤، ص٢١٣. الأبشيهي، المستطرف، ج١، ص١٥٦.

(٢) سعيد بن هريم الكاتب: كان يتولّى مع سهل بن هارون بيت الحكمة أيام المأمون، وكان بليغاً فصيحاً، أخذ عنه الجاحظ، وله كتب في الحكمة ومجموعة رسائل، كما روى عنه الطبري. انظر: ابن النديم، الفهرست، ص١٣٣، ١٣٤. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٥، ص٢٦٩.

(٣) الأصبهاني، الأغاني، ج١٠، ص٣٥٤.

(٤) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج٨، ص٢٨٤، ٢٨٥. وزاد على الخبر أن علية عشقت خادماً آخر يُقال له: رشا، وذكرته في أشعارها بشكل رمزي، وأورد تلك الأشعار التي تتضمَّن عدم استحياء علية من العلاقة ومجاهرتها بها في أشعارها وكان ذلك غير مُعاب. وانظر أيضاً:=

لدى هذه المصادر والتناقض في أفكارها يقلّل من أهميتها ومصداقيتها.

أما عن علاقة الرشيد بالشعراء، فقد وصفت بعض المصادر؛ كالطبري والخطيب البغدادي، الرشيد بأنه «كان يحب الشعر والشعراء، ويميل إلى أهل الأدب ... وكان يحب المديح، ولا سيما من شاعر فصيح، ويشتريه بالثمن الغالي»(١). بينما تجاوزت كتب الأدب والتراجم ذلك الوصف العام ودخلت في تفاصيل ومبالغات كثيرة.

ويُلاحظ هذا الاهتمام الواضح بتقديم مثل هذه الأخبار لدى كتاب (الأغاني) وكتب التراجم؛ فقد عدَّ الجاحظُ الرشيدَ من أحظى من مُدِحَ من الخلفاء، فقال: «ولم يكن أحد من أصحابنا؛ من خلفائنا وأئمتنا، أحظى في الشعر من الرشيد»(٢). ويورد الأصبهاني رواية أحمد بن سيار الشيباني التي تبالغ في وصف الرشيد بأنه «كان يحتمل أن يُمدح بما تُمدح به الأنبياء فلا ينكر ذلك ولا يردُّه»(٣). بينما يورد ابن المعتز رواية الخصيب بن محمد أن الرشيد كان يطلب من الشعراء أن يمدحوه في الدين والدنيا بألفاظ قليلة ومُوجَزة(٤).

وتبرز المصادر الأدبية وبعض كتب التراجم؛ مثل: الأصبهاني(٥)، وأبي علي

= الحصري القيرواني، زهر الآداب، ص٤٣، ٤٤. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٢٣١. النويري، نهاية الأرب، ج٤، ص٢١٣. الأبشيهي، المستطرف، ج١، ص١٥٦.

(١) الطبري، التاريخ، ج٨، ص٣٤٧. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٤، ص٧. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٣، ص٢٨٨. ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص٣٢٦. ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص٢١٧. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١٣، ص٤٢٦. سير أعلام النبلاء، ج٩، ص٢٨٧. النويري، نهاية الأرب، ج٢٢، ص١٦٣.

(٢) الجاحظ، الحيوان، ج٤، ص٣٨٣، ٣٨٤.

(٣) الأصبهاني، الأغاني، ج١٣، ص١٩.

(٤) ابن المعتز، طبقات الشعراء، ص١٥٠.

(٥) الأصبهاني، الأغاني، ج١٣، ص١٤، ج٢٢، ص٣٠٤.

القالي(١)، وابن عبد ربّه(٢)، والخطيب البغدادي(٣)، اهتمام الرشيد بالشعر والشعراء من خلال طلبه من بعض الشعراء إنشاد أبيات أو قصائد كان يحبُّ سماعها، أو من خلال إظهار إعجابه ببعض الأشعار التي تُلقى عليه. كما قدَّمت هذه المصادر عدداً كبيراً من الأخبار والروايات التي تضمَّنت قصائد أنشدها الشعراء في الرشيد. ويُلاحَظ أن هذه الأشعار اتَّجهت نحو المديح المُبالَغ فيه والدعاية السياسية المتمثِّلة في وصفه بالإمام والدفاع عنه ومناصرته على منافسيه وأعدائه(٤). ومن المؤكَّد أن ظهور أدب المديح بكثرة في المصادر نتج عن التنافس الذي حصل بين الرشيد والبرامكة؛ إذ مدح الشعراءُ البرامكةَ متجاوزين في ذلك ما مُدِحَ به الرشيد(٥).

كما اهتمت بعض المصادر التاريخية والأدبية بعلاقة الرشيد بالشاعر أبي العتاهية، فذكر البيهقي والأصبهاني والمسعودي والثعالبي (ت ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م) وغيرهم من المتأخرين بأسانيد مختلفة موقفاً مُبالَغاً فيه يصوِّر تأثُّر الرشيد وبكاءه بسبب قصائد تناولت موضوعات مثل الموت والشباب(٦). واختلفت معظم

---

(١) القالي، الأمالي، ج١، ص٢٥٤.

(٢) ابن عبد ربّه، العقد الفريد، ج٣، ص١٧٥.

(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٣، ص١٢١، ١٢٢. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٧٣، ص٣١١. ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص٣٤٠.

(٤) يذكر الجومرد أن إغداق الرشيد على الشعراء العطايا والصلات كان بسبب أنه يعدُّ الشعر غذاءً روحياً، إضافةً إلى كونه وسيلةً من وسائل كسب الرأي العام وداعماً لكيانه السياسي. الجومرد، هارون الرشيد، ص٢٠٩.

(٥) انظر: سعدي ضناوي، موسوعة هارون الرشيد، ج٣، ص٦٢٠، ٦٢١.

(٦) البيهقي، المحاسن والمساوئ، ج٢، ص٤٣. الأصبهاني، الأغاني، ج٤، ص٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣٢. المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٢٣١، ٢٣٢. الثعالبي، ثمار القلوب، ج٢، ص٨٥٦. لباب الآداب، ج٢، ص٦٥، ٦٦. خاص الخاص، ص١١٢. وانظر أيضاً: الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص١٢٢. الحصري القيرواني، زهر الآداب، ص٧٠٤. ابن عساكر، تاريخ دمشق،=

المصادر في سبب حبس الرشيد أبا العتاهية، فذكر المسعودي أن الرشيد حبسه بسبب تغزُّله في جاريته عتبة بعد أن رفضت الزواج منه(١)، بينما قدَّم الأصبهاني عدَّة روايات تشير إلى أن الرشيد حبسه بسبب تنسُّكه وامتناعه عن قول الشعر الغزلي(٢).

كما قدَّم الأصبهاني أشعاراً تمدح الرشيد وتُبالغ في ذلك؛ فأورد وصف النمري(٣) له بأنه خليفة الله، كما أورد تطرُّفه في مدحه بأن رضاه على الإنسان يفوق رضى الله تعالى(٤).

وفيما يخصُّ علاقة الشاعر أبي نواس بالرشيد أورد الجاحظ أبياتاً لأبي نواس يمدح فيها الرشيد، ولكنها لا تشير إلى التقائهما؛ لأن الخطاب فيها بضمير الغائب(٥). بينما ينفرد البيهقي بإيراد خبر غير مسند، بصيغة (قيل) وبأسلوب قصصي، يتضمن اتصال أبي نواس بالرشيد واتِّهامه بأنه قال شعراً فيه مجون

= ج٧٣، ص٣٠٣، ٣٠٤. الطرطوشي، سراج الملوك، ص٦٥. ابن الطقطقا، الفخري في الآداب السلطانية، ص١٩٣. ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٠، ص٢٣٦.

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٢١٨-٢٢٠. ابن العديم، بغية الطلب، ج٤، ص١٧٦٨. وأورد ابن المعتز مضامين قصة المسعودي نفسها لكن أيام المهدي وليس أيام الرشيد، وذكر أن المهدي حبسه ثم أطلقه بعد توسُّلاته إليه. ابن المعتز، طبقات الشعراء، ص٢٣٠. وانظر أيضاً: الخوانساري، روضات الجنات، ج٢، ص١٠.

(٢) الأصبهاني، الأغاني، ج٤، ص٢٧٩، ٢٨٠، ٣٠٢. ابن العديم، بغية الطلب، ج٤، ص١٧٧١-١٧٧٣.

(٣) محمد بن وهيب الحميري؛ من صليبة: شاعر من أهل بغداد، كان يتكسَّب بالمديح. وذُكر أنه قدم بغداد ومدح الرشيد، ويُقال إنه لم يمدح أحداً من الخلفاء غيره. الأصبهاني، الأغاني، ج١٩، ص٥٢. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٣، ص٦٦.

(٤) الأصبهاني، الأغاني، ج١٩، ص٥٢. وانظر أيضاً: الحصري القيرواني، زهر الآداب ،ص٧٠٢، ٧٠٣. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٣، ص٦٨. ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج٢، ص٢٤٢.

(٥) الجاحظ، الحيوان، ج٣، ص٦٣، ٦٤. وقد وردت الأبيات في ديوان أبي نواس، ص٢١٨.

وزندقة. لكن أبا نواس دافع عن نفسه وأنشد أبياتاً تدلُّ على إيمانه يمدح فيها الرشيد(١). أما الأصبهاني فيشير بطريقة غير مباشرة من خلال رواية الحسين بن الضحاك إلى وجود علاقة بين أبي نواس والرشيد؛ إذ يقول الحسين: «كنتُ أنا وأبو نواس تِرْبَيْن؛ نشأنا في مكان واحد، وتأدَّبنا بالبصرة، وكنا نحضر مجالس الأدباء مُتصاحبَيْن، ثم خرج قبلي عن البصرة وأقام مُدَّةً، واتَّصل بي ما آل إليه أمره، وبلغني إيثار السلطان وخاصته له، فخرجت عن البصرة إلى بغداد، ولقيت الناس ومدحتهم وأخذت جوائزهم وعُدِدْتُ في الشعراء، وهذا كله في أيام الرشيد»(٢)، وهي إشارة غير مباشرة إلى وجود علاقة بينهما.

كما يُورد ابن منظور الذي جمع أخبار أبي نواس عدة أخبار غير مسندة تشير إلى اتِّصال أبي نواس بالرشيد(٣). لكن هذه الأخبار لا تتمتَّع بمصداقية لديه؛ إذ كذبها بقوله: «قال بعض المُترجمين مما يحيط علماً بأحوال أبي نواس: إن هذه الحكايات عن أبي نواس والرشيد موضوعات، وإن أبا نواس ما دخل على الرشيد قطّ ولا رآه»(٤). كما أثبت ذلك أيضاً بعض الباحثين(٥).

قدَّمت معظم المصادر الأدبية وكتب التراجم أخباراً مهمة عن المجالس الأدبية التي كان يعقدها الرشيد وكوَّنت علاقاته مع بعض الأدباء. ويُعدُّ الأصمعي من

---

(١) البيهقي، المحاسن والمساوئ، ج١، ص٣٨٢-٣٨٤.

(٢) الأصبهاني، الأغاني، ج٧، ص١١٩.

(٣) ذكر ابن منظور أن لأبي نواس مع الرشيد أخباراً في المجون والخلاعة وكلاماً يدلُّ على خفة روحه. كما ذكر روايةً عن أبي نواس أن أول اتِّصاله بالخلفاء كان مع الرشيد، وأنه سامره وتبادلا قول الشعر في الخمر، وذكر أن الرشيد حبسه لشربه الخمر. كما ذكر خبرين تضمَّنا أن الرشيد اتَّهمه بالزندقة وامتحنه في ذلك. ابن منظور، أخبار أبي نواس، ص٩٤، ١٠٣، ١٠٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٩٤، ١٩٥.

(٤) ابن منظور، أخبار أبي نواس، ص١٨٨. وانظر أيضاً: محمد رجب البيومي، هارون الرشيد، ص٢٧٧، ٢٧٨.

(٥) انظر: محمد رضوان، أسرار الأمير العاشق، ص٣٨، ٣٩.

أشهر مُجالِسي الرشيد ومنادميه، كما يُعدُّ من أشهر الرُّواة الذين رووا أخباره، وهذا ناتج عن المكانة الرفيعة التي نالها الأصمعي لدى الرشيد من بين الأدباء والشعراء والعلماء؛ فقد قدَّمت مجموعة من المصادر الأدبية وكتب التراجم أخباراً كثيرة عما دار بين الرشيد والأصمعي من محاورات أدبية وأقوال وقصص، كان بعضها من رواية الأصمعي نفسه بوصفه شاهد عيان على تلك الأحداث.

كما قدَّم ابن قتيبة وابن عبد ربِّه أخباراً رواها الأصمعي نفسه تتضمَّن قيامه بدور المُضحِك والمسلِّي للرشيد من خلال عدَّة قصص رواها أشخاص سمع عنهم أو التقى بهم، فكان الرشيد يضحك على تلك القصص حتى يستلقي على ظهره(١). ويُورد ابن عبد ربِّه قصة مطوَّلة تتناول أحد مجالس الرشيد الأدبية التي اشترك فيها كلٌّ من الأصمعي والفضل بن يحيى البرمكي، وهي قصة تشير إلى الثقافة العالية التي كان يتمتَّع بها الأصمعي وتخصُّصه في مجال رواية الجدّ والهزل، كما تعكس مظاهر البذخ والأُبَّهة والفخامة التي اتَّصف بها مجلس الرشيد، وتعكس أيضاً فكرة مهمة، وهي أن هذه المجالس كانت مصدر ثقافة مهمّ للرشيد؛ إذ كان يتلقَّى فيها الأخبار والآداب والأشعار والفنون وغيرها من مصادر الثقافة، فقد كان يطرح الأسئلة على الحضور لتدور المحاورات والمناقشات. ويُلاحظ أن الرشيد كان يتمتَّع بمعرفة أدبية جيدة؛ إذ كان يضع تحت فراشه رقاعاً يقرؤها، إضافةً إلى أنه كان يحبُّ تعرُّف أخبار الماضين، خصوصاً بني أمية. كما ظهرت

(١) انظر قصة الرجل النَّهِم الذي انتهز فرصة غياب أمه عن البيت فأكل مخزون البيت من الطعام. ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج٣، ص٢٠٤. ابن عبد ربِّه، العقد الفريد، ج٦، ص٣٠١-٣٢٢. وقصة الرجل الخَمِل الذي يتعاجز عن الحركة منتظراً أن يجلب له الله حبيبته. ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج٣، ص٣٠٠. ابن عبد ربِّه، العقد الفريد، ج٣، ص٤٩٧. وانظر أيضاً هذه القصص لدى: الجهشياري، الوزراء والكتَّاب، ص١٩٨. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٠، ص٤١٢، ٤١٣. ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج٨، ص٣٣١. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٣٧، ص٧٢، ج٧٣، ص٧٨.

خلال هذه المجالس الأدبية التيارات الثقافية المتصارعة بين العرب والفرس وانتقاد الفضل بن يحيى البرمكي كلّ ما يرتبط بالعرب؛ مثل معارضته الأصمعي عند إطالته في مدح الجمل، وردّ الرشيد عليه بأن هذه الإبل هي التي أخرجته هو وقومه من ديارهم، وسلبتهم تاج ملكهم، ثم بعد موتها عُملت من جلودها السياطُ التي يُضرب بها قومُهُ ضربَ العبيد. فكان ردُّ الرشيد مدافعاً عن الأصمعي ومؤيّداً له(١).

ومن نماذج التيارات الثقافية المتصارعة بين العرب والفرس أيضاً ما ذكره الأصبهاني من أن إسحاق الموصلي هجا الأصمعي وكشف معايبه للرشيد وقدّم بدلاً منه أبا عبيدة الذي يميل إلى الشعوبية، كما اتّهم الفضل بن الربيع وشوّهه عند الرشيد(٢)، وفي ذلك إشارة واضحة إلى وجود تيارات شعوبية سادت في تلك الفترة.

ويُلاحَظ أن بعض المصادر الأدبية والتاريخية اهتمّت بإبراز الرشيد في صورة الخليفة المُعتدِل في إنفاقه على الطعام؛ إذ يتّسم في روايات المسعودي وابن عساكر باتخاذ موقف مُعارِض وحازم من التبذير والإسراف في الطعام الذي كان يُوضع على مائدته؛ إذ امتنع عن تناول طعام فيه إسراف، ومنع طبّاخيه من تكرار ذلك(٣).

---

(١) ابن عبد ربّه، العقد الفريد، ج٥، ص٣٠٩-٣١٧. وانظر أيضاً: التنوخي، الفرج بعد الشدة، ج٣، ص٣٠٢-٣٠٥. عبدالقادر البغدادي، خزانة الأدب، ج٤، ص٤٥٥، نقلاً عن أمالي المرتضى.

(٢) الأصبهاني، الأغاني، ج٥، ص٢٥٢.

(٣) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٢٢٧. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٧، ص١٧٧، ج٧٣، ص٢٩٦. ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٠، ص٢٢٤، ٢٢٥.

الفصل الثالث

نظرة المصادر إلى خلافة الرشيد

أورد المؤرّخون أخباراً تتعلّق بتولّي الرشيد الخلافة وما تلاها من أحداث، وتفاوتت رواياتهم عن تلك الأحداث في الشكل والطريقة وأحياناً في المضمون. ومن أبرز تلك الأحداث وفاة الهادي وتولّي الرشيد وولادة المأمون؛ فقد أشارت بعض المصادر التاريخية والأدبية إلى تلك الأحداث، فجاء ذلك على شكل نبوءة عند بعض هذه المصادر، وعلى شكل خبر عادي عند البقية؛ فقد ورد عند الطبري أن الخيزران تنبّأت بذلك، فبعد أن أُخبرت بوفاة الهادي قالت وهي تتحدّث مع خالصة إحدى جواريها: «أما إنّا كنا نتحدث أنه يموت في هذه الليلة خليفة، ويملك خليفة، ويُولد خليفة»(١). ويشير الراوي إلى أن تنبّؤاتها تلك كانت من الأوزاعي(٢)، وهذا مُستبعَد؛ لأن الأوزاعي تُوفّي سنة (١٥٧هـ/ ٧٧٤م).

وجاءت هذه الصيغة عند البيهقي على شكل نبوءة رواها المأمون عن إحدى النساء من أهله دون تحديد اسمها، وكانت حاملاً في المأمون، فرأت في منامها رجلاً يقول لها: «يُولد في هذه الليلة خليفة، ويموت خليفة، ويُستخلف خليفة. فمات الهادي في تلك الليلة، واستُخلف الرشيد، ووُلدت أنا»(٣).

كما وردت هذه الأحداث عن مصادر أخرى في شكل خبر عادي أو حُكْم على ما حصل دون ورود أي فكرة تنبّؤية؛ فالمسعودي والخطيب يذكران أنه في تلك

(١) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢١٢ (الفضل بن سعيد)؛ مجهول، العيون والحدائق، ج٣، ص٢٨٩ (وحكي)؛ ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص٩٩؛ ابن كثير، البداية، ج١٠، ص١٦٢؛ انظر ابن الطقطقا، الفخري، ص١٩٢.

(٢) الأوزاعي، عبد الرحمن بن عمرو من قبيلة الاوازع بطن من همدان إمام الديار الشامية في الفقه والزهد، ولد في بعلبك سنة ٨٨هـ وسكن بيروت ومات بها سنة ١٥٧هـ، ابن سعد، الطبقات الكبرى ج٧، ص٤٨٨؛ خليفة، تاريخ خليفة، ص٤٢٨؛ ابن خلكان، الوفيات، ج٣، ص١٢٧؛ الأصفهاني، حلية الأولياء، ج٦، ص ١٣٥. إن تأكيد المصادر على أن وفاة الأوزاعي كانت سنة ١٥٧هـ يبعد احتمال اتصال الخيزران بالأوزاعي وهذا يؤكد عدم مصداقية الخبر.

(٣) البيهقي، المحاسن والمساوئ، ج١، ص٢٤٣-٢٤٤ (إبراهيم بن السندي بن شاهك عن المأمون).

الليلة تُوفِّي الهادي، وتولّى الرشيد، ووُلد المأمون(١). أما ابن عبد ربّه فيتعجَّب مما حدث في تلك الليلة قائلاً: «ولم يكن في سائر الزمان ليلة وُلد فيها خليفة وتُوفِّي فيها خليفة وقام فيها خليفة غيرها»(٢). ووصف الثعالبي تلك الليلة بأنها «ليلة الخلفاء، وهي ليلة لم يتَّفق مثلها قط... حيث مات فيها خليفة، ووُلد خليفة، واستُخلف خليفة»(٣).

ويرى بعض الباحثين أنه يتمُّ اللجوء إلى الأساطير للتغطية على مقتل الشخصيات المهمة؛ كموت الخلفاء المفاجئ، وتكون الرؤيا عادةً في مثل هذه الأحوال مجالاً خصباً لاختلاق الأساطير بهدف إظهار أن وفاتهم إنما هي قدر إلهي محتوم لترويض مشاعر الذين ربما يستنكرون الوفاة غير الطبيعية وغير المتوقعة(٤).

ويرتبط بتولّي الرشيد الخلافة قصة أوردها عدد من المؤرخين، وهي قصة الخاتم الذي استُخرج من نهر دجلة يوم تولّيه الخلافة. وقد وردت هذه القصة عند الطبري(٥) والجهشياري(٦) والبيهقي(٧) وغيرهم، فاتَّفقوا جميعهم على ظهور الرشيد في موقف المعارض لطلب الهادي إعطاءه ذلك الخاتم، كما بالغوا في المشهد الذي صوَّر إخراج الغوَّاصين للخاتم من قعر النهر في ذلك اليوم ضمن سيناريو رُتِّب

---

(١) المسعودي، مروج، ج٤، ص١٩٣ (دون)؛ الخطيب، تاريخ بغداد ج١٤، ص٦ (دون)؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص١٢٣٠؛ انظر: ابن عساكر ج٧٣، ص٢٨٧، ج٣٣، ص٢٨٠، ٢٨٢؛ السيوطي، تاريخ، ص٤٥٢.

(٢) ابن عبد ربه، العقد، ج٥ ص١١٧ (دون)؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج١، ص٥٠٢.

(٣) الثعالبي، ثمار القلوب، ج٢، ص٩٠٥ (دون).

(٤) عبد المنعم رشاد، الأمين المفترى عليه، ص١٥.

(٥) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٣٢ (محمد بن هشام المخزومي)؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص٣٢٠؛ ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص١٠٧، الأربيلي، خلاصة ص ١٠٨.

(٦) الجهشياري، الوزراء، ص١١١-١١٢. (دون).

(٧) البيهقي، المحاسن والمساوئ، ج٢، ص٢٣٦-٢٣٨، (الكسائي)

لإخراج هذه الحادثة بهذه الصورة العجيبة(١). وانفرد الجهشياري عنهم بظهور يحيى البرمكي ليقنع الرشيد بتسليم الخاتم إلى الهادي وفشله في ذلك.

ويورد ابن طيفور قصة أخرى للخاتم عن عمرو بن مسعدة مغايرة تماماً لما ورد عند الطبري والجهشياري، فيذكر أن الخاتم سقط من الرشيد في أثناء حديثه مع يحيى بن خالد من فوق قوس، فحاول إيجاده فلم يجده، فاغتمَّ لضياعه(٢). وربما تكون هذه القصة أقرب إلى الصحة؛ لأنها لا تحوي مبالغات، وربما كانت موجودة في مصدر متقدِّم فأخذها من جاء بعده من المؤرخين وأضافوا عليها بهدف الترويج لخلافة الرشيد والاستبشار بها.

أمر آخر ارتبط أيضاً بتولّي الرشيد الخلافة، وهو خطابه الذي ألقاه على الناس وكتبه نيابةً عنه يوسف بن القاسم حسب اقتراح يحيى البرمكي(٣)؛ فقد أورده كل من الطبري والصولي مع فارق في شكل الإسناد؛ فالطبري أورده برواية سليمان ابن أبي شيخ(٤) ثم أكمله برواية يزيد الطبري، فجاء نصُّ الخطاب على لسان يزيد الطبري مكملاً رواية سليمان بن أبي شيخ الأولى، وهو أسلوب انتهجه الطبري كثيراً؛ إذ يعتمد في إيراد الخبر على أحد المصادر ثم يُكمله من مصادر ورواة آخرين، بينما أسنده الصولي إلى سليمان بن أبي شيخ فقط. كما كانت هناك فوارق بسيطة بين نصّي الطبري والصولي نتيجة اختلاف المحقّقين وإضافات النُّسَّاخ، فجاء نصُّ الطبري أدقَّ وأوفى، بينما جاء نصُّ الصولي ناقصاً بعض الجمل

---

(١) لا يستبعد الجومرد أن تكون هذه القصة من تدبير يحيى والرشيد لإشغال الناس عن أمور أخرى، وجعلهم يتفاءلون بأيام الرشيد المقبلة، الجومرد، هارون الرشيد، ص١١٨.

(٢) ابن طيفور، بغداد، ص ١٢ (عمرو بن مسعدة).

(٣) ذكر أن يحيى بن خالد هو الذي أمر يوسف بن القاسم -وكان صديق يحيى- بأن يكتب هذا الكتاب وأن يلقيه على الناس؛ لأنه كان يخشى على الرشيد أن يقصر (إشارة إلى أنه كان متعباً)؛ الصولي، أخبار الشعراء، ص١٥٤.

(٤) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٣٠ (سليمان بن أبي شيخ).

التي لم تغيّر في المعنى العام للخطاب. وقد أبرز هذا الخطاب انتماء الرشيد إلى بيت النبوة، وانتصار مبادئ الدعوة العباسية، وتحقيق المساواة والعدالة وتطبيق كتاب الله وسنة نبيّه من خلال التوزيع العادل للأعطيات والفيء، إضافةً إلى إبرازه فكرة مهمة، وهي أن سلطة الخليفة وشرعيته مستمدّتان من الله؛ لأن الخليفة يسير بإلهامه. كما ذكر الخطاب لقباً جديداً للرشيد، وهو المرضيّ(١)، وقدّم تفسيراً لوفاة الهادي بأنها طبيعية، وإن لم تكن طبيعية فهي بإرادة الله، ولا رادّ لتلك الإرادة ولا اعتراض عليها(٢).

ومن الأحداث المهمة التي أوردها المؤرخون وارتبطت بتولّي الرشيد الخلافة ما اتّخذه الرشيد وحاشيته من مواقف تجاه جعفر بن الهادي وأولئك الذين بايعوه بولاية العهد؛ فقد انفرد الطبري والجهشياري من بين المصادر التاريخية بالإشارة إلى موقف الرشيد وحاشيته من هذه الأحداث؛ فأشار الطبري إلى قتل الرشيد أبا عصمة(٣) بسبب المعاملة السيئة والإهانة التي لقيها منه أيام الهادي(٤)، كما أشار

(١) يذكر الباحث بونر أن هذا اللقب (المرضي) ظهر على الدراهم الفضية التي سُكّتْ في الهارونية في بداية حكم الرشيد، وأن هذا اللقب ارتبط بالصراع الذي وقع بين أبناء المهدي الهادي والرشيد. ويرى أن هذا اللقب كان الأول لهارون، وتغير فيما بعد بالرشيد؛ لأن المهدي لقّبه به سنة ١٦٦هـ (الطبري ج٨، ص١٥٤) أو أنه استخدم وقت الأزمات، ولكن بعد زوالها اختفى هذا اللقب وغلب لقب الرشيد. Michael Bonner, Al Kalifa Al Mardi, p. 83-91.

(٢) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٣٠-٢٣١، (سليمان بن أبي شيخ ويزيد الطبري)؛ الصولي، أخبار الشعراء المحدثين، ص١٥٤-١٥٦ (سليمان بن أبي شيخ) ويرى الدوري إن هذا الخطاب أكد أن سلطة الرشيد المطلقة، وأنه وعد الرعية أن يعاملهم بالرأفة، وأن يتشدد في حفظ الأمن الداخلي وصيانة الحدود. الدوري، العصر العباسي الأول، ص١٠٦؛ انظر فاروق عمر، الخليفة المجاهد، ص٢١؛ شاكر مصطفى، دولة بني العباس، ص٤٠٢.

(٣) أحد حراس الهادي، كان قد عاملَ الرشيد معاملةً سيئةً، حين سعى الهادي لخلعه، الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٣٢.

(٤) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٣٢ (محمد بن هشام المخزومي)؛ مجهول، العيون والحدائق، ج٣، ص٢٩٠ (دون)؛ ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص١٠٧، الأربيلي، خلاصة، ص١٠٨.

إلى حادثة خلع مقرَّبي الرشيد جعفر بن الهادي عندما أخذه خزيمة بن خازم وأرغمه أن يُعلن للناس أنه ليس له حق في الخلافة، وأشار أيضاً إلى سبب مشي عبدالله بن مالك الخزاعي إلى الحج المرتبط بيمينه بالمبايعة لجعفر بن الهادي(١).

وقدَّم مجموعة من المؤرخين؛ مثل الطبري والمسعودي وصاحب (الإمامة والسياسة) وابن الطقطقا وابن خلدون، أوصافاً عامة لخلافة الرشيد وحالة الدولة واستقرارها من الناحية الإدارية والاقتصادية. والمهم في هذه الآراء أنها تدلُّ على أنهم لم يكونوا مجرَّد نقلة للأخبار؛ إذ يقدِّم الطبري وصفاً مضخِّماً لخلافة الرشيد ومعظِّماً لها جاء بشكل غير مباشر على لسان ابن أبي مريم نديم الرشيد وأنيسه عندما ردَّ على العباس بن محمد بن علي الهاشمي حين بالغ في مدح الهدية التي أهداها إلى الرشيد، فقال له: «تجيء إلى خليفة الله فتمدح عنده غالية؟! أما تعلم أن كل شيء تمطر السماء وكل شيء تخرج الأرض له، وكل شيء هو في الدنيا فملك يده وتحت خاتمه وفي قبضته»(٢).

وقدَّم المسعودي رأيين حول خلافة الرشيد:

الأول يمثِّل رأيه الشخصي، وذكره في (التنبيه والإشراف)، فوصف فيه خلافة الرشيد بأنها كانت حسنة في البداية وتكلَّلت بأعمال الخير من حج وجهاد، لكنها ساءت بعد مدة، وعلَّل ذلك بعدة أسباب؛ منها جمعه الأموال واستوزاره البرامكة ونكبتهم؛ فذكر أن الرشيد «تسلَّط على الأمور بعد مدَّة من خلافته، فأفسد الصنائع، وأحبَّ جمع الأموال، واستوزر البرامكة... ثم نكبهم... وغلب عليه الفضل بن الربيع... واختلَّت أموره بعد البرامكة وبان للناس قبح تدبيره

---

(١) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٣٢-٢٣٣ (محمد بن إسحق الهاشمي)؛ مجهول، العيون والحدائق، ج٣، ص٢٩٠-٢٩١. (دون)، الأزدي، تاريخ الموصل ص ٢٦٢ (محمد بن إسحق الهاشمي) ولم يشر الأزدي إلى عبد الله بن مالك وحجه ماشياً، انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص٣٢١.

(٢) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٣٤٩-٣٥٠ (ذكر بعض خدم الرشيد).

وسوء سياسته»(١).

والثاني أورده في (مروج الذهب) على لسان الأخباري محمد بن علي المصري العبدي حين وصف للخليفة القاهر خلافة الذين سبقوه، فقال عن الخليفة هارون الرشيد: «فعمَّ الناس إحسانه مع ما قُرن به من عدله... وقَفَتْهُ رعيَّته مقتديةً بعمله مستنَّةً بإمامته، فقمع الباطل وأظهر الحق وأنار الإسلام وبرز على سائر الأمم، فسمَّى الناس أيامه لنضارتها وكثرة خيرها وخصبها أيام العروس»(٢)، كما شبَّه اليعقوبي أيام الرشيد بأيام العرس(٣).

ودخلت التنبؤات والأحلام في الوصف غير المباشر الذي قدَّمه الطبري والمسعودي لأيام الرشيد من خلال تنبؤات المهدي الذي رأى مناماً يُعطي فيه قضيباً لموسى وآخر للرشيد، ففسَّره أحد المنجمين بأن كلا الأخوين يملكان، لكن خلافة موسى ستكون قصيرة، أما خلافة الرشيد فستكون طويلة، ووصفها بأحسن الأوصاف قائلاً: «وتكون أيامه أحسن أيام، ودهره أحسن دهر... وكان دهره أحسن الدهور»(٤).

كما قدَّم صاحب (الإمامة والسياسة) رأيه الشخصي في خلافة الرشيد فوصفها بصفات إيجابية، وأنها نالت إجماع الناس ومحبتهم، فقال: «وتمَّت له البيعة يوم الجمعة في المسجد الجامع، فلم يختلف عليه أحد، ولا كره خلافته مخلوق، فأحسن السيرة، وأحكم أمر الرعية، وكان أوحد أهل بيته، ولم يشبهه أحد من الخلفاء من أهله رحمه الله»(٥).

---

(١) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص٣٤٦ (دون).

(٢) المسعودي، مروج، ج٥، ص٢١٢ (محمد بن علي المصري (العبدي) الخراساني الإخباري).

(٣) اليعقوبي، مشاكلة الناس لزمانهم، ص٣٧.

(٤) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢١١-٢١٢، (عمرو الرومي)، المسعودي، مروج، ج٤، ص١٩٤ (عمرو الرومي).

(٥) مجهول، الإمامة والسياسة، ج٢، ص١٥٣ (دون).

كما رأى صاحب (الإمامة والسياسة) أن أيام الخير والازدهار انتهت بنهاية أيام الرشيد وانقضاء دولته، وأن الفترة التي تلته غير مهمة، ولا يجدر تتبُّع أخبارها لعدم جدوى ذلك، وذكر مساوئها، فقال: «تمّ بعون الله ما به ابتدأنا، وكمُل وصف ما قصصنا من أيام خلفائنا وخبر أئمتنا وفتن زمانهم وحروب أيامهم، وانتهينا إلى أيام الرشيد، ووقفنا عند انقضاء دولته؛ إذ لم يكن في اقتصاص أخبار مَن بعده، ونقل حديث ما دار على أيديهم وما كان في زمانهم كبير منفعة ولا عظيم فائدة؛ وذلك لمّا انقضى أمرهم، وصار ملكهم إلى صبية أغمار غلب عليهم زنادقة العراق... وكان الرشيد ـ مع عظم ملكه وقدر شانه ـ معظِّماً للخير وأهله، محباً لله ورسوله»(١). ويورد صاحب (الإمامة والسياسة) على لسان عبدالله بن المبارك(٢) في قصة وعظ الفضيل بن عياض الرشيد وصفاً مبالغاً لأيام الرشيد، وأنها كانت الأفضل بعد أيام الرسول ﷺ(٣).

وأورد الخطيب البغدادي خبراً رواه شعيب بن شعبة المصيصي يعكس حالة من عدم الرضا عن خلافة الرشيد جاءت على لسان أم ولد للرشيد، فعندما قدم عبدالله بن المبارك إلى الرقة أحدث حركةً بين الناس، وحصلت فوضى في الطرقات، فسألت أم ولد الرشيد عن سبب ذلك، «فقالوا: عالم من أهل خراسان قدم الرقة يُقال له: عبدالله بن المبارك. فقالت: والله هذا الملك لا ملك هارون الذي لا يجمع الناس إلا بشُرَط وأعوان»(٤).

---

(١) مجهول، الإمامة والسياسة، ج٢، ص١٧٣(دون).

(٢) عبد الله بن المبارك أبو عبد الرحمن المروزي مولى بني حنظلة ولد سنة ١١٨هـ جمع الحديث والفقه والعربية وأيام الناس توفي سنة ١٨١هـ، الخطيب، تاريخ بغداد، ج١٠، ص١٥٣– ١٥٦، ابن خلكان، وفيات، ج٣، ص٣٢–٣٥.

(٣) مجهول، الإمامة والسياسة، ج٢، ص١٥٧(ذكروا) يورد المؤلف رواية بقية القصة على لسان عبد الله بن المبارك.

(٤) الخطيب، تاريخ بغداد، ج١٠، ص١٥٦ (شعيب بن شعبة المصيصي)، ابن عساكر، تاريخ=

وشبّهت بعض المصادر الرشيد بالمشاهير من الخلفاء الذين سبقوه؛ فقد شبّهه الطبري وغيره بالخليفة المنصور من حيث اقتفاؤه آثاره وأخلاقه والعمل بها عدا بذل المال(١). وشبّهه الثعلبي صاحب (أخلاق الملوك) بالمنصور في أخلاقه، وبأبي العباس والمهدي في العطايا والصلات(٢). كما شبّهه ابن أعثم بالمنصور في الهيبة والسياسة، وبالسفّاح في السماح(٣). لكن عبدالعزيز الدوري لا يرى ذلك؛ لأن مواهب الرشيد لا تُقارب مواهب المنصور في السياسة وبُعد النظر؛ فالمنصور كان مبتكراً بينما كان الرشيد مقلّداً، كما أنه لا يمكن تشبيه الرشيد بالمنصور فيما يتعلّق بمراقبة عمال الدولة؛ مما يعني أن الرشيد خالف ركناً مهماً من أركان سياسة سلفه(٤).

كما أشارت بعض المصادر إلى ما عدّته ميزات لخلافة الرشيد؛ مثل وجود بعض الموظفين والندماء والشعراء والمغنيين، حتى عدّت زوجته ميزةً من ميزات خلافته(٥).

= دمشق، ج٣٢، ص٤٤٧، (شعيب بن شعبة)، ابن خلكان، وفيات، ج٣، ص٣٣ (من كتاب النصوص على مراتب أهل الخصوص عن أشعث بن شعبة المصيصي)، الذهبي، تاريخ، ج١٢، ص٢٣٢ (أشعث بن شعبة)، ابن كثير، البداية، ج١٠، ص١٨٤ (دون).

(١) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٣٤٧، ، الخطيب، تاريخ بغداد، ج١٤، ص٦-٧، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٧٣، ص٢٨٨، ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص٣٢٦ الأربيلي، خلاصة، ص١١١، ابن خلدون، تاريخ، ج٣، ص٢٧٥؛ الذهبي، سير، ج٩، ص٢٨٨، تاريخ، ج١٣، ص١٥.

(٢) الثعلبي، اخلاق الملوك ، ص٦٢.

(٣) ابن أعثم، الفتوح، ج٨، ص٤٣١ (دون).

(٤) الدوري، العصر العباسي الأول، ص١٠٦، ١٠٧، ١٣٩، انظر شاكر مصطفى، دولة بني العباس، ص٤٠٢.

(٥) اليعقوبي، مشاكلة الناس لزمانهم، ص٣٦ (دون)؛ ابن أعثم، الفتوح، ج٨، ص٤٠٢-٤٠٣ (قال)؛ الخطيب، تاريخ بغداد، ج١٤، ص١١ (الجاحظ)، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٧٣، ص٢٩٧ (الجاحظ)، ابن ظافر الأزدي، أخبار الدولة المنقطعة، ج٢، ص٣٢٣ (قيل)، الأربيلي، خلاصة، ص١٠٩ (الجاحظ)، ابن كثير، البداية، ج١٠، ص٢٢٥ (الجاحظ)، النويري، نهاية، ج٢٢، ص١٦٣ (قيل)، انظر ابن الطقطقا، الفخري، ص١٩٦ (دون)، الذهبي، تاريخ، ج١٣، ص٤٢٩ (الجاحظ)، سير، ج٩، ص٢٩٠ (الجاحظ)، السيوطي، تاريخ، ص٢٨٦، ولم يرد هذا الوصف في مؤلفات الجاحظ.

وفي الجانب الإداري اهتمت المصادر التاريخية بأخبار أقاليم الدولة، وتناولت أحوالها السياسة من حيث استقرارها أو اضطرابها، ودور الرشيد في ذلك؛ مثل تعيين الرشيد للولاة وعزلهم. ويُلحظ اهتمام كل من خليفة بن خياط واليعقوبي والطبري بإيراد قوائم بأسماء مَن تعاقب من ولاة الرشيد على المدن والأقاليم المهمة(١).

كما قدّمت المصادر التاريخية في مجملها أخبار الولاة من خلال حديثها عن أخبار أقاليم الدولة وعلاقة الرشيد بها. ويُلحظ اهتمام واضح وكبير من المصادر التاريخية بالاضطرابات التي كانت تنشأ في أقاليم الدولة المختلفة فشغلت حيزاً كبيراً منها، كما يُلحظ في الوقت نفسه ضعف الإسناد لديها. ويُعدُّ الطبري من أبرز المصادر التاريخية التي اهتمت بهذا الأمر.كما يُعدُّ إقليم خراسان من أبرز الأقاليم التي حظيت باهتمام الطبري وغيره من المؤرخين. ويعلّل الجومرد ذلك بأنه كان مهد الدعوة العباسية، وأغنى الأقاليم ثقافةً وحضارةً، وأكثرها طموحاً إلى إعادة أمجاده الماضية، كما أن هذا الإقليم أدّى دوراً مهماً في حياة الخليفة هارون الرشيد؛ إذ كانت ولادته ووفاته فيه(٢). وقد قدّم كل من خليفة بن خياط واليعقوبي والطبري تعداداً لولاة خراسان؛ فاليعقوبي أشار إلى سبعة من ولاة خراسان(٣)، أما خليفة فأشار إلى ثلاثة عشر والياً(٤)، في حين أشار الطبري إلى اثني عشر والياً تعاقبوا على حكم هذا الإقليم في خلافة الرشيد(٥). ويشير هذا

---

(١) كانت هذه القوائم متميزة لدى خليفة لأنها غطت عددا اكبر من المدن وقدمت عددا أكثر من الولاة انظر خليفة بن خياط، تاريخ خليفة، ص٤٦١-٤٦٥(دون)، اليعقوبي، البلدان، ص٣٠٤-٣٠٥(دون). الطبري، تاريخ، ج٨، ص٣٤٦-٣٤٧(دون).

(٢) انظر الجومرد، هارون الرشيد، ص٣٣٣-٣٣٤.

(٣) اليعقوبي، البلدان، ص٣٠٤-٣٠٥(دون).

(٤) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة، ص٤٦٢-٤٦٣ (دون).

(٥) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٣٤٧(دون).

العدد إلى وجود عدم استقرار في ولاية هؤلاء الولاة، وهو دليل على سوء السياسة الإدارية المتبعة وعدم وجود وضوح في العلاقة بين المركز والأطراف. كما أشار كل من اليعقوبي والطبري إلى حالة ولاية خراسان السيئة في فترة الغطريف بن عطاء خال الرشيد، وأن الرشيد عزله بسبب ذلك(١).

كما تناولت المصادر التاريخية كالدينوري واليعقوبي والطبري أخبار ولاية علي ابن عيسى بن ماهان على خراسان أيام الرشيد، ولكنها اختلفت في تاريخ تعيين الرشيد له؛ فالدينوري أشار إلى أن توليته كانت سنة (١٨٠هـ/ ٧٩٦م)(٢)، أما اليعقوبي فذكر أن ذلك كان سنة (١٨٩هـ/ ٨٠٤م)(٣)، بينما خالفهما الطبري فذكر أن الرشيد ولّى جعفر بن يحيى البرمكي على خراسان سنة ١٨٠هـ، وأرسل جعفر بدوره محمد بن الحسن بن قحطبة ليدير أمورها(٤).

ولم يحدّد الطبري تاريخاً لتعيين الرشيد علي بن عيسى، ويمكن استنتاج ذلك من أخباره؛ فقد ذكر أن الرشيد استدعى علي بن عيسى من خراسان سنة (١٨٣هـ/ ٧٩٩م) خشية ثورته، وكان معيّناً من قبل ابنه المأمون الذي كان والياً على خراسان في تلك الفترة، فلما قدم على الرشيد حمل معه مالاً وهدايا عظيمة، ويبدو ظاهرياً أنه أرضى الرشيد بها فردّه إلى خراسان والياً عليها(٥).

وهناك إشارة أخرى أوردها الطبري تدلّ على أن الرشيد استشار يحيى بن خالد في تولية علي بن عيسى أمر خراسان، لكنه لم يستمع إلى رأيه، ويشير ذلك إلى أنه عيّنه والياً لخراسان قبل سنة (١٨٧هـ/ ٨٠٣م)(٦)؛ مما يعني أن الأخبار التي

---

(١) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٤٠٤ (دون)؛ انظر الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٤١ (دون)، ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص١٠ (دون).

(٢) الدينوري، الأخبار، ص٣٥٦-٣٥٧ (دون).

(٣) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٤٢٦ (دون).

(٤) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٦٦، وذكر خليفة إن جعفر لم يذهب إليها، تاريخ خليفة ص٤٦٢.

(٥) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٧٠ (دون).

(٦) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٣١٤ (ذكر).

أوردها الطبري تدلُّ على أن الرشيد عيَّن علي بن عيسى على خراسان بعد سنة ١٨٣هـ وقبل سنة ١٨٧هـ، وهو ما يناقض رأي اليعقوبي.

وحول دافع الرشيد لتولية علي بن عيسى أمر خراسان تشير رواية الطبري إلى أنه عيَّنه مخالفةً لرأي البرامكة، وأعاد تثبيته في منصبه بسبب ما قدَّمه إليه من هدايا عظيمة متغاضياً عن أخطائه(١). وسعت روايات الطبري إلى مقارنة غير مباشرة بين سيرتَيْ علي بن عيسى والفضل بن يحيى في خراسان، فاهتمت بأعمال الفضل بن يحيى وضخَّمتها(٢).

ويؤكد الطبري وجود خلاف بين الرشيد والبرامكة حول تولية علي بن عيسى أمر خراسان، ويشير إلى انتقاد يحيى البرمكي عليَّ بن عيسى في سياسته، وأنه جلب الهدايا من أهلها وأشرافها ظلماً وتعدّياً(٣).

ويتناول الجهشياري هذا الموضوع بوضوح أكثر من الطبري مع تشابه كبير في المضمون؛ فقد ربط بين عزل الفضل البرمكي عن خراسان وتعيين علي بن عيسى بدلاً منه، وأن السعايات كانت السبب في ذلك، فقال: «وكان الرشيد بعد صرف الفضل بن يحيى عن خراسان قلَّد علي بن عيسى بن ماهان لتكثير وقع عنده على الفضل في الأقوال»، وأشار إلى انتقاد يحيى البرمكي سياسة علي بن عيسى(٤).

وركزت المصادر التاريخية كاليعقوبي والدينوري والطبري في الانتقادات

---

(١) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٧٠ (دون). الذهبي، تاريخ، ج١٢، ص٣٩-٤٠ (دون)، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٢، ص١٦١ (دون). أورد التوحيدي إشارة مهمة تقول إن الرشيد كان قد حلف أن يقتل كل من شكا له علي بن عيسى، التوحيدي، البصائر، ج٧، ص٦٦ (دون).

(٢) بالغت روايات الطبري في تضخيم عمل الفضل بإنشاء جيش العباسية الذي يتكون من خمسمائة ألف جندي في مدة بسيطة إضافة إلى أعمال عمرانية كثيرة انظر الطبري، تاريخ، ج٨، ٢٥٧ (دون) وما بعدها.

(٣) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٣١٤ (دون).

(٤) الجهشياري، الوزراء، ص١٤٦ (دون).

الموجَّهة إلى علي بن عيسى وموقف الرشيد منه؛ فرأى اليعقوبي أن مخالفة علي بن عيسى تحذير الرشيد بأن لا يولِّي رافع بن الليث[1] بلداً نائياً أغضبت الرشيد، خصوصاً أنه عندما استُعمل على سمرقند خلع الطاعة[2]، بينما ربط الدينوري بين ظلم علي بن عيسى الناس وإساءته السيرة في خراسان وخروج رافع بن الليث سنة (١٩٠هـ/ ٨٠٥م)؛ مما دفع الرشيد إلى عزل علي بن عيسى[3]. أما الطبري فقد أورد تفاصيل دقيقة غير مُسندة حول الانتقادات التي وُجِّهت إلى علي بن عيسى في خراسان وكرَّرها كثيراً[4]، كما أورد تجاهُل الرشيد رأي يحيى بن خالد عندما أشار عليه بعدم تولية علي أمر خراسان، وكذلك عدم اهتمامه بانتقادات يحيى لسياسة علي في خراسان كظلمه الناس وجمع الهدايا والأموال الكثيرة. كما أظهرت روايات الطبري سعادة الرشيد عندما وجَّه إليه علي بن عيسى الهدايا الثمينة والأموال من خراسان[5]، وضعف الرشيد وتساهله معه وتناسي أخطائه

---

(١) رافع بن الليث بن نصر بن سيار والي سمرقند وهو حفيد نصر بن سيار من ابرز ولاة بني أمية، تولى سمرقند أيام الرشيد وخرج بها، لم يتمكن الرشيد من إخضاع حركته لأن الموت أدركه في أثناء قتاله، انظر اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٤٢٥، ٤٣٦، الطبري تاريخ، ج٨، ص٣١٩-٣٢٠.

(٢) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٤٢٦ (دون).

(٣) الدينوري، الأخبار الطوال، ص٣٥٨ (دون)، أشار خليفة بن خياط لخروج رافع ومحاربة عليٍ بن عيسى له لكنه لم يشر إلى عزل الرشيد لعلي كان بسبب خروج رافع (خليفة، تاريخ، ص٤٥٨)، كما أشار ابن قتيبة إلى خروج رافع لكنه ذكر إن الرشيد استدعى بعد خروجه علي ابن عيسى وحبسه واستصفى أمواله (ابن قتيبة، المعارف، ص٣٨٢).

(٤) الطبري، ج٨، ص٢٨٦ (دون)، ص٣١٥، (دون)، ص٣١٥-٣١٦ (دون)، ص٣٢٤ (قال أبو جعفر)، ص٣٢٦ (ذكر). ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص١٦٢ (دون). انظر النويري، نهاية، ج٢٢، ص١٥٠-١٥١.

(٥) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٣١٤ (دون)، ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص١٦١-١٦٢ (دون)، انظر ابن حمدون التذكرة، ج٩، ص٣١١-٣١٢، ج٧، ص٢٠٧. ويرى فاروق عمر أن الرشيد لم يهتم بالتقارير عن سوء حكم علي بن عيسى واكتفى بإقناع نفسه بالهدايا الثمينة التي أرسلها إليه. F. Omer, (Harun Al Rashid), E12, vol, 3, p. 234.

واللامبالاة وعدم الاكتراث بأمور الدولة مقابل هذه الأموال والهدايا. ولكن قد يكون كلُّ ما قيل عن علي بن عيسى من إساءته عمله وظلمه الناس محض افتراء من البرامكة وتدبيراً منهم ومن اتباعهم. وربما كان تكرار الطبري الانتقادات الموجَّهة إلى علي بن عيسى مقصوداً(١)، ولكن الملحوظة العامة أنه كان يورد الأخبار التي تؤيِّد مواقف البرامكة وتمدحهم وتضخِّم أعمالهم وتبرزها بوضوح إلى جانب الآراء المعاكسة لذلك؛ فقد أورد الطبري خبراً غير مُسند قدَّم نظرةً مختلفةً، وهي أن تلك الانتقادات والسعايات كانت من فعل أشخاص أدَّوا دوراً مهماً في إفساد علاقته بالرشيد باتهامات باطلة(٢)، وهو ما يؤكد وجود دور للبرامكة في السعاية والإيقاع بعلي بن عيسى.

وقد أظهرت بعض روايات الجهشياري سوء سياسة الرشيد، خصوصاً المالية من خلال واليه علي بن عيسى في خراسان، وأن رأي البرامكة كان أصوب، وأظهرت هذه الروايات ندم الرشيد على ذلك؛ فقد كان الرشيد يريد جلب الأموال من خراسان بينما كان يحيى البرمكي يرى أنه يجب حمل الأموال إليها، وأن المبلغ الذي يُحمل منها سوف يكلِّفه عشرة أضعافه بسبب تلك السياسة. وفعلاً كانت النتائج مثلما توقع يحيى البرمكي، وثبت أن سياسة الرشيد كانت خاطئة؛ فعندما اضطرب وضع خراسان وخرج رافع بن الليث ندم الرشيد وقال: «صدقني والله يحيى ونصح لي فلم أقبل منه، والله لقد أنفقت مئة ألف ألف وما بلغت شيئاً»(٣). ولكن يصعب قبول هذه الرواية؛ لأن الرشيد كان قد نكب البرامكة؛ مما يدلُّ على وضعها لتكون في صالح البرامكة وضد الرشيد.

ترافق خروج رافع بن الليث سنة (١٩٠هـ/ ٨٠٥م) مع عزل الرشيد علي بن

(١) انظر: الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٨٦، وص٣١٤-٣١٦، وص٣٢٤، وص٣٢٥.

(٢) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٣٢٥-٣٢٦ (ذكر).

(٣) الجهشياري، الوزراء، ص١٤٦ (دون).

عيسى وتولية هرثمة، وقد أشارت المصادر التاريخية إلى عدة أسباب لخروج رافع واختلفت حولها، كما تناولت موقف الرشيد الحازم من تلك الحركة؛ إذ تحرَّك بنفسه حين تفاقمت الأمور وأصبحت تشكِّل خطراً كبيراً على الدولة.

كما أشارت المصادر التاريخية إلى قيام عدة حركات معادية ضد الدولة العباسية في أقاليم خراسان وأرمينيا والشام والجزيرة، وقد تفاوتت المصادر في تناولها هذه الحركات، وهو ما يُلاحظ من الجداول التوضيحية الآتية:

حركات خراسان وطبرستان وجرجان

الحركة	المصدر	الإسناد	السبب	التاريخ	التفاصيل	التوثيق
رافع بن الليث بن نصر بن سيار	خليفة بن خياط	دون	—	—	– أشار إلى خروجه فقط	التاريخ، ص٤٥٨
	ابن قتيبة	دون	—	—	– أشار إلى خروجه فقط	المعارف ص ٣٨٢
	الدينوري	دون	– إساءة علي بن عيسى وظلمه في ولايته	١٩٠هـ	– كانت سبباً في عزل الرشيد عليَّ بن عيسى	الأخبار الطوال، ص٣٨٥
	اليعقوبي	دون	– تكبُّر علي بن عيسى مع رافع بتوليته بلداً ثانياً، أشار إلى إحراق رافع السواد ودعوته إلى غير بني هاشم.	—	– وذكر تفاصيل حول قتال هرثمة له	التاريخ، ج٢، ص٤٢٥، ٤٣٦
	الطبري مجهول / العيون	دون	– تحايُله وزواجه من زوجة أحد القادة فشكاه إلى الرشيد	١٩٢هـ	– أشار إلى خروج الرشيد بنفسه لقتاله، وذكر تفاصيل حول القبض على أخي رافع وتمثيل الرشيد بجسده	التاريخ، ج٨، ص٣١٩، ٣٢٠ العيون والحدائق، ج٣، ص٣١١، ٣١٢
		دون	– بهدف عزل علي بن عيسى لظلمه الناس		——	التاريخ، ج٨، ص٣٢٨
حمزة الشاري	الطبري	دون	—	١٧٩هـ	- أشار إلى خروجه فقط	التاريخ، ج٨، ص٢٦١
	المقدسي	دون	—	—	– أشار إلى إثارته الفوضى، ومعاركه مع جيوش الرشيد، وموته	البدء والتاريخ، ج٦، ص١٠٢، ١٠٣
	البغدادي	دون	—	١٧٩هـ	– أشار إلى تفاصيل دقيقة عن حروبه الكثيرة مع العباسيين وأعمال القتل والخراب التي عمَّت المدن والقرى	الفَرْق بين الفِرَق، ص٩٨، ٩٩
	تاريخ سيستان	دون	– التذمر من السياسة العباسية، وطموحات استقلالية لأهل سجستان	—	– أشار إلى مراسلات بين الرشيد وحمزة، وعدم نجاح الرشيد في إخضاع هذه الحركة، مع ملاحظة ميول المصدر إليها	الخلافة العباسية، ج١، ص٢٠٤، ٢٠٥. الخليفة المجاهد هارون الرشيد، ص٤٢-٤٤
أهل طبرستان	الطبري	دون	—	١٨٥هـ	– خرجوا على عاملهم فقتلوه	التاريخ، ج٨، ص٢٧٣
الجروية في طبرستان	الطبري	دون	– تنازعهم مع المسلمين على المسالح بين الديلم وطبرستان	١٨٩هـ	– خرج الرشيد بنفسه لحل الخلاف بطريقة سلمية	التاريخ، ج٨، ص٣١٦
المحمرة بجرجان	الطبري	دون	—	١٨٠هـ	– اتُّهم قائدها بأنه زنديق، وقتله الرشيد	التاريخ، ج٨، ص٢٦٦
أهل الطالقان	اليعقوبي	دون	—	—	– حاربهم الفضل بن يحيى البرمكي	التاريخ، ج٢، ص٤٠٧، ٤٠٨

حركات الشام

الحركة	المصدر	الإسناد	السبب	التاريخ	التفاصيل	التوثيق
الفتنة بين المضرية واليمانية (أبو الهيذام)	الدينوري	دون	—	١٧٤هـ	– إشارة فقط	الاخبار الطوال، ص٣٥٤
	اليعقوبي	دون	—	١٧٦هـ	– أرسل إليه الرشيد السنديُّ فقتله	التاريخ، ج٢، ص٤١٠
	الطبري	دون	—	١٧٦هـ	– أبرز دور يحيى البرمكي وابنه موسى في إخضاع هذه الحركة، واورد أشعاراً تبالغ في مدحهما	التاريخ، ج٨، ص٢٥١، ٢٥٢
	الأزدي	دون	—	١٧٦هـ	– إشارة فقط	تاريخ الموصل، ص٢٧٩
	ابن عساكر	المدائني	– قتل عامل الرشيد في سجستان أخ أبي الهيذام	—	– ذكر احداث الفتنة والمعارك في دمشق وحوران، وقبض الرشيد عليه ثم إطلاقه	تاريخ دمشق، ج٨، ص١٠٦، ١٠٧
عودة الفتنة	اليعقوبي	دون	—	١٨٠هـ	– أبرز دور جعفر البرمكي في تهدئة الفتنة، وأورد جزءاً من خطبته في اهل حمص	التاريخ، ج٢، ص٤١٠
	الطبري	دون	—	١٨٠هـ	– اظهر موقف الرشيد الذي اغتمَّ بسببها، كما أبرز دور جعفر البرمكي في الإصلاح بينهم، كما انفرد بتقديم حديث مطوَّل وبليغ لجعفر مع الرشيد يمدحه فيه وهو يحمل مضامين دعائية للبرامكة	التاريخ، ج٨، ص٢٦٣–٢٦٥
	الجهشياري	دون	—	١٨٠هـ	– إشارة فقط	الوزراء، ص١٣٣، ١٣٤
	الأزدي	دون	—	١٨٠هـ	– أشار إلى دور جعفر، واورد نص خطابه في الشام	تاريخ الموصل، ص٢٨٩
عودة الفتنة ثانية	الطبري	دون	—	١٨٧هـ	– اشار إلى توجيه الرشيد محمد بن منصور بن زياد إليهم	التاريخ، ج٨، ص٣٠٢
	ابن عساكر	محمد بن جرير		١٨٧هـ	– اشار إلى توجيه الرشيد محمد بن منصور بن زياد إليهم	تاريخ دمشق، ج٥٦، ص٣٤
وثوب اهل دمشق	اليعقوبي	دون	– قلة الـلور في محرابهم	—		التاريخ، ج٢، ص٤٠٩
	ابن عبد ربه	دون	—	—	– أشار إلى توبيخ الرشيد سليمان ابن ابي جعفر لعدم صموده	العقد الفريد، ج٤، ص٢١٤
خروج أهل حمص	اليعقوبي	دون	—	١٩٠هـ	– ذكر خروج الرشيد لهم وطلبهم منه الأمان وعفوه عنهم	التاريخ، ج٢، ص٤٢٨
خروج ابي النداء	الطبري	دون	—	١٩١هـ	– ارسل إليه الرشيد يحيى بن معاذ فقتله	التاريخ، ج٨، ص٣٢٢، ٣٣٩

حركات الجزيرة الفراتية (الخوارج)

الحركة	المصدر	الإسناد	السبب	التاريخ	التفاصيل	التوثيق
حركة الصحصح الحروري	الطبري	دون	—	١٧١هـ	– ذكر أن اسمه الفضل بن سعيد الحروري، وأنه قُتل على يد أحد قادة الرشيد	التاريخ، ج٨، ص٢٣٥
	الأزدي	دون	—	١٧١هـ	– تناول أحداث المعارك التي تمكن بها قادة الرشيد من القضاء على ثورته بعد عناء	تاريخ الموصل، ص٢٦٧
حركة الوليد بن طريف الشاري	ابن قتيبة	دون	—	—	– وجَّه له يزيد بن مزيد فقتله	المعارف، ص٣٨٢
	اليعقوبي	دون	—	١٧٩هـ	– ارسل إليه عدة جيوش، ولم يتمكن من قتله في النهاية إلا يزيد بن مزيد، ثم خرج من اتباعه خراشة	التاريخ، ج٢، ص٤١٠، ٤١١
	الطبري وصاحب (العيون)	دون	—	١٧٨هـ	– أشار إلى انتصاراته على الجيش العباسي حتى تمكن يزيد بن مزيد من قتله، وأورد أبيات رثاء فيه لأخته الفارعة	التاريخ، ج٨، ص٢٥٦، ٢٦١. العيون، ج٣، ص٢٩٦، ٢٩٧
	الأزدي	قالوا، الواقدي	– بسبب الظلم؛ فقد برر الوليد خروجه بقوله: «ظلمكم أخرجني من داري»	١٧٧هـ	– أشار إلى اشتداد شوكته وكثرة أتباعه وهزيمته جيوش العباسيين وإفساده في أراضي الدولة	تاريخ الموصل، ص٢٨١–٢٨٣
	الأصبهاني	دون	—	—	– أورد رثاء أخته ومدحها له تعبيراً عن ظلمه	الأغاني، ج١١، ص٣٣٣–٣٣٥
	المقدسي	دون	– بسبب الظلم؛ فقد برَّر الوليد خروجه بقوله: «ظلمكم أخرجني من داري»	١٧٩هـ	– أشار باختصار إلى مقتله	البدء والتاريخ، ج٦، ص١٠١، ١٠٢
خروج خراشة الخارجي	خليفة بن خياط	دون	—	١٧٩هـ	– تتبَّع المناطق التي تحرَّك فيها، وذكر أكثر من خمسة وعشرين موقعاً لاحقه فيها الجيش العباسي بعد أن أعياه	التاريخ، ص٤٥٤–٤٥٦
	ابن قتيبة	دون	—	—	– أشار إلى أنه خرج بعد الوليد بن طريف الشاري	المعارف، ص٣٨٢
	الطبري	دون	—	١٨٠هـ	– أشار إلى أنه حكم وشري بالجزيرة فقتله مسلم بن بكار العقيلي	التاريخ، ج٨، ص٢٦٦
	الأزدي	ذكروا	—	١٧٦هـ	– قدَّم احتمالين لاستمرار ثورته: الأول أنه قُتل مع اتباعه سنة ١٧٦هـ والثاني أن ثورته استمرت حتى سنة ١٨١هـ	تاريخ الموصل، ص٢٧٩، ٢٩١
الفضل الرداني	الأزدي	خليفة بن خياط	—	١٧٥هـ	– ذكر تفاصيل عن مجريات محاربته ومقتله	تاريخ الموصل، ص٢٧٥
العطاف بن سفيان الأزدي	الأزدي	الأشياخ	– تجبي الخراج ومنع عمال الدولة من جمعه	١٧٨هـ	– ذكر خروج الرشيد بنفسه وهدم سور الموصل	تاريخ الموصل، ص٢٧٩، ٢٨٠

حركات مصر واليمن وعمان

الحركة	المصدر	الإسناد	السبب	التاريخ	التفاصيل	التوثيق
اهل الحوف	الكندي	دون	– زيادة الخراج	١٧٨هـ	– ذكر تفاصيل تحرُّك الثورة وإخمادها، وإرسال الرشيد هرثمة لإخضاعها	الولاة والقضاة، ص١٣٦
	الكندي	دون	– إرسال مساحين لمسح الأرض المزروعة	١٨٦هـ	– ذكر تفاصيل تحرُّك الثورة وإخمادها من قبل الوالي، وامتناع اهل الحوف عن دفع الخراج، وإرسال الرشيد العمال لجمع الخراج باللين	الولاة والقضاة، ص١٣٩–١٤١
	الكندي	دون	– الامتناع عن دفع الخراج	١٩١هـ	– إرسال الرشيد يحيى بن معاذ، فهزمهم واذعنوا لدفع الخراج	الولاة والقضاة، ص١٤٣، ١٤٤
الهيصم اليماني	ابن حبيب	دون	–	–	– محاربة والي اليمن حماد البربري له وأسره مع ابنه وقتله	المحبر، ص٤٨٨
	اليعقوبي	دون	–	١٧٩هـ	– ذكر تفاصيل حول محاربة والي اليمن لحماد البربري مدة تسع سنين وأسره وإرساله إلى الرشيد، وابرز موقفاً شجاعاً ومميزاً للهيصم بعكس معاناة اهل اليمن عند قتله	التاريخ، ج٢، ص٤١٢، ٤١٣
	الطبري	دون	–	١٩١هـ	– أشار باختصار إلى القبض عليه سنة ١٩١هـ وأن الرشيد قتله سنة ١٩٢هـ	التاريخ، ج٨، ص٣٢٣، ٣٤٠
ثورة اهل عُمان على عيسى بن جعفر والي البصرة	ابن حبيب والبلاذري وقدامة ابن جعفر	دون	– إساءة عيسى بن جعفر عندما قدم ومعه اهل البصرة مظهرين الفجور والاعتداء على نساء عُمان	–	– ذكر محاربة اهل عُمان عيسى وتمكنهم من قتله وصلبه ومخالفتهم الدولة وتوليتهم رجلاً منهم عليهم	المحبر، ص٤٨٨، الفتوح، ص٨٨، الخراج، ص٢٧٧
	الطبري	دون	– قيام عيسى بمهاجمة الخوارج في عدة حصون	١٨٩هـ	– لم يُشِرْ إلى مقاصد عيسى، بل اشار إلى فتحه حصناً بإحدى الجزر ومهاجمته الخوارج، فقبض عليه احد زعمائهم وأسره وحمله إلى عُمان، دون ان يشير إلى مصيره	التاريخ، ج٨، ص٣١٧

حركات أرمينيا وأذربيجان

الحركة	المصدر	الإسناد	السبب	التاريخ	التفاصيل	التوثيق
الفتنة بين النزارية واليمنية	اليعقوبي	دون	– تقريب الولاة فئةً دون أخرى	—	– تناول حالة الولاية وتقلُّب الولاة	التاريخ، ج٢، ص٤٢٦
	ابن أعثم	دون	—	—	– ذكر تفاصيل حول المعارك مع ثوار أهل أرمينيا، وانهزام جيوش الرشيد أمامهم	الفتوح، ج٨، ص٤٠٩، ٤١٠
أبو مسلم الشاري	اليعقوبي	دون	– سبب غير مباشر (دفع الخراج)	—	– أشار إلى عدة محاولات من ولاة الرشيد لإخضاعه	التاريخ، ج٢، ص٤٢٦
	ابن أعثم		– سبب غير مباشر (دفع الخراج)	—	– ذكر تفاصيل عن قتاله مع جيوش الرشيد وموته حتف أنفه	الفتوح، ج٨، ص٤٠٩، ٤١٠
الخزر	اليعقوبي	دون	– سوء إدارة ولاة الرشيد، وتحريض أحد الثوار المحليين لملك الخزر بمساعدته على المسلمين	—	– أشار إلى أعمال الخزر من قتل للأطفال والنساء وحرقهم، وأشار إلى موقف الرشيد بإصلاح الأوضاع من خلال ولاته	التاريخ، ج٢، ص٤٢٧، ٤٢٨
	ابن أعثم	دون	– سوء إدارة ولاة الرشيد، وتحريض أحد الثوار المحليين لملك الخزر بمساعدته على المسلمين	—	– ذكر مقدّمات الفتنة ووصف ما فعله الخزر بالمسلمين من فظائع، وأظهر موقف الرشيد المغتمّ من ذلك وعزله سعيد بن سلم	الفتوح، ج٨، ص٤١١، ٤١٢
	الطبري والأزدي وصاحب (العيون والحدائق)	دون	– موت ابنة ملك الخزر عندما حُملت إلى الفضل بن يحيى، فاعتقد أبوها أنها قُتلت غيلةً. – قتل سعيد بن سلم والي أرمينيا أحد المنجمين، فاستنجد ابن المنجم بملك الخزر لينتقم لأبيه	١٨٣هـ	– أشار إلى تفاصيل الهجوم، والأعمال البشعة التي قام بها الخزر في حق المسلمات، وأعداد أسرى المسلمين. كما أشار إلى موقف الرشيد من ذلك وإرساله خزيمة بن خازم ويزيد بن مزيد لإصلاح ما أفسده سعيد بن سلم	التاريخ، ج٨، ص٢٦٩، ٢٧٠، تاريخ الموصل، ص٢٩، العيون والحدائق، ج٣، ص٣٠٢
	المقدسي	دون	– سبب خطبة الفضل بن يحيى ابنة ملك الخزر	—	– وصف أفعال الخزر المشينة في حق المسلمين من قتل وحرق وتدمير، ولم يُشرْ إلى أية إجراءات للرشيد رداً على ذلك	البدء والتاريخ، ج٦، ص١٠٣، ١٠٤
الخُرَّمية بالجبل	خليفة بن خياط	دون	—	١٩٢هـ	– أشار إلى إرسال الرشيد خزيمة بن خازم، فقتل وأسر منهم	التاريخ، ص٤٦٠
	الطبري والأزدي		—	١٩٢هـ	– أشار إلى إرسال الرشيد عبد الله بن مالك، فقتل وأسر منهم	التاريخ، ج٨، ص٣٣٩، تاريخ الموصل، ص٣١٢
	المقدسي	دون	—	—	– أشار إلى إرسال الرشيد عبد الله بن مالك فقتل وأسر منهم	البدء والتاريخ، ج٦، ص١٠٣

يُلحظ من الجداول السابقة اهتمام المصادر التاريخية الواضح بأحوال أقاليم الدولة العباسية في عهد الرشيد، لكن معظم رواياتها غير مسندة. كما يُلحظ اهتمام بعض المصادر بأقاليم معينة دون غيرها؛ لأنها مصادر محلّية، وتمثّل ذلك في الأزدي الذي اهتم بإقليم الجزيرة والموصل، والكندي الذي اهتم بمصر. كما أبرزت متابعة تغطية تلك المصادر لأخبار الأقاليم الطبري بوصفه مؤرخاً شاملاً سعى إلى الاهتمام بكل الأقاليم. أما اليعقوبي فعلى الرغم من منهج الإيجاز الذي اتّبعه في تاريخه إلا أنه قدّم تغطية جيدة، ولم يلجأ إلى الاختصار عند تناوله تلك الحركات. كما يُلحظ اهتمام المصادر بالأقاليم القريبة كالشام والجزيرة أكثر منه بالأقاليم البعيدة كأرمينيا وأذربيجان.

ويُلحظ أيضاً عدم اهتمام بعض المصادر بذكر أسباب تلك الثورات، وتمثّل ذلك بوضوح في صمت معظم المصادر عن سبب ثورة الوليد بن طريف الشاري، بينما انفرد الأزدي بإيراد سبب خروجه. وعندما تذكر المصادر أسباب هذه الثورة تقول إنها نتيجة إساءة العمال والولاة معاملة أهالي تلك الأقاليم وإداراتها، وهو ما يعدُّ انتقاداً غير مباشر للخليفة وسياسته. أما صمت المصادر عن ذكر أسباب هذه الثورة فهو نتيجة انتهاج بعض المؤرخين أسلوب الاختصار؛ مثل ابن حبيب وابن قتيبة والدينوري والمقدسي، وهو أسلوب عام لديهم جميعاً.

ومن حيث المضامين التي قدّمتها تلك المصادر يُلحظ ظهور قليل للرشيد؛ إذ كان يظهر مغتماً من بعض الثورات، ونادراً ما كان يخرج بنفسه لحل بعض المشكلات، وفي الأغلب كان الرشيد يعمد إلى إرسال عمال وولاة جدد لإصلاح الفساد على الرغم من فشل تلك الوسيلة(١)، إضافةً إلى إرساله قادته وجيوشه

(١) يرى الدوري وفاروق عمر أن هذا يشير بشكل غير مباشر إلى أن الرشيد لم يكن موفقاً في اختياره لعماله وولاته وأنه لم يكن يدقق في محاسبة العمال، كما يشير إلى أن أكثر الولاة وخاصة ولاة خراسان كانوا أكثر اهتماماً بمصالحهم الشخصية بكسب الأموال على حساب=

الذين تعرَّضوا لهزائم متلاحقة، وهو ما تمثَّل في ثورات رافع وحمزة الشاري والوليد ابن طريف وخراشة الخارجي وأبي مسلم الشاري والفتن بين النزارية واليمنية في أرمينيا. وقد أظهرت هذه الثورات ضعف جيوش الدولة أمامها، كما عكست ضعفاً واضحاً في سيطرة الدولة على أقاليمها البعيدة والقريبة، وظهر الرشيد في موقف المُكبَّل والضعيف أمام هجمات الخزر على المسلمين في ارمينيا التي أبرزت المصادر أوصافها الأليمة وما حصل للمسلمين على أيدي الخزر.

وحول نظرة المصادر إلى هذه الحركات يُلاحظ تقديرها أحد زعماء هذه الحركات، وهو الهيصم اليماني؛ إذ أبرز اليعقوبي شجاعته الفائقة وعدم خوفه من الموت لحظة مقتله، إضافةً إلى إيراد الطبري والأزدي والأصبهاني قصائد رثاء الفارعة أخاها الوليد بن طريف الشاري فتمدحه فيها وتصفه بأنبل الصفات وتمجِّد حركته.

كما يُلحظ لدى اليعقوبي والطبري إيرادهما عدة أخبار مُبالَغ فيها عن دور البرامكة في إخضاع فتن العصبية في الشام دون استخدامهم القوة في ذلك، مع إيراد أشعار ومدائح أو خطب قالها البرامكة في الشام. ويبالغ الطبري في إيراد نص مطوَّل لحوار جرى بين الرشيد وجعفر البرمكي عندما عاد من إخضاع فتنة في الشام يحمل دعايةً واضحةً للبرامكة.

واهتمت المصادر التاريخية؛ كاليعقوبي والبلاذري والطبري والمسعودي، بأمر بقية الأقاليم، خصوصاً المغرب وكيفية وصول إبراهيم بن الأغلب إلى ولاية إفريقيا؛ فذكر اليعقوبي أن تولية أهل إفريقيا إبراهيم بن الأغلب الولاية عليهم كان بعد مقدمه إليهم من مصر بعد إخفاق محمد بن مقاتل العكي في إدارة إفريقيا بسبب ثورات أهلها عليه، فلما ضبطها إبراهيم بلغ الرشيد ذلك فكتب إليه عهده على

= الرعية من خلال الزيادة في الضرائب مما ولد الظلم الذي عانى منه الكثيرين وكانوا عاملاً مهماً في استمرار تلك الحركات لفترات طويلة. انظر الدوري، العصر العباسي الأول، ص١٠٧. فاروق عمر، الخليفة المجاهد، ص١٠، شاكر مصطفى، دولة بني العباس، ص٤٠٣.

إفريقيا، فلما تولّى إفريقيا تنازل عن المبلغ الذي كان يُحمل إليه من مصر وكتب إلى الرشيد أنه يقوم بالبلد دون مال، فولاه إياها، فدامت البلاد له ولولده على ذلك(١).

أما البلاذري، فذكر المضمون السابق نفسه الذي أورده اليعقوبي مع اختلاف بسيط، وهو وجود دور لهرثمة بن أعين في الاتفاق مع إبراهيم على توليته إفريقيا ومشاورة الرشيد في ذلك، دون الإشارة إلى تنازل إبراهيم عن أخذ مال مصر، كما أنه لم يتعهد بدفع أموال إلى الخزينة(٢).

وأشار الطبري باختصار شديد في أحداث سنة ١٨٤هـ إلى أن إبراهيم الأغلب قام بأمر إفريقيا، فولاها إياه الرشيد(٣). كما أشار المسعودي إلى أن الرشيد ولّى، وهو في الرقة سنة ١٨٤هـ، إبراهيم بن الأغلب أمر إفريقيا، ولم يزل آل الأغلب أمراء لإفريقيا حتى سنة ٢٩٦هـ(٤).

ويُلحظ مما أورده جميع هؤلاء المؤرخين أن الرشيد لم يُعطِ إبراهيم بن الأغلب استقلالاً ذاتياً، ولم يُشِرْ إلى أن لأولاده الحق في أن يتولوا الحكم بعده؛ لأن نص اليعقوبي الذي قال فيه: «فدامت البلاد له ولولده على ذلك» لا يُفهم منه أن الرشيد سمح بانفصال جزء من الدولة(٥).

---

(١) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٤١١-٤١٢(دون).

(٢) البلاذري، الفتوح، ص٢٣٥ (أحمد بن فاقد مولى بني الأغلب)، قدامة بن جعفر، الخراج، ص٣٤٨؛ انظر الذهبي، تاريخ، ج١٣، ص٨٤ (دون)؛ ابن خلدون، تاريخ، ج٣، ص٢٨٠؛ انظر: المقريزي، المقفى الكبير، ج١، ص١٠٩، ابن تغري بردي، النجوم، ج٢، ص١٤٠-١٤١.

(٣) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٧٢(دون).

(٤) المسعودي، مروج، ج٥، ص١٩١ (دون)، انظر: مجهول، العيون، ج٣، ص٣٠٢-٣٠٣.

(٥) انظر وجهة نظر أخرى رآها عدد من الباحثين حين استندوا إلى النص الذي انفرد اليعقوبي به، ولم يورده آخرون؛ مثل البلاذري والطبري حيث اعتبروا أن الشرط الذي جعل ولاية وراثية في أحفاده كانت مقابل دفع إبراهيم بن الأغلب إعانة سنوية مقدارها ٤٠ ألف دينار وأن إعانة ابن الأغلب جعلت الرشيد يضطر للاعتراف بالأغالبة كأمراء مستقلين، انظر: الدوري، العصر=

وفيما يتعلّق بمعاملة الرشيد بقايا الأمويين في الشام ذكر ابن عساكر وبعض المصادر الأدبية أخباراً بدا الرشيد من خلالها في موقف المتسامح الحذِر مع الاحتفاظ بالنظرة التقليدية العدائية تجاه الأمويين(١)؛ فذكر ابن عساكر أن الرشيد أطلق الحكم بن عبدالله بن مروان بن الحكم من الحبس، وكان محبوساً من أيام السفاح، ثم خشي منه بعد عودة أبيه عبدالله من الحبشة، فأعاد حبسه(٢).

وأورد التنوخي قصة طويلة عن منارة الخادم(٣) تصوِّر شدة حذر الخليفة الرشيد من أحد الأمويين عندما وُصف له بصفات أقلقته؛ مثل عظم الجاه وسعة المال والأملاك والجود وحسن الضيافة وطاعة الناس له، وأنه كان يغزو الروم هو وأولاده، فحُذِّر الرشيد من خروجه، فخشي منه وكلَّف منارة خادمه بإحضاره، ثم ردّه الرشيد إلى أهله بعد أن أمن جانبه(٤).

وأشار ابن عبد ربه والمسعودي إلى اعتراض أحد الأمويين طريق الرشيد مذكِّراً إياه بالقرابة وصلة الدم التي تربطهما من خلال أشعار ألقاها عليه، فعامله الرشيد معاملةً حسنةً ووصله(٥). كما ذكر المسعودي قصة إكرام الرشيد مزنة زوجة

= العباسي الأول، ص١١٠ . فاروق عمر، الخلافة العباسية، ج١، ص١٩٠، الخليفة المجاهد، ص٧١ . G. Marcais, (Aghlabids), E12 vol, 1, p. 247

D. Sourdel, The Abbasid Caliphate, The Cambridge History of Islam ، Vol 1, A, p.118

(١) فالمبرد ذكر أن الرشيد كان يعدهم أعداء، المبرد، الكامل، ج٢، ص٦٨ (الأصمعي).

(٢) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١٥، ص٢٣(دون)، انظر: ج٦٧، ص٧٨، مجهول، العيون، ج٣، ص٢٠٥(دون)، ابن العديم، بغية، ج٦، ص٢٨٦١.

(٣) مولى المنصور وخادمه ومرافقه خدم المهدي واستمر في خدمة الخلفاء إلى آخر حياته، انظر: الطبري، تاريخ، ج٨، ص١١٢، ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص٣٤.

(٤) التنوخي، الفرج، ج٢، ص٣٤-٤٢ (عن كتاب أبي الفرج المخزومي الحنطبي عن منارة الخادم)، ابن حمدون، التذكرة، ج٨، ص٥٥-٥٩ (عن منارة صاحب الخلفاء)، الأبشيهي، المستطرف، ج١، ص٢٢٣-٢٢٦ (دون)، الاتليدي، أعلام الناس، ص١٨٨ (التنوخي).

(٥) ابن عبد ربه، العقد، ج٣، ص٣١٦(الأصمعي)، المسعودي، مروج، ج٤، ص٢٢٩(يروى).

مروان بن محمد(١)، وأشار في الوقت نفسه إلى قصة تتضمن سخريةً من نهم سليمان بن عبدالملك بالطعام(٢).

واهتمت بعض المصادر الأدبية وكتب التراجم بإيراد أخبار وقصص تدلُّ على فضول كان يكتنف الرشيد حول أخبار بني أمية، وذلك بطرحه الأسئلة عن عدة قضايا ارتبطت بهم؛ فقد أشار البيهقي إلى أن الرشيد سأل الكسائي عن أول مَن سنَّ الكتابة على العملة الذهبية والفضية من الأمويين، وعن السبب الذي دفعهم إلى ذلك(٣). كما أشار الأصبهاني إلى أن الرشيد كان يسأل عن الوليد بن يزيد(٤)، وكان متعاطفاً معه، فعندما التقى الرشيد بابن الغمر بن يزيد قال له: «رحم الله عمك، ولعن يزيد الناقص وقتلة عمك جميعاً؛ فإنهم قتلوا خليفةً مُجمعاً عليه»(٥).

الرشيد والعلويون

سعت بعض المصادر إلى إبراز نظرة الرشيد الإيجابية إلى علي بن أبي طالب وخلافته؛ فقد ذكر الخطيب البغدادي وابن الجوزي أن الرشيد كان يُقدِّر خلافة علي بن أبي طالب، وهو ما بدا خلال حوار دار بين الرشيد وأبي معاوية أثبت فيه الرشيد خلافة علي بن أبي طالب، وتوعَّد من ينكرها بالعقاب الشديد(٦). كما

(١) المسعودي، مروج، ج٤، ص١٧٢ (دون).

(٢) المسعودي، مروج، ج٤، ص٧ (الأصمعي) ابن حمدون، التذكرة، ج٩، ص٩٩ (الأصمعي)، الزمخشري، ربيع، ج٢، ص٧٥١ (الأصمعي).

(٣) البيهقي، المحاسن والمساوئ، ج٢، ص٢٣٢-٢٣٨ (الكسائي).

(٤) الأصفهاني، الأغاني، ج٧، ص١٥-١٦ (عمر بن شبة)، انظر، ج١٠، ص٢٩٨ (عمر بن شبة)، هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بويع له بعد عمه هشام بن عبد الملك بعهد أبيه يزيد بن عبد الملك، انظر ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٦٣، ص٣١٩ - ٣٤٩.

(٥) الأصفهاني، الأغاني، ج٧، ص٦٠ (المدائني)، ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٢٩١.

(٦) الخطيب، تاريخ بغداد، ج٥، ص٢٤٤ (أحمد بن زكريا بن سفيان عن أصحابه)، ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص٣٢٤-٣٢٥ (أحمد بن زكريا بن سفيان عن أصحابه)، الأربيلي، خلاصة الذهب، ص١١٠ (دون).

أورد السيوطي عن إسحاق الهاشمي أن الرشيد كان يحبُّ علي بن أبي طالب وأولاده(١).

وفي الوقت نفسه أشارت بعض المصادر؛ مثل الطبري(٢) وابن عساكر(٣)، إلى تقدير الرشيد سيرة الخلفاء الراشدين، خصوصاً أبا بكر وعمر وعثمان. كما أورد الخطيب وابن عساكر حواراً بين الأصمعي والكسائي أمام الرشيد حول مقتل عثمان، فأبدى الرشيد تعاطفاً مع الخليفة عثمان وذكر أن قتله كان ظلماً(٤). وبالغ الهبري في تفسير اهتمام الرشيد بعثمان، فرأى أنه جاء على خلفية تعاطف المأمون مع عليّ وتصريحه بأنه كان أفضل الصحابة، فخالف الرشيد المأمون في اهتمامه، كما فسَّره بأنه دعم لأهل السنة(٥).

كما اهتمت المصادر التاريخية؛ مثل البسوي والطبري والمقدسي، بالإشارة إلى سياسة التسامح التي انتهجها الرشيد مع العلويين، إضافةً إلى النظرة المتوازنة التي اتَّسمت بالاحترام والتبجيل لسيرة الخلفاء الراشدين دون استثناء، وكان ذلك لجذبهم؛ لأن أخاه الهادي مارس معهم سياسة عنيفة وشرَّدهم في البلدان، فرأى

---

(١) انظر: السيوطي، تاريخ، الخلفاء، ص٤٦٦ (الصولي عن إسحق الهاشمي). وينقل الدوري عن ابن طيفور أن للرشيد ميولاً علوية لكن الدوري يرى أن هذه لم تكن تتجاوز حدود العاطفة. ابن طيفور، كتاب بغداد، ص٧-٨، الدوري، العصر العباسي الأول، ص١١٠.

(٢) انظر: قصة الرشيد مع أحد عماله حين شبه نفسه للرشيد بعمر، الطبري، تاريخ، ج٨، ص٣٥٣-٣٥٤ (مصعب بن عبد الله الزبيري عن أبيه)، انظر: أبو نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء، ج٨، ص٢١١، (محمد بن السماك).

(٣) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٧٣، ص٢٩١ (أبو بكر بن عياش)، ابن كثير، البداية، ج١٠، ص٢٣٤(عن بعض أهل العلم).

(٤) الخطيب، تاريخ بغداد، ج١٠، ص٤١٦-٤١٧ (إسحق الموصلي) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٣٧، ص٧٥ (الأصمعي)؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٢٢٧ (إسحق الموصلي)، ابن خلكان، الوفيات، ج٣، ص١٧١-١٧٢.

(5) Tayeb EL Hibri, Harun Al Rashid, p. 25.

الرشيد أن يرفق بهم لإزالة أثر سياسة الهادي(١)؛ فقد ذكر الطبري أن الرشيد عندما تولى الخلافة سنة (١٧٠هـ/ ٧٨٦م) آمن مَن كان هارباً أو مستخفياً، فظهر من الطالبيين طباطبا، وهو إبراهيم بن إسماعيل، وعلي بن الحسن بن إبراهيم بن عبدالله بن الحسن(٢). وأكد المقدسي أن الرشيد بذل الأمان للطالبيين(٣). وقد أتبع الرشيد هذه الخطوة بأخرى تسامحية تجاه العلويين؛ فقد أورد البسوي والطبري أن الرشيد قام سنة (١٧١هـ/ ٧٨٧م) بإخراج من كان بمدينة السلام من الطالبيين إلى المدينة المنورة ليقيموا فيها(٤)، عدا العباس بن الحسن بن عبدالله بن علي بن أبي طالب(٥) لأنه كان مُقرَّباً من الرشيد ويصحبه(٦).

إن سياسة التسامح هذه لم تستمر طويلاً؛ فقد أشارت معظم المصادر التاريخية إلى ملاحقة الرشيد إدريس بن عبدالله(٧) عندما هرب إلى المغرب بعد معركة فخ(٨)، فلما مات الهادي وتولى الرشيد علم أن نجاح إدريس في الهرب إلى إفريقيا

(١) الدوري، العصر العباسي الأول، ص١١٠؛ انظر: سعدي ضناوي، موسوعة هارون الرشيد، ج٢، ص٣٢٧-٣٢٨.

(٢) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٣٤(دون)، ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص١٠٨.

(٣) المقدسي، البدء والتاريخ، ج٦، ص١٠١(دون)، ابن ظافر الأزدي، أخبار الدول المنقطعة، ج٢، ص٣٢٤.

(٤) البسوي، المعرفة والتاريخ، ج١، ص١٦٢. الطبري، التاريخ، ج٨، ص٢٣٥.

(٥) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٣٥(دون)، ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص٣٣٧، ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص١١٤، الذهبي، تاريخ، ج١١، ص٦.

(٦) الخطيب، تاريخ بغداد، ج١٢، ص١٢٦، (الحسن بن محمد بن علي العلوي)، الحصري القيرواني، زهر الآداب، ص١٣٢، الذهبي، تاريخ، ج١٣، ص٢٤٦.

(٧) إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب أمه عاتكة بنت عبد الملك بن خالد بن العاصي توفي وعمره ٥٨ عاما، انظر: الأصفهاني، مقاتل ص٤٨٧ وما بعدها؛ المقريزي، المقفى الكبير، ج٢، ص٩-١٠.

(٨) البسوي، المعرفة، ج١، ص١٥٩(دون)، اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٤٠٤-٤٠٥(دون)، البلاذري، انساب، ق٢، ص٤٤٩-٤٥٠(دون)، الطبري، تاريخ، ج٨، ص١٩٨، الأصفهاني،=

كان بسبب مساعدة واضح عامل بريد مصر، واختلفت المصادر حول ردة فعل الرشيد؛ فالبلاذري وابن الفقيه الهمذاني ذكرا أن الرشيد قتل واضحاً عامل بريد مصر بسبب مساعدته إدريس في الهرب إلى المغرب(١)، أما الطبري فلم يجزم بأن الرشيد هو الذي قتل واضحاً بل شكَّك في ذلك فقال: «فضرب الهادي عنق واضح وصلبه، ويُقال: إن الرشيد الذي ضرب عنقه»(٢). بينما لم يُشِر الأصبهاني إلى قتل واضح، بل انفرد عن غيره من المؤرخين بتقديم تفاصيل دقيقة عن دور رجل من موالي بني العباس لم يُسمِّه في مساعدة إدريس في الهرب على البريد المتوجِّه إلى إفريقيا(٣)، ولم يُشِر إلى مصيره. أما الكندي فقد أشار إلى تواطؤ الوالي، وأن صاحب الخبر رفع بذلك إلى الرشيد، وفي رواية أن صاحب الخبر قُتل زمن الهادي، وأخرى أنه قُتل زمن الرشيد(٤).

إن العلاقة بين الرشيد والعلويين ستتَّخذ منحى آخر وستَّتجه نحو المصادمة، وسيُلحظ تفاوت اهتمام المصادر بها؛ لأن بعض المؤلفين، خصوصاً الذين يحملون

= مقاتل، ص٤٨٧-٤٩١. ومعركة فخ حصلت في وادي قرب مكة على بعد ثلاث إلى ست أميال منها حيث خرج فيها سنة ١٦٩هـ الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن الطالبي وأتباعه فأرسل له الهادي محمد بن سليمان بن علي العباسي لقتاله فقتل الحسين وهرب إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن؛ انظر الطبري، تاريخ، ج٨، ص١٩٢-١٩٨؛ اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٤٠٤-٤٠٥، ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٢٣٧-٢٣٨.

(١) البلاذري، انساب، ق٢، ص٤٤٩-٤٥٠(دون)، ابن الفقيه الهمذاني، البلدان، ص١٣٣(ما حكاه صالح بن علي وربما هو صالح بن علي بن يعقوب بن المنصور العباسي)، المقدسي، احسن التقاسيم، ص٢٤٤(دون).

(٢) الطبري، تاريخ، ج٨، ص١٩٨، (محمد بن يوسف بن يعقوب الهاشمي)، ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص٩٣، الذهبي، تاريخ، ج١٠، ص٣٦-٣٧، النويري، نهاية، ج٢٥، ص٦٩-٧٠، المقريزي، المقفى الكبير، ج٢، ص١٠.

(٣) الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص٤٨٨ (علي بن إبراهيم العلوي عن عبد الله بن عبد الرحيم بن عيسى).

(٤) الكندي، الولاة والقضاة، ص١٥٥ (دون).

ميولاً علوية، سيفردون مؤلفات خاصة بهذا الموضوع. كما يُلاحظ أن العلاقة بين العلويين والعباسيين دُوِّنت باهتمام خاص من قبل الرواة العلويين والعباسيين، وأن ثورات العلويين صبغت هذه الأخبار بالمأساوية(١)؛ فقد أشار ابن النديم إلى كتابين تناولا مقاتل آل أبي طالب لم يصلا إلينا؛ الأول كتاب (أسماء مَن قُتل من الطالبيين) للمدائني(٢)، والثاني كتاب (المبيضة في أخبار مقاتل آل أبي طالب) لابن عمار أحمد بن عبيدالله الثقفي(٣). كما أشار المسعودي إلى تأليفه رسالة (بيان أسماء الأئمة القطعية من الشيعة)(٤) أورد فيها أخبار موسى بن جعفر والرشيد. وقد اعتمد كل من الأصبهاني في (مقاتله) والتنوخي في (الفرج) في بعض أخبارهما عن أحمد بن عيسى بن زيد العلوي على كتاب (المبيضة)، أما كتاب المدائني، فلم يُشِرْ إليه أحد من المصادر التي تناولت أخبار العلويين مع الرشيد؛ فربما يكون قد تناول الذين خرجوا أو قتلوا في فترة متقدِّمة عن فترة الرشيد.

يُضاف إلى تلك المصادر كتاب الأصبهاني (مقاتل الطالبيين)، وهو كتاب مهم انفرد فيه الأصبهاني بترجمة المقتولين من ذرِّية أبي طالب، سواء بالسم أو في الحبس أو الذين هربوا واختفوا إلى الوقت الذي بدأ فيه تأليف كتابه (سنة ٣١٣هـ)(٥).

واختلفت المصادر حول متابعة الرشيد إدريس العلوي ومقتله؛ فاليعقوبي ينقل

---

(1) Tayeb EL Hibri, Harun Al Rashid, p. 14.

(٢) ابن النديم، الفهرست، ص١١٤.

(٣) ابن النديم، الفهرست، ص١٦٦. أحمد بن عبيد الله بن عمار ترجم له الخطيب البغدادي بأن له مصنفات في مقاتل الطالبين وكان يتشيع توفي سنة٣١٨هـ الخطيب، تاريخ، ج٤، ص٢٥٢، وذكر ابن النديم أن له كتاب المبيضة في أخبار مقاتل آل أبي طالب، الفهرست، ص١٦٦، وقد نقل التنوخي عنه خبر هروب أحمد بن عيسى بن زيد بعد أن استغل نوم الحراس في السجن، التنوخي، الفرج، ج٢، ص١٨٠-١٨٢ (كتاب المبيضة).

(٤) المسعودي، مروج، ج٦، ص٢١٦ (دون).

(٥) الأصفهاني، مقاتل، ص٤.

عن أهل المغرب أن موسى الهادي هو الذي قتله بأن وجّه إليه رجلاً اغتاله بالسم(١)، أما ابن الفقيه الهمذاني والمقدسي والطبري، فيرون أن الرشيد هو الذي أرسل إلى إدريس الشماخ اليماني مولى المهدي، فتحايل بأنه طبيب، فدسَّ له السم في علاج فمات(٢). أما الأصبهاني، فيورد ثلاث روايات عن مقتل إدريس: الأولى تتّهم يحيى بن خالد بقتل إدريس بأن أرسل إليه من دسَّ له السم(٣)، أما الرواية الثانية فتتّهم الرشيد بإرسال مَن دسَّ له السم أيضاً(٤)، والثالثة تتّهم أحد أتباع الزيدية(٥) بسمّه(٦). وأورد الأصبهاني أبيات شعر لمروان ابن أبي حفصة تصف مقتل إدريس وتذمّ الرشيد(٧).

ويُلحظ أن المؤرخين الذين قدّموا هذه المعلومات عن قتل الرشيد إدريس لم يحدّدوا التاريخ الذي حصل فيه ذلك، علماً أن الطبري وغيره من المؤرخين تناولوا أخبار إدريس في أثناء حديثهم عن خلافة الهادي، ولم يتناولوه عند حديثهم عن

(١) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٤٠٥، (أهل المغرب)، المقريزي، المقفى الكبير، ج٢، ص١١(قيل)، قدم المقريزي تفاصيل حول ذلك ودور الهادي في تسميمه، كما يورد الاحتمال الآخر وهو أن الرشيد كان وراء ذلك.

(٢) ابن الفقيه الهمذاني، البلدان، ص١٣٣-١٣٤ (صالح بن علي العباسي)، الطبري، تاريخ، ج٨، ص١٩٩ (محمد بن يوسف بن يعقوب الهاشمي)، المقدسي، أحسن التقاسم، ص٢٤٣-٢٤٤، ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص٩٣-٩٤ (دون)، النويري، نهاية، ج٢٥، ص٦٩-٨٠ (دون)، المقريزي، المقفى الكبير، ج٢، ص١٢ (قيل).

(٣) الأصفهاني، مقاتل، ص٤٨٩ (النوفلي علي بن محمد بن سليمان).

(٤) الأصفهاني، مقاتل، ص٤٩٠ (محمد بن موسى).

(٥) حيث قام سليمان بن جرير بإهداء إدريس سمكة مشوية مسمومة له فمات، المقدسي، البدء، ج٥، ص١٣٣، وسليمان هذا من زعماء إحدى فرق الزيدية وهي الجريرية وأشار عبد القاهر البغدادي أن بعض أصحاب التواريخ ذكروا أن سليمان بن جرير الزيدي سم إدريس ثم هرب إلى العراق. عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، ص٢٣٢.

(٦) الأصفهاني، مقاتل، ص٤٩٠ (داود بن القاسم الجعفري).

(٧) الأصفهاني، مقاتل، ص٤٩٠ (قالوا).

خلافة الرشيد . وإن صحَّت تلك الأخبار فإن قتل واضح وإدريس صُوِّرا بوصفهما حدثين مترافقين لم يفصل بينهما فاصل زمني كبير، ويُفترض أن قتل واضح لا يحتاج إلى وقت طويل، أما مقتل إدريس والإعداد له وتنفيذ الخطة فمن المؤكد أنه استغرق عدة سنوات، وهو ما يؤكده ابن خلدون عندما ذكر أن إدريس أخذ يعمل بالدعوة في المغرب إلى سنة ١٧٣هـ، فكان يدعو أهلها من يهود ونصارى وعمل على تجميع قبائل العرب، حتى أرسل إليه الرشيد الشماخ فقتله[١] . وقدَّم ابن خلدون وصف حال بني العباس بعد مقتله فقال: «ووقع خبر مهلكه من بني العباس أحسن المواقع؛ لما رجوه من قطع أسباب الدعوة العلوية بالمغرب واقتلاع جرثومتها» . لكن الدعوة عادت بعد ولادة ابن إدريس، وتجدَّدت دولتهم في المغرب[٢].

تمثَّل التصادم المباشر بين الرشيد والعلويين في قضية يحيى بن عبدالله بن الحسن، وقد قدَّمت المصادر التاريخية أخبارها حول هذه القضية بتفاوت من حيث الإسناد والمادة؛ فالبسوي والبلاذري واليعقوبي والأزدي والمقدسي قدَّموا أخباراً مُختصرة عن يحيى، بينما قدَّم كل من الطبري والمسعودي والأصبهاني أخباراً مُفصَّلة ودقيقة ومُسندة في معظمها.

لم يُشِر البسوي إلى خروج يحيى، وأشار في الوقت نفسه إلى محاولتين للرشيد من أجل أن يسلِّم يحيى نفسه؛ الأولى بعد سنة ١٦٩هـ[٣]، والثانية سنة ١٧٦هـ، كما أشار إلى دور مُشترك للفضل البرمكي وأبي البختري في مفاوضة علج الديلم الذي أبدى وفاءً ليحيى، فامتنع العلج عن تسليمه إلا بعد أن بذل الرشيد الأمان له ولمن كانوا معه، ولم يُشِر البسوي إلى موت يحيى بن عبدالله أو قتله[٤].

(١) ابن خلدون، تاريخ، ج٤، ص١٥-١٦(دون).

(٢) ابن خلدون، تاريخ، ج١، ص٢٤ .

(٣) البسوي، المعرفة والتاريخ، ج١، ص١٥٩-١٦٠ (حماد بن حفص).

(٤) البسوي، المعرفة، ج١، ص١٦٨(دون).

أما البلاذري، فقد أشار باختصار شديد إلى خروج يحيى دون تحديد زمن ذلك، وأشار إلى دور الفضل البرمكي في بذل الأمان ليحيى من القتل، ولكنه لم يحمِّل مسؤولية موته لأحد، وإنما ذكر أنه حبس عند السندي بن شاهك(١) فمات في الحبس(٢).

أما اليعقوبي فقد أشار إلى هروب يحيى إلى خراسان ثم إلى أرض الديلم، ولم يُشِرْ إلى ثورته، ولم يحدِّد زمن ذلك. كما ذكر أن صاحب الديلم سلَّم يحيى إلى الرشيد بعد أن هدَّده، فطلب الأمان من الفضل بن يحيى فآمنه، فحمله إلى الرشيد وحبسه إلى أن مات. ويورد اليعقوبي عدة روايات تتحدث عن موت يحيى، لكنه يُحمِّل مسؤولية قتله للمُوكل به، وقد يكون ذلك اتهاماً غير مباشر للرشيد؛ إذ ذكر في رواية بصيغة (قيل) أن المتولِّي أمر حبسه منع عنه الطعام أياماً فمات(٣)، وذكر في رواية أخرى أسندها إلى رجل من موالي بني هاشم أنه كان في جوار يحيى محبوساً، وأن موت يحيى في الحبس كان نتيجة أن منعه المُوكل به الطعام والشراب مدة عشرة أيام إلى أن مات(٤).

أما الأزدي فقد أشار إلى ذلك باختصار شديد في أحداث سنة ١٧٦هـ، وركز في دور الفضل في بذل الأمان ليحيى بن عبدالله، وتقدير الرشيد لعمله فوصله، وأورد أشعاراً تمدح الفضل ودوره في إعادة الألفة بين بني هاشم(٥). ولم يتطرَّق

(١) السندي بن شاهك مولى المنصور كان يتولى مهام أمنية – صاحب شرطة– أيامه وايام الهادي والرشيد، كلفه الأخير بالقبض على دور البرامكة، تولى دمشق للرشيد، وكان إلى جانب الأمين حين حوصر، عاش بعد ٢٠٤هـ. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٥١٩–٥٢٣، ج٨، ص٢١٤، ٢٩٧، ٢٩٩، ٤٧٩، ٥٥٧، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١٥، ص٤٨٧–٤٨٨.

(٢) البلاذري، انساب، ق٢، ص٤٤٩ (قالوا).

(٣) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٤٠٨ (دون، قيل).

(٤) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٤٠٨ (رجل من موالي بني هاشم) و(خادم من خدم الرشيد) وهو قاتل يحيى حدث بتلك القصة أيام المامون.

(٥) الأزدي، تاريخ الموصل، ص٢٧٧ (دون).

الأزدي إلى مصير يحيى وموته، بينما ذكر المقدسي ذلك باختصار شديد، فأشار إلى أن هارون آمن يحيى بن عبدالله وأخرجه ثم غدر به وبنى على بطنه أسطوانة(١).

أما الطبري والجهشياري والمسعودي والأصبهاني، فقد قدَّموا أخباراً مُفصَّلة ودقيقة ومُسندة في معظمها حول قضية يحيى بن عبدالله، وكان الأصبهاني الأكثر اهتماماً بالإسناد وتقديم التفاصيل. أما الطبري فقد اختلف مع سابقيه في تاريخ بداية تحرُّك يحيى؛ فالبسوي ذكر أن بداية تحرُّكه كانت سنة (١٦٩هـ/ ٧٨٥م)، وأنها امتدت إلى سنة (١٧٦هـ/ ٧٩٢م)، أما الطبري فرأى أن سنة (١٧٥هـ/ ٧٩١م) هي بداية وصوله وتحرُّكه في الديلم، وأن حركته امتدت إلى سنة (١٧٦هـ/ ٧٩٢م) حين كلَّف الرشيدُ الفضلَ تولِّي أمره(٢).

يُلحظ من خلال روايات الطبري المتعلِّقة بما جرى بين الرشيد ويحيى أنها قدَّمت تفاصيل دقيقة حول ذلك، وأنها لم تقدم وحدة متكاملة للأحداث، بل روايات مُسندة غير مترابطة تتناول قضايا مختلفة من خلال حوارات ومناظرات حول مسائل مهمة؛ مثل: الاتهامات الموجهة إلى يحيى، أو الأمان ومدى نقض يحيى له، أو المفاضلة بين العباسيين والعلويين. كما سعت الروايات إلى تبرئة الرشيد ويحيى البرمكي من دم يحيى، وأظهرت الرشيد في صورة إيجابية، ووجَّهت المسؤولية في التأزُّم والتصادم بين الرشيد ويحيى إلى بعض الفئات من حاشية الرشيد التي كانت تحيك الدسائس والسعايات؛ مثل الزبيري وبعض الموتورين أو أيدٍ خفية.

---

(١) المقدسي، البدء، ج٦، ص١٠٠ (دون).

(٢) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٤١-٢٤٢ (دون)،) ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص١٠ (دون)، ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص١٢٢ (دون)، الذهبي، تاريخ، ج١١، ص١٢، ابن كثير، البداية، ج١٠، ص١٧١، ابن تغري بردي، النجوم، ج٢، ص١٠٣ (دون).

فقد تناول الطبري في أحداث سنة (١٧٦هـ/ ٧٩٢م) تفاصيل خروج يحيى ابن عبدالله في الديلم واجتماع الناس حوله، وبالغت في تصوير موقف الرشيد وردَّة فعله على خروج يحيى بأنه اغتمَّ وأصبح يشرب النبيذ(١). كما بالغت هذه الرواية في إيراد مدائح الشعراء للفضل البرمكي على عمله في رأب الصدع بين الطرفين، كما وصفت الرواية معاملة الرشيد ليحيى بالحسنة، وأنه وصله بمال كثير وأنزله منزلاً حسناً، وسمح للناس بالسلام عليه(٢).

ويقدِّم الطبري رواية أخرى تشير إلى حبس الرشيد يحيى، وذكر حواراً بين يحيى بن عبدالله وبكار بن عبدالله بن مصعب بن الزبير يظهر شدة بغض مصعب آل أبي طالب ووشايته بهم، كما ورد في الرواية اتهام يحيى العلوي للرشيد بأنه يحاول سمَّه، لكن الرشيد بدا كأنه فُوجئ من ذلك ولا يعلم به؛ مما يشير إلى وجود أيدٍ خفية وزاء ذلك.

وفي الوقت نفسه تشير الرواية إلى حصول الألفة بين الرشيد ويحيى العلوي حين قام يحيى بإثارة شفقة الرشيد عليه وذكَّره بالقرابة وصلة الدم التي تربطهما، وتظهر الرواية دور الزبيري في الكذب والسعاية بيحيى عند الرشيد واتهامه بالخروج والعصيان، وردّ يحيى عليه، وتشير أيضاً إلى موت الزبيري بالفالج عقاباً

---

(١) ذكر الأصفهاني في الأغاني أن الرشيد حين أخبر بأمر احد الطالبين غضب وهدد وتوعد آل أبي طالب وشيعتهم وشرب ثلاث مرات متتابعات حتى سكر (الأصفهاني، الأغاني، ج٥، ص١٤٩ (إبراهيم الموصلي).

(٢) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٤٢-٢٤٤ (ابو حفص الكرماني)، انظر الجهشياري، الوزراء، ص١٢٢ (دون)؛ مجهول، العيون، ج٣، ص٢٩٢-٢٩٣ (دون)، ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص١٦-١٧ (دون)، ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص١٢٥ (دون)، انظر: ابن الطقطقا، الفخري، ص١٩٤، الذهبي، تاريخ، ج١١، ص١٢، أبن كثير، البداية، ج١٠، ص١٧٢، ابن تغري بردي، النجوم، ج٢، ص٧٩-٨٠، النويري، نهاية، ج٢٢، ص١٢٧-١٢٨(دون)، ابن خلدون، ج٤، ص٩ (دون)، ج٣، ص٢٦٧، القلقشندي، مآثر، ج١، ص١٩٤-١٩٥.

لكذبه في أمر يحيى(١).

ثم يورد الطبري رواية أخرى من شاهد عيان من العلويين تشير إلى كذب عبدالله بن مصعب الزبيري على يحيى بن عبدالله للرشيد وصدق يحيى من خلال موته السريع عقاباً له(٢).

وأورد الطبري أيضاً رواية تؤكد أثر السعايات في الإفساد بين الرشيد ويحيى، لكن الرشيد يظهر في هذه الرواية بغير المستمع لتلك السعايات، وكانت هذه المرة من رجل مجهول، فأمر الرشيد خدَمَه بصفعه مئة صفعة، قائلاً له «هذا جزاء من يسعى ببطانة أمير المؤمنين وأوليائه»(٣).

وأورد الطبري في رواية أخرى خبراً يتعلق بإبطال الرشيد للأمان الذي كان قد منحه ليحيى بن عبدالله بحضرة القضاة، فلم يجبه منهم سوى أبي البختري(٤) القاضي، الذي أجابه بأنه منتقض، فأمره الرشيد بتمزيقه، ويتكرر ظهور بكار الزبيري وتوجيهه الاتهامات ليحيى بالخروج، ثم أعيد للحبس، ومات دون أن

(١) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٤٤-٢٤٦ (عيسى بن جعفر الهاشمي)، مجهول، العيون، ج٣، ص٢٩٣-٢٩٤ (دون)، انظر: ابن الطقطقا، الفخري، ص١٩٥ (دون)، الذهبي، تاريخ، ج١١، ص١٢ (دون)، ابن كثير، البداية، ج١٠، ص١٧٣ (قالوا)، النويري، نهاية، ج٢٥، ص٧٢، ابن خلدون، تاريخ، ج٤، ص١٠ (دون)، السيوطي، تاريخ، ص٤٥٧-٤٥٨ (دون).

(٢) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٤٧-٢٥١ (عبد الله بن العباس بن الحسن بن عبيد الله العلوي) وكان أبوه العباس مقرباً من الرشيد. ويرى الجومرد أن الرشيد كان يصغي لكل وشاية تقال في العلويين، وأن ما قام به الزبيريون مستغلين ريبة الرشيد منهم كان نتيجة اصطدام نفوذهم في الحجاز مع نفوذ آل البيت. الجومرد، هارون الرشيد، ص١٤٣.

(٣) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٨٩-٢٩٠ (إدريس بن بدر)، ابن الجوزي، المنتظم، ص١٢٨-١٢٩ (إدريس بن بدر)، ابن خلكان، وفيات، ج١، ص٤٧٢-٤٧٣ (إدريس بن بدر).

(٤) أبو البختري وهب بن وهب بن كثير بن عبد الله القرشي الأسدي. انتقل من المدينة لبغداد، وولاه الرشيد القضاء بعسكر المهدي، ثم ولاه قضاء المدينة، ثم أصبح قاضياً للقضاة بعد أبي يوسف، الخطيب، تاريخ بغداد، ج١٣، ص٤٨١-٤٨٧، الذهبي، سير، ج٩، ص٣٧٤.

توجه الرواية الاتهام لأحد(١).

وأشار الطبري في حديثه عن نكبة البرامكة إلى وجود تعاون بين البرامكة ويحيى العلوي، وأن أحد أسباب قتل الرشيد لجعفر كان إطلاقه ليحيى بن عبدالله من الحبس(٢).

إضافة لاتفاق الجهشياري مع معظم مضامين روايات الطبري من حيث بروز دور الفضل البرمكي ومعاملة الرشيد الحسنة ليحيى بن عبدالله حين أقدمه الفضل من الديلم(٣)، فإنه انفرد بالإشارة إلى دور تآمري للبرامكة مع يحيى العلوي ضد الرشيد، مبررين ذلك الدعم بأن يقوم أحدهم بالقبض عليه ليحظى بمكانة أكبر عند الرشيد(٤).

---

(١) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٤٧ (أبو الخطاب عن جعفر بن يحيى البرمكي)، أبو الخطاب كاتب أبي يوسف القاضي، الخطيب، تاريخ بغداد، ج١٤، ص٤٠٥ (دون)، وروى أبو الخطاب في الطبري أخباراً عدة عن أيام المهدي والمنصور والسفاح وأخبار الدعوة، ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص١٧-١٨، انظر: وكيع، أخبار القضاة، ج١، ص٢٤٨-٢٤٩ (عبد الصمد بن عبد الله العمري). ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص١٢٥-١٢٦ (وكيع).

(٢) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٨٩ (أبو محمد اليزيدي)، مجهول، العيون، ج٣، ص٣٠٦ (دون)، ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص١٢٧-١٢٨ (أبو محمد اليزيدي)، انظر: ابن خلكان، وفيات، ج١، ص٣٣٤، ابن الطقطقا، الفخري، ص ٢٠٩ (قيل)، الذهبي، تاريخ، ج١٢، ص٣٠ (عن ابن خلكان)، ج١٢، ص٢٤ (قيل)، ابن كثير، البداية، ج١٠، ص١٩٦، ابن تغري بردي، النجوم، ج٥، ص١٤٦ (قيل)، النويري، نهاية، ج٢٢، ص١٣٧ (قيل)، ابن خلدون، تاريخ، ج٤، ص١٠ (يقال)، ج١٠، ص١٦-١٧ (دون).

(٣) الجهشياري، الوزراء، ص١٢٢ (دون).

(٤) الجهشياري، الوزراء، ص١٥٧ (مسرور الكبير) اعتراف يحيى البرمكي بإرساله مائتي ألف دينار ليحيى العلوي، ويرى ضناوي أن هذه الخطوة جاءت بسبب سيطرتهم في هذه الفترة على الأمور وان البرامكة كانوا يشجعون الخارجين ويبقونهم في متناول ايديهم، وأن ذلك لم يحصل فقط مع ثورات العلويين، بل أيضاً في فتن الشام، انظر سعدي ضناوي، موسوعة هارون، ج٢، ص٣٢٥-٣٢٦.

وقد أشار المسعودي باختصار إلى أن يحيى سار إلى الديلم مستجيراً بصاحب الديلم، فباعه لعامل الرشيد بمئة ألف درهم، وأنه قتل(١). ثم يشير المسعودي إلى اختلاف الروايات حول مقتل يحيى بسبب اختلاف المؤلفين؛ فقال: «وروي من وجه آخر على حسب تباين النسخ وطرق الرواية في ذلك في كتب الأنساب والتواريخ» حيث غلب على هذه الرواية الطابع الأسطوري، فذكر أن يحيى ألقي في بركة فيها سباع قد جُوِّعت، لكنها لم تأكله، وابتعدت عنه، فبُني عليه ركن بالجص والحجر وهو حي(٢) دون الإشارة إلى من قام بذلك، مع أنه يقصد الرشيد. وذكر المسعودي أنه أكمل أخباره عن بقية العلويين في كتاب آخر هو (حدائق الأذهان في أخبار أهل بيت النبي وتفرقهم في البلدان)(٣).

وأشار المسعودي إلى المناظرة بين عبدالله بن مصعب الزبيري ويحيى بن عبدالله العلوي(٤)، ثم تشير الرواية إلى قصة مبالغ فيها عن موت الزبيري، الذي أصيب بالجذام وتورم واسودَّ، وأن حفرة قبره هوت به، وخرجت منه رائحة مفرطة النتن، وأن الرشيد أمر بإطلاقه بعد سماعه بذلك(٥). وهذه القصة تشير إلى ميل واضح لدى المسعودي للعلويين.

وانفرد الأصبهاني ببعض الأخبار والتفاصيل التي لم ترد عند غيره من المصادر، وهي صدى لميوله العلوية. فعندما تناول الأخبار المتعلقة بمقتل يحيى بن عبدالله

---

(١) المسعودي، مروج، ج٢، ص٢٠٢ (دون).

(٢) المسعودي، مروج، ج٤، ص٢٠٢ (كتب النسب والتواريخ).

(٣) المسعودي، مروج، ج٤، ص٢٠٢ (دون).

(٤) أطلق المسعودي عليه اسم موسى بن عبد الله بن الحسن. وهذا خطأ، اعترف به المسعودي في نهاية الرواية، فذكر «وقيل إن صاحب هذا الخبر هو يحيى بن عبد الله أخو موسى»، المسعودي، مروج، ج٤، ص٢٠٢.

(٥) المسعودي، مروج، ج٢، ص٢٠١-٢٠٢ (الفضل بن الربيع شاهد عيان) انظر: ابن حمدون، التذكرة، ج٣، ص٧٦-٧٧ (دون)، ابن الطقطقا، الفخري، ص١٩٥ (دون)، ورأى ابن الطقطقا أن شهادة الزبيري هي السبب في قتل الرشيد ليحيى.

اعتمد على الإسناد الجمعي «قالوا» إضافة إلى عدة أسانيد خلال روايته لمعظم الأخبار المتعلقة بيحيى بن عبدالله، ومن مصادره التي ذكرها: محمد بن سليمان النوفلي، وأحمد بن سليمان بن أبي شيخ، وعلي بن إبراهيم العلوي؛ حيث قال: «وقد جمعت روايتهم في خبر يحيى، إلا ما عسى أن يكون من خلاف بينهم، فأفرده وأذكر رواته»(١).

وانفرد بتقديم أخبارٍ وتفاصيلَ لم يأت على ذِكرِها أحدٌ من المصادر، فذكر أن يحيى هرب وتنقَّل في البلدان بعد معركة فخ للبحث عن مكان يلجأ إليه. ولم يشر إلى أنه ثار. كما انفرد بالإشارة إلى تعاون الفضل بن يحيى البرمكي مع يحيى ابن عبدالله العلوي، فطلب منه الانتقال إلى الديلم وكتب له منشوراً لكي لا يتعرض له أحد. ويظهر الرشيد في هذه الرواية بالمتابع لأمر يحيى؛ حيث علم بانتقاله للديلم، فكلَّف الفضل بن يحيى بتولي نواحي المشرق، وبالخروج إلى يحيى(٢) دون أن يعلم بتعاونه معه، كما ظهر الرشيد بموقف متناقض في هذه الرواية؛ بأنَّه غير مستمع للوشاية بيحيى، فعاقب رجلاً وشى به(٣).

ثم يعود الأصبهاني إلى تناول خبر يحيى بإسناده الجمعي «قالوا»، فيكرر الإشارة إلى تعاون الفضل وتآمره الخفيِّ مرة أخرى مع يحيى. كما أشارت الرواية إلى السبب الذي دفع يحيى للموادعة، وقبول صلح الفضل البرمكي الذي ارتبط بخلاف بينه وبين جماعة من أصحابه، وظهر الرشيد في هذه الرواية بسوء النية والخديعة حين كلَّف الفضل البرمكي بخديعة يحيى بعد بذل الأموال له(٤).

---

(١) الأصفهاني، مقاتل، ص٤٦٥ (قالوا).

(٢) الأصفهاني، مقاتل، ص٤٦٥ (قالوا).

(٣) الأصفهاني، مقاتل، ص٤٦٦-٤٦٧ (إدريس بن زيد) انظر الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٨٩-٢٩٠ (إدريس بن بدر).

(٤) انظر: الأصفهاني، مقاتل، ص٤٦٨-٤٦٩ (قالوا).

وتؤكد رواية الأصبهاني أن الرشيد كان ينوي المكر بيحيى بعد مقدمه لبغداد على الرغم من منحه الأمان، حيث قال: «وأقام على ذلك مدة وفي نفسه الحيلة والتفرغ له، وطلب العلل عليه وعلى أصحابه». فأعد الرشيد له حيلة ليوقع به(١).

وأشار إلى اتهامات نفرٍ مِنْ أهل الحجاز ليحيى عند الرشيد بأنه يدعوه لنفسه، وأن أمانه منقوض؛ منهم: عبدالله بن مصعب الزبيري، وأبو البختري وهب بن وهب، ورجل من بني زهرة، ورجل من بني مخزوم، فحبسه الرشيد عند مسرور(٢) الكبير في سرداب، وأن الرشيد كان يدعوه فيناظره، إلى أن مات في حبسه(٣) دون اتهام أحد به.

ثم يتناول الأصبهاني عدة مناظرات بين الرشيد ويحيى، حيث ظهر الرشيد بالمكتنز لخزائن الأرض ويحيى بالبساطة وزهد العيش، كما تناولت المناظرات مسألة القرابة للرسول ومن أقرب منهم للرسول ﷺ، فظهر يحيى أقرب من الرشيد، فأغضب ذلك الرشيد، وأعاده للحبس(٤). ثم يشير إلى المناظرة الثانية، التي جمعه فيها الرشيد بعبيد الله بن مصعب الزبيري إلى اتهامات الزبيري ليحيى(٥)، وتتناول المناظرة الأخيرة النظر في أمان يحيى بحضور الفقهاء(٦).

وعن موت يحيى؛ فقد ذكر الأصبهاني أن الناس اختلفوا في ذلك؛ فأورد ست

---

(١) الأصفهاني، مقاتل، ص٤٧١-٤٧٢ (قالوا، وقال علي بن إبراهيم في حديثه)، يشير ابن حمدون ان الفضل بن الربيع هو الذي أطلقه. وهذا مستبعد. انظر: ابن حمدون، التذكرة، ج٣، ص٥٨.

(٢) هو أبو هاشم مسرور الخادم. كان يخدم المهدي والرشيد، ويرافقه في سفره، وأثيراً عند الرشيد وموضع سره، ويترأس البريد، الطبري، تاريخ، ج٨، ص١٦٩، ٢٩٥، ٢٩٦، ٣٣٢.

(٣) الأصفهاني، مقاتل، ص٤٧٢ (قالوا).

(٤) الأصفهاني، مقاتل، ص٤٧٣- ٤٧٤ (احمد بن سليمان بن ابي شيخ عن ابنه).

(٥) الأصفهاني، مقاتل، ص٤٧٤-٤٧٨ (قالوا)، انظر: الطبري، ج٨، ص٢٤٤-٢٤٦ (عيسى بن جعفر)، انظر: الخطيب، تاريخ بغداد، ج١٤، ص١١٢ (محمد بن احمد المنصوري).

(٦) الأصفهاني، مقاتل، ص٤٨٠(قالوا).

روايات فيها الكثير من المبالغة حول مقتله، وجاءت بأسانيد مختلفة، في معظمها حملت إدانة مباشرة للرشيد، وتحميله مسؤولية قتل يحيى بن عبدالله؛ سواء بالتعذيب بالجوع والعطش(١)، أو بناء اسطوانة عليه حتى مات(٢)، أو الخنق(٣)، أو إطعامه للسباع بعد إجاعتها(٤)، أو التسميم(٥).

ثم تناول الأصبهاني قبض الرشيد على جماعة من أصحاب يحيى وحبسهم في المطبق(٦)، وأن الرشيد كان يخرج بعضهم من السجن، ويهددهم بالقتل إن لم يدلُّوه على أصحاب يحيى(٧).

وترجم الخطيب البغدادي ليحيى بن عبدالله، وتناول قضيته مع الرشيد؛ حيث اعتمد على مصدر جديد في أخباره هو كتاب "نسب الطالبيين" ليحيى بن محمد العلوي، فذكر فيه أن يحيى بن عبدالله صار إلى جبل مع سبعين رجلاً من أصحابه، ثم أمنه هارون، وكتب له أماناً وللسبعين الذين كانوا معه، وأشهد على ذلك شهوداً(٨). ثم يتناول أمر مناظرة الرشيد ليحيى بحضرة القضاة، واتهام

---

(١) الأصفهاني، مقاتل، ص٤٨٠-٤٨١ (عمرو بن حماد عن رجل كان مع يحيى في السجن)، ص٤٨٣ (إدريس بن محمد بن يحيى بن عبد الله بن الحسن).

(٢) الأصفهاني، مقاتل، ص٤٨٢ (إبراهيم بن رباح).

(٣) الأصفهاني، مقاتل، ص٤٨٢ (علي بن محمد بن سليمان)

(٤) الأصفهاني، مقاتل، ص ٤٨٢ (محمد بن أبي الخنساء).

(٥) الأصفهاني، مقاتل، ص٤٨٢-٤٨٣ (عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر بن حفص العمري)، الخطيب، تاريخ بغداد، ج١١، ص١١٠-١١١ (عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر بن حفص العمري).

(٦) الأصفهاني، مقاتل، ص٤٨٥ (علي بن هشام بن البريد) المطبق هو السجن الرئيس في مدينة بغداد أيام الرشيد انظر حول ذلك: أيمن التميمي، السجون في العصر العباسي ١٣٢-٣٣٤هـ رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، ١٩٩٨م.

(٧) الأصفهاني، مقاتل، ص٤٨٥ (أحمد بن حازم الغفاري).

(٨) الخطيب، تاريخ بغداد، ج١٤، ص١١٠ (يحيى بن محمد العلوي في كتابه نسب الطالبيين).

الزبيري له(١)، وأن يحيى بن عبدالله قد مات في حبس الرشيد(٢) دون أن يوضح الكيفية.

وانفرد الصولي بتقديم قصيدتين بمناسبة قدوم يحيى بن عبدالله العلوي مع الفضل البرمكي إلى بغداد ومصالحته للرشيد، قالهما أبانُ بن عبدالحميد اللاحقي، بالغت كثيراً في مدح الفضل وعمله، وذم يحيى بن عبدالله؛ حيث وصفته بالغرور، وأنه كان يحرض الناس على المخالفة وإثارة القلاقل، وفي الوقت نفسه بالغت القصائد في مدح الرشيد(٣).

وذكرت المصادر التاريخية علوياً آخر سعى للثورة على الرشيد هو موسى الكاظم(٤)، وقدَّمت المصادر معلوماتٍ متفاوتةً من حيث الإسناد ومن حيث التفاصيل حول ما جرى بين الرشيد وموسى بن جعفر قبل أن يحبسه، وكيفية موته.

تناول اليعقوبي وفاة موسى بن جعفر باختصار، وذكر أنه توفي سنة ١٨٣هـ في حبس الرشيد عند السندي بن شاهك، وأن مسروراً الخادم أحضر الشهود بهدف الإشارة إلى عدم اغتياله أو قتله، وأشهدهم على ذلك(٥). ثم يورد اليعقوبي أخباراً مسندة عن موقف موسى بن جعفر من السلطة الظالمة(٦).

---

(١) الخطيب، تاريخ بغداد، ج١٤، ص١١٠-١١١ (عبد الرحمن بن عبد الله العمري)، الأصفهاني، مقاتل، ص٤٨٢-٤٨٣ (عبد الرحمن بن عبد الله العمري).

(٢) الخطيب، تاريخ بغداد، ج١٤، ص١١٢ (إدريس بن محمد بن يحيى بن عبد الله).

(٣) الصولي، اخبار الشعراء المحدثين، ص١٥-١٨ (برد بن حارثة الربعي عن أبان بن عبد الحميد)، ص١٩-٢٢ (أبان بن عبد الحميد)، انظر: الأصفهاني، الأغاني، ج٢٣، ص١١٥ (دون)، أورد الأصفهاني عدداً قليلاً من تلك الأبيات.

(٤) هو موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أمه أم ولد يقال لها حمدة (اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٤١٤، ويكنى أبا الحسن. ولد بالمدينة سنة ١٢٨ أو ١٢٩، الخطيب، تاريخ بغداد، ج١٣، ص٢٧.

(٥) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٤١٤ (دون).

(٦) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٤١٤ (الحسن بن أسد).

أما الطبري، فلم يقدم أية أخبار عن موسى بن جعفر وما حصل معه أيام الرشيد، بل أشار فقط إلى موته سنة ١٨٣هـ في بغداد(١).

أما المسعودي، فقد أشار إلى حديثين: الأول إطلاق الرشيد لموسى بن جعفر، والثاني: موته. فقد دخلت الأحلام والتفسيرات الغيبية في الخبر المتعلق بإطلاق الرشيد لموسى من الحبس، حيث إنه رأى في منامه عبداً حبشياً يهدده بالقتل إن لم يطلق موسى، فأطلقه ووصله، وأن موسى حلم بالنبي ﷺ وبشَّره بالفرج(٢). ويشير في موضع آخر إلى أن موسى مات ببغداد مسموماً سنة ١٨٦هـ.

ذكر ذلك في رسالة "البيان في أسماء الأئمة القطعية من الشيعة أسمائهم وأسماء أمهاتهم ومواضع قبورهم ومقادير أعمارهم"(٣).

وبذلك يلحظ أن اهتمام اليعقوبي والطبري والمسعودي جاء في قضايا محددة في حين ستقدم مصادر أخرى - مثل الأصبهاني - قضايا وتفاصيلَ أخرى.

فالأصبهاني - في ثرجمته لموسى - تناول قضايا عدة، وشاركه في بعضها الشيخ الصدوق في كتابه (عيون أخبار الرضا) والشيخ المفيد في كتابيه الاختصاص والفصول المختارة وجميعهم أسند أخباره.

فيتناول الأصبهاني، والصدوق، والمفيد أسباب القبض على موسى وحبسه؛

---

(١) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٧١(دون)، أشار الطبري إلى حبس المهدي لموسى بن جعفر وإطلاقه له بعد أن تعهَّد له بعدم الثورة عليه، رواية الربيع الحاجب، الطبري، تاريخ، ج٨، ص١٧٧(الربيع الحاجب).

(٢) المسعودي، مروج، ج٤، ص٢٠٦-٢٠٧ (ذكر عبد الله بن مالك الخزاعي)، انظر: الصدوق، عيون اخبار الرضا، ج٢، ص٧٣-٧٤ (الفضل بن الربيع عن صاحبه) وأورد رواية أخرى عن أبي عبيد الله بن الفضل ان الرشيد أطلق موسى؛ لانه حلم بجنود يحيطون قصره بالحراب يريدون ان يخسفوا فيه قصره إذا لم يطلق موسى فاطلقه. وكان موسى قد دعا موسى بن جعفر أن يخلصه من الرشيد فاطلقه، عيون أخبار الرضا، ج٢، ص٨٧-٨٨. انظر: المفيد، الاختصاص، ص٥٩ (الفضل بن الربيع). ابن خلكان، وفيات، ج٥، ص٣٠٩-٣١٠ (المسعودي).

(٣) المسعودي، مروج، ج٦، ص٢١٦ (دون).

فذكر الأصبهاني أنه جمع ما قالته الرواة بعضه إلى بعض، وذكر سببين ارتبطا بالبرامكة الذين كانوا دائماً يسعون للإيقاع بموسى عند الرشيد. وتمثَّل ذلك بدسائس يحيى بن خالد البرمكي عليه وعلى جعفر بن محمد الأشعث عند الرشيد، واتهامه بأن الأموال تجتمع لديه بنية الخروج على الرشيد(١).

ثم أشارا إلى نية الرشيد حبس موسى فقط، معللاً ذلك بأنه يريد التفريق بين الناس، فقبض عليه، وكان يطلب من الموكَّلين بحبسه أن يقتلوه، فرفضوا، إلى أن حُبس عند السندي بن شاهك(٢). وتوجه رواية الأصبهاني الاتهام المباشر ليحيى البرمكي حين ذهب يحيى لحبس السندي، وقتل موسى بخنقه في بساط، وذلك نتيجة غضبه من موسى؛ لأن الرشيد أهان ولده الفضل بسبب توسيعه على موسى في أثناء تكليف الرشيد له حبسه، فأحضر الفقهاء ووجوه أهل بغداد، وفيهم الهيثم بن عدي، ليشهدوا أنْ لا أثرَ به، في حين وافق الصدوقُ الأصبهاني في معظم تلك التفاصيل عدا قضية مقتل موسى، حيث ذكر أن الرشيد ضيَّق عليه في حبس السندي، ثم أرسل إليه بسُمٍّ في رُطَب، فأكله فمات(٣)، ولم يكن ليحيى أي دور في مقتله، بل في السعاية به.

وحين ترجم الخطيب البغدادي لموسى بن جعفر ذكر أن الرشيد قبض عليه حين قدم مكة معتمراً سنة ١٧٩هـ فحمل موسى معه إلى بغداد، وحبسه إلى أن مات في حبسه(٤)،

(١) الأصفهاني، مقاتل، ص٥٠ (قالوا)، الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج٢، ص٧٠-٧١ (علي بن محمد بن سليمان النوفلي)؛ المفيد، الاختصاص، ص٥٤-٥٨ (محمد بن أحمد بن محمد بن إسماعيل العلوي عن محمد بن الزبرقان الدامغاني).

(٢) الأصفهاني، مقاتل، ص٥٠١-٥٠٤ (قالوا)؛ انظر: الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج٢، ص٧٣ (يعقوب بن داود).

(٣) الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج٢، ص٨٢-٨٤ (الصولي عن محمد النوفلي)؛ انظر: ابن الطقطقا، الفخري، ص١٩٦ (دون).

(٤) الخطيب، تاريخ بغداد، ج١٣، ص٢٧ (دون)، ابن خلكان، وفيات، ج٥، ص٣٠٩، الذهبي، تاريخ، ج١٢، ص٤١٧، ذكر أن المهدي كان قد أقدمه لبغداد، ثم رده للمدينة ثم أورد تفاصيلَ=

ثم يقدم رواية عن لقاء الرشيد بموسى عند قبر الرسول ﷺ في موسم الحج، وتفاخر كلاهما بصلته بالرسول ﷺ، وظهور موسى بأنه أقربُ للرسول مِنَ الرشيد، مما أغضب الرشيد(١).

وقدم رواية أخرى تشير إلى تدّين موسى وكثرة عبادته في حبس السندي(٢)، ورواية أخرى عن إشهاد الناس على موت موسى(٣)، دون توضيح من قام بقتله؛ وأن موته كان سنة ١٨٣هـ(٤).

وأشارت بعض المصادر المتأخرة ـ مثل الزمخشري وابن حمدون ـ إلى جوانبَ أخرى مِنْ علاقة الرشيد بموسى بن جعفر؛ كالحوار الذي دار بين الرشيد وموسى حول فَدَك(٥) حيث بدا موسى طامعاً بخلافة الرشيد حين حدد حدود فدك،

= حبس المهدي لموسى وكيفية إطلاقه من السجن بعد أن حلم بحلم أزعجه، فاطلقه ووصله، ص٢٧؛ ٣٠-٣١ (إسحق الموصلي عن الفضل بن الربيع)، انظر حول حبس المهدي: ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص٨٧، ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص٨٥، الذهبي، تاريخ، ج١٢، ص٤١٨، ابن كثير، البداية، ج١٠، ص١٩٠.

(١) الخطيب، تاريخ بغداد، ج١٣، ص٣١ (عبد الرحمن بن صالح الازدي)، ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص٨٨ (عبد الرحمن بن صالح الأزدي)، ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص١٦٤، الذهبي، تاريخ، ج١٢، ص٤١٨ (عبد الرحمن بن صالح الأزدي)، ابن كثير، البداية، ج١٠، ص١٩٠، النويري، نهاية، ج٢٢، ص١٣٣-١٣٤.

(٢) الخطيب، تاريخ بغداد، ج١٣، ص٣١، (الحسن بن محمد العلوي عن عمار بن ابان)، ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص١٦٤.

(٣) الخطيب، تاريخ بغداد، ج١٣، ص٣٢، (إبراهيم بن عبد السلام بن السندي بن شاهك عن أبيه). يرى الدوري أن إحضار السندي الشهود للكشف عن جثة موسى بأنها خالية من آثار قتل أو تعذيب تؤكد الشكوك في مقتل الإمام، الدوري، العصر العباسي، ص١١٢.

(٤) الخطيب، تاريخ بغداد، ج١٣، ص٣٢ (محمد بن صدقة العنبري). انظر ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص٨٨(دون).

(٥) فدك: قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان، أفاءها الله على رسوله صلحاً من يهود خيبر، وكانت خالصة للرسول ﷺ. ويذكر البلاذري أن عمر بن الخطاب أجلى أهلها عنها، وكانت=

بحيث شملت معظم أراضي الدولة العباسية، فتغير وجه الرشيد وانزعج؛ لأن كلامه يعني أنه يريد الخلافة منه، وكان ذلك سبباً من أسباب نقمة الرشيد عليه ونيته لقتله، فكلف يحيى بن خالد بذلك. لكن الرواية تشير إلى أن وفاة موسى كانت طبيعية؛ فقد أورد الخبر وعلى لسان موسى أنه أصيب بمرض، وسوف يموت منه، فتركه يحيى ومات بعد أيام(١).

وتناولت بعض المصادر الشيعية أخباراً ـ انفردت في إيرادها ـ عن موسى بن جعفر والرشيد، فقد ألف محمد بن علي المشهور بالصدوق كتاباً تناول فيه أخبار كل من موسى بن جعفر وعلي بن موسى الرضا وغيرهم من أئمة الشيعة سماه "عيون أخبار الرضا"، ألفه للوزير الصاحب إسماعيل بن عباد(٢)، فقد كان هذا الوزير متعلقاً بحب أهل البيت واعتقاده بإمامتهم(٣).

وعلى الرغم من توافق روايات الأصبهاني والصدوق التي تحدثت عن أسباب

= فاطمة قد طلبتها من أبي بكر، فلم يعطها لها، وظلت إلى أيام عمر بن عبد العزيز فردَّها إلى ما كانت عليه أي (أعادها) لأهل بيت الرسول، ثم أخذت منهم إلى أيام المأمون والذي أعادها لهم مرة أخرى، البلاذري، الفتوح، ص٤٣-٤٦، وذكر ياقوت أن علي بن أبي طالب والعباس كانا يتنازعان حول فدك، علي يقول أن الرسول ﷺ جعلها في حياته لفاطمة والعباس يقول هي ملك لرسول الله وأنا وارثه، انظر: ياقوت، معجم، ج٤، ص٢٣٨-٢٤٠، ويشير العسكري أن السفاح ردَّها إلى عبد الله بن الحسن، ثم قبضها أبو جعفر، ثم ردها المهدي على ولد فاطمة، ثم قبضها موسى وهارون، ثم ردها عليهم المأمون، العسكري، الأوائل، ج١، ص٣٧٥.

(١) الزمخشري، ربيع الأبرار، ج١، ص١٨٠ (دون)، ابن حمدون، التذكرة، ج٩، ص٢٨٩-٢٩٠ (روي).

(٢) هو إسماعيل بن عباد بن عباس بن عباد الطالقاني، أبو القاسم، الوزير المشهور بكافي الكفاة وزر لمؤيد الدولة بن ركن الدولة بن بويه لقب بالصاحب؛ لأنه صحب أبا الفضل بن العميد، ولد سنة ٣٢٦هـ، وتوفي ٣٨٥هـ، انظر: ابن خلكان، وفيات، ج١، ص٢٢٨-٢٣١؛ ابن كثير، البداية، ج١١، ص٣١٤-٣١٦.

(٣) مقدمة تحقيق كتاب الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج٢، ص١٢ (عن محمد بن يحيى الصولي وعن علي بن محمد بن سليمان النوفلي).

قبض الرشيد على موسى، إلا أن الصدوق انفرد بالإشارة إلى سعاية، ربما تكون جاءت بشكل غير مباشر، رواها موسى بن القاسم البجلي ـ أحد أصحاب الإمام علي الرضا ـ أن محمد بن جعفر (أخ موسى) دخل على الرشيد، فسلّم عليه بالخلافة، وقال له: إن أخاه موسى يسلم عليه بالخلافة مثله، كما أشار إلى أن يعقوب بن داود من الذين سعوا بموسى بن جعفر[1].

وانفرد الصدوق بتناول جانب آخر من العلاقة بين الرشيد وموسى بن جعفر؛ وهو جانب المناظرات[2] التي كانت تجري بين الرشيد وموسى حول قضايا ارتبطت بأسباب الخلاف بينهما، وكان الميل للعلويين واضحاً في هذه الروايات، وظهر في مضامينها المفاضلة بين العباسيين والعلويين في حق الخلافة ووراثتها، وانتساب العلويين إلى بيت الرسول، حيث ظهر موسى بالحجة البالغة، والرشيد بالموافق والمتقبل لأقوال موسى. وكان موسى يرد على الاتهامات وينفيها عازياً ذلك لسعايات الأعداء[3] بحيث أظهرته الرواية بأنه أدمغ وأقوى حجة مع سيطرة جو ودي على هذه المناظرة.

(١) الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج٢، ص٧٢ (موسى بن القاسم البجلي).

(٢) قدم الشيخ المفيد في كتابيه الاختصاص والفصول المختارة، نصوصاً لمناظرات جرت في مجالس يحيى بن خالد البرمكي أو ابنه جعفر، كان يحضرها أهل علم الكلام من الشيعة والخوارج بحيث يكون الرشيد مستمعاً لها دون علم المتناظرين من وراء ستار. وكان هشام بن الحكم ـ وهو من أشهر متكلمي الشيعة ـ هو المحور الرئيس لهذه المناظرات، وهو يمثل وجهة نظر الشيعة، فيقوم أحد الجالسين بتوجيه الأسئلة له، فيجيب هو عليها، وكانت حول علي وأبي بكر، وتركز على تقديم الفضائل المتعددة إلى جانب تركيزها على الخلاف بين علي والعباس من جة وأبي بكر الصديق من جهة أخرى، إضافة إلى قضايا الخلاف بين الشيعة والخوارج وفي بعض هذه المناظرات كان يخرج الرشيد من وراء الستار غاضباً مهدداً ومتوعداً لمن يبالغ في حديثه. انظر: الشيخ المفيد، الفصول المختارة من العيون والمحاسن، ص٢٦-٢٧، والاختصار، ص٩٦-٩٨ (أحمد بن الحسن عن عبد العظيم بن عبد الله).

(٣) الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج٢، ص٧٨-٨٢(موسى بن جعفر)، انظر: ابن حمدون، التذكرة، ج٧، ص١٨٠(دون).

وذكر الصدوق في عدة روايات أخباراً مبالغاً فيها بدرجة كبيرة، يعترف فيها الرشيد بحق موسى بالخلافة(١)، وهذا دلالة على تأليف وصنع الروايات وإلقائها على لسان الرشيد بهدف الانتصار للشيعة ولقضيتهم.

وأورد الصدوق عدة روايات تتحدث عن وفاة الإمام موسى، جاءت في باب الخلافات المذهبية بين فرق الشيعة لإثبات صحة وفاته، رداً على فرقة الواقفية وإبطال مذهبهم(٢)، تناولت هذه الروايات كيفية مقتله؛ منها: أنه سُمم، واتهم الرشيد بشكل غير مباشر بتسميمه(٣)، ورواية ثانية: أنه مات مسموماً على يد السندي بن شاهك بأمر من الرشيد وهو في الحبس(٤)، وفي الثالثة يبرئ فيها الرشيد، ويتهم السندي وحده بمقتله، وأن ما فعله السندي بموسى لم يكن من أمر الرشيد(٥)، وأشار الصدوق في عدة روايات إلى دور البرامكة في مقتل موسى بن

(١) الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج٢، ص٨٤-٨٦ (قالوا عن المأمون)؛ ج٢، ص٨٦ (قالوا)؛ ج٢، ص٨٧ (المأمون).

(٢) الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج٢، ص٩٧ (الصدوق). انظر حول هذه الفرقة وغيرها: النوبختي، حيث ذكر أن أتباع موسى بن جعفر اختلفوا في أمره، وتفرقوا على خمسة فرق؛ منها: القطعية والواقفة، وهي عدة فرق، لكن بعمومها تؤمن أن موسى بن جعفر لم يمت، وأنه حي لا يموت حتى يملك الأرض شرقاً وغرباً ليملأها عدلاً، وأنه القائم المهدي، وزعموا أنه خرج من الحبس ولم يره أحد، وأن السلطان ادَّعى موته وموَّهوا على الناس، قال بعضهم: لا تكون الإمامة لغيره حتى يرجع، ومنهم جماعة قالت: إنه مات، وإنه القائم، وأن فئة شبهها بعيسى بن مريم، ولكنه سيرجع وقت قيامه، فيملأ الأرض عدلاً كما مُلئت جوراً، والفرقة الثالثة: هي الممطورة. النوبختي، فرق الشيعة، ص٧٨-٨٤، وانظر عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، ص٦٣-٦٤، الشهرستاني، الملل والنحل، عن الموسوية، ج١، ص٢٧٥-٢٧٧، وعن الممطورة، ج١، ص٢٧٨-٢٨٠، وابن حزم الظاهري، الفصل بين الملل والنحل، ج٤، ص١٧٩-١٨٠.

(٣) الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج٢، ص٩١ (شيخ من العامة من أهل قطيعة الربيع).

(٤) الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج٢، ص٩٢-٩٣ (عتَّاب بن اسيد عن جماعة من مشايخ أهل المدينة).

(٥) الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج٢، ص٩٣ (الحسن بن عبد الله الصيرفي).

جعفر والإيقاع به؛ فقد ذكرت إحدى الروايات أن أبا الحسن علي الرضا كان يدعو على البرامكة وهو في عرفات بسبب ما فعلوه بأبيه موسى، فاستجاب الله له، فبطش الرشيد بالبرامكة(١).

وعامَلَ الرشيدُ عليَّ بن موسى بن جعفر (علي الرضا) معاملةً حسنة، فكان يصله بالأموال؛ فقد انفرد ابن الجوزي بالإشارة أن الرشيد كان يجري على عليّ بن موسى في كل سنة ثلاثمائة ألف درهم، ولمنزله عشرين ألف درهم في كل شهر(٢). كما انفرد الصدوق بالإشارة إلى بعض المبغضين له؛ مثل عيسى بن جعفر الهاشمي، ويحيى بن خالد البرمكي، الذين كانوا يسعَوْن به عند الرشيد، لكن الرشيد لم يستمع لهم(٣).

أما عن أحمد بن عيسى بن زيد العلوي(٤) فقد اتُّهم بالخروج أيام الرشيد، وكان اهتمام المصادر بأخباره محدودا، فلم يتناوله سوى اليعقوبي والأصبهاني؛ فذكر اليعقوبي باختصار أن أحمد بن عيسى بن زيد العلوي أُخذ وحُبس في الرافقة سنة ١٨٨هـ، ٨٠٣م، بسبب مكاتبته الشيعة بهدف الخروج، فهرب من الحبس، ولم يستطع الرشيد القبض عليه، واختفى ولم يُعرف له خبرٌ بعد ذلك(٥).

أما الأصبهاني، فقد أشار لأمر أحمد بتفاصيل دقيقة ومسندة، فذكر في روايتين؛ الأولى: أن أحمد كان يتسلل ويطلب الحديث، وتجتمع إليه الزيدية

(١) الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج١، ص٢٤٥ (محمد بن الفضيل).

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج١١، ص٦٢ (دون).

(٣) الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج١، ص٢٤٦ (موسى بن مهران)؛ ج١، ص٢٤٦ (صفوان بن يحيى).

(٤) أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب يكنى أبا عبد الله، وأمه عاتكة بنت الفضل بن عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث. توفي أيام المتوكل (الأصفهاني، مقاتل، ص٦١٩).

(٥) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٤٢٣-٤٢٤ (دون).

فقبض عليه، وحبس إلى أن تمكن من الهرب من الحبس[1]. وفي الثانية: أن الرشيد حبس أحمد بن عيسى والقاسم بن علي بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بعد الوشاية بهما، فاحتال بعض الزيدية وساعدوهما على الهرب[2].

ويورد الأصبهاني تفاصيل كيفية هربهما برواية أخرى[3]، وكر قصتين تتحدثان عن محاولات الرشيد لمتابعة وملاحقة أحمد بن عيسى وفشله[4] ثم أشار إلى أن أحمد بن عيسى ظهر أيام الرشيد، ثم توارى، ثم ظهر أيام المتوكل[5]، وهرب أحمد إلى البصرة إلى أن مات فيها سنة ٢٤٧هـ في خلافة المتوكل[6].

وأشار الطبري إليه إشارة عابرة، عندما ذكر أن الرشيد حبس ثمامة بن أشرس سنة ١٨٦هـ، ٨٠٢م، لوقوفه على كذبه في أمر أحمد بن عيسى بن زيد[7].

وانفرد الأصبهاني بالإشارة إلى عدد من العلويين لم يرد على ذكرهم أحد من المصادر سواه، فأشار إلى ما حصل لعبدالله بن الحسن بن علي بن علي بن الحسين

---

(١) الأصفهاني، مقاتل، ص٤٢٤-٤٢٥ (الفضل بن حماد الكوفي من أصحاب الحسن بن صالح وعيسى بن زيد).

(٢) الأصفهاني، مقاتل، ص٦٢٠ (علي بن محمد النوفلي: ونسختُ من كتاب هارون بن محمد ابن عبد الملك الزيات)، التنوخي، الفرج، ج٢، ص١٨٠-١٨١ (كتاب المبيضة لابن عمار).

(٣) الأصفهاني، مقاتل، ص٦٢١-٦٢٢ (جعفر بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن رياح)، التنوخي، الفرج، ج٢، ١٨٠-١٨١ (كتاب المبيضة).

(٤) الأصفهاني، مقاتل، ص٦٢٢-٦٢٥ (النوفلي عن حكاية هارون بن محمد الزيات) ذكره ابن النديم بأنه من جمّاعي الأخبار وأحد الرواة، وله من الكتب أخبار ذي الرّمّة وكتاب رسائله (ابن النديم، الفهرست، ص١٣٧)، ص٦٢٥-٦٢٧ (المدائني)، ابن حمدون، التذكرة، ج٤، ص٣١٦-٣١٧ (أبو العتاهية).

(٥) الأصفهاني، مقاتل، ص٦١٩(دون).

(٦) الأصفهاني، مقاتل، ص٦٢٧ (علي بن أحمد بن عيسى بن زيد)، انظر: الذهبي، تاريخ، ج١٢، ص١٨(دون)، سير، ج٩، ص٢٩٣(دون).

(٧) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٧٥(دون)، ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص١١٠، الذهبي، تاريخ، ج١٢، ص٢٠، (لم يذكرها ابن الأثير).

ابن علي بن أبي طالب(١)، فقد ذكر أن جعفراً البرمكي قتله دون علم الرشيد، وكان الرشيد قد حبسه بعد وصول الأخبار إليه بأنه يجمع الزيدية ويدعوهم إلى الخروج معه، وكان الرشيد قد طلب من جعفر أن يوسع عليه لكنه قتله، فاستشنع الرشيد ذلك وغضب منه، وربط الرشيد ذلك بالنكبة، وقتل جعفر به حين قال ـ عند النكبة ـ لمسرور «هذا بعبدالله بن الحسن ابن عمي، الذي قتله بغير أمري، وقتل جعفر به»(٢)، وأشار المسعودي إلى الخبر على أنه كان أيام الهادي(٣)، في حين لم يشر الطبري إلى ذلك(٤).

كما أشار الأصبهاني إلى قتل الرشيد للعباس بن محمد بن عبدالله(٥) لأنه ردَّ شتيمة الرشيد في أثناء حوار بينهما(٦)، وحبس إسحاق بن الحسين بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، فمات في حبس الرشيد(٧).

وأشار الصدوق إلى أن الرشيد أمر حُمَيْدَ بن قحطبةَ الطائي الطوسي بقتل ستين شخصاً من العلويين(٨).

---

(١) يقال له ابن الأفطس، ويكنى أبا محمد، وأمه أم سعيد بنت محمد بن جبير بن مطعم، من الذين اشتركوا بفخ، وكان حسين صاحب فخ أوصاه إن حَدَثَ به حَدَثٌ، فالأمر إليه، الأصفهاني، مقاتل، ص٤٩٢.

(٢) الأصفهاني، مقاتل، ص٤٩٣-٤٩٤ (أحمد بن عبيد الله بن عمار، كتاب المبيضة عن النوفلي).

(٣) المسعودي، مروج، ج٤، ص١٨٥-١٨٦ (دون).

(٤) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٠٣ (دون).

(٥) العباس بن محمد بن عبد الله بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، يكنى أبا الفضل، وأمه أم سمية بنت محمد بن علي بن الحسين، الأصفهاني، مقاتل، ص٤٩٨.

(٦) الأصفهاني، مقاتل، ص٤٩٨ (يحيى بن الحسن العلوي)، ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص٢١٣-٢١٤.

(٧) الأصفهاني، مقاتل، ص٥٠٦ (محمد بن علي بن حمزة فيما أخبرنا به ابن أخيه عنه).

(٨) الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج٢، ص١٠٠-١٠١ (حميد بن قحطبة الطائي الطوسي).

ويلحظ الوضع والميل في هذا الخبر؛ لأن حُميد بن قحطبة(١) توفي سنة ١٥٩هـ، ٧٧٥م؛ فقد أكد ذلك كلٌّ مِنَ الطبري وابن عساكر وغيرهم(٢).

وبالمقابل، فقد أشارت بعض المصادر إلى وجود علاقة حسنة نشأت بين الرشيد وبعض العلويين، لكن هذه العلاقة حُصِرت بعدد قليل من الأشخاص؛ فالطبري ذكر أن الرشيد حين تولى الخلافة أبقى العباس بن الحسن بن عبيدالله(٣) إلى جانبه ببغداد وأخرج مَنْ كان ببغداد مِنَ الطالبيين إلى المدينة ليقيموا بها(٤) وتشير ترجمة الخطيب له بأنه كان قد قدم بغداد أيام الرشيد وكان العباس لا يؤيد الخارجين من آل عليٍّ على الرشيد(٥)، كما أشار الأصبهاني والخطيب إلى وجود موسى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن في بغداد يعيش فيها من أيام المنصور، وأن موسى كان يدخل على الرشيد ويحضر مجالسه(٦).

ويلحظ أن اهتمام المؤرخين بأخبار العلاقة بين الرشيد والعلويين قد تراجع، وخاصة بعد سنة ١٧٦هـ، ٧٩٢م؛ فقد كانت مهتمة بقضية يحيى بن عبدالله، في

(١) واسمه زياد بن شبيب بن خالد معدان الطائي، أحد قواد بني العباس المشهورين أيام المنصور والمهدي. شهد حصار دمشق، وولي خراسان في خلافة المنصور، وأقرّه المهدي عليها حتى مات سنة ١٥٩هـ، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١٥، ص٢٨٩-٢٩٠، انظر: البسوي، المعرفة، ج١، ص١٣٥، خليفة بن خياط، تاريخ خليفة، ص٤٣٢.

(٢) الطبري، تاريخ، ج٨، ص١١٦؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١٥، ص٢٩٠، ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص٢٣٠، ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص٤١.

(٣) العباس بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب، أبو الفضل، أخو كل من محمد عبيد الله والفضل وحمزة بن الحسن، وهو من أهل المدينة. قدم بغداد أيام الرشيد، كان عالماً شاعراً مضحكاً، الخطيب، تاريخ بغداد، ج١٢، ص١٢٦.

(٤) الطبري، تاريخ، ج٨، ص ٢٣٥دون)، ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص٣٣٧، ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص١١٤، الذهبي، تاريخ، ج١١، ص٦.

(٥) الخطيب، تاريخ بغداد، ج١٤، ص١١٢ (علي بن طاهر بن زيد).

(٦) الأصفهاني، مقاتل، ص٣٩٦ (دون)، الخطيب، تاريخ بغداد، ج١٣، ص٢٧ (الحسن بن محمد ابن يحيى العلوي)، ابن عساكر، تاريخ، ج٦، ص٤٥١ (الحسن بن محمد بن يحيى العلوي).

حين أن موسى بن جعفر كان الاهتمام به ضعيفاً، باستثناء اليعقوبي، الذي بقي متابعاً لأخبارهم، وربما هذا كان ناتجاً عن ميوله إليهم، وتركز الاهتمام بهذه العلاقة لدى الأصبهاني في "المقاتل"، وهذا طبيعي؛ كونه يميل إليهم ومهتمٌ بجمع أخبارهم.

ودخلت فئةُ الشعراءِ الصراعَ بين العباسين والعلويين، فكانوا بمثابة وسيلة للدعاية لهذه الأطراف؛ فقد أورد ابن المعتز موقف الرشيد من الشاعر منصور النُّمَري، الذي كان يمدح آل علي ويتشيع سراً، ويتعرَّض بشعره لأبي بكر وعمر والرشيد لا يعلم بذلك، فأرسل الرشيد إليه رجلاً ليقتله في الرقة، فلما وصلها وجده قد مات(١).

وكان النُّمَري في الوقت نفسه يمدح الرشيد، ويذمُّ بني الحسن، ويصفهم بالكذب، ويتلقى من الرشيد الصِّلات العظيمة(٢).

ويظهر الرشيد عند الأصبهاني بموقف مغاير، فحين سمع الرشيد تعرُّضَ النُّمَري في شعره لآل علي هاجياً، فعاقبه وأمر بحبسه(٣)، وذكر في رواية أخرى أن الرشيد حبس منصوراً النُّمَري بسبب الرفض(٤).

اهتم عدد من المصادر التاريخية بالعلاقة بين الرشيد وبعض أقاربه؛ فقد أشارت

---

(١) ابن المعتز، طبقات الشعراء، ص٢٤٢-٢٤٤ (دون)، الحصري القيرواني، زهر الآداب، ص٧٠٥ (دون).

(٢) ابن المعتز، طبقات الشعراء، ص٢٤٥ (دون) انظر مدائحه في الرشيد ص٢٤٦-٢٤٧، الأصفهاني، الأغاني، ج١٣، ص٩٧ (دون). الحصري القيراوني، زهر الآداب ص٧٠٤-٧٠٥ (دون).

(٣) الأصفهاني، الأغاني، ج١٣، ص٩٩ (احمد بن سيار الشيباني)، أمالي المرتضى، ج٢، ص١٨٥، ابن المعتز، طبقات، ص٢٤٥.

(٤) الأصفهاني، الأغاني، ج١٣، ص١٠٢-١٠٣ (يحيى بن الحسن بن عبد الخالق عن بعض الزينبيين).

بعض المصادر التاريخية مثل ابن قتيبة[1]، واليعقوبي[2]، والطبري[3]، والمسعودي[4] إلى وجود تأزُّم بين الرشيد وعبدالملك بن صالح[5] بسبب طمعه في الخلافة. وقد أشار ابن قتيبة باختصار إلى ذلك، في حين قدَّم البقية تفاصيل حول ذلك التأزُّم، وما نتج عنه من حبس الرشيد لعبدالملك، مع وجود اختلاف بين هذه المصادر على تاريخ حبس الرشيد لعبدالملك، حيث رأى اليعقوبي والمسعودي أن ذلك حصل سنة ١٨٨هـ، ٨٠٣م، أما الطبري فيرى أنه حصل سنة ١٨٧هـ، ٨٠٢م. ويلحظ التناقض في خبر المسعودي حين أشار في خبره إلى تدخل يحيى البرمكي ضد عبدالملك، مع العلم أن يحيى منكوب ومحبوس.

كما أن الطبري انفرد بالإشارة إلى أن الرشيد برر حبسه لعبدالملك؛ بأنه كان يخشى أن يوقع الفتنة بين ولديه الأمين والمأمون، ويبدو أنه كان مؤيدا للأمين لأنه

---

(١) ابن قتيبة، المعارف، ص٣٨٤ (دون).

(٢) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٤٢٤ (حدثني بعض أشياخنا)، انظر: التوحيدي، البصائر والذخائر، ج٨، ص١٣١-١٣٢ (أبو عبد الرحمن بن حرون)، انظر: ابن حمدون، التذكرة، ج٧، ص٢٠٩ (قال بعض أصحاب الرشيد).

(٣) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٣٠٢-٣٠٤ (أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل)، انظر: البيهقي، المحاسن، ج٢، ص٣٠٢-٣٠٤ (دون)، الأزدي، تاريخ الموصل، ٢٦٥ (أبو الفضل مولى بني هاشم)، ويؤيد الطبري أن ذلك حصل سنة ١٨٨هـ، ص٣٠٦، الجهشياري، الوزراء، ص١٧٠-١٧١ (دون)، أشار باختصار إلى قمامة وابنه عبد الرحمن دون إيراد أية خطابات أو دفاع عبدالملك عن نفسه، انظر الحصري القيرواني، زهر الآداب، ص٧١٨ (الأصمعي)، ابن عساكر، تاريخ، ٣٧، ص٢٩ (أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل).

(٤) المسعودي، مروج، ج٤، ص٢٠٣-٢٠٤ (الأصمعي)، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٣٧، ص٢٨ (الأصمعي).

(٥) هو عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن العباس الأمير أبو عبد الرحمن الهاشمي العباسي، ولي المدينة والصوائف للرشيد، وولي الشام والجزيرة للأمين، مات بالرقة سنة ١٩٦هـ، خليفة بن خياط، تاريخ خليفة، ص ٤٤١، ٤٢٩، ٥٤٥، اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ٤١٠، ٤٢٣، ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج١، ص٢١، ١٨، المعارف، ص٣٧٠-٣٧٤، ابن خلكان، وفيات، ج٧، ص٥٣-٥٦، الذهبي، تاريخ، ج١٣، ص٢٩١.

أطلقه فيما بعد ورد له أعماله(١).

واختلف البلاذري والطبري والمسعودي في إيراد الأخبار عن خطوة الرشيد تجاه محمد بن سليمان بن علي العباسي(٢) وتفسيرها، فعندما توفي صادر أمواله وجميع ممتلكاته الشخصية.

أورد البلاذري سبباً ضعيفاً، يريد من خلاله إيجاد مسوغات لمصادرة الرشيد لأمواله، حين ذكر أن جعفراً أخا محمد بن سليمان كان يسعى به للرشيد، ويكتب إليه أن لا مال ولا ضيعة له؛ لأنه أنفقها على الخيول، وكان الرشيد يحتفظ بتلك الكتب، فلما توفي محمد أخرج الرشيد الكتب، واستولى على ممتلكاته وأمواله(٣).

ولم يشر الطبري والمسعودي إلى سبب قبض الرشيد لأموال محمد بن سليمان، بل عدَّدا الأشياء التي صادرها ومقدار المبلغ الذي صودر، وظهر الرشيد بصورة المبذِّر والمسرف لأموال المسلمين؛ لأنه وزع هذه الأموال لندمائه وللمغنين، ولم يدخلها في بيت المال(٤).

---

(١) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٣٠٥، (زيد بن علي بن الحسين العلوي)، الأزدي، تاريخ الموصل، ص٢٦٤ (أبو الفضل مولى بني هاشم)، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٣٧، ص٣١ (زيد بن علي بن حسين).

(٢) محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس أمه أم حسن بنت جعفر بن الحسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب، من رجال بني هاشم وشجعانهم. ولاه المنصور البصرة، وزوَّجه المهدي بالعباسة أختِ الرشيد، وأقرَّه الرشيد على ولايته، وكانت غلته في اليوم مائة ألف درهم. توفي سنة ١٧٣هـ، الخطيب، تاريخ بغداد، ج٥، ص٢٩١-٢٩٢)؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص٣٥٠-٣٥١.

(٣) البلاذري، فتوح البلدان، ص١٥٦ (دون)، انظر: قدامة بن جعفر، الخراج، ص٣٠٥ (قالوا) ابن العديم، بغية، ج١، ص١٢١ (البلاذري).

(٤) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٣٧ (ذكر). المسعودي، مروج، ج٤، ص١٩٧ (دون)، الخطيب، تاريخ بغداد، ج٥، ص٢٩١ (إبراهيم بن عرفه)، انظر: ابن الجوزي، المنتظم،ج٨، ص٣٥١ (دون)، انظر ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٥٣، ص١٣٨ (عن ابن جرير الطبري)، انظر ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص١١٩، ابن كثير، البداية، ج١٠، ص١٦٨، النويري، نهاية، ج٢٢، ص١٢٧.

وتنفرد إحدى روايات الخطيب البغدادي باتهام الرشيد بقتل العباس بن محمد بن علي بن عبدالله[١]، وأن أهله يزعُمون أن الرشيد سمَّه فمات[٢].

وحول اهتمام الرشيد بأمور الدولة ومؤسساتها المالية ومتابعته للموظفين والعمال قدمت بعض المصادر أخباراً تتعلق ببعض القضايا أو المشكلات التي كانت تحدث مع هؤلاء العمال وموقف الرشيد منها.

فقد أشار اليعقوبي إلى أن الرشيد كان شديد المتابعة والمطالبة بأموال الدولة التي يختلسها العمال ويستخدم الشدة معهم؛ فقد ذكر أنه في أحداث سنة ١٨٤هـ، ٨٠٠م أخذ الرشيد العمال والتناءة[٣] والدهاقين وأصحاب الضِّياع والمبتاعين للغلات، وكانت عليهم أموال مجتمعة فطالبهم بصنوف العذاب[٤].

في حين أن الجهشياري أشار إلى مواقف الرشيد من مفاسد العمال؛ فقد ذكر قصتين اختلس فيهما فرج الرخجي[٥] أموال الدولة؛ الأولى: تشير إلى تظلُّم رعيته منه واختلاسه أموال الدولة، فقام الرشيد بعزله[٦]، والثانية: تشير إلى موقف غير

(١) العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس من رجالات بني هاشم ولي الجزيرة أيام الرشيد وتنسب إليه العباسة في الجزيرة كان الرشيد يبجله ويحترمه، الخطيب، تاريخ بغداد، ج١٢، ص١٢٤-١٢٥.

(٢) الخطيب، تاريخ بغداد، ج١، ص٩٥ (إبراهيم بن عرفة)، وابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٢٦، ص٤٠١ (إبراهيم بن محمد بن عرفة).

(٣) هم ملاك الأرض الصغار.

(٤) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٤١٥ (دون).

(٥) فرج بن زياد الرخجي: كان من كبار العمال في الدولة العباسية، مملوكاً لحمدونة بنت الرشيد، ولحق ولاؤه بالرشيد، وكان زياد أبوه من سبي معن بن زائدة عندما غزا الرخج، وينسب إليها، وهي كورة في نواحي كابل. الجهشياري، الوزراء، ص١٧٥-١٧٦، ياقوت، معجم، ج٢، ص٧٧٠.

(٦) الجهشياري، الوزراء، ص١٧٦ (دون)، التنوخي، الفرج، ج١، ص٣٦٧، (ابن عبدوس الجهشياري)، ابن حمدون، التذكرة، ج٢، ص١٤٣.

حازم من اختلاس الرخجي واستغلاله أموال الدولة في تنمية تجارته الخاصة دون أن يتعرض لأي نوع من المحاسبة(١).

كما أورد الجهشياري قصصاً أخرى تظهر الرشيد متهاوناً مع بعض الموظفين من الكتاب الفاسدين(٢)، وتصور بعضها أن الفساد لحق بكاتب الرشيد وكاتب زوجته(٣).

وأشار المقدسي إلى إلزام الرشيد لعماله بالبقايا، وذلك سنة ١٨٤هـ؛ فألزم البعض بالعشر، والبعض بالخمس، وترك البعض، ولم يشر إلى أنه استخدم العنف معهم(٤).

وأورد البيهقي قصة شاعر وصف فيها الرشيد «بالملك النائم» حين قال أبياتاً تصف كاتب ديوان الرشيد بالفساد وكانت منبهة للرشيد عن حالة التسيب في دولته رفعها صاحب الخبر للرشيد، مما دفع الرشيد إلى متابعة أمر كاتبه، معترفاً بهذه الحال قائلاً «لولا أني نائم ما كانت أموري تجري على هذا السبيل»، فأمر بإخراج الجرائد من الديوان، فوجد على منصور بن زيادة عشرة ملايين درهم، فصادر منصور بن زياد على ذلك المبلغ، وأراد قتله، لكنه ذهب للبرامكة، فساعدوه وأمّنوا له المبلغ المكلف بمصادرته، فكان البرامكة بهذا الموقف مساندين لإداريٍّ مفسدٍ، وعَلِمَ الرشيد أنهم حمَوْه، ولم يظهر موقفه منهم(٥).

(١) الجهشياري، الوزراء، ص١٧٦ (مطر بن سعيد كاتب فرج)، التنوخي، الفرج، ج١، ص٣٦٧-٣٦٨ (مظهر بن سعيد كاتب فرج)، انظر مجهول، الإمامة والسياسة، ج٢، ص١٥٨ (قال ذكروا). ابن حمدون، التذكرة، ج٢، ص١٤٣-١٤٤ (مظهر بن سعيد كاتب فرج).

(٢) الجهشياري، الوزراء، ص١٥٠ (أبو الفضل بن عبد الحميد).

(٣) الجهشياري، الوزراء، ص١٦٦ (هارون بن مسلم)، انظر الثعالبي، ثمار القلوب، ج١، ص٢٦٤-٢٦٥.

(٤) المقدسي، البدء، ج١، ص١٧٥ (دون)، وذكر ابن كثير أن الرشيد ضرب الناس لأداء بقايا الخراج سنة ١٨٤هـ وولى رجل يضربهم ويحبسهم على ذلك. ابن كثير، البداية، ج١٠، ص١٩١.

(٥) البيهقي، المحاسن والمساوئ، ج٢، ص٢٩٨-٣٠١ (صالح صاحب المصلى).

وعن الحالة الاقتصادية للدولة، فقد انفردت بعض المصادر عن غيرها بذكر أوصاف لحالة الاقتصاد في عهد الرشيد، وأنها تمتعت بأحسن الأحوال .فقد اهتم كل من الطبري، وابن أعثم، والثعالبي بتقديم إحصائيات للمبالغ التي اجتمعت في خزينة الرشيد، وتميزت ـ حسب رأيهم ـ بأنها من أعلى الأرقام التي حوتها خزائن الخلفاء(١).

وانفرد الجهشياري بتقديم قائمة عن خراج الدولة أيام الرشيد، تضمَّنت المبالغ المحصَّلة من أقاليم الدولة العباسية عيناً ونقداً، وهذا يعني اطلاعه على وثائق ديوان الخراج، أو مصادر كانت قد أخذت عنها؛ فقد ذكر الجهشياري أنه أخذها عن كتاب لأبي الفضل محمد بن أحمد بن عبدالحميد الكاتب في "أخبار خلفاء بني العباس"(٢)، وأكد ابن النديم تاليف أبي الفضل محمد بن أحمد لهذا الكتاب، وذكر أنه مِنْ أهل السير، وأن كتابه في أخبار خلفاء بني العباس كان كبيراً(٣).

وجاءت الأخبار متناقضة فيما يتعلق باهتمام الرشيد بأمور رعيته وتخفيف الضرائب عنهم؛ فقد ذكر الطبري أن الرشيد خفف الضرائب عن أهل السواد في سنة ١٧٢هـ، ٧٨٨م(٤)، لكن اليعقوبي والطبري أشارا إلى أن الناس في سنة

---

(١) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٣٦٤ (دون) اعتقد أنها دراهم، وتساوي ٩٠٠ مليون درهم؛ أي: ما يعادل ١٨٠ مليون دينار تقريباً. ابن اعثم، الفتوح، ج٨، ص٤٠٣ (ثمامة بن أشرس) الثعالبي، ثمار القلوب، ج١، ص٢١٣ (دون)، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٧٣، ص٢٩٥ .ذكر أنها شملت ٤٦٠٠ جمل؛ منها ١٦٠٠ نقلت ذهب، و٣٠٠٠ نقلت الفضة (الورق) انظر الذهبي، سير، ج٩، ص٢٨٩، نقل عن الصولي أن الرشيد ترك مئة الف الف دينار، القلقشندي، مآثر الإنافة، ج١، ص٣٦٣، السيوطي، تاريخ، ص٤٧١.

(٢) الجهشياري، الوزراء، ص١٨٢-١٨٣ (محمد بن أحمد بن عبد الحميد الكاتب صاحب كتاب أخبار خلفاء بني العباس).

(٣) ابن النديم، الفهرست، ص١٢٠.

(٤) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٣٦ (دون)، ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص٣٤٣ (دون)، ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص١١٨ (دون)، ابن كثير، البداية، ج١٠، ص١٦٧ (دون).

١٨٤هـ، ٨٠٠م كانوا يعذبون بالحبس والضرب في جمع بقايا الخراج[١].

وانفرد البلاذري بتقديم أخبار حول اهتمام الرشيد بأحوال المزارعين في بعض أقاليم الدولة العباسية[٢]. كما أشار إلى حالات خفف فيها الرشيد عن الناس الضرائب أو أعفاهم من التعامل مع العمال الذي كانوا يعاملون الناس معاملة قاسية[٣]. فقد أشار إلى ظهور ظاهرة إلجاء الأراضي في عهد الرشيد[٤].

وسعى عدد محدود مِنَ المصادر - منهم صاحب الإمامة والسياسة - إلى إبراز صورة الخليفة الذي يخرج بشكل متخفٍّ ليتجول في الأسواق والطرقات للتعرف إلى أحوال الناس[٥] متأثراً بسيرة الخليفة عمر بن الخطاب. كما برزت صورة الرشيد الحريص على الاهتمام برعيته وراحتهم، والسهر على توفير الأمن والحماية لهم من خلال قصة أوردها الثعالبي والماوردي عندما خرج الرشيد في بعض أسفاره وقد نزل عليه الثلج، فقال الرشيد لأحد مرافقيه الذي كان يتحسَّر ويتذمَّر من

(١) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٤١٥ (دون). الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٧٢ (فيما ذكر).

(٢) تمثل ذلك بإجراءاته في فلسطين. البلاذري، فتوح البلدان، ص١٦٣ (قالوا)، ص١٤٩-١٥٠ (دون).

(٣) البلاذري، فتوح، ص٧٨-٧٩ (الهيثم بن عدي)، ص٣١٩ (محمد بن هارون الأصبهاني)، قدامة بن جعفر، الخراج، ص٣٧٧ (دون).

(٤) البلاذري، فتوح، ص٣٦٤ (عن بعض أهل العلم)؛ ص٣١٩ (محمد بن هارون الأصبهاني)؛ قدامة بن جعفر، الخراج، ص٣٧٧ (دون).

(٥) مجهول، الإمامة والسياسة، ج٢، ص١٥٦ (ذكروا)؛ ابن الجوزي، أخبار الظراف والمتماجنين، ص١٥٠ (دون). وتأتي قصص تنكر الرشيد الخيالية والمبالغ فيها في الأدب الشعبي والقصص الخرافية، التي جاءت في كتاب الإتليدي، وحكايات ألف ليلة وليلة، انظر القصة: الإتليدي، أعلام الناس، ص١٩٤-٢١٢ (حكى) وجاءت قصص ألف ليلة وليلة على ذكر تخفي الرشيد. انظر: (مقالة) محمد عبد الرحمن يونس، ملامح شخصية الخليفة هارون الرشيد في حكايات ألف ليلة وليلة، مجلة أفق، سنة٢، عدد ٢٠، نيسان- أبريل سنة٢٠٠٢م، ص٥؛ موجودة على شبكة الإنترنيت www.ofouq.com. وانظر أيضاً: محمد علي الهرفي، هارون الرشيد بين السيرة الواقعية والسيرة الشعبية (د ط) (د ن). أندري كلو، هارون الرشيد وعصره (عصر ألف ليلة)، دار سراس، تونس، ١٩٩٧.

حالته، حاسداً الرعية الوادعة النائمة «اسكت! للرعية المنام وعلينا القيام، ولا بد للراعي من حراسة الرعية وتحمُّل الأذية»(١).

وحول استقرار الرشيد في الرافقة، فقد اختلفت المصادر التاريخية حول دوافع الرشيد لذلك وزمنه؛ فالبلاذري لم يحدد تاريخ استقراره في الرافقة وتركه لبغداد وسبب ذلك، لكنه في الوقت نفسه قدَّم أخباراً عن أعمال الرشيد العمرانية في هذه المدينة(٢).

وأشار اليعقوبي إلى أن الرشيد أقام بالرافقة سنة ١٨٦هـ، ٨٠٢م(٣)، ولم يتطرَّق إلى أسباب ذلك. في حين أن الطبري قدم تفاصيلَ دقيقةً ورواياتٍ عديدةً حول هذا الموضوع؛ فذكر أن استقرار الرشيد في الرقة (الرافقة) كان سنة ١٨٠هـ، ٧٩٦م)(٤)، وكان الرشيد قبل ذلك قد سعى للاستقرار في مدن أخرى غيرها(٥).

(١) الثعالبي، آداب الملوك، ص٣٤ (دون)، الماوردي، نصيحة الملوك، ص٢٠٠، الإربيلي، خلاصة الذهب، ص١١٠ (دون).

(٢) البلاذري، فتوح، ص١٨٤ (دون)، ص٢٩٥ (دون)، ابن الفقيه الهمذاني، البلدان، ص٣١٥ (دون). وأشار ابن العبري أن الرشيد حين أقام في الرقة زاد في عمارتها، وغرس في ضواحيها جنائن كثيرة، وجلب لها نهراً من الفرات (ابن العبري، تاريخ الزمان، ص١٣)، وأشار ابن عساكر إلى بناء الرشيد فيها قصر الخشب، تاريخ دمشق، ج٧، ص١٥٨، وذكره الأصفهاني بالقصر الأبيض، الأصفهاني، أدب الغرباء، ص٥٦.

(٣) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٤١٥ (دون).

(٤) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٦٦ (دون)، ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص١٥٢؛ الذهبي، تاريخ، ج١١، ص٢٦، سير، ج٩، ص٢٩٢، ابن كثير، البداية، ج١٠، ص١٨١، وذكر الطبري ان المنصور عزم على بناء مدينة الرافقة سنة ١٥٤هـ، وكلف المنصورُ ابنَه المهدي بناء المدينة على شكل مدينة بغداد وتنظيمها في أبوابها وسورها وشوارعها، الطبري، تاريخ، ج٨، ص٤٤، ٤٦، ولقد ثبت لعالم الآثار هرتزفيلد أن بناء الرقة (الرافقة) كان يتوسط سوراً كامل الاستدارة، ولهذا السور أربع بوابات (انظر قاسم طوير، هرقلة هارون الرشيد في الرقة، أو بغداد المنصور المصغرة، ص٤٩٨، مقالة في كتاب، المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام).

(٥) فقد انفرد الطبري بالإشارة إلى أن الرشيد أراد الاستقرار- قبل أن يستقر في الرافقة – في عدة أماكن؛ منها: مرج القلعة والحيرة، وأشار أيضا أن الرشيد كان يذهب إلى مدينة القاطول، وإلى ضيعتين هما: باقردى وبازبدى. الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٣٦ (دون)، ٢٣٩؛ ص٢٦٦-٢٧٦=

وانفرد الطبري بإيراد الأسباب التي دفعت الرشيد لترك بغداد، والاستقرار في الرافقة. وجاء ذلك على لسان الرشيد حين ربطها بمساوئ بغداد؛ فقال: «ولكني أريد المناخ على ناحية أهل الشقاق والنفاق، والبغض لأئمة الهدى والحب لشجرة اللعنة - بني أمية - مع ما فيها من المارقة والمتلصّصة ومخيفي السبيل، ولولا ذلك ما فارقتُ بغدادَ ما حييت، ولا خرجت عنها أبداً»(١).

وكان الطبري قد أشار إلى مساوئ بغداد حيث وصفها الرشيد بالبخار حين أورد تعليلاً لاستقرار الرشيد في مرج القلعة سنة ١٧٢هـ، ٧٨٨م(٢).

وربط الطبري استقرار الرشيد في الرافقة بخروج الخوارج في مدينة الموصل حين هدم سور مدينة الموصل سنة ١٨٠هـ، ٧٩٦م(٣). ويبدو أن الخوارج كانوا سبباً مهماً دفع الرشيد إلى الاستقرار بها، فقد سبق وأن أشار الطبري إلى خروج الوليد

= (دون)، ج٩، ص١٧ (مسرور)، ومن جانب آخر أشارت بعض المصادر التاريخية والجغرافية والأدبية إلى تنقل الرشيد بين البلدان، وأوردت أشعاراً تصفه في حال دائمة من تنقل وترحال، وتمثل ذلك لدى ابن الفقيه الهمذاني والبيهقي. ابن الفقيه الهمذاني، البلدان، ص١٠٩-١١٠ (دون) ص٣١١. البيهقي، المحاسن، ج١، ص٤٩٦ (دون)، الأصفهاني، أدب الغرباء، ص٢٩-٣٠، كما أشار كل من الجاحظ وابن الفقيه الهمذاني والمسعودي إلى نية الرشيد الإقامة بأنطاكيا، لكنه تراجع عن ذلك لوجود الرطوبة العالية فيها. الجاحظ، الحيوان، ج٣، ص١٤٣ (دون)، ابن الفقيه الهمذاني، البلدان، ص١٦٤-١٦٥، المسعودي، مروج، ج٢، ص٢٦ (دون)، ابن العديم، بغية، ج١، ص٩٥.

(١) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٣١٧ (ذكر عن بعض قواد الرشيد)، انظر ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص١٦٢-١٦٣ (دون).

(٢) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٣٦ (دون)، انظر ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص٣٤٣ (دون).

(٣) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٦٦ (دون)، انظر: الأزدي، تاريخ الموصل، ص٢٨٩. على الرغم من وضوح أسباب هذه الخطوة لدى الطبري، إلا أن أحمد أمين ربطها بنكبة البرامكة، انظر: أحمد أمين، هارون الرشيد، ص١٤٨، عبد الأمير مهنا، الطرب والظرف، ص١٣٦. في حين كان ضناوي أدق وأشار أن الرشيد استقر في الرافقة وترك بغداد بهدف التخلص من نفوذ البرامكة حين نضج وأحب السلطة، سعدي ضناوي، موسوعة هارون الرشيد، ج١، ص١٧٢.

ابن طريف الشاري في أرض الجزيرة سنة ١٧٩هـ، ٧٩٥م(١)، وخروج خراشة الخارجي من الشراة بالجزيرة أيضاً سنة ١٨٠هـ(٢).

وذكر الطبري أن العصبية القبلية والفتنة التي ثارت بين القيسية واليمنية في الشام كانت أحد أسباب استقرار الرشيد في الرافقة، فقد روى مسرور الخادم للمعتصم «أنه لما وثب أهل الشام وعصوا، خرج الرشيد إلى الرقة (الرافقة) فأقام بها»(٣)، ويلحظ من روايات الطبري أن استمرار نشوب هذه الفتن لفترات طويلة جعلت الرشيد يستمر في اتخاذ الرقة مقراً له لقربها من الشام(٤)، إضافة لاتخاذها منطلقاً لهجماته على بلاد الروم(٥).

انفرد كلٌّ من القاضي وكيع، والتنوخي، والخطيب البغدادي بتقديم معظم الأخبار المتعلقة بعلاقة الرشيد بالقضاة، وكانوا مِنْ أبرز مَنِ أهتم مِنَ المصادر بهذا الجانب؛ لأنهم مِنَ القضاة؛ فقد قدموا ترجمات لمعظم القضاة في الدولة العباسية، ومنهم قضاة الرشيد.

وأشارت هذه المصادر - وكيع والتنوخي والخطيب - في أخبار وقصص عديدة إلى أن الرشيد كان يعين ويعزل ويعيد تعيين القضاة بنفسه(٦)، دون تدخل من

---

(١) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٦١ (دون).

(٢) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٦٦ (دون).

(٣) الطبري، تاريخ، ج٩، ص١٧ (مسرور الخادم).

(٤) انظر: الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٦٢-٢٦٤ (دون)، انظر: الأزدي، تاريخ الموصل، ص٢٨٩.
فسر الهبري خطوة الرشيد تلك بانها كانت بهدف التوفيق بين الحكم العباسي وقواعد قوة العرب أيام الأمويين وهذا الراي غير دقيق لان هذا السبب يعتبر ثانوياً أمام الأسباب التي سبق الإشارة لها. انظر: Tayeb EL Hibri, Harun Al Rashid, p28

(٥) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٦٨ (دون)، الأزدي، تاريخ الموصل، ص٢٩٠ (دون). ويرى شعبان أنه - إلى جانب مراقبته للجبهة البيزنطية - كان الرشيد يسعى لان يكون قريباً من أرمينيا وأذربيجان، محمد عبد الحي شعبان، الدولة العباسية، ص٤٧.

(٦) انظر وكيع، أخبار القضاة، ج١، ص٢٢٩، ٢٣٢، ج٢، ص١٥٥، ج٣، ص٢٧٢، ٢٦٤-٢٦٥،=

أحد وكانت هذه المصادر في بعض الأحيان تعلل أسباب العزل[١] وفي معظمها لا تذكر السبب[٢]، وأن الرشيد كان يتابع أمور القضاة بنفسه[٣]. وهذا يعني أن عزل القضاة وتوليتهم كان من مهمة الخليفة، وليس من مهمات قاضي القضاة[٤].

وعلى الرغم من انفراد وكيع بذكر أن الرشيد ولّى أبا يوسف (ت١٨٣هـ، ٧٩٩م) قضاء القضاة[٥]، وذكر الخطيب البغدادي وابن الجوزي أن أبا يوسف «هو أول مَنْ دُعِي بقاضي القضاة في الإسلام»[٦]، فإن ما سبق وقدّمه كل من وكيع،

= التنوخي، نشوار، ج٢، ص٢٣٤، ج٥، ٩٤، ج٦، ص ٨-٩ ، ١٢٩، ١٥٤، الخطيب، تاريخ بغداد، ج١٠، ص٦١، ٢٣٨، ٤٠٨، ج١٣، ص٢٨٣، ج١٤، ص٢٩٦، ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص٣، ٣٧، ٤٩، ١٦٨، ج١٠، ص٤١، ٢٠١.

(١) وكيع، أخبار القضاة، ج٣، ص٢٠٩ (مروان الظافر)، ج٢، ص١٤٥ (الجاحظ). التنوخي، نشوار، ج٦، ص٧٢، (طلحة بن محمد بن جعفر)، الخطيب، تاريخ بغداد، ج٨، ص٣٢ (التنوخي عن طلحة). الخطيب، تاريخ بغداد، ج٩، ص١٣٠-١٣١ (محمد بن عيسى الأنصاري).

(٢) انظر الخطيب، تاريخ بغداد، ج٨، ص١٨٨-١٨٩، حيث عزل الرشيد أكثر من قاضٍ عن بغداد، ونقل بعضهم إلى الكوفة دون ذكر الأسباب، وعزل الرشيد عبد الله بن محمد بن عمران عن قضاة المدينة ثم ولاه مكة ثم صرفه عن مكة ورده إلى المدينة، ثم صرفه عن المدينة، ثم كان مع الرشيد إلى أن مات بطوس. (انظر وكيع، أخبار القضاة، ج١، ص٢٢٩، الخطيب، تاريخ بغداد، ج١٠، ص٦١، ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص١٦٨.

(٣) وكيع، أخبار القضاة، ج٣، ص١٨٠ (محمد بن موسى الطلحي)، ج٣، ص٢٣٨ (إسحق بن الفرات)، الكندي، الولاة والقضاة، ص٤١١ (يحيى بن عثمان عن أبيه).

(٤) أشار الدوري إلى أنه في خلافة الرشيد استحدث منصب قاضي القضاة، الدوري، العصر العباسي، ص١٣٧، وأكد ذلك فاروق عمر حين ذكر أن الرشيد كان أول خليفة أوجد منصب قاضي القضاة في بغداد، انظر: مجهول، الإمامة والسياسة، ج٢، ص١٦٢-١٦٣ (عمرو بن مسعدة) فاروق عمر، الخليفة المجاهد، ص٣٢.

(٥) وكيع، أخبار القضاة، ج٣، ص٢٥٦ (دون).

(٦) الخطيب، تاريخ بغداد، ج١٤، ص٢٤٢، ٢٤٤ (دون) ج٥، ص٣٤١، (إسماعيل بن علي الخطبي)، ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص٧٢، ابن خلكان، وفيات، ج٦، ص٣٧٩، الإربيلي، خلاصة، ص١٢٩، الذهبي، تاريخ، ج١٢، ص ٥٠١. وأشار الخطيب البغدادي إلى تعيين=

والتنوخي، والخطيب لا يدل على أن أبا يوسف كان يعين أو يعزل أو يتابع القضاة، باستثناء حالة واحدة وردت عند الخطيب، حين زار الرشيد وأبو يوسف ناحية الجُبُّل(١)، فتعرض لهما قاضي الجبل عبدالرحمن بن مسهر بن عمرو الكوفي، متنكراً ومادحاً نفسه لهما، فكشف أبو يوسف تحايله، فأمر الرشيد أبا يوسف بعزله، فعزله(٢).

وتجدر الإشارة إلى أن مؤرخين - مثل خليفة بن خياط، وابن سعد، وابن قتيبة، واليعقوبي، وابن عبد ربه، والمسعودي - لم يذكروا أن الرشيد ولّى أبا يوسف منصب قاضي القضاة، بل ذكروا أن أبا يوسف كان قاضياً للرشيد(٣) في بغداد، دون الإشارة إلى أنه كان يولي القضاة أو مسؤولاً عن تعيينهم وعزلهم، أو أن الرشيد قال لأبي يوسف بأنه قاضي للقضاة.

وانفردت بعض المصادر الفقهية والتاريخية والأدبية بالإشارة إلى جلوس الرشيد للمظالم واختلفت هذه المصادر حول تأكيد هذا الأمر.

= الرشيد لعدد من القضاة في منصب قاضي القضاة؛ فقد ذكر أن الرشيد ولّى أبا البختري وهبّ بن وهب قاضي للقضاة ببغداد بعد أبي يوسف كما ذكر أن الرشيد عيّن علي بن حرملة التميمي الكوفي قاضياً للقضاة وعلي بن ظبيان الكوفي، وكان من أصحاب أبي حنيفة. الخطيب، تاريخ بغداد، ج٨، ص١٨٩؛ ج١١، ص٤١٥؛ ج١١، ص٤٤٣، ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص٢٠٥.

(١) بليدة بين النعمانية وواسط في الجانب الشرقي على طريق البصرة، ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص١٠٣.

(٢) الخطيب، تاريخ بغداد، ج١٠، ص٢٣٩ (الأصفهاني)؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٤١. وذكر ياقوت أن هذه القصة حصلت مع المأمون وقاضيه يحيى بن أكثم، ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص١٠٣.

(٣) ذكر مجموعة من المؤرخين أن أبا يوسف كان قاضياً للرشيد، ولم تختلف معظم المصادر على ذلك. انظر: خليفة بن خياط، تاريخ خليفة، ص٤٦٤ وابن سعد الطبقات، ج٧، ص٣٣١. وأشار اليعقوبي إلى أبي يوسف وأنه كان من الفقهاء أيام الرشيد، ج٢، ص٤٣١، ورأى صاحب العقد الفريد أن أبا يوسف كان قاضياً وزميلاً للرشيد؛ ابن عبد ربه، العقد، ج١، ص٣٠٥، ج٦، ص٥، ص١١، وأشار ابن قتيبة في المعارف إلى أنه ظل قاضياً لبغداد إلى أن مات سنة ١٨٢هـ، المعارف، ص٤٩٩، انظر المسعودي، مروج، ج٤، ص١٩٩، ٢٢٩.

ويُذكر أن القاضي أبا يوسف قدم في كتابه "الخراج" نصيحة أو حثاً للرشيد للجلوس للمظالم، وهذا يعني أنه لم يكن يجلس للمظالم، كما أن ذلك لا ينفي جلوسه للمظالم بعد هذه النصيحة، ويوضح أبو يوسف أسباب نصيحته، وهي ظلم العمال والولاة للرعية(١).

وأشار كلٌ مِنَ الماوردي، وأبي يعلي بشكل صريح إلى جلوس الرشيد للمظالم دون تقديم تفاصيل حول ذلك(٢).

ولم يشر الطبري إلى ذلك، بل أشار إلى جلوس ولاته؛ مثل علي بن عيسى بن ماهان، حين أمره الرشيد بأن ينصف يحيى بن الأشعث بن يحيى الطائي من رافع ابن الليث والي سمرقند(٣)، وهرثمة بن أعين حين جلس لمظالم الناس في خراسان بأمر مِنَ الرشيد لينصفهم من علي بن عيسى والي خراسان(٤).

ولم يشر الجهشياري أيضاً إلى جلوس الرشيد للمظالم، بل أشار إلى أن يحيى وأولاده الفضل وجعفر هم الذين كانوا يجلسون للمظالم(٥).

(١) أبو يوسف الخراج، ص١١٢ (دون)، (انظر: أمجد الفاعوري، ولاية المظالم في العصر العباسي، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية ١٩٩٥، ص٣٦-٣٧. وتدل هذه النصيحة ـ حسب رأي رضوان السيد ـ أن الرشيد احتجب عن رعيته، وأن هناك ظلم للرعية من قبل العمال، وأن هذا الظلم كبير لدرجة أنه بحاجة إلى تقسيم المتظلمين لعدة فئات أو أقسام ليجلس الرشيد لينظر في أمورهم. ويشير رضوان السيد أنه ربما كان الرشيد قد انقطع عن إقامة هذه المجالس أوائل خلافته، فنبهه أبو يوسف لذلك أو أنه لم يكن يحضر هذه المجالس بنفسه وولاها وزراءه البرامكة، فنصحه بان يجلس بنفسه؛ رضوان السيد، قضاء المظالم (مقالة)، ص١٦٨، ١٧٣.

(٢) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٩٨ (دون)، أبو يعلى، الفراء، الأحكام السلطانية، ص٧٥.

(٣) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٣١٩ (دون)؛ كان رافع قد تحايل وتزوج زوجة يحيى بن الأشعث، فشكاه للرشيد.

(٤) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٣٣١-٣٣٢ (ذكر)؛ انظر كتاب الرشيد لهرثمة، الطبري، تاريخ، ج٨، ص٣٣٦ (دون).

(٥) الجهشياري، الوزراء، ص١١٤، ١١٥، ١٢٠، ١٢١ (دون)، ١٣١ (حكى علي بن عيسى بن يزدانيروذ) ص١٣٩ (دون). ص١٤٤-١٤٥ (بختيشوع بن جبرائيل عن أبيه). انظر التنوخي، نشوار، ج٨، ص١٩٤-١٩٥ (محمد بن العباس اليزيدي).

وأشار الأصبهاني أن الرشيد جلس في الرافقة للمظالم ونظر في قصة علي بن خليل ـ رجل من الكوفة مولى لمعن بن زائدة الشيباني ـ الذي اتهم بالزندقة، فدافع عن نفسه أمام الرشيد فعفا الرشيد عنه[1].

كما أشار وكيع، والأزدي، والكندي، والخطيب إلى أخبار تضمنت خروج بعض الناس للرشيد لرفع مظالمهم له، دون أن يذكروا أن الرشيد جلس في يوم مخصص للمظالم[2].

وانفرد الخطيب البغدادي، وابن الجوزي بالإشارة إلى أن الرشيد عيَّن قُضاةً للمظالم؛ فقد أشار الخطيب إلى تعيين الرشيد لابن عُلَيّة[3] على المظالم في بغداد[4]، وأشار ابن الجوزي إلى تولي محمد بن عبدالله بن أنس بن مالك أبي عبدالله الأنصاري القضاء والمظالم ببغداد أيام الرشيد[5].

---

(١) الأصفهاني، الأغاني، ج١٤، ص٣٦٩-٣٧١ (زياد بن الخطاب)، (أحمد بن يحيى بن ثعلب)، الحصري القيرواني، زهر الآداب، ص٩٠٩-٩١١ (الفضل بن الربيع).

(٢) الأزدي، تاريخ الموصل، ص٣٠٦ (دون)، الخطيب، تاريخ بغداد، ج١١، ص١٨٧؛ وكيع، أخبار القضاة، ج٣، ص٢٣٨ (إسحق بن الفرات)، الكندي، الولاة والقضاة، ص٤١١ (يحيى ابن عثمان عن أبيه).

(٣) هو أبو بشر الأسدي إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم، من أهل البصرة، حدث ببغداد .الخطيب، تاريخ بغداد، ج٦، ص٢٢٩ (دون).

(٤) الخطيب، تاريخ بغداد، ج٦، ص٢٢٩ (دون).

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٢٧١ (دون).

الفصل الرابع

المصادر وشخصية ولاة عهد الرشيد وبيعتهم

اعتنت المصادر التاريخية بتقديم الأخبار المتعلقة بولدي الرشيد محمد الأمين وعبد الله المأمون أكثر مِنْ غيرهما مِنَ الأبناء، على الرغم من ورود أسماء اثني عشر ولداً من الذكور للرشيد في بعض المصادر التاريخية، ويعود ذلك لأن اسمي الأمين والمأمون ارتبطا بأحداث مهمة جداً؛ مثل توليتهما العهد مِنْ قِبَلِ أبيهما، وتوليهما الخلافة بعده. كما نال القاسم (المؤتمن) ومحمد أبو إسحق (المعتصم) على اهتمام المصادر، ولكن بدرجة أقل بكثير مما قُدِّمَ عن الأمين والمأمون. أما بقية أبناء الرشيد، فقد قدَّم عددٌ مِنَ المصادر التاريخية تعداداً لأسماء الذكور والإناث منهم فقط، واختلفت هذه المصادر على أعدادهم كما هو مبين في الجدول:

المصدر	عدد الذكور	عدد الإناث	التوثيق
ابن قتيبة	٧ أشار إلى وجود غيرهم	١ أشار إلى وجود غيرها	المعارف، ص ٣٨٣ (دون)
اليعقوبي	١٢	—	تاريخ، ج٢، ص٤٣٠ (دون)
الطبري	١٢	١٢	تاريخ، ج٨، ص٣٦٠ (دون)
ابن عبد ربه	٩	٣	العقد، ج٥، ص١١٧ (دون)
الخطيب البغدادي	٧ اسمهم محمد	—	تاريخ بغداد، ج٣، ص٣٤٧ (هشام بن محمد)
ابن الجوزي	١٣	١٢	المنتظم، ج٨، ص٣٢٠
ابن الأثير	١٢	١٥	الكامل، ج٦، ص٢١٦-٢١٧
الإربيلي	١٥	١٨	خلاصة الذهب، ص١١٢، ١٧١
الذهبي	٩ اسمهم محمد	—	تاريخ، ج٩، ص٢٩٥

يلحظ من الجدول اقتصار بعض المؤرخين على إيراد أسماء الذكور دون الإناث، وزيادة أعداد أولاد الرشيد من الذكور والإناث لدى المتأخرين، وربما أن هذا ناتج عن اطِّلاعهم على مصادر لم تكن متوفرةً للمتقدمين.

وقد أشارت بعض المصادر المتأخرة ـ مثل ابن الجوزي، وابن قدامة المقدسي وغيرهم ـ إلى أحد أبناء الرشيد غير المشهورين، من خلال قصة غريبة، تشير إلى

أحد أبناء الرشيد وهو أحمد الذي اشتهر بالسبتي ـ لا يعمل إلا يوم السبت من الأسبوع ـ الذي ولد قبل خلافة الرشيد من امرأة من عامة الناس تزوجها بالسر. وتورد هذه المصادر عدة أسباب لابتعاده عن أبيه الرشيد، الذي لم يكن يعلم بمكانه إلا من خلال خاتم ثمين كان الرشيد قد أعطاه إياه، وأرسله ابنه إليه قبيل موته(١).

إن الضعف في هذا الخبر واضح؛ لأنه ورد لدى مصادر متأخرة، إضافة إلى أن المؤرخين والمترجمين لحياة الرشيد لم يوردوا قصةً لزواج الرشيد غير قصة زواجه من زبيدة، ولو عُدَّت تلك المرأة مِنَ الإماء، فإن ذلك لم يكن يعيب الرشيد حتى يُبعِدَ ابنَه عنه، ولكن يبدو أن هذه القصة سعت إلى الإشارة إلى عدم اهتمامه بأولاده الآخرين غير الأمين والمأمون.

وتظهر بعض روايات الصولي، والأصفهاني، والخطيب البغدادي، والتوحيدي أن الرشيد كان يميز بين أولاده، ويفضل البعض بشكل مبالَغٍ فيه، لدرجة أنه تمنى زوال صفة حسنة مِنْ أحد أولاده لآخر كان يحبه(٢).

وتناولت المصادر التاريخية وغيرها أخبار الأمين والمأمون باهتمام بالغ، حيث جمعت وقدمت المصادر أخبارهما في مراحلَ عدةٍ قبل خلافة الرشيد وبعدها. فحول تاريخ مولدهما اتفقت جميع المصادر على أن المأمون ولد قبل الأمين بحوالي

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص٩٣-٩٦ (عبد الله بن فرج العابد)، صفة الصفوة، ج٢، ص٣١٣-٣١٧ (عبد الله بن فرج)، ابن قدامة المقدسي، التوابين، ص١٦٢-١٦٥ (دون)، ابن خلكان، وفيات، ج١، ص١٦٨، الأربيلي، خلاصة، ص١٣٦-١٣٨، النويري، نهاية، ج٢٢، ص١٦٠-١٦١ (عبد الله بن فرج)، ابن كثير، البداية، ج١٠، ص١٩٢، ابن تغري بردي، النجوم، ج٢، ص١٤٨-١٤٩ (عبد الله بن فرج).

(٢) أشار الصولي والأصفهاني إلى أن الرشيد كان يتمنى جمال ابنه أبي عيسى للمأمون. الصولي، اشعار أولاد الخلفاء، ص٩٣ (يعقوب بن جعفر)٩٤ (هبة الله بن إبراهيم المهدي)، الأصفهاني، الأغاني، ج١٠، ص٣٧٠ (طاهر بن الحسين)، ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص١٩٩ (دون)، النويري، نهاية، ج٤، ص٢١٨، ويذكر التوحيدي ان الرشيد كان يتمنى بلاغة محمد لعبد الله، التوحيدي، البصائر، ج٦، ص٢١٤-٢١٥ (الفضل بن مروان).

ستة أشهر من أمَّين مختلفتين، حيث ولد المأمون في ربيع الأول والأمين في شوال من سنة ١٧٠هـ(١).

واهتمت المصادر التاريخية بأمر تربية الرشيد لولديه، واهتمامه برعايتهما. ويلحظ أن هذه المصادر قدمت أخباراً حول اهتمام الرشيد بتربية الأمين وتأديبه أكثر مما قُدم عن المأمون، فقد أشار كل من ابن سعد، وابن حبيب، إلى أن الرشيد ولى عبيدة بن حميد التيمي(٢) تعليم الأمين النحو والعربية وقراءة القرآن(٣)، وأشار ابن أعثم إلى أن الرشيد وضع ابنه محمداً في حجر الفضل بن يحيى البرمكي، وطلب منه التشديد عليه في تأديبه وإدخال العلماء والفقهاء عليه؛ لأنه كان يسعى لجعله خليفة له يتَّصف بالعدل ليُحيِيَ السنة ويزيل الجُور، وكان الرشيد شديد المراقبة والمتابعة لأحوال الأمين وأخباره(٤)، وأشار الدينوري إلى تشدد الكسائي في تأديب الأمين؛ لأنه كان ولياً للعهد ولتوصية والدته به(٥).

كما أشار ابن أعثم، والبيهقي، والمسعودي، والتنوخي إلى إرشادات الرشيد لمؤدبي الأمين حول الكيفية التي يجب أن يؤدَّبَ فيها الأميرُ الصغيرُ، وتذكيراً

---

(١) البسوي، المعرفة والتاريخ، ج١، ص١٦١ (دون)، اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٤٠٧ (دون)، الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٣٣ (دون)، الخطيب، تاريخ بغداد، ج٣، ص٣٣٧، ج١٠، ص١٨٤ (دون)، ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص٣٢٨، ج١٠، ص٤٩ (دون)، ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص١٠٧ (دون).

(٢) هو عبيدة بن حميد بن صهيب أبو عبد الرحمن التيمي، وقيل: الضبي الليثي. ويعرف بالحذّاء، من أهل الكوفة. ولد سنة ١٠٧هـ، كان صاحب نحو وعربية وقراءة للقرآن، قدم بغداد أيام الرشيد، وتوفي سنة ١٩٠هـ، انظر ابن سعد، الطبقات، ج٧، ص٣٢٩، الخطيب، تاريخ بغداد، ج١١، ص١٢٠-١٢٣.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ج٧، ص٣٢٩ (دون)، ابن حبيب، المحبر، ص٤٧٨ (دون)، الخطيب، تاريخ بغداد، ج١١، ص١٢١ (دون)؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص١٨٧ (دون).

(٤) ابن أعثم، الفتوح، ج٨، ص٤٢٠-٤٢١ (العباس بن الفضل).

(٥) الدينوري، الأخبار الطوال، ص٣٥٤ (الكسائي).

بالمعارف الواجب على المؤدِّب ان يعلِّمها له(١).

ويشير الجهشياري إلى أن الرشيد وضع الأمين في حجر جعفر بن محمد بن الأشعث ثم نقله إلى حجر الفضل بن يحيى البرمكي، وأسكنه معه في قصر الخلد(٢). وأضاف البيهقي أن الرشيد جعل محمداً الأمين في حجر الفضل البرمكي، والمأمون في حجر جعفر البرمكي(٣).

وقدمت بعض المصادر الأدبية أخباراً عن تأديب المأمون وصباه، حيث كانت هذه الأخبار أقل مما ورد عن الأمين، وتفاوتت بين الإيجابية والسلبية؛ فقد أشار البيهقي، والأصفهاني، والخطيب إلى أن أبا محمد اليزيدي(٤) أدَّب المأمون، وكان اليزيديٌّ يضربه إذا تكاسل عن التعلم، وأورد قصة تعكس موقفاً واعياً ومتزناً للمأمون في فترة صباه حين ضربه اليزيدي، ولم يخبر أحداً بذلك(٥)، وتشير رواية للحصري القيرواني أن المأمون كان مهتماً بالقراءة والتعلم منذ صغره، حيث بالغت

---

(١) ابن أعثم، الفتوح، ج٨، ص٤١٨ (الهيثم بن عدي)، البيهقي، المحاسن، ج٢، ص٤٠٢ (دون)، المسعودي، مروج، ج٤، ص٢١٢ (دون)، التنوخي، الفرج، ج٣، ص١٦١-١٦٥ (الأصمعي)، أشار التنوخي إلى أن الرشيد طلب من الأصمعي ان يعلم الأمين العلوم الدينية واللغوية، وخاصة الخطابة، فكان يدربه على الخُطَب، انظر ابن حمدون، التذكرة، ج٣، ص٣٤٨ (دون).

(٢) الجهشياري، الوزراء، ص١٢٤ (دون)، ابن خلكان، وفيات، ج٤، ص٢٨، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢٤، ص٦٧.

(٣) البيهقي، المحاسن، ص٤٠٢ (قيل)، ابن خلكان، وفيات، ج٤، ص٢٨ (دون).

(٤) هو يحيى بن المبارك أبو محمد العدوي اليزيدي المقرئ صاحب أبي عمرو بن العلاء البصري، سكن بغداد، وحدَّث بها وهو مولى بني عدي. لقب باليزيدي؛ لأنه كان منقطعاً ليزيد بن منصور الحِمْيَري، اتصل بالرشيد، وجعله مؤدبَ المأمون، الخطيب، تاريخ بغداد، ج١٤، ص١٤٦-١٤٧.

(٥) البيهقي، المحاسن، ج٢، ص٤٠٦ (أبو محمد اليزيدي)، الأصفهاني، الأغاني، ج٢٠، ص٣٧٣ (اليزيدي)، الخطيب، تاريخ بغداد، ج١٠، ص١٨٤-١٨٥ (اليزيدي)، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٣٣، ص٢٨٤ (اليزيدي)، ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص١٤٩ (اليزيدي)، الأذكياء، ص٢٢٦ (اليزيدي).

الرواية في وصفه بالحكمة وبعد النظر(١).

واهتمت المصادر الأدبية بتصوير علاقة الرشيد بابنه المأمون في فترة صباه، فقد ذكر ابن عبد ربه، والقالي أن الرشيد عاقب المأمون بالضرب بالمقارع؛ لأنه غمز إحدى جواري أبيه على مرأى منه(٢)، في حين ذكر الخطيب البغدادي موقفاً مغايراً لذلك، وأنه دفع له تلك الجارية ليأخذ منها حاجته(٣). في حين بالغ الراغب الأصفهاني بالإشارة إلى تبادل الرشيد والمأمون الشتائم والقذف(٤). ويفسر البعض هذه الأخبار بأنها جاءت بعد اضطهاد المأمون للناس والفقهاء بسبب تبنّيه فكر المعتزلة(٥).

وأورد الطبري خبراً له دلالة خاصة، يتضمن سؤال الرشيد ـ بحضور ولديه الأمين والمأمون ـ للمفضّل الضّبّي(٦) عن الضمائر الموجودة في كلمة "فسيكفيكهم"(٧)

(١) الحصري القيرواني، زهر الآداب، ج١، ص١٨٤ (دون).

(٢) ابن عبد ربه، العقد، ج٥، ص١٢٠ (دون)، انظر القالي، الامالي، ج١، ص٢٢٥ (منصور البرمكي).

(٣) الخطيب، تاريخ بغداد، ج١٠، ص١٨٥ (منصور البرمكي).

(٤) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، ج١، ص٤٠٠ (دون)، سب الرشيد المامون، وقال له: ابن الزانية، فرد عليه المامون، وقال لأبيه: الزانية لا ينكحها إلا زان.

(5) Tayeb EL Hibri ،Harun Al Rashid ،p. 89.

(٦) هو المفضل بن محمد بن يعلي الضبي الكوفي، رواية للأخبار، موثق في روايته، قدم بغداد أيام الرشيد والتقى به. الخطيب، تاريخ بغداد، ج١٣، ص١٢١-١٢٢ (دون)، لم يشر الخطيب إلى تاريخ وفاته، حيث اختلفت المصادر حول ذلك، اشار ابن النديم إلى لقاء الضبي بالمهدي فقط، الفهرست، ص٧٥، أما المصادر المتأخرة، فقد اعتبر بعضها أنه توفي في سنة ١٦٨هـ مثل الذهبي، تاريخ، ج١٠، ص٤٧١، ابن الجزري، غاية النهاية، ج٢، ص٣٠٧، ابن حجر العسقلاني، الميزان، ج٦، ص١١٠. واشار احمد محمود شاكر وعبد السلام هارون محققا كتاب الضبي "المفضليات" أنه توفي سنة ١٧٨، مستندين إلى الطبري، الذي أورد عنه أخباراً في سنة ١٧٦هـ. انظر تاريخ الطبري، ج٨، ص٢٤٤، وأن ما أورده الآخرون خطأ تناقله بعضهم عن بعض نتيجة التصحيف، انظر الضبي، المفضليات، تحقيق أحمد محمود شاكر وعبد السلام هارون، ص٢٥-٢٦.

(٧) الآية ١٣٧ من سورة البقرة: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

فأجاب الضبيُّ الرشيدَ، فأعاد الرشيدُ الإجابةَ على ابنه الأمين، وطلب منه أن يعيدَها ليتفهَّمها(١).

قد يُفسر هذا الخبر بوجود اتجاه ضمني للتضامن مع الأمين(٢)؛ لأن هذه الكلمة كانت جزءاً مِنْ آية سالت عليها دماءُ الخليفة المقتول عثمان بن عفان(٣) وأن الراوي أراد التشبيه بين مقتل الخليفتين (عثمان والأمين) وأنه كان ظلماً. وفي الوقت نفسه يشكك الباحث الهبري في الرواية معتبراً أن الضبي توفي سنة ١٧٠هـ، ٧٨٦م، وهي السنة نفسها التي ولد فيها الأمين والمأمون، وهو يرى أن هذه الرواية قُدمت وفق منطق موجه ومنظم، ولم يكن نقلا عشوائياً(٤).

وقدمت المصادر التاريخية والأدبية أحلاماً ورؤى وتنبؤاتٍ تتعلّق بمصير الأمين، حيث جاءت بشكل يثير التعجب والاستغراب، وعدم الخضوع للمنطق؛ ممَّا يُبعد عنها صفةَ الخبر التاريخي الذي يمكن الاعتماد عليه، ولكن مثل هذه الأحلام لها دلالات تاريخية، وتعكس في الوقت نفسه الأساليب التي أثَّرت على الكتابة التاريخية حول خلافة الرشيد وأبنائه.

فقد أورد كلٌّ من الدينوري، وابن أعثم، والبيهقي، والمسعودي حلماً لزبيدة أم الأمين تضمَّن مجيء عددٍ مِنَ النساء يخبرنها أثناء حملها بمصير الأمين السيئ والمأساوي قبل أن يُولَد، ووصفنه بأسوأ الأوصاف؛ مثل الغدر والتبذير والإسراف وقصر العمر، وأنه سيُزال عن عرشه، وأنه سينهزم في الحرب، ولكن هذه المصادر التي روت هذا الحلم اختلفت مِنْ حيثُ كيفيةُ إيراده؛ فقد جاء عند الدينوري برواية خالصة جارية زبيدة للكسائي مؤدب الأمين(٥)، وعند ابن أعثم والبيهقي

(١) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٣٦١ (المفضل الضبي)، التوحيدي، البصائر، ج٥، ص٤٨ (المفضل الضبي).

(2) Tayeb EL Hibri ،Harun Al Rashid ،p89.

(٣) انظر الطبري، تاريخ، ج٢، ص٣٨٤.

(4) Tayeb EL Hibri ،Harun Al Rashid ،p89.

(٥) الدينوري، الأخبار الطوال، ص٣٥٤-٣٥٥ (خالصة للكسائي).

برواية خالصة للأحمر النحوي(1) مؤدب الأمين(2)، وعند المسعودي عن جماعة ممن اعتنى بأخبار العباسيين؛ كالمدائني والعتبي وغيرهما(3).

ويلحظ أن الصفات التي قدمت للأمين مبالَغٌ فيها كثيراً، كما أنها وصفت فترة خلافته وما جرى له فعلاً في نهاية حربه مع أخيه، ويرى الدوري أن بعض المؤرخين لجؤوا إلى الأساطير لإسناد الضعف للأمين. وما قصة حلم زبيدة إلا تحزُّبٌ وتضليل متطرف(4)، ويرى الهبري أن بناء مثل هذه المجموعة مِنَ الروايات التي تحمل طابعاً تقديسياً، والتي تتنبأ بسقوط الأمين، كانت إحدى أدوات التأريخ الرئيسة التي استخدمت لتفسير مقتله، ويلحظ الهبري وجود تشابه بين صيغة بعض جمل حلم زبيدة ودعاء الرشيد عند الكعبة(5) من حيث الأسلوب واللغة(6) وأنه أراد القول: إن كلا الخبرين ألَّفهما راوٍ واحد، وهذا ما تراه الدراسة.

كما ترد وتتكرر مثل هذه التنبؤات في قصة أخرى وردت عند المصادر السابقة

---

(1) هو خلف بن حيان بن محرز البصري المعروف بالأحمر، أبويه من موالي بلال بن أبي بردة، راوية للأخبار تتلمذ على يديه الأصمعي من أعلم الناس بالشعر ومن أفصح أهل البصرة، ابن النديم الفهرست، ص55-56 ياقوت، معجم الأدباء، ج3، ص1254-1257. وترجم له الخطيب بأنه علي بن المبارك الأحمر النحوي صاحب الكسائي ومؤدب الأمين متقدم في حفظ الشعر وغريبه، الخطيب، تاريخ بغداد، ج12، ص104.

(2) ابن أعثم، الفتوح، ج8، ص419-420 (خالصة للأحمر النحوي)، البيهقي، المحاسن، ج2، ص403-404 (خالصة للأحمر النحوي).

(3) المسعودي، مروج، ج4، ص261-262 (جماعة من الإخباريين ممن عني بأخبار العباسيين كالمدائني والعتبي وغيرهما)، انظر ابن بدرون، شرح قصيدة ابن عبدون، ص243-244 (قيل).

(4) الدوري، العصر العباسي، ص143-144.

(5) الطبري، تاريخ، ج8، ص354-355 (عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عبد العزيز العمري).

(6) Tayeb EL Hibri ، Harun Al Rashid ، p63.

نفسها ـ الدينوري، ابن أعثم، البيهقي، المسعودي[١] ـ ولكن هذه المرة جاءت التنبؤات على لسان الرشيد، ولم يتنبأ فقط بمصير الأمين، بل تنبأ بمستقبل العلاقة بين الأخوين ومصيرهما.

فقد أوردوا جميعاً أن الرشيد طلب مِنَ الكسائي أن يختبر ولديه الأمين والمأمون، فأجاب كلاهما إجابة حسنة عمَّا سُئل عنه دون أن يتميز أحدهما عن الآخر، فأُعجب الرشيدُ منهما، وضمَّهما وبكى، قائلاً للكسائي، ومتنبئاً بمصيرهما، وبالحرب الأهلية، والفتنة التي ستنشب بينهما، وما سيُسفك فيها مِنَ الدماء؛ فسأله الكسائي عن مصدر تنبؤاته إن كانت مِنَ المنجمين أم مِنَ العلماء؛ فأجاب الرشيد: إنه جاء بذلك العلماء عن الأوصياء عن الأنبياء. وينفرد الدينوري بالإشارة إلى أن الرشيد سمع بذلك عن موسى بن جعفر بن محمد (الكاظم)[٢].

يلحظ من خلال هذا الخبر أن الخليفة الرشيد كان قادراً على التنبؤ بالمستقبل، وأنه استند في ذلك إلى مصادرَ مقدسةٍ تحمل خلفيةً شيعيةً لا يمكن التشكيكُ فيها ـ حسب نص الرواية ـ وأن ذلك المصير كان نتيجة القدر الذي كُتب عليهما، والصادر عن المشيئة الإلهية، وأنهما كانا أسيرين لذلك القدر الذي لم يكن بمقدور الأمين والمأمون، أو الرشيد وزبيدة أن يبعدوه، فقد ورد في قصة حلم زبيدة وعلى لسانها " هل يدفع الإشفاق والحذر والاحتراز واقع القدر، أو يقدر أن يدفع عن أحبابه الأجل"[٣]، وفي قصة تنبؤ الرشيد حين قال " كأنكم بهما وقد حُمَّ

---

(١) الدينوري، الأخبار الطوال، ص٣٥٥-٣٥٦ (الأصمعي)، ابن أعثم، الفتوح، ج٨، ص٤١٦-٤١٨ (الكسائي)، البيهقي، المحاسن، ج٢، ص١٣٩-١٤٤ (الكسائي)، المسعودي، مروج، ج٤، ص٢١٠-٢١٢ (الكسائي)، ابن حمدون، التذكرة، ج٩، ص٢٩١-٢٩٢ (الكسائي)، الزمخشري، ربيع، ج٣، ص٥٥٣-٥٥٥ (الكسائي)، الأبشيهي، المستطرف، ج٢، ص١٥٧-١٥٨ (الكسائي).

(٢) الدينوري، الأخبار، ص٣٥٥-٣٥٦ (الأصمعي)، حيث انفرد عن الآخرين بإسناد للأصمعي.

(٣) المسعودي، مروج، ج٤، ص٢٦٢، (العتبي والمدائني) انظر البيهقي، المحاسن، ج٢، ص ٤٠٤.

القضاء، وأنزلت مقادير السماء، وبلغ الكتابُ أجلَه"(١)، بمعنى أن الراوي تحاشى تحميل المسؤولية لأحد؛ سواء الأولاد أم الآباء(٢).

ويرى بعض الباحثين أن مثل هذه القصص (الأحلام والرؤى) تشكل صدى دعايةٍ مضادةٍ أثيرت أثناء الصراع بين حزبي الأمين والمأمون، أو بعد انتهائه؛ بهدف الإساءة إلى الأمين، وتحسين موقف المأمون في نظر العامة(٣)، وأن هذا الأمر استمر إلى أيام الأمين نفسه. ويرد ذلك في قصص الطبري والمسعودي، التي تتحدث عن مجريات الحرب الأهلية.

ويربط الهبري بين تلك الأخبار وقصة حلم زبيدة، ويرى أن جميعها صِيغَتْ من قبل الرواة أنفسهم، الذين كانوا يتشاركون في عملية التأليف(٤). ولا يستغرب الدوري هذه التشويهات، ويرى أن للدعاية أهميةً في تلك الفترة، وخاصة أن المأمون استخدمها بكل مهارة(٥).

- بيعة الرشيد لأولاده بولاية العهد:

اهتمت كثير مِنَ المصادر التاريخية بتناول أخبار بيعة الرشيد لأولاده الأمين والمأمون والمؤتمن، فقد كان الرشيد بايع لابنه محمد الأمين، ثم للمأمون، وفيما بعد أضيف القاسم (المؤتمن) ولياً ثالثاً للعهد. وقد اختلفت المصادر حول زمن ذلك وكيفية معالجتها لهذه القضية.

- بيعة محمد الأمين

اتفقت معظم المصادر التاريخية - مثل اليعقوبي، والطبري، والأزدي وغيرهم - على أن الرشيد بايع ابنه محمداً الأمين سنة ١٧٥هـ وعمره خمس سنوات ولقّبه

(١) المسعودي، مروج، ج٤، ص٢١٢ (الكسائي)، البيهقي، المحاسن، ج٢، ص١٤٤ (الكسائي).

(2) Tayeb EL Hibri, Harun Al Rashid, p33.

(٣) عبد المنعم رشاد، الأمين الخليفة المفترى عليه ١٣٥-١٣٦.

(4) Tayeb EL Hibri, Harun Al Rashid, p65.

(٥) الدوري، العصر العباسي الأول، ص١٤٤.

بالأمين[(١)]. لكن الطبري انفرد بالإشارة إلى أن الرشيد كان قد عهدَ لابنه محمد سنة ١٧٣هـ، ٧٨٩م، وسماه الأمين، ثم ضمَّ إليه الشام والعراق سنة ١٧٥هـ، ٧٩١م[(٢)]. وعلى الرغم من انفراد الطبري بذلك، إلا أنه لم يتفق معه أحدٌ مِنَ المؤرخين المتقدمين أو المتأخرين على ذلك.

وتفاوتت تلك المصادر في إيراد دوافع الرشيد للبيعة لمحمد الأمين سنة ١٧٥هـ، ٧٩١م؛ فاليعقوبي لم يعلل ذلك، وأورد خطبةً لعبد الصمد بن علي يبارك البيعة، ودافع عن صِغَرِ سن الأمين؛ لأنه من الشجرة المباركة[(٣)]، في حين أن الطبري أشار ـ من خلال رواية رَوْح مولى الفضل بن يحيى البرمكي ـ إلى دور بني هاشم المتمثل بطلب عيسى بن جعفر ـ أخي زبيدة وخال الأمين ـ من الفضل البرمكي أن يتدخل لدى الرشيد لمبايعة محمد رغم صغر سنه وفتوة الرشيد؛ فهل يدل هذا على نوع من الصراع. وفي محاولة تسويغ الأمر أشارت الرواية إلى وجود خطر يتهدد خلافة الرشيد مِنْ جماعة مِنَ العباسيين طمعوا في الخلافة؛ لأن الرشيد لم يكن له وليٌّ عهد[(٤)]، وبذلك أوجدت رواية روحٍ مسوِّغاتٍ ضعيفةً مِنْ إشراك الفضل البرمكي، وإظهاره بمظهر الحريص على ذلك.

وفي رواية أخرى للطبري قُدمت مسوغاتٌ أضعفُ، حيث نسبت فضل هذه

---

(١) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٤٠٨ (دون)، الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٤٠ (دون)، الأزدي، تاريخ الموصل، ص٢٧٤ (دون)، مجهول، العيون، ج٣، ص٢٩٢ (دون)، المقدسي، البدء، ج٦، ص١٠٦ (دون)، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٥٦، ص ٣٢٨ (إسماعيل بن علي الخطبي)، ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص٩ (دون)، ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص١٢٢ (دون)، الذهبي، سير، ج٩، ص٣٣٥، تاريخ، ج١١، ص١١، ابن كثير، البداية، ج١٠، ص١٧٠.

(٢) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٧٥ (فيما ذكر محمد بن يزيد عن إبراهيم بن محمد الحجبي).

(٣) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٤٠٨ (دون).

(٤) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٤٠ (روح مولى الفضل بن يحيى البرمكي)، مجهول، العيون، ج٣، ص٢٩٢ (دون)، ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص١٢٢ (دون).

البيعة إلى الفضل بن يحيى البرمكي، الذي أعلن البيعة للأمين في خراسان سنة ١٧٥هـ، ٧٩١م بعد أن وزع الأموال، فبايع أهلُ خراسان له وسمّاه الفضلُ الأمينَ. ويظهر الرشيد في هذه الرواية وكأنه لا يعلم بذلك، وأنه حين سمع بما حصل في خراسان بايع لمحمد[١]. وهذا يصعُب قبولهُ؛ فالفضل لم يتولَّ خراسان سنة ١٧٥هـ، ٧٩١م حسب رواية الطبري نفسه؛ لأن الرشيد في هذا العام ولّى خاله الغطريفَ بنَ عطاءٍ خراسانَ[٢].

ثم يذكر الطبري أنه في سنة ١٧٦هـ، ٧٩٢م ولّى الفضلَ البرمكي كُوَرَ الجبال والرّيّ وجرجان وطبرستان والقُومس؛ بهدف متابعة يحيى بن عبد الله العلوي وملاحقته، وأنه انشغل في ذلك[٣]، وأنه لم يُوَلِّ الفضل البرمكي خراسان إلا سنة ١٧٧هـ، ٧٩٣م[٤].

وانفرد ابن الجوزي بالتعليق على بيعة الرشيد للأمين سنة ١٧٥هـ، ٧٩١م والسبب الذي دفعه لذلك، حيث قدَّم لنا رأيه بقوله: "فقدمه على المأمون، والمأمونُ أكبرُ منه؛ لأن أمه زبيدة". إضافة إلى ذلك قدم ابن الجوزي روايةً لأبي بكر الصولي تشير إلى أن الرشيد كان قد بايع للأمين بسبب ضغوط بني هاشم وزبيدة عليه، وأنه كان يدرك أن المأمونَ أفضلُ منه، وعدَّد الصفات الحسنة التي كان يتمتع بها المأمون، والسيئة التي يتصف بها الأمين[٥]، فقد بالغ في الصفات التي قدَّمها للأخوين، وخاصة الأمين حين وصفه بأنه مشارك للنساء والإماء في رأيه،

(١) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٤٠-٢٤١ (محمد بن الحسين بن مصعب) الجهشياري، الوزراء، ص١٢٤ (محمد بن الحسين بن مصعب)، مجهول، العيون، ج٣، ص٢٩٢ (دون).

(٢) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٤١ (دون).

(٣) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٤٢ (دون).

(٤) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٥٥ (دون).

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص٩ (دون)، انظر الحصري القيرواني، زهر الآداب، ص٥٨١، ابن كثير، البداية، ج١٠، ص١٧٠-١٧١.

وهذا غير ممكن؛ لأن الأمين لم يتجاوز بعدُ سِنّ الخامسة. ومع أن هذه الرواية ليس هنا مكانها، وسترد عند مصادر أخرى في فترة متأخرة، إلا أن ابن الجوزي استبق الأحداث، وأبدى رأيه، وأتى بهذه الرواية لدعم رأيه بجمع الأخبار التي تؤيد وجهة نظره، بغضّ النظر عن دقتها وموضوعيتها. وهذا يدخل في باب الدعاية المأمونية ضد الأمين التي أُعدت لاحقاً.

وأشار ابن عبد ربه إلى أصداء تلك البيعة لدى الشعراء، وموقف زبيدة المتّسم بالفرح، ومنح الصلات العظيمة، وأورد قصة أحد الشعراء الذي ملأت زبيدة فمه بالدُّرّ حين مدح بيعة الرشيد لولدها(١). وانفرد ابن خلكان بالإشارة إلى الشاعر أبي السري الذي زعم أن الجن بايع للأمين بن هارون كولي عهد فقربه الرشيد(٢). ويبدو أن هذا الخبر الموضوع جاء كناية عن مدى انتشار خبر بيعة الأمين وأن جميع المخلوقات قد رضيت بتلك البيعة حتى الجن منهم.

- بيعة عبد الله المأمون

وأشارت المصادر التاريخية - كالدينوري، واليعقوبي، والطبري، وابن أعثم، والجهشياري، والمسعودي - إلى مبايعة الرشيد للمأمون سنة ١٨٢هـ، حيث أضافه ولياً ثانياً للعهد بعد أخيه الأمين، واتفقت هذه المصادر على تاريخ البيعة، الذي كان سنة ١٨٢هـ، ٧٩٨م، لكنها اختلفت حول التفاصيل ومسوّغات البيعة؛ فاليعقوبي لم يشر إلى الأسباب التي دفعت الرشيد لبيعة المأمون، بل قدّم مفاضلةً بسيطة بين الأمين والمأمون مِنْ حيثُ الألقاب، ومِنْ حيثُ مدى استيعابهم للدروس، وكان المأمون هو الأفضلَ والأسرع في الحفظ(٣). في حين أن الطبري لم

---

(١) ابن عبد ربه، العقد، ج١، ص٣١٣-٣١٤ (العتبي)، ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص١٢٣، انظر: الأصفهاني، الأغاني، ج١٩، ص١٨٥، الخطيب، تاريخ بغداد، ج٩، ص١٣٨.

(٢) ابن خلكان، وفيات، ج٥، ص٢٢١ (دون).

(٣) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٤١٥ (دون).

يقدم أسباب بيعة الرشيد للمأمون، لكن أشار إلى الإجراءات التي تَبِعت بيعتَه، وضمَّه لجعفر بن يحيى البرمكي، وتوليتَه خراسان، وما يتصل بها إلى همذان، وسماه الرشيدُ بالمأمون(١).

وقدم الدينوري، وابن أعثم، والمسعودي أسباب بيعة الرشيد للمأمون، وجميعُهم استندوا إلى رواية الأصمعي؛ فقد ذكروا أن الرشيد استشار جعفر بن يحيى البرمكي - باستثناء الدينوري، الذي ذكر أنه استشار الفضل بن الربيع - وأنه أراد تصحيح أمر البيعة؛ لأنه لمس مساوئ الأمين؛ مثل الانقياد لهواه والتبذير، في حين وجد في المأمون صفات إيجابية - وذكرها - فرغب الرشيد بإشراكه مع الأمين في ولاية العهد؛ موضحاً أنه يخشى من بني هاشم إذا مال للمأمون، ومِنْ ظلم الناس إذا أفرد الأمر للأمين؛ فاتفق الرشيد مع جعفر على العهد للمأمون بعد الأمين، وتقدِّمُ الروايةُ اعتراضَ الأمين على خطوة أبيه، فقدم الرشيد له سبباً آخر غير الذي ذكره للبرمكي، وهو خشيته مِنَ الزمان والناس أن يفرقا كلمته وكلمة أخيه، كما أشارت الرواية إلى سبب ثالث للرشيد حين اعترضت زبيدة على بيعة المأمون، وخاصة حين قسم الدولة وجرّد الأمين من الجند والسلاح، واحتجاج الرشيد بخشيته من ابنها الأمين على أخيه المأمون(٢). وانفرد الدينوري، والمسعودي عن المصادر السابقة بأنهما أشارا إلى أسباب الرشيد في تولية المأمون، وهي الصفات الحسنة التي وجدها في المأمون؛ مثل الحزم والنُّسُك وعزة النفس والشجاعة.

وبالغ الجهشياري بدور جعفر البرمكي في تولية المأمون العهد، وأثره على

---

(١) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٦٩ (دون)، الأزدي، تاريخ الموصل، ص٢٩٣ (دون)، مجهول، العيون، ج٣، ص٣٠١، ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص٦٦ (دون)، الأربيلي، خلاصة، ص١٢٧؛ ابن العبري، تاريخ، مختصر، ص١٢٩، الذهبي، تاريخ، ج١٢، ص٩، ابن كثير، البداية، ج١٠، ص١٨٦.

(٢) الدينوري، الأخبار، ص٣٥٦ (الأصمعي)، ابن أعثم، الفتوح، ج٨، ص٤١٣-٤١٥ (الأصمعي)، المسعودي، مروج، ج٤، ص٢١٣-٢١٤ (الأصمعي).

الرشيد، وحمله بالعهد إليه(١).

وانفرد صاحب "الإمامة والسياسة" بتناول موضوع تولية الرشيد للأمين والمأمون ولايةَ العهد، من خلال تفاصيلَ مختلفةٍ تماماً عمَّا ورد عند بقية المؤرخين فيما يخص التاريخ والكيفية، ولكنه اتفق معهم في إيراد الأسباب التي جعلته يختار المأمون؛ فقد أورد صاحب "الإمامة" أن الرشيد بدأ يفكِّر بالعهد لأولاده لأول مرة سنة ١٩٤هـ، ٨٠٩م، مع العلم أن الرشيد توفي سنة ١٩٣هـ، ٨٠٨م بعد أن مرض، ولم يجد أملاً في الشفاء، فأعلن البيعة لابنه المأمون ثم الأمين، فاعترضت زبيدة لمَّا علمت بذلك، فأوضح لها أن ابنها محمداً ليس أهلاً للخلافة، وتحاجَّا في ذلك، فأثبت لها الرشيد من خلال امتحان الأمين والمأمون، وإثباته من خلال سلوكيات وأقوال الولدين أن المأمون هو الأفضل؛ فقد ظهر المأمون في الخبر بشكل مثالي، في حين صوَّر الأمينُ بالأبله المتكبِّر الذي لا يجرؤ على طرح السلام وظهر الأمين أيضاً في الخبر بأنه الأكبر سناً بين أولاد الرشيد حين قال "وأنا أسنُّ ولدك" وهذا مستغربٌ، فاقتنعت زبيدة برأي الرشيد وصمتت(٢).

يلحظ أن هذه الرواية ناقضت ما جاء في المصادر الأخرى واختلفت معها في عدة أمور؛ ففي الوقت الذي أشارت فيه معظم المصادر التاريخية أن فكرة ولاية العهد كانت مختمرةً في ذهن الرشيد منذ السنوات الأولى لخلافته، جاء صاحب "الإمامة" ورأى أن الرشيد بدأ يفكر بذلك حين قَرُبَ أجلُه، وذكر أن ذلك حصل سنة ١٩٤هـ، ٨٠٩م، وذكر ذلك كتابة (أربع وتسعين ومئة)؛ أي: لا مجال لخطأ النُّسَّاخ. وهذا مخالفٌ لِما جاء عند بقية المؤرخين؛ حيث إن الرشيد توفي سنة ١٩٣هـ، ٨٠٨م.

كما أن التناقض في الرواية يكمُن في المبالغة في تشويه الأمين، ووصفه بعدم

(١) الجهشياري، الوزراء، ص١٣٥ (دون).

(٢) مجهول، الإمامة والسياسة، ج٢، ص١٧٣-١٧٤ (دون).

أهليته للخلافة بقول الرشيد لزبيدة: "ليس ابنك يا زبيدة أهلاً للخلافة". إلا أن الرشيد وضعه ولياً ثانياً للعهد بعد المأمون. وهذا أيضاً يثير الاستغراب؛ لأن المصادر الأخرى اتفقت جميعها على أن الرشيد عهِدَ للأمين أولاً ثم للمأمون، وليس العكس. وهذا يشير بوضوح إلى تأثر الرواية بتيار الدعاية المأمونية الموجهة ضد الأمين، إلا أن هذا التيار غالى في دعايته تلك.

واهتم كلٌّ من التوحيدي، وابن حمدون بإبراز موقف زبيدة المعارض من بيعة المأمون، في الوقت نفسه كان الرشيد يقدم ردوداً تثبت لزبيدة بأن المأمون أفضل من ولدها(١). كما اهتمت بعض المصادر ـ وخاصة الأدبية؛ مثل ابن المعتز، وابن عبد ربه، والأصفهاني ـ بإيراد أشعار تبالغ في مدح بيعة الرشيد للأمين والمأمون(٢).

مما سبق يلحظ اتفاق معظم المصادر التاريخية والأدبية ـ التي تطرقت لأسباب تولية الرشيد للمأمون بعد أخيه ـ على إبراز صورة سيئة للأمين، وإذا لم تبرزها كانت تبرز صورة المأمون المثالية والإيجابية التي تؤهله للحكم، وبالغت تلك المصادر في ذلك، لدرجة أن المأمون أصبح هو الأحقّ والأنسب لهذا المنصب دون أخيه، ولكن هذا ما لم يحصل، وأبقى الرشيدُ الأمينَ ولياً أول للعهد، وكانت تلك الأخبار غير صحيحة؛ فلو أن الرشيد كان مقتنعاً بما يقوله ـ حسب ما أوردت المصادر ـ لجعل المأمون مكان الأمين، وربما استبعد الأمين من خيارات ولاية العهد، ويرى الدوري أن الرأي الذي تردده المصادر مِنْ أنَّ انحلال أخلاق الأمين ونُبل المأمون دفع الرشيد إلى البيعة للمأمون هو أمر فيه نظر؛ لأن كلا الأميرين كانا آنئذ حَدَثَيْن صغيرا السن، ولم تظهر مزاياهما بكاملها في ذلك الوقت(٣)، حيث لم

(١) التوحيدي، البصائر، ج٤، ص٤٣ (دون)، ابن حمدون، التذكرة، ج٨، ص٢٣٩ (دون).

(٢) انظر: ابن المعتز، طبقات الشعراء، ص١٤٩-١٥٠ (دون)، الطبري، تاريخ، ج٨، ص٣٦٢-٣٦٣، ابن عبد ربه، العقد، ج١، ص٣١٠ (دون)، الأصفهاني، الأغاني، ج١٨، ص٤٠٨ (سعيد بن هريم)، الحصري، القيرواني، زهر الآداب، ص١٠٨٨.

(٣) الدوري، العصر العباسي الأول، ص١٣٨-١٣٩.

يتجاوزا الثانية عشرة من عمرهما.

وفي أحداث سنة ١٨٦هـ، ٨٠٢م تشير المصادر إلى خبر مهم يتعلق بتطورات بيعة الرشيد لولديه الأمين والمأمون؛ فقد أشارت معظم المصادر التاريخية إلى أن الرشيد حج في تلك السنة واصطحب معه ولديه الأمين والمأمون. وفي حدثٍ احتفاليٍّ كتب فيه لهما في الكعبة كتب العهد تأكيداً وتثبيتاً لبيعتهما السابقة سنة ١٨٢هـ، ٧٩٨م. وتكمن أهمية هذا الحدث لِمَا نتج عنه مِنْ كتابة العهد، والذي أشارت إليه معظم المصادر، لكن بعض هذه المصادر أورد نصوص تلك العهود (الكتب) والبعض لم يوردها، كما أن بعض هذه المصادر أشار إلى بيعة الرشيد للقاسم (المؤتمن)، وبأنها جاءت ضمن كتب العهد كما هو مبين في الجدول التالي:

كتب العهود بين أولاد الرشيد سنة ١٨٦هـ

المصدر	الإسناد	التاريخ	ورود نصوص العهد / كيفية كتابتها	الإشارة لبيعة المؤتمن	ملاحظات / تفاصيل	التوثيق
خليفة بن خياط	دون	١٨٦هـ	ـ كتب الرشيد بين ولديه محمد وعبد الله كتاباً (واحداً) فيه شروط بينهما وعلّقه في الكعبة، لم يورد نص الكتاب	لم يشر إليها	اختصار شديد	تاريخ خليفة ص٤٥٧
الأزرقي	دون	١٨٦هـ	ـ كتب وليا العهد كل واحد منهما على نفسه كتاباً (كتابين) للرشيد، أورد نصين كاملين؛ الأول: كتبه محمد الأمين على نفسه بما ولاه الرشيد، والثاني: كتبه المأمون على نفسه، وعلقا في الكعبة	لم يشر إليها	ـقدم تفاصيل عن أعطيات الرشيد في المدينة	أخبار مكة ج١، ص٢٣٥-٢٤١
ابن قتيبة	دون	١٨٦هـ	ـ كتب الرشيد لكل واحد منهما كتاباً (كتابين) على صاحبه وعلقه في الكعبة لم يورد نصهما	لم يشر إليها	اختصار شديد	المعارف ص ٣٨١
البسوي	دون	١٨٦هـ	ـ كتب الرشيد (كتابين) لم يحدد مضمونهما وأين وضعا ولم يورد نصهما	لم يشر إليها	اختصار شديد	المعرفة، ج١، ص١٧٨
الدينوري	دون	١٨٦هـ	ـ كتب الرشيد بين ولديه كتاباً (واحداً) بولاية العهد لمحمد ومن بعده للمأمون وعلق الكتاب في الكعبة ولم يورد نصه.	لم يشر إليها	اختصار شديد	الأخبار الطوال، ص٣٠٤ تاريخ، ج٢، ص٤١٥، ٤٢١
اليعقوبي	دون	١٨٦هـ	ـ أملى الرشيد على محمد كتاب الشرط على نفسه، وأملى على المأمون، وأحلفهما على ما فيهما (كتابين). ـ أورد نص الكتابين كاملين، وأشار إلى تعليقهما في الكعبة.	لم يشر إليها	أشار إلى أعطيات الرشيد في المدينة	تاريخ، ج٨، ص٢٧٥، ٢٨٦.
الطبري	محمد بن يزيد التميمي وإبراهيم ابن محمد الحجبي	١٨٦هـ	ـ كتب الرشيد لعبد الله كتابين؛ الأول: كتبه محمد على نفسه بالشروط التي شرطها عليه لأخيه عبد الله ـ والثاني: كتبه عبد الله يتضمن شروط عبد الله على محمد ـ وكتاب ثالث فيه نسخة من البيعة التي أخذها على الخاصة والعامة، وجّهها الرشيد إلى عمال الدولة يخبرهم بمضمون البيعة وشروطها ـ أورد الطبري نصوص الكتب (الثلاثة) وأنها علقت في الكعبة.	أشار لبيعة المؤتمن في كتاب الأمين فقط ولم يشر لها في كتاب المأمون ولا في الكتاب الموجه للعمال	أشار إلى أعطيات الرشيد في المدينة	تاريخ، ج٨، ص٣٦٣، ٣٦٤.
ابن أعثم	دون	١٨٦هـ	ـ عهد للأمين والمأمون من بعده، وعهد للقاسم بعد تدخل أحد شيوخ بني هاشم، ثم كتب بذلك كتاباً مؤكداً بين الأخوة الثلاثة (لم يشر إلى تعليقه في مكة) ـ ثم أشار إلى عودة الرشيد للعراق فقسم المملكة بين الأخوة وكتب في العراق كتاباً مؤكداً على محمد وعبد الله وأشار لبعض مضامينه، ولم يورد نص ذلك الكتاب.	أشار إليها		الفتوح، ج٨، ص ٤٢٢.

المصدر	الإسناد	التاريخ	ورود نصوص العهد / كيفية كتابتها	الإشارة لبيعة المؤتمن	ملاحظات / تفاصيل	التوثيق
الجهشياري	دون	دون	– أشار إلى تأكيد الرشيد بيعة ابنيه وأخذ الأيمان لكل واحد منهما على صاحبه وعلى الناس لهما وأن الرشيد علق الكتب في البيت الحرام.	لم يشر إليها	أشار إلى أعطيات الرشيد في المدينة	الوزراء، ص ١٤٢.
		١٨٨هـ	– كتب الرشيد إلى جميع العمال بما عقد بين ولده محمد وعبدالله والقاسم وأخذ عليهم الأيمان وكتب بذلك كتاباً مشهوراً نسخه إسماعيل بن صبيح، لم يورد نصه.	لم يشر إليها	——	الوزراء، ص ١٧٢.
الأزدي	دون	١٨٦هـ	– حدد البيعة بمكة لمحمد وعبدالله، واستخلف كل واحد منهما على صاحبه، وكتب بينهما شروطاً وعلقها في الكعبة (لم يورد نصها).	لم يشر إليها	اختصار شديد	تاريخ الموصل، ص ٣٠٢.
الصولي	بعض ولد سعيد بن سلم	دون	– عقد الرشيد لولديه البيعة، وكتب بينهما كتاباً (واحداً) علقه في الكعبة، لم يورد نصه.	لم يشر إليها	اختصار شديد	أشعار أولاد الخلفاء، ص ٨٧.
المسعودي	دون	١٨٦هـ	– كتب الشرطين بين وليي عهده الأمين والمأمون، وعلقهما بالكعبة، لم يورد نصهما.	لم يشر إليها	اختصار شديد	التنبيه، ص ٣٤٥؛ مروج ج٤، ص ٢١٤–٢١٥.
المقدسي	دون	دون	– حج الرشيد بابنيه، وكتب كتاباً بالعهد والبيعة للأمين وبعده المأمون، وعلقه في الكعبة، لم يورد نصه.	لم يشر إليها	اختصار شديد	البدء، ج٦، ص ١٠٦.
مجهول	دون	١٩٤هـ	– لم يشر إلى كتابة العهود، بل ذكر ان الرشيد بايع المأمون ثم الأمين سنة ١٩٤هـ.	لم يشر إليها		الإمامة والسياسة، ج٢، ص ١٧٣–١٧٤.

من خلال الجدول السابق يلحظ اتفاق معظم المصادر على كتابة الرشيد للعهود بين ولديه في سنة ١٨٦هـ، وانفرد كلٌّ مِنَ الأزرقي، واليعقوبي، والطبري بإيراد نصوص تلك العهود، بحيث تشابه نصًّا الأزرقي واليعقوبي، واختلف نص الطبري عنهما؛ حيث انفرد الطبري بإيراد نص ثالث هو كتاب الرشيد للعمال يخبرهم بمضامين العهود والبيعة التي حصلت في تلك السنة.

ويلحظ من نص العهد الذي أورده الطبري وكتبه الأمين على نفسه الإشارة إلى بيعة القاسم (المؤتمن) كولي عهد ثالث، حيث أعطى حق خلعه للمأمون إذا ما أصبح خليفة[1]، وهذا ما لم يشر إليه الكتاب الثاني الذي كتبه المأمون وكتاب الرشيد إلى العمال ومن خلال الجدول، يلحظ أن الطبري، وابن أعثم هما الوحيدان اللذان أشارا إلى بيعة المؤتمن في عهود مكة سنة ١٨٦هـ، ٨٠٢م، كما أن الأزرقي واليعقوبي لم يشيرا إلى ذلك. وكان الطبري قد أشار في أحداث سنة ١٨٩هـ إلى تجديد البيعة في قرماسين[2] (عهد قرماسين)، حين خرج للريّ، وكان معه المأمون والقاسم، فأخذ البيعة للقاسم، وجعل أمر خلعه بيد المأمون، وجعل للمأمون الأموال والسلاح[3]. ويورد الطبري أن سبب تولية الرشيد للقاسم كان طلب عبد الملك بن صالح من الرشيد، فبايعه وولاه الجزيرة والثغور والعواصم[4]، وقد يكون هذا السبب مستبعداً؛ لأن العلاقة بين الرشيد وعبد الملك كانت متأزمةً، حيث حبسه الرشيد سنة ١٨٨هـ، ٨٠٣م، واتُّهمه بأنه يريد الإفساد بين ولديه الأمين

---

(١) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٨٠.

(٢) يشير الطبري إلى أنها بين جلولاء وحلوان على طريق الري، الطبري، تاريخ، ج٧، ص٤١٠، ج٨، ص٣١٥، وسماها ياقوت قرماسين، وحدد موقعها بأنها قرب الدينور، وبين همَذان وحلوان على طريق الحج، بينها وبين همَذان ثلاثون فرسخاً، ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٣٣٠.

(٣) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٣١٥-٣١٦ (دون).

(٤) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٧٦ (الحسن بن قريش)، الأزدي، تاريخ الموصل، ص٣٠٢-٣٠٣ (الحسن بن قريش)

والمأمون[١] فكيف يسمع الرشيد كلامه؟

وبناءً على ما سبق، فإن إدماج الطبري لعهد قرماسين، الذي حصل سنة ١٨٩هـ، ٨٠٤م، في نصوص عهود مكة التي كتبت سنة ١٨٦هـ، ٨٠٢م أمر مبتدَع؛ حيث يرى بعض الباحثين أن ذلك جاء لتسويغ تصرفات المأمون وإجرءاته تجاه الأمين[٢].

وأشار اليعقوبي إلى بيعة القاسم، وأنها حصلت سنة ١٨٩هـ[٣] دون الإشارة إلى مكانها (قرماسين). أما المسعودي فذكر أن بيعة القاسم كانت سنة ١٨٧هـ، ٨٠٢م[٤]، في حين أن المقدسي وقع في خلط الطبري، ورأى أن الرشيد بايع للقاسم سنة ١٨٦هـ، ٨٠٢م في عهدة مكة[٥]؛ مما يشير إلى أن الطبري كان مصدر المقدسي.

إن دراسة نصوص العهود التي كتبت في مكة سنة ١٨٦هـ والواردة في المصادر والموازنة بينها يبين الاختلاف الواضح بين نصي الأزرقي واليعقوبي من جهة ونص الطبري من جهة أخرى وخاصة كتاب محمد الأمين على نفسه.

إن الموازنة بين نصوص كتاب الأمين الذي أخذه على نفسه، والذي جاء في المصادر التي أوردته تشير إلى وجود فوارقَ كبيرةٍ: أُولى هذه الفوارق وجود زيادة في نص الطبري لم ترد لدى نسخة الأزرقي واليعقوبي - ستعتبرهما الدراسة نسخة واحدة وتنسبها إلى اليعقوبي - يتمثل ذلك في اختلاف لغة الخطاب لدى الطبري - في كتاب الأمين - ففي بدايته كانت صيغة الخطاب بضمير المتكلم: "ولأني العهد

(١) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٣٠٥، ٣٠٢-٣٠٦، انظر اليعقوبي، ج٢، ص٤٢٤-٤٣٤، عبد المنعم رشاد، الأمين الخليفة المفترى عليه، ص٢٠.

(٢) عبد المنعم رشاد، الأمين الخليفة المفترى عليه، ص٢٩

(٣) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٤٢٥ (دون)، الخطيب، تاريخ بغداد، ج١٢، ص٤٠٢ (إسماعيل ابن علي الخطبي)، انظر الأصفهاني، الاغاني، ج١٨، ص٤٦٣ (الفضل بن الربيع)، لم يحدد الزمان والمكان، ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص١٩٣ (دون).

(٤) المسعودي، مروج، ج٤، ص٢١٥ (دون).

(٥) المقدسي، البدء، ج٣، ص١٠٧، ابن العبري، تاريخ مختصر، ص١٢٩.

من بعده، وصيَّر البيعة لي.. برضا وتسليم مني.. إن لأخي عبد الله.. "[1]، ثم تحول الحديث إلى صيغة الغائب، وكأن المتكلم اصبح شخصاً آخرَ ليس الأمين، فذكر في النص نفسه: "فعلى محمد إنفاذ ما أمره به هارون... فليس لمحمد ابن أمير المؤمنين"[2]. واستمر ذلك إلى نهاية كتاب الأمين، في حين أن لغة الخطاب الذي أورده اليعقوبي كان بصيغة المتكلم، وكان يشير دائماً إلى أن الأمين يتحدث فيه عن نفسه[3]، مما يعني وجود تلاعب في صياغة النص الذي أورده الطبري[4].

كما يلحظ وجود زيادة في نص الطبري عن اليعقوبي فيما يتعلق بشروط وفاء الأمين للمأمون، وخاصة ممتلكاته، وسلطته في خراسان، فعلى الرغم من اتفاق نصي اليعقوبي والطبري على تشديد الشروط على الأمين دون المأمون، فإن نص الطبري جاء أشدَّ مِنْ نص اليعقوبي فيما يخصُّ تبعات إخلال الأمين بأحد الشروط المتعلقة بتولية المأمون العهد وتوليته خراسان، أو التدخل في سلطات المأمون هناك، أو التدخل في الممتلكات التي وهبها الرشيد للمأمون، فقد كان الجزاء (العقاب) على الأمين إذا ما أخل بأبسط الشروط، فإن الخلافة حسب نص الطبري ستؤول للمأمون[5]، في حين كان أقلُّ شدة عند اليعقوبي[6]، كما يلحظ أن الشروط كانت تتحدث عن أمور حصلت فيما بعد في مقدمات الخلاف بين الأمين والمأمون قُبيل وقوع الحرب بينهما[7]، مما يشير إلى أنَّ النص الأصلي للعهد لم يسْلَمْ مِنَ العبث.

(١) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٧٨، عبد المنعم رشاد، الأمين الخليفة المفترى عليه، ص٢٨.

(٢) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٧٩-٢٨٠.

(٣) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٤١٦-٤١٧.

(٤) عبد المنعم رشاد، الأمين الخليفة المفترى عليه، ص٢٨، انظر:
Tayeb EL Hibri, Harun Al Rashid and Mecca protocol (Title) (I. J. M. E. S) p. 465.

(٥) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٨٠.

(٦) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٤١٨-٤١٩.

(٧) من هذه الأحداث: انسحاب الفضل بن الربيع مع جيشه لبغداد، وتدخلات الأمين في أمور خراسان المالية والإدارية. اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٤٣٦-٤٣٧، الطبري، تاريخ، ج٨،=

كما يلحظ أن الشروط لدى نصي اليعقوبي والطبري قد ساوت بين أبسط المخالفات وأشدّها، فرأت أن تدخُّل الأمين في شؤون ولاية خراسان مساوٍ لخلع المأمون من ولاية العهد(١) وهذا يشير إلى أن التشديد والتشكيك كان موجهاً من البداية للأمين دون المأمون(٢).

ويلحظ أيضاً الاختلاف بين نصي اليعقوبي والطبري فيما يخص منطقة عمل المأمون، فقد كانت منطقة المأمون أوسعَ في نص الطبري في كتاب الأمين، حيث حددها "ما بين عمل الريِّ مما يلي همَذان إلى أقصى خراسان وثغورها وبلادها"(٣)، بينما اكتفى نص اليعقوبي بالإشارة إلى خراسان بثغورها وكورها"(٤)، وكذلك نص كتاب المأمون الذي أورده الطبري(٥).

ويلحظ كذلك أن كلا النصين بالَغَ في تقسيم الدولة؛ إذ ليس لخليفة بغداد (الأمين) أي نفوذ أو سلطة على منطقة خراسان، وهذا الأمر كان موضعَ خلافٍ بين الأمين والمأمون فيما بعدُ في مقدمات الفتنة. ويرى بعض الباحثين أن ذلك يشير إلى إعادة صياغة العبارات الخاصة بهذا الجانب لتضفي شرعيةً على قيام المأمون برفض التعاون مع الأمين، ورفض إجراءاته الخاصة فيما يخص إقليم خراسان، فيظهر الأمين بأنه خرق تلك العهود(٦). حيث فسرت الفتنة بين الأمين والمأمون بأنها

= ص٣٤٦-٣٤٨، ٣٧٤-٣٨٥، الجهشياري، الوزراء، ص١٧٩-١٨٢، المسعودي، التنبيه والأشراف، ص٣٤٦-٣٤٨.

(١) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٢١٧-٢١٨، الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٧٩-٢٨٠.

(٢) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٧٩-٢٨٠.

(٣) تفاوت وصف الطبري لحدود إقليم خراسان في كتاب الأمين؛ ففي بداية الكتاب يورد الطبري ان المأمون اختص فقط بإقليم خراسان وثغوره، ثم توسع وصف الإقليم في نفس الكتاب ليذكر الوصف الموسع، انظر الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٧٩، عبد المنعم رشاد، الأمين المفترى عليه، ص ٣٠.

(٤) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٤١٦.

(٥) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٨١-٢٨٢.

(٦) عبد المنعم رشاد الأمين الخليفة المفترى عليه، ص٣٠.

كانت نتيجة نكث الأمين ترتيبات ولاية العهد التي صاغها هارون في مكة[١]. إن احتمال عدم قسمة الرشيد للأرض وارد، وإن وضعه للعهود بين أولاده ما كان إلا بهدف تثبيت ولاية العهد فيهم وإبعاد الطامعين بالخلافة، وإنه لا يستبعد - بعد هزيمة الأمين - قيام الدعاية للمأمون وتغير نصوص العهود لتشمل شرط الاستقلال لتزوّدَ المأمون بحجة قانونية للسيطرة على الشرق[٢]. ويؤكد بعض الباحثين أن العهد الذي أخذه الأمين على نفسه - كما أورده الطبري - هو نصٌ محرَّفٌ يهدف إلى إضفاء السلبية وعدم الوفاء على الأمين وتسويغ لخروج المأمون على سلطة الخلافة[٣].

ومن جانب آخر يلحظ فرق بين النسخ الثلاث التي أوردها كلٌ مِنَ الأزرقي واليعقوبي والطبري فيما يتعلق بقائمة أسماء الشهود على تلك العهود، فالأزرقي أورد قائمة من ٣٩ شاهداً[٤]، في حين كانت قائمة اليعقوبي مكونة من ٣٢ شاهدا[٥]، بينما لم يتطرق الطبري لأسماء الشهود[٦].

أما كتاب المأمون فهو متطابق لدى المؤرخين الثلاثة الأزرقي، واليعقوبي، والطبري سوى بعض الألفاظ والجُمل المختلفة دون تأثير على المضمون والمعنى العام. ويلحظ أن الكتاب حافظ على صيغة التخاطب بالضمير الشخصي، فكان المأمون دائماً هو المتحدثَ عن نفسه في النص[٧]. كما كرر مضامين تعهداتِ الأمين للمأمون التي وردت في كتاب الأمين[٨].

(1) Tayeb EL Hibri, Harun Al Rashid and The Mecca protocol, (Title) (I.J.M.E.S) p461.

(2) Ibid.

(٣) عبد المنعم رشاد، الأمين الخليفة المفترى عليه، ص٣٠.

(٤) الأزرقي، اخبار مكة، ج١، ص٢٣٩.

(٥) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٤١٩.

(٦) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٨٣.

(٧) عبد المنعم رشاد، الأمين الخليفة المفترى عليه، ص٣١.

(٨) انظر اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٤١٩-٤٢٠، الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٨٢.

يلحظ أن الشروط التي جاءت فيه على المأمون إذا ما تجاوز العهد، فإنه يترتّب عليه ما ألزمَتْه الأيمانُ مِنْ طلاقِ نسائه، وعِتق عبيده، والحج لبيت الله ماشياً، والتزامات أخرى غير سياسية، بمعنى أنه لن يُخلَعَ مِنْ ولاية العهد، كما أن كتاب المأمون لم يشر إلى تلك الاستقلالية والسيطرة التامة للمأمون في خراسان؛ فالمأمون يذكر في كتابه أن للأمين الصلاحيةَ في توجيه الأوامر له بإرسال الجند من خراسان، وعلى المأمون أن لا يخالف ذلك[١]. وهذا يعني أن المأمون وإقليم خراسان خاضعان خضوعاً تاماً لسيطرة الخليفة الأمين ببغداد، وهذا ما لم يشر إليه كتاب الأمين الأول الذي سعى وضيَّق وتشدد كثيراً على تدخلات الأمين في خراسان كما سبق توضيحه.

ويرى عبد المنعم رشاد أن كتاب المأمون على نفسه قد أعيدت صياغته من أجل تأكيد مصالح المأمون، دون مراعاة لمصالح الأمين، ولتسويغ وتفسير تطورات حصلت لاحقاً في أحداث الفتنة[٢].

ويعتقد الهبري أن عهد مكة كُتب في ضوء الحرب الأهلية، مستنداً إلى وجود عدم اتفاق بين نصوص الوثيقة التي تضمن عدم جواز تدخل الأمين في شؤون ولاية المأمون، وتسمح له بذلك في وقت آخر، ويبين ذلك الممارسات الواقعية التي حصلت لاحقاً، والتي سمحت بتدخل الأمين، ولم تجد معارضةً من المأمون، كما ستقدمه المصادر، كالطبري ومَنْ جاء بعده[٣].

أما كتاب هارون إلى عماله، والذي انفرد الطبري بإيراده، فإنه تجاهل البيعة للقاسم بولاية العهد، في الوقت الذي أشار فيه إلى بيعة الأمين ثم المأمون، كما أنه

(١) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص ٤٢٠، الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٨٢.

(٢) عبد المنعم رشاد، الأمين الخليفة المفترى عليه، ص٣٢.

(3) Tayeb EL Hibri, Harun Al Rashid and The Mecca protocol, (Title) (I.J.M.E.S) p466- 467.

لم يشر إلى تولية المأمون لخراسان، واقتصر على مسوغات الرشيد لذلك العهد، وكتابته التي تركزت على جَمْعِ أُلفتهم، وإصلاح حالة الرعية، وإبعاد طموحات أهل الشقاق والمفسدين، كما يصرح الكتاب بأن من أبرز مهام وليي العهد القيام بالجهاد ومحاربة أهل الأهواء(١).

وأشار البعض إلى أن الأهداف التي وضّحها الرشيد في نص الطبري تشير إلى أنه لن يقترح أو يفرض أمراً يكرس الفرقة بين الأخوين(٢)؛ مثل قسمة الدولة باستقلال خراسان، وحين يؤكد الرشيد أن كلا الأخوين سيقومان بالجهاد، فهذا لا يعني أيضاً تقسيم الجيش أو اقتصاره على أحدهم دون الآخر، حيث تشير بعض النصوص التي أوردها الطبري ـ والتي تعود إلى فترة مقدّمات الفتنة ـ أن المهمة الرئيسة للمأمون في إقليم خراسان كانت حربية، فقد اعتذر المأمون للأمين من القدوم لبغداد بعذر محاربة الأعداء، وأنه إذا ما ترك الجبهة، فإنه سيلحق الأذى بالجند والرعية(٣).

ويلحظ في نهاية الكتاب ـ كتاب الرشيد للعمال ـ أن كاتبه هو إسماعيل بن صبيح(٤) حيث أخطأ حين ذكر أنه كتبه في محرم سنة ست وثمانين ومائة(٥)،

---

(١) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٨٤-٢٨٥.

(٢) انظر شاكر مصطفى، دولة بني العباس، ص٤٣١، عجمي الجنابي. هارون الرشيد، ص١٣٢.

(٣) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٤٠٣، الدينوري، الأخبار الطوال، ص٣٦١، Tayeb EL Hibri, Harun Al Rashid and The Mecca protocol, (Title) (I. J. M. E. S) p471.

(٤) إسماعيل بن صبيح: أحد الكتاب في الدولة العباسية. ذكر الطبري أنه كان يلي زمام ديوان الخراج أيام المهدي، ثم تولى الكتابة ليحيى بن خالد أيام الهادي، ووضعه كاتباً للهادي ليستعلم أخباره، ثم ولي زمام ديوان الشام وما يليها، وذكر الطبري أنه كتب عدة كتب للرشيد؛ مثل كتب ولاة العهد، وكتاب الرشيد لهرثمة حين عزل الرشيدُ عليَّ بن عيسى عن خراسان سنة ١٩١هـ، ثم استوزره للأمين بعد الفضل بن الربيع، انظر الطبري، تاريخ، ج٨،ص١٦٧، ٢٠٧، ٢٢٨، ٣٣٧، ٢٨٣-٢٨٦ ابن النديم، الفهرست، ص١٣٩.

(٥) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٨٦، كما أخطأ ابن الجوزي حين ذكر أنه كتب سنة ١٨٨هـ. انظر: المنتظم، ج٩، ص١١٩.

وبما أن العهود كتبت في موسم الحج؛ أي: في ذي الحجة سنة ١٨٦هـ، فإن الكتاب الثالث سيكون قد كتب في محرم سنة ١٨٧هـ، وليس سنة ١٨٦هـ، ويبدو أن ذلك ناتج عن خطأ النساخ.

والمدقق في هذا الكتاب يلحظ أن الهدفَ الرئيس منه ومن العهود بشكل عام هو تأكيدُ ولاية العهد وترتيبها بين الأخوة بالقَسَم والأيمان المغلَّظة، في فترة كان كلاهما قد نضج، وكان ذلك نتيجة قلق كان يساير الرشيد حول نجاح خطته لولاية العهد؛ فخلافه مع أخيه لا يزال في ذاكرته، ولا يريد أن يتكرر ما حصل معه ليحصل مع أولاده، إن وثيقة الرشيد عاملت أولياء العهد الاثنين بطريقة عادلة وأكثر اتزاناً، ويلحظ عدم وجود إشارة مباشرة أو غير مباشرة إلى استقلال المأمون، أو تقسيم سياسي جغرافي للدولة العباسية. ولو أن ذلك حصل، فلماذا لم يخبر الرشيد به عمالَه وولاتِه في هذا المرسوم المهم حتى يعلموا الحال التي وصلت له الدولة؟ ويمكن تفسير هذا الأمر بسهولة؛ فهو يخدم التشكيك في الفقرات التي تناولت التقسيم في العهد، ويعزز احتمال أن العهد كان خطةً لتسمية ولاة العهد وتحديدهم، والتأكيد على عدم عزل ولي العهد الأول للثاني إذا ما تولى الخلافة(١).

قدمت المصادر التاريخية الآراء التي قيلت في عهود (كتب) الرشيد التي كتبت في مكة سنة ١٨٦هـ، ٨٠٢م، وراوحت هذه الآراء بين المادح وبين المشكك المتشائم من هذه العهود، وقد حوت بعض هذه المصادر الرأيين المتضادين في آن واحد.

فقد أورد الطبري كلا الرأيين على لسان بعض العامة، حين قال: "قال بعض العامة: قد أحكم أمر الملك، وقال بعضهم: بل ألقي بأسُهم بينهم، وعاقبةُ ما صنع في ذلك مخوفة على الرعية"(٢). ويبدو أن هذا الرأي كان للطبري، لكنه فضل أن

---

(1) Tayeb EL Hibri, Harun Al Rashid and The Mecca protocol, (Title) (I.J.M.E.S) p471.

(٢) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٧٦-٢٧٧ (دون)، مجهول، العيون، ج٣، ص٣٠٥.

يأتيَ على لسان الناس، كما أورد الطبري أقوال عدد من الشعراء تتضمن أشعاراً تنتقد خطوة الرشيد بتقسيم الخلافة والبلاد، وأنه بذلك غرس العداوة بينهم. وعكست هذه الأشعار جواً متشائماً متنبئاً بالحرب والفتنة وسَيَلان الدماء(١)، كما أورد الطبري رأياً لم ينسبه إلى أحد، وإنما أورده بصيغة المبني للمجهول حين رفعت الكتب لتُعلَّقَ في الكعبة فسقطت: "فقيل: إن هذا الأمر سريع انتفاضه قبل تمامه"(٢)، وهو يمثل أيضاً رأياً له أو لراويه.

وأورد الجهشياري رأياً غريباً نسبه إلى محمد الأمين، حيث قال بأن أمره لن يتم؛ لأنه كان يحلف وفي نيته الغدر بأخيه(٣)، وهنا ألقى أعداء الأمين هذا الرأي في فم الأمين لتأييد حجتهم، وهذا واضح؛ لأنه لا يمكن للأمين أن يقول مثل ذلك حتى لو نواه، وأن مجيء تلك الصيغة يهدف إلى تحميل الأمين مسؤولية ما حصل مِنْ أمر الفتنة. كما يورد الجهشياري رأي رجل من العلويين ينتسب إلى الحسين بن علي حين سأله الرشيد عن رأيه في العهد، فأجابه متشائماً بقوله "رأيتك أخذت ثلاثة أسياف مشحوذةً، فجعلتها في غمدٍ واحد"(٤). إشارة إلى صراع الأخوة بسبب العهد.

وأورد المسعودي أيضاً المقولة المتشائمة حين سقطت العهود، إضافة إلى رأي الناس في ذلك، وأنهم استعظموا أمر الشَّرط والأيمان، وأورد أيضاً أبيات شعر تُنذر بالشؤم والنكث والغدر وحصول الفتنة. وقد قدَّم راوي المسعودي ـ سعيد بن عامر البصري ـ تصويراً لمشهد الفتنة التي ستحصل بقوله: "أقول: إن السيوف ستُسَلُّ،

---

(١) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٧٦-٢٧٧ (دون)، مجهول، العيون، ج٣، ص٣٠٤.

(٢) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٧٨ (إبراهيم بن عبد الله الحَجَبي، من حُجَّاب البيت الحرام، كان الحَجَبِيُّون من قريش من بني عبد الدار) المقريزي، المقفى الكبير، ج٤، ص٢٥٥، مجهول، العيون، ج٣، ص٣٠٥، المسعودي، مروج، ج٤، ص٢١٤.

(٣) الجهشياري، الوزراء، ص١٤٢ (ميمون بن هارون).

(٤) الجهشياري، الوزراء، ص١٧٠ (دون).

والفتنة ستقع، والتنازع في الملك سيظهر... أمَا ترى البعيرَ واقفاً، والرجلان يتنازعان، والغرابان قد وقفا على الدم والتطخا به، وإليه لا يكون آخر هذا إلا محاربةً وشراً"(١).

يلحظ مما سبق أن المصادر قدمت أراءً أو أفكاراً متشائمةً وسوداوية أكثر مِنْ أخبار الفتنة نفسها، إن لم تكن بدرجة تساويها، وهذا الخط أو الاتجاه سيطر على الأخبار التي تعلقت بالشخصيات الرئيسة لأحداث الفتنة بين الأمين والمأمون، وجاءت ممهدةً لها مِنْ خلال النظرة التشاؤمية المتوقَّعة لنهاية سيئة لحكم الأمين، وما ترتب عليه مِنْ خراب ودمار نتج عن الصراع مع أخيه على الحكم مِنْ خلال النظرة إلى عهد الرشيد.

لقد سبق وأن تناولت الدراسة ـ أثناء تحليل نصوص العهد ـ أن مِنْ مضامينها الرئيسة كان تقسيم الدولة الذي تمثَّل باستقلال خراسان التام للمأمون، مِنْ خلال الشروط التي فرضت على الأمين بعدم التدخل بأحوال ولايته، وهنا لا بد من تتبع هذا الأمر في المصادر؛ لأنه بالغ الأهمية، فمن المصادر مَنْ أشار أو أكد هذا التقسيم قبل عهود مكة سنة ١٨٦هـ أو بعدها، والبعض الآخر لم يؤكده.

يلحظ أن بعض المصادر التاريخية ـ مثل الدينوري، والطبري، والأزدي ـ أشارت إلى ما حصل سنة ١٨٢هـ؛ أي: قبل عهد مكة، حين عهد الرشيد للمأمون بعد أخيه الأمين؛ فذكروا أن الرشيد ولَّى محمداً الأمينَ بغدادَ، وولى المأمون خراسانَ(٢)

---

(١) المسعودي، مروج، ج٤، ص٢١٤-٢١٥ (سعيد بن عامر البصري)

(٢) خراسان: أورد ياقوت وصف البلاذري على أنها أربعة أرباع: الأول إيران شهر، نيسابور وقهستان والطبسان وهراة وبوشنج وباذغيس وطوس، والثاني: مرو وسرخس ونسا وابيورد ومروالروذ والطلقان، والثالث: الفارياب والجوزجان وطخرستان وخست، والرابع ما وراء النهر وبخارى والشاش، ويرى ياقوت أن حدود خراسان من جوين وبيهق وآخر حدودها طخارستان وغزنة وسجستان وكرمان، وتشمل نيسابور وهراة ومرو وبلخ وطالقان ونسا وابيورد، ومن خلال هذين الوصفين لم ترد همذان في المناطق التي وصفها كلٌّ مِنَ البلاذري وياقوت؛ وهمّذان من إقليم=

وما يتصل بها مِنْ همَذان(١)، وهذا لا يعني تقسيم الدولة، بل توزيع مهمات إدارية بهدف تدريب الأبناء على تلك الأعمال، بحيث لم يضع حدوداً بين سلطة كلٍّ منهما. وهذا الاتجاه واضح إدارياً في فترات الدولة العباسية وغيرها في تعيين الولاة على الأقاليم. وعلى الرغم من ذلك، فإن الدينوري، وابن أعثم، والمسعودي أشاروا في سنة ١٨٢هـ إلى أن الرشيد قسم الأموال والجند بين الأخوين(٢). وهذا أمر مبالغ فيه؛ لأن كلا الأخوين لم يتجاوز الثانية عشرة من عمره، وإن صح، فإنه يمثّل مأساة حقيقية، وهو أبعد ما يكون عن الرشيد؛ لأنه يكون قد بذَر بين أولاده بَذْرةً للتنازع والخصام، فقد أشار كل مِن ابن أعثم والمسعودي إلى ذلك، وأنه كان سبباً لغضب زبيدة من الرشيد حين عاتبته بتولية المأمون، وأنه أعطى له العُدَدَ والأموال والجيش، وترك الأمين من دون شيء، فتعلَّل بأنه يحتاج ذلك للحرب(٣).

وانفرد الطبري بالإشارة إلى أن الرشيد ضم الشام والعراق للأمين سنة ١٧٥هـ، ٧٩١م، وأنه ولّى المأمون مِنْ همَذان إلى آخر المشرق(٤). وهذا مستغرب؛ لأنهما لم يتجاوزا خمس سنوات، كما أشار إلى أن الرشيد ولّى القاسمَ الجزيرةَ والثغورَ والعواصمَ حين بايع له بالعهد بعد الأمين والمأمون في سنة ١٨٦هـ، ٨٠٢م(٥).

وفي عهود سنة ١٨٦هـ في مكة قدَّم الطبري أشارةً مهمة لتولية الرشيد خراسان وثغورها للمأمون، ثم وسعها - حسب نص كتاب الأمين - لتضمَّ أقصى عمل

= الجبل وليس خراسان، وهي أقرب للعراق من خراسان، وبذلك فإن التوسع أصبح اتجاه العراق. انظر: ياقوت، ج٢، ص٣٥٠-٣٥١، ج٥، ص٤١٠.

(١) الدينوري، الأخبار، ص٣٥٦ (دون)، الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٦٩ (دون)، مجهول، العيون، ج٣، ص٣٠١، الأزدي، تاريخ الموصل، ص٢٩٣.

(٢) الدينوري، الأخبار، ص٣٥٦ (دون)، ابن أعثم، الفتوح، ج٨، ص٤١٥ (دون)، المسعودي، مروج، ج٤، ص٢١٤ (دون).

(٣) ابن أعثم، الفتوح، ج٨، ص٤١٥ (دون)، المسعودي، مروج، ج٤، ص٢١٤ (دون).

(٤) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٧٥ (محمد بن يزيد عن إبراهيم بن محمد الحجبي).

(٥) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٧٦ (الحسن بن قريش)، الأزدي، تاريخ الموصل، ص٣٠٣.

خراسان إلى همَذان، وأشار من خلال الشروط التي وضعت على الأمين - بعدم التدخل في شؤون إدارة خراسان - إلى استقلالها استقلالاً تاماً، بحيث لم يكن يُسمح للأمين بالتحدث مع أحد عمال خراسان أو يأمره بأمر - وهذا مبالَغٌ فيه كثيراً - إلا مِنْ خلال المأمون، وفي الوقت نفسه لم تشر تلك الكتب (العهود) إلى مناطق نفوذ وسيطرة الأمين أو المؤتمن، أو إذا ما كان للمأمون الحقُّ في التدخل بها حسب ما ورد عند اليعقوبي والطبري[1]. إذن، فالنص الوحيد الذي يشير إلى وجود التقسيم هو ما ورد في عهد مكة، وخاصة كتاب الأمين.

وأشار ابن أعثم إلى أن الرشيد ولَّى المأمون سنة ١٨٦هـ من باب الري إلى أقصى خراسان وسجستان، وأنه قسم المال والسلاح[2]، دون أن يشير إلى كيفية حصول ذلك ومكانه.

كما أشار الجهشياري إلى أن الرشيد وقبيل حربه مع رافع - قبل سنة ١٩٠هـ ولى المأمون خراسان وجرجان وطبرستان والري[3]. وكل هذا لا يعني التقسيم والذي يستثنى منه قسمة المال والسلاح.

وفي سنة ١٨٩هـ أشار الطبري إلى عهد قرماسين الذي أعطى فيه الأموال والسلاح والخزائن لعبد الله المأمون، وجدَّد له البيعة، وجدَّد للأمين البيعة، وعَهِدَ فيها للمؤتمن بعد المأمون والذي جعل أمره للمأمون في العزل أو التثبيت، وأضاف الطبري ذلك على عهد مكة سنة ١٨٦هـ.

وأشار الطبري، والجهشياري إلى أن الرشيد جدد البيعة للمأمون سنة ١٩٣هـ حين خرج لحرب رافع، وأشهد مَنْ معه مِنَ الجند والقادة على أن جميع ما معه مِنْ جند مضمومون إلى المأمون، وأن جميع ما معه مِنْ مال

(١) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٧٨-٢٧٩ (دون)، اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٤١٦ (دون).

(٢) ابن أعثم، الفتوح، ج٨، ص٤١٧ (دون).

(٣) الجهشياري، الوزراء، ص١٧٣ (دون).

وسلاح وغير ذلك للمأمون[١].

وقدمت المصادرُ التاريخيةُ أخباراً تتضمن الرِّيبة والشك تجاه تلك العهود مِنْ قِبَلِ أولاد الرشيد من خلال بعض التصرفات في الفترة التي سبقت وفاة الرشيد، حيث يشير الطبري إلى أن المأمون وافق الفضلَ بن سهل في نظرته وتشكُّكه مِنْ أخيه الأمين تجاه الوفاء له بالعهود التي قطعها له، وحثه على الخروج مع أبيه لحرب رافع وعدم المكوث ببغداد؛ لأن الأمين وزبيدة وبني هاشم سيخلعونه مِنْ ولاية العهد إذا ما حصل للرشيد شيء[٢]، كما أشارت رواية أخرى للطبري إلى أن أولاد الرشيد الثلاثة كانوا ينتظرون موته، وأنهم وضعوا عليه العيون لترقُّب موته، مصوراً إياهم أنهم كانوا في شوق إلى موته[٣].

وتشير روايات بعض المصادر - مثل الطبري، والجهشياري، والتنوخي - إلى موقف الأمين المتسرع مِنْ مرض أبيه وعَجَلَتِه لتولي الأمر، ونيته الغدر حين أرسل أحد أتباعه - بكر بن المعتمر[٤] - ليستطلع أخبار مرض الرشيد بطوس[٥]، وكان

(١) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٣٦٦ (دون)، الجهشياري، الوزراء، ص١٧٧ (دون)، مجهول، العيون، ج٣، ص٣١٧-٣١٨ (دون)، ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص٢٢٢ (دون)، المقريزي، المقفى الكبير، ج٤، ص٢٦١ (دون).

(٢) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٣٣٨ (ذكر عن ذي الرياستين الفضل بن سهل)، مجهول، العيون، ج٣، ص٣١٥.

(٣) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٣٣٨-٣٣٩ (محمد بن صباح الطبري عن أبيه)، ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص٢١٤-٢١٥ (صباح الطبري)، الأربيلي، خلاصة، ص١٦٨ (صباح الطبري)، السيوطي، تاريخ، ص٤٦١.

(٤) أبو حامد بكر بن المعتمر أحد كتاب الأمين ومستودع أسراره. ظهر عند الطبري في أحداث سنة ١٩٣ هـ عند مرض الرشيد وحمله كتب الأمين إلى طوس، كما كان من الذين اقترحوا على الأمين خلع المأمون، ابن طيفور، تاريخ بغداد، ص١٥، الطبري، تاريخ، ج٨، ص ٣٦٦، ٣٨٩، ٣٩٦.

(٥) مدينة في إقليم خراسان، بينها وبين نيسابور نحو عشرة فراسخ، تشمل بلدين؛ الأول: الطابران، والآخر: نوقان. فيها قبرا علي بن موسى الرضا والرشيد، ياقوت معجم البلدان، ج٤، ص٤٩.

قد أرسل معه كتباً أخفاها، تتضمّن تولية العمال على الولايات، لكن ذلك لاقى غضباً مِنَ الرشيد[١]، وهذه الخطوة مِنْ قِبَلِ الأمين تثير الاستغراب، وتظهر بأنه يعدُّ لأمر ما ـ ربما الغدر بأخيه حسب ما صوَّرته الرواية ـ وتشير أيضاً لمعرفته المؤكدة بموت أبيه، وهذا أيضاً مستغرب يشكك في صحة الرواية أو يضعفها.

وينفرد ابن أعثم، والمسعودي بإيراد نصٍّ لوصية الرشيد عند موته، وهي تشير إلى توقع الرشيد للخلاف بين ولديه، ويدعو الناسَ إلى الوقوف إلى جانب الابن الذي تكون حجتُه أثبتَ وأقوى، ويطلب فيها مِنَ الفضل بن الربيع[٢] اللَّحاق بالأمين ببغداد بالقضيب والبردة والخاتم، وأن يبقى مع الأمين يكاتفه ويؤازره[٣]، أن إشارة الرشيد بالوقوف إلى جانب صاحب الحجة الأقوى يفند ما جاء به عهد مكة سنة ١٨٦هـ، ٨٠٢م في كتاب الأمين حيث أشار ـ نص اليعقوبي ـ إلى أن الرأي الفصل في أي نزاع سينشب بين الأخوين يكون فيه الامتثال لرأي المأمون[٤] دون محمد، كما أن أمر الرشيد للفضل بالتوجه للأمين ـ إن صح ـ يبعد تهمة الغدر بالأمين والفضل بن الربيع، حيث اعتبرت عودة الفضل بن الربيع لبغداد بالجيش من الأعمال التي نقضت عهود الرشيد.

ويشير الطبري إلى أنه بعد وفاة الرشيد كتب محمد الأمين كتاباً إلى المأمون،

(١) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٣٦٥ (دون)، الجهشياري، الوزراء، ص١٧٧-١٧٨ (دون)، التنوخي، الفرج، ج٣، ص٣٥٨-٣٦٢، ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص٢١٩-٢٢٠، ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص٢٢٢.

(٢) الفضل بن الربيع بن يونس بن محمد بن أبي فروة. واسم أبي فروة كيسان، وكنية الفضل أبو العباس. كان حاجبَ هارون الرشيد ومحمد الأمين، وكان أبوه حاجب المنصور والمهدي، ولاه الأمين الأمور بعد وفاة الرشيد، ولد سنة ١٤٠هـ، وتوفي سنة ٢٠٨هـ. الخطيب، تاريخ بغداد، ج١٢، ص٣٤٣، ابن خلكان، وفيات، ج٤، ص٣٧-٤٠. الذهبي، سير، ج١٠، ص١٠٩-١١٠.

(٣) ابن أعثم، الفتوح، ج٨، ص٤٢٩ (دون)، انظر المسعودي، مروج، ج٤، ص٢٣١ (دون).

(٤) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٤١٦ (دون).

يأمره بالقيام بالأمر في خراسان، ويؤكد عليه واجباته تجاه الأمين، ويطلب منه أخذ البيعة منَ القُوَّاد والجُند والعامة والخاصة، ثم له ولنفسه، ثم للقاسم، مذكِّراً إياه بعهد أبيهما، ويطلب منه أن يخبر الناس في خراسان أنه (الأمين) سيتولى إصلاح أمورهم، ويسد حاجاتهم، ويوسع عليهم، وأنه إذا انكر أحدٌ بيعتَه، فليقتله ويرسل رأسه لبغداد، كما يطلب منه أن يكتب لعمال الثغور بخراسان وأمراء أجناده يخبرهم بما حصل للرشيد، وأن يأخذ منهم البيعة، ويعلمهم أن الخليفة الأمين سيتفقد حالهم، ويوسع عليهم[1].

كما أورد الطبري نصاً لرد المأمون على طلب الأمين منه الحضور لبغداد، اعتذر فيه عن القدوم. ويمكن اعتبار هذا الاعتذار أشارةً مهمة يعترف فيها المأمون بأنَّ مِنْ حق الأمين أن يثبته على خراسان أو يعزله عنها حين أجابه بقوله " فإن رأى - أمير المؤمنين - أن يقرِّني على عملي أو يعفِيَني من الشخوص إليه، فعل إن شاء الله"[2].

إن ما أورده الطبري من نص رسالة الأمين وردِّ المأمون يشير بوضوح إلى أن السيادة والسيطرة في إقليم خراسان كانت لخليفة بغداد الأمين، وأن المأمون كان والياً ينفذ أوامر الخليفة ببغداد ومرتبطاً به مالياً وإدارياً؛ لأن النص يذكر أن الأمين سيوسع على أهل خراسان. ويلحظ أن ذلك لم يكن تدخلاً سافراً في شؤون خراسان، بل كان أمراً طبيعياً، ولم يلق منَ المأمون رفضاً حسب ما تورده المصادر، وهذا كلُّه يخالف ما جاء به عهد مكة الذي تضمَّن عدم جواز تدخل الأمين في أمور خراسان.

وهذا يشير إلى أن النص الأصلي لعهد مكة لم يكن مثل ما قدَّم لنا من

(١) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٣٦٧-٣٦٨ (دون)، الجهشياري، الوزراء، ص١٧٩ (دون)، ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ٢٢١.

(٢) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٤٠٥ (دون)، ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص٢٣٣، انظر:
Tayeb EL Hibri, Harun Al Rashid and The Mecca protocol ,(Title) (I. J. M. E. S) p469.

اليعقوبي والطبري، وأن فيه إضافاتٍ ومبالغاتٍ لاحقةً سعت إلى وضع الأمين في دائرة الاتهام.

وقد أورد المسعودي ما يؤيد ذلك ـ خارج إطار العهد المكي ـ فقد أورد أن المأمون بعد تولِّي الأمين الخلافة بايع للأمين وهو بخراسان " وكتب له بالطاعة والخضوع، وامتثال أمره ونهيه انقياداً إلى ما تقدم به العهد"(١). ولا يعوِّلُ اليعقوبي على أن فكرة خرق الأمين لاستقلالية المأمون في خراسان أنها من الأسباب التي أدت إلى الخلاف بين الأخوين، كما لا يرى اليعقوبي أن عودة الفضل بن الربيع بالجيش والمال إلى بغداد سبب في توتر العلاقة بين الأخوين(٢).

وعلى الرغم من هذه الإشارات البسيطة التي تدل على عدم استقلال المأمون بخراسان، إلا أن الإشارات المعاكسة والمؤيدة لاستقلال المأمون في المصادر أكثرُ وأعمُّ(٣).

يتبين من خلال النصوص السابقة لنصوص البيعة، ومن الأخبار التي تناولت تربية الأمين والمأمون وصباهما، وتوليتهما العهد والأحداث التي رافقت موت الرشيد أو تلت ذلك، أننا بمواجهة أخبار شديدة الاختلاف أحيانا في شكلها ومضمونها؛ منها الأحلام والرؤى والتنبؤات، ومنها الأخبار التاريخية المشوبة بالتنبؤات، وعلى الرغم مِنْ أن الإسناد كان ضعيفاً، إلا أننا كنا نواجه رواةً قدموا بوصفهم شهود عيان للأحداث، لكن هذا لم يشفع بتقديم أخبار موضوعية، فخالصة والكسائي والأصمعي قدَّموا ـ بوصفهم شهود عيان ـ أخباراً اختلطت فيها الحقيقة والواقع بالخيال والأوهام والتنبؤات الغيبية.

---

(١) المسعودي، التنبيه والأشراف، ص٣٤٦ (دون).

(٢) انظر اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٤٣٤ (دون).

(٣) انظر الطبري، تاريخ، ج٨، ص٣٧٤، ٣٧٧-٣٧٩، الجهشياري، الوزراء، ص١٨٧ (دون)، ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص٥-٨.

كما يلحظ أن هذه الأخبار اتجهت للمبالغة في الإساءة للأمين من خلال دعاية منظمة للمنتصر(المأمون) ضد المهزوم (الأمين) سعت تلك الدعاية لتحميله في بعض الأحيان المسؤولية ـ عند تناول نصوص العهود ـ وفي إلقائها على القدر عند الحديث عن طفولته أو مولده. ويرى الدوري بحق أن روح التحزّب ضد الأمين كانت واضحةً عند مختلف المؤرخين والكُتَّاب الذين غلب عليهم مناصرةُ الغالب، والمبالغةُ في فضائله، وذمُّ المغلوب، وسعت بعض تلك المصادر إلى تسمية الأمين بالمخلوع، ورمته بكل قبيح(١)، حتى قال ابن الأثير: "ولم نجد في سيرته ما يُستحسن ذكره مِنْ حِلم أو معدلة أو تجربة حتى نذكرها "(٢). وبالغ خليفة بن خياط حين أطلق لقب المخلوع عليه سنة ١٩٣هـ، ٨٠٨م حين تولى الخلافة(٣).

---

(١) الدوري، العصر العباسي الأول، ص١٤٣، انظر فاروق عمر، الخليفة المجاهد، ص٨٢، أحمد الخطيمي، الفتنة في عهدي الأمين والمأمون، ص٣٤، شاكر مصطفى، دولة بني العباس، ص٤٠٦.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص٢٩٥، الدوري، العصر العباسي الأول، ص١٤٣.

(٣) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة، ص٤٦٠.

الفصل الخامس

نظرة المصادر إلى البرامكة

البرامكة أسرة فارسية من أهل بيوتات بلخ[١]، وكانوا مِنْ سَدَنَة معبد النوبهار[٢]، ويعتقد أنه كان بيتاً من بيوت الزردشتية، لكن الدوري يرجح بأنه كان معبداً بوذياً، استناداً إلى أوصاف ابن الفقيه الهمذاني، والقزويني[٣]. وينسب البرامكة إلى برمك، وهو لقب كبير سَدَنَة النوبهار[٤].

اهتمت المصادر التاريخية والأدبية وكتب التراجم بأخبار البرامكة، وخاصة في خلافة الرشيد؛ لأن مصير هذه الأسرة وتاريخها ارتبط به ارتباطاً مباشراً.

وتناولت هذه المصادر الأخبار التي تعلقت بدور البرامكة في إدارة الدولة في خلافة الرشيد. وقد سبق وأن تناولت الدراسة الدور الذي برز من خلاله البرامكة في إيصال الرشيد للخلافة، وأظهرت بعض المصادر التاريخية الأثر المتقدم الذي كان للبرامكة في احتضان الرشيد؛ فقد أشار كل من اليعقوبي، والطبري، والجهشياري، وابن عبد ربه، وصاحب "الإمامة والسياسة" إلى إرضاع إحدى زوجات يحيى بن خالد البرمكي للرشيد[٥]، وكانوا بين المشكِّك في ذلك والمؤكد له؛ فقد شك الطبري في ذلك، في حين أكده البقية. كما أشار الخطيب البغدادي

---

(١) المقدسي، البدء، ج٦، ص١٠٤ (دون)، انظر: ابن خلكان، وفيات، ج٦، ص٢.

(٢) ابن قتيبة، المعارف، ص٦٥٦ (دون)، ياقوت، معجم، ج٥، ص٣٠٧، انظر: الدوري، العصر العباسي الأول، ص١٢١، فاروق عمر، الخلافة العباسية، ج١، ص١٩٦، F. Omer (Barmakids) E, B ,Vol 2, p. 723، عدنان عبد الله عبيدات، البرامكة (رسالة دكتوراه غير منشورة)، (٢٠٠٣م) الجامعة الأردنية ص٣٧.

(٣) ابن الفقيه الهمذاني، البلدان، ص٦٠٧ (دون)، القزويني، آثار البلاد، ص٣٣١، الدوري، العصر العباسي، ص١٢٢، عدنان عبيدات، البرامكة، ص٣٨.

(٤) ابن الفقيه الهمذاني، البلدان، ص٦١٧ (دون)، المسعودي، مروج، ج٢،ص٣٨٢، ياقوت، معجم، ج٥، ص٣٠٧، انظر: الدوري، العصر العباسي، ص١٢٢.

(٥) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٤٠٦ (يحيى البرمكي)، البلدان، ص٢٧٥-٢٧٦ (دون)؛ الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٣٠، (أما البرامكة فإنهم - فيما ذكر - تزعم)؛ الجهشياري، الوزراء، ص٨٧ (دون)، ابن عبد ربه، العقد، ج٥، ص٦٢ (سهل بن هارون)، مجهول، الإمامة والسياسة، ج٢، ص١٦٩ (سهل بن هارون).

إلى أن المهدي ضم هارون ليحيى بن خالد، وجعله في حجره، وأن هارون حين تولى الخلافة عرف له فضله، وكان يناديه: أبي(١).

وقد ركزت المصادر على الأثر الإداري الذي كان ليحيى البرمكي وولديه الفضل وجعفر في إدارة الدولة، لكنها تفاوتت في إبراز ذلك الأثر واتصفت معظم رواياتها بالمبالغة وعدم الاهتمام بالإسناد.

فقد أشار ابن قتيبة، وابن عبد ربه، والمقدسي إلى استيزار الرشيد ليحيى بن خالد البرمكي باختصار شديد(٢)، دون إيراد تفاصيلَ أو أوصافٍ لحال تلك الوزارة ومكانتها بالنسبة إلى الرشيد، كما أشار كلٌّ مِنْ خليفة بن خياط، واليعقوبي إلى وزارة يحيى بن خالد، ولكنهما بالغا في وصف يحيى بأنه كان الغالبَ والمستوليَ على أمور الرشيد كلِّها(٣)، وأضاف اليعقوبي: أن الرشيد لم يكن يتدخل بأمر ونهي مع يحيى وولديه الفضل وجعفر(٤).

واتفق الطبري والجهشياري على تقديم وصف مبالغ فيه لحالة وزارة يحيى بن خالد، حيث أشارا إلى تقليد الرشيد الوزارة له سنة ١٧٠هـ، ٧٨٦م، وأورد النص الذي أعفى فيه الرشيد نفسه من المسؤولية، وألقاها على عاتق يحيى بالتصرُّف في إدارة شؤون الدولة حسب رأيه، بتولية العمال والموظفين وعزلهم، مع إشارتهما إلى اشتراك الخيزران معه في ذلك، حيث وصفها بالناظرة في الأمور، وأن يحيى كان يعرض عليها، ويصدر عن رأيها(٥). وانفرد الطبري عنه بالإشارة إلى اجتماع

(١) الخطيب، تاريخ بغداد، ج٤، ص١٢٨-١٢٩ (دون)، ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، الذهبي، تاريخ، ج١٢، ص٤٤٩-٤٥٠ (دون)، سير، ج٩، ص٨٩ (دون).

(٢) ابن قتيبة، المعارف، ص٣٨١ (دون)، ابن عبد ربه، العقد، ج٤، ص١٦٥ (دون)، المقدسي، البدء، ج٦، ص١٠٤ (دون)، ١٠١ (دون).

(٣) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة، ص٤٦٥ (دون)، اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٤٢٩ (دون).

(٤) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٤٢٩ (دون).

(٥) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٣٣-٢٣٤ (دون)، الجهشياري، الوزراء، ص١١٤ (دون)، انظر: مجهول، العيون، ج٣، ص٢٩١ (دون)، ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص١٠٨ (دون).

خاتمي الوزارتين ليحيى بن خالد؛ الأول: أعطاه إياه الرشيد حين استوزره عندما تولى الخلافة مباشرة، والثاني: منحه إياه الرشيد بعد وفاة أبي العباس الفضل بن سليمان الطوسي سنة ١٧١هـ، ٧٨٧م حيث كان معه(١). إن اجتماع الوزارتين ليحيى وصف جديد أطلقه الطبري لأول مرة، وهو يرمز إلى سلطة جديدة تمتّع بها يحيى بن خالد، بحيث اتسعت سلطة الوزير لتضم الدواوين كافةً(٢)، لكن الجهشياري أشار إلى احتفاظ أبي العباس الطوسي بخاتمه، وأنه اختلف مع يحيى البرمكي على إصدار الكتب وختمها(٣).

كما اختلف الطبري، والجهشياري في مسألة تسليم الرشيد الأمور ليحيى، ففي الوقت الذي أشار فيه الطبري إلى أن الرشيد ولّى يحيى البرمكي كافة الأمور في الدولة، فإنه لم يورد أي خبر يدل أن يحيى مارس تلك الصلاحيات؛ فالطبري من خلال استعراضه للأحداث والأعمال الإدارية في السنوات التالية يشير إلى أن الرشيد كان هو نفسه الذي يُصدر الأوامر بالعزل والتعين وتدبير أمور الدولة، ولم يورد خبراً واحداً يدل على أن يحيى عزل أو ولّى، بل أشار إلى حالة تولّى فيها يحيى أمر أحد الخارجين في إفريقيا، حيث راسله ووادعه بالكتب إلى أن تمكّن من كسبه، وأقنع الرشيد بالعفو عنه، وذلك سنة ١٧٨هـ، ٧٩٤م(٤).

واستمر الطبري في سرده للأحداث، ذاكراً أن الرشيد هو الذي كان يُصرِّفُ شؤون الدولة، حتى إنه كان لا يستمع لآراء يحيى بن خالد، وخاصة حين أراد تولية علي بن عيسى بن ماهان خراسان(٥)، على الرغم من انفراد الطبري بالإشارة

(١) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٣٥ (دون)، ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص٣٣٧ (دون).

(٢) انظر: عدنان عبيدات، البرامكة، ص٨٤.

(٣) الجهشياري، الوزراء، ص١١٤ (دون).

(٤) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٥٦ (دون).

(٥) انظر: أحداث سنوات ١٧٠-١٧٧هـ، ١٧٧-١٨٥هـ التي استصدر فيها الرشيد جميع الأوامر والقرارات الإدارية والسياسية وغيرها، الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦-٢٣٩، ٢٤٠-٢٥٥، ٢٦٦، ٢٦٩-٢٧٤.

مرة أخرى إلى أن الرشيد فوّض أموره كافة إلى وزيره يحيى بن خالد سنة١٧٨هـ، ٧٩٤م[١]، إلا أنه لم يرد لدى الطبري أو غيره ما يدل على تطبيق ذلك.

وكان الجهشياري ـ المتفق مع الطبري على فكرة تسليم كافة أمور الرشيد ليحيى بن خالد ـ مختلفاً عن الطبري؛ فمن خلال استعراض الجهشياري للإجراءات الإدارية في خلافة الرشيد، يلحظ أنه أورد كافة الأعمال الإدارية التي قام بها يحيى بن خالد وعددها؛ مثل حفره للأنهار، وتولية الموظفين من عمال وكتاب وعزلهم، إضافة إلى أعماله؛ كإجرائه القمح على أهل الحرمَين، وفرضه الرواتب للمهاجرين والأنصار ووجوه أهل الأمصار وأهل الدين، وانفرد بالإشارة إلى أن يحيى بن خالد كان أولَ مَنْ أُمّر مِنَ الوزراء؛ إضافةً لأعمال أخرى[٢]. وظهر الرشيد بالمتشاغل بالصيد ووزيره يحيى البرمكي يتابع أمور الدولة؛ مثل جريان مياه دجلة، وخشيته من فيضانه، ويضع التدابير لحماية الرعية[٣]، يُفّسر هذا الاختلاف بأن الجهشياري أرّخ للوزراء والموظفين مِنَ الكتاب، في حين كان اهتمام الطبري بالخلفاء أكثرَ مِنَ الوزراء والموظفين.

وانفرد الجهشياري والمسعودي عن الطبري بإيراد قول الرشيد ليحيى: "يا أبة" في نص تولية الرشيد ليحيى الوزارة، والذي تضمّن أيضاً اعترافاً من الرشيد ليحيى بفضله في إيصاله لمنصب الخلافة بقوله: "يا أبة، أنت أجلستني هذا المجلس ببركة رأيك وحسن تدبيرك"[٤]. وهذا الاعتراف لم يرد في نص الطبري. إن هذا

(١) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٥٦ (دون)، الأزدي، تاريخ الموصل، ص٢٨٠ (قيل)، ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص٣٥ (دون)، الاربيلي، خلاصة، ص١٢٢ (دون)، الذهبي، تاريخ، ج١١، ص٢٠ (دون)، النويري، نهاية، ج٢٢، ص١٣١.

(٢) الجهشياري، الوزراء، ص١١٤ (دون)، اشار الجهشياري إلى اعمال يحيى وآرائه الإدارية؛ مثل إصدار الكتب باسم يحيى من ديوان الخراج، وأشار إلى شروط يحيى في العمال والكتاب ومواصفاتهم، انظر: ص١١٤-١١٦، ١٤٩، ١٧٢.

(٣) الجهشياري، الوزراء، ص٦٠-٦١ (دون).

(٤) الجهشياري، الوزراء، ص١١٤ (دون)، المسعودي، مروج، ج٤، ص١٩٦ (دون)، انظر: الخطيب، تاريخ بغداد، ج١٤، ص١٢٨-١٢٩ (دون)، البيهقي، تاريخ البيهقي، ص٤٤٠ (دون)، ابن خلكان، وفيات، ج٦، ص٢٢١ (دون).

التصريح الواضح من قبل الرشيد يثير الاستغراب، الأمر الذي يرجح احتمال وضعه على لسان الرشيد من قِبَلِ صنائع البرامكة، بهدف إظهار الرشيد بمظهر الخليفة الذي لا يهتم بمسؤولياته في الحكم(١) وتضخيم فضل البرامكة بوصوله للخلافة، وشكك الدوري في نص هذا التفويض، ورأى أنه يناقض أسس الخلافة العباسية من الناحية الدينية(٢).

وانفرد المسعودي عن بقية المؤرخين بالإشارة إلى دور يحيى بن خالد في ثني الرشيد من وصل بحر الروم (المتوسط) وبحر القلزم (الأحمر) لخوفه من تعريض المسلمين في الحرمين لهجمات الروم(٣).

واختلف الجهشياري مع بقية المصادر حين ذكر أن يحيى بن خالد هو أول من زاد في الكتب الصلاة على النبي ﷺ(٤)، في حين أن بقية المؤرخين - مثل اليعقوبي، والطبري، وابن الجوزي، وغيرهم - ذكروا أن ذلك كان مِنْ فعل الرشيد، وأنه أحدثه سنة ١٨١هـ، ٧٩٧م(٥).

وبالغ المسعودي في وصف وزارة يحيى بن خالد وابنيه الفضل وجعفر بأنها مثل أيام العرس؛ فقد ذكر " انه لمّا بلغ يحيى بن خالد وابناه جعفر والفضل ما بلغوه مِنَ المُلك، وتناهَوْا إليه مِنَ الرئاسة، واستقامت لهم الأمور حتى قيل: إن أيامهم عرس وسرور دائم لا يزول"(٦)، كما وصف وزارته بالدولة حين وصفها بقوله " وكانت

(١) فاروق عمر، الخلافة العباسية، ج١، ص١٨٩، الخليفة المجاهد، ص١٠، عدنان عبيدات، البرامكة، ٨٢.

(٢) الدوري، النظم، ج١، ص٢٢٢، عدنان عبيدات، البرامكة، ص٨١.

(٣) المسعودي، مروج، ج٢، ص٤١١ (دون)، الذهبي، سير، ج٩، ص٢٨٩ (دون).

(٤) الجهشياري، الوزراء، ص١١٤ (دون).

(٥) اليعقوبي، مشاكلة الناس، ص٣٧ (دون)، الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٦٨ (دون)، ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص٥٧ (دون)، القلقشندي، صبح الأعشى، ج١، ص٤٨٠، ج٦، ص٣١٦ (دون)، مآثر الانافة، ج٣، ص٣٤٧.

(٦) المسعودي، مروج، ج٤، ص٢٤٦ (دون).

مدة دولة البرامكة وسلطانهم وأيامهم النضرة الحسنة "(١).

ومن جانب آخر انفرد الجهشياري، والتنوخي بالإشارة إلى جلوس يحيى بن خالد للمظالم أيام الرشيد؛ فقد أشار إلى عدة حالات جلس فيها يحيى للمظالم، وكان يوقّع فيها رقاع الناس(٢)، وأورد الجهشياري موقفاً متضارباً للرشيد من جلوس يحيى بن خالد للمظالم، فقد روى جبرائيل بن بختيشوع الطبيب ما سمعه من موقف الرشيد حين علم بأن يحيى ينظر في أمور المتظلمين حين قال " بارك الله عليه وأحسن جزاءه؛ فقد خفَّف عني، وحمل الثِّقل دوني، وناب منابي. وذكره بجميل " لكنه بعد مدة، وفي الموقف نفسه انزعج من نظر يحيى في المظالم، وقال " فعل الله به وفعل! يذمُّه ويسبُّه، استبدَّ بالأمور دوني، وأقضاها على غير رأيي، وعمل بما أحبُّه دون محبتي "(٣).

ويُستنتج من خبر الطبري سنة ١٨٥هـ، ٨٠١م أن حياة يحيى بن خالد السياسية انتهت عملياً قبل النكبة بسنتين، وذلك حين ابتعد يحيى عن مسرح الأحداث، وأقام في مكة بعد أن استأذن الرشيد(٤)، حيث لم يورد الطبري اسمه بعدها إلا عند النكبة.

وتناولت المصادر التاريخية والأدبية وكتب التراجم أخبار أولاد يحيى البرمكي وأعمالهم الإدارية في خلافة الرشيد. وقد اختلفت هذه المصادر حول تولية الرشيد الفضلَ خاتمَ الوزارة؛ فقد أشار الجهشياري، والبيهقي، وابن عبد ربه إلى أن الرشيد

---

(١) المسعودي، مروج، ج٤، ص٢٥٢ (قال المسعودي).

(٢) الجهشياري، الوزراء، ص١١٥ (دون)، ١٢١-١٢٢ (علي بن الجنيد)، ص١٣٩ (دون)، ١٤٧-١٤٨ (دون)، انظر: التنوخي، نشوار، ج٨، ص١٩٤-١٩٥ (محمد بن العباس اليزيدي)، ابن حمدون، التذكرة، ج٢، ص٢٤٢-٢٤٣ (علي بن الجنيد).

(٣) الجهشياري، الوزراء، ص١٤٤-١٤٥ (جبرائيل بن بختيشوع).

(٤) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٧٣-٢٧٤ (دون)، انظر: الذهبي، تاريخ، ج١٢، ص٧ (دون).

أعطى الفضلَ خاتمَ الوزارة، ثم أخذه منه وأعطاه لجعفر[١]، في حين أن خليفة بن خياط، والطبري، أشارا إلى تولية جعفر الخاتم، ولم يذكرا الفضل[٢]. وكانت هذه المصادر ـ الجهشياري وابن عبد ربه والبيهقي ـ قد ركزت على تلطُّف الرشيد في نقل الخاتم من الفضل لجعفر بهدف عدم إزعاجه أو مضايقته.

أما المناصب الأخرى التي تولاها الفضل، فقد تفاوت اهتمام المصادر التاريخية بإيراد الأخبار حولها؛ فاليعقوبي أشار لدورين قام بهما الفضل؛ الأول: كان محاولته إخماد الفتنة التي حصلت بين النزارية واليمانية في أرمينيا، وإخفاقه في إخمادها وعودته للعراق[٣]. والثاني: تولية الرشيد له ولاية خراسان حين خرج أهل الطالقان[٤] وتمكُّنه مِنْ هزيمتهم، وإخضاع ثورتهم وذلك قبيل سنة ١٧٦هـ ٧٩٢م[٥]. وأشار اليعقوبي في كتاب "البلدان" إلى تفاصيل حول غزوات الفضل ابن يحيى في بلاد طخارستان[٦].

---

(١) ابن عبد ربه، العقد، ج٢، ص٢٧٢ (دون)، الجهشياري، الوزراء، ص١٣٣ (دون)، البيهقي، المحاسن، ج٢، ص١٨٩ (دون)، الراغب الأصفهاني، محاظرات، ج١، ص٢٢٥ (دون)، الحصري القيرواني، زهر الآداب، ص٤١٠ (دون)، ابن حمدون، التذكرة، ج٤، ص١٨٦ (دون)، ابن بدرون، شرح قصيدة ابن عبدون، ص٢٣٩ (دون)، ابن خلكان، وفيات، ج٤، ص٢٧-٢٨ (دون).

(٢) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة، ص٤٦٥ (دون)، الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٦٥ (دون)، المقدسي، البدء، ج٦، ص١٠٤ (دون).

(٣) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٤٢٦ (دون)، ابن أعثم، الفتوح، ج٨، ص٤٠٩ (دون).

(٤) طالقان: بلدتان: إحداهما بخراسان بين مرو الروذ وبلخ، بينهما وبين مرو الروذ ثلاث مراحل. وقال الإصطخري: أكبر مدينة بطخارستان طالقان، وهي مدينة في مستوى من الأرض، وبينها وبين الجبل غلوة سهم، ولها نهر كبير وبساتين. ومقدار الطالقان نحو ثلث بلخ ياقوت، معجم، ج٤، ص٦.

(٥) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٤٠٧ (دون).

(٦) اليعقوبي، البلدان، ص٢٨٩-٢٩١ (دون). طخارستان: ولاية واسعة كبيرة تشتمل على عدة بلاد، وهي من نواحي خراسان، وهي طخارستان العليا والسفلى؛ فالعليا شرقي بلخ وغربي نهر جيحون وبينها وبين بلخ ثمانية وعشرون فرسخاً، وأما السفلى فهي أيضاً غربي جيحون إلا أنها أبعد من بلخ. ياقوت، معجم، ج٤، ص٢٣.

أما الطبري، فتناول باهتمام وتفصيل المناصب والمهمات الإدارية التي تولاها الفضل بن يحيى، ولكنه في الوقت نفسه قدم أخباراً متضاربة؛ فقد ذكر أن الفضل تولى خراسان سنة ١٧٥هـ، ٧٩١م، وبايع فيها لمحمد الأمين بولاية العهد(١)، مع أن الطبري يشير في السنة نفسها إلى تولية الرشيد خاله الغطريفَ بنَ عطاء خراسانَ(٢)، وتؤكد المصادر الأخرى(٣) ذلك، ثم يشير الطبري أن الفضل بن يحيى وَلِيَ كور الجبال والري وجرجان وطبرستان والقومس سنة ١٧٦هـ، ٧٩٢م بهدف متابعة وملاحقة يحيى بن عبد الله العلوي(٤)، ثم أشار أن الفضل تولى خراسان سنة ١٧٧هـ، ٧٩٣م إلى جانب ما كان يتولاه مِنَ الري وسجستان(٥).

وبالغ الطبري في وصف أعمال الفضل بن يحيى في ولايته بخراسان سنة ١٧٨هـ، ٧٩٤م حين أشار إلى أعمال بناء المساجد والرباطات وغزواته في بلاد ما وراء النهر وأنه أنشأ جيشاً في خراسان ـ سماه العباسية ـ مكوناً من نصف مليون جندي من العجم. إن خطوة الفضل في تشكيل هذا الجيش تثير التساؤل، فهل كان الولاة يشكلون الجيش؟ وما دور الرشيد في ذلك؟ ثم ماذا كان مصير هذا الجيش؟ فالطبري لم يشر إلى مصيره، بل ذكر أن الفضل قدِمَ بعشرين ألفاً منه لبغداد، وترك الباقي في خراسان على أسمائهم ودفاترهم(٦)، ثم ماذا كان موقفهم

(١) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٤٠-٢٤١ (محمد بن الحسين بن مصعب).
(٢) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٤١ (دون).
(٣) خليفة يذكر أن الرشيد ولى الغطريف خراسان قبل الفضل البرمكي، وابن الجوزي وابن الأثير يشيران أن الغطريف تولى خراسان سنة ١٧٥هـ، انظر: تاريخ خليفة، ص٤٦٢، ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص١٠، ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص٢٨٨.
(٤) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٤٢ (أبو حفص الكرماني).
(٥) الطبري، تاريخ،ج٨، ص٢٥٥ (دون).
(٦) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٥٧ (دون)، مجهول، العيون، ج٣، ص٢٩٦ (دون)، ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص٣٦ (دون)، ابن كثير، البداية، ج١٠، ص١٧٧، لم يشر الأزدي وابن الأثير والذهبي إلى إنشاء جيش العباسية.

من نكبة البرامكة الذين أسسوه.

كما أورد الطبري قصيدة لمروان بن أبي حفصة تبالغ في مدح أعمال الفضل في خراسان(١)، وأشار إلى ممارسات الفضل وتصرفه بأموال الدولة دون رقيب وحسب هواه؛ حيث كان يهب مقربيه وأعوانَه الأموالَ والصلاتِ، فقد وهب خراج سجستان كاملاً وزاد عليه خمسمائة ألف درهم لإبراهيم بن جبريل(٢)، وذكر الطبري أن الفضل حين قدم من خراسان سنة ١٧٨هـ أخذ يصل المقربين بالمليون والنصف مليون درهم(٣) دون أن يظهر موقف الرشيد من تلك التصرفات.

إن الروايات التي أوردها الطبري فيها الكثير من المبالغة؛ لأن ذلك ـ حسب روايته ـ حصل خلال سنة واحدة من ولايته في خراسان، من سنة ١٧٧هـ إلى ١٧٨هـ. وفي هذه الفترة البسيطة لن يتمكن الفضل من كل ذلك.

واشترك الجهشياري مع الطبري في تقديم وصف إيجابي ومبالغ فيه أيضاً لأعمال الفضل في خراسان، لكنه اختلف عنه؛ فالجهشياري ذكر أن الرشيد ولّى الفضلَ المشرقَ كلَّه مِنَ النهروان إلى أقصى بلاد الترك، وأنه شخص لعمله سنة ١٧٨هـ(٤)، ثم تطرق لوصف أعمال الرشيد العمرانية في سنة ١٧٩هـ، في حين ذكر الطبري أن ذلك حصل سنة ١٧٨هـ، كما انفرد الجهشياري بإيراد تفاصيلَ لم يذكرها الطبري؛ مثل إحراق الفضل لدفاتر البقايا التي كانت على أهل خراسان،

---

(١) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٥٧ (دون).

(٢) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٥٨ (محمد بن العباس)، ص٢٥٨-٢٥٩ (الفضل بن إسحق الهاشمي)، انظر: الأزدي، تاريخ الموصل، ص٢٨١ (الطبري عن محمد بن العباس). كان إبراهيم يتولى شرط وحرس الفضل بن يحيى في خراسان، ثم ولاه الفضل سجستان، وكان الفضل يكلفه بفتح بعض المناطق مثل كابل، وغزا إبراهيم بالصائفة سنة ١٨٨هـ، انظر: الطبري، تاريخ، ج٨،ص ٢٥٨-٢٥٩ ، ٢١٣.

(٣) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٥٩ (الفضل بن إسحق الهاشمي)، ص٢٦٠ (العباس بن جرير).

(٤) الجهشياري، الوزراء، ص١٢٢ (دون).

وأنه هدم جزءاً من معبد النوبهار، وبنى مسجداً فيه(١)، لكنه لم يشر إلى إنشاء جيش العباسية.

ويمكن تفسير المبالغات التي وردت لدى الطبري والجهشياري وغيرهما على أنها من إضافات الكُتَّاب الذين بالغوا في إظهار أعمال الفضل من خلال الروايات الشعوبية(٢)، لكن البعض سلَّم بصحة تلك الأخبار، ورأى أن تشكيل الفضل بن يحيى لجيش العباسية كان أحد أسباب شكوك الرشيد التي دفعته إلى نكبتهم؛ لأنه عدها بمثابة انقلاب مسلح(٣) وهو استنتاج غير دقيق.

وكان موقف المسعودي مغايراً تماماً؛ إذ اشار إلى تشاغل الفضل أثناء ولايته في خراسان بالصيد وإدمان اللذات عن النظر في أمور الرعية، ولم يحاسبه الرشيد، بل وكَّل أمره إلى أبيه ليردَعه عن ذلك(٤).

أما فيما يتعلق بوزارة جعفر بن يحيى والأعمال الإدارية التي أُسندت إليه، فقد أشارت بعض المصادر ـ مثل خليفة بن خياط، والبيهقي في "تاريخه" إلى أن جعفراً كان وزيراً للرشيد بعد أبيه يحيى(٥)، في حين أشارت مصادر أخرى ـ كالطبري، والبيهقي في "المحاسن"، وابن عبد ربه، والجهشياري، والمقدسي وغيرهم ـ إلى أن جعفر بن يحيى كان يتقلد الخاتم. وهذا يرجح تولِّيه ديوان الخاتم. وأشاروا إلى أن الرشيد تلطَّف بنقل ذلك الخاتم من الفضل إلى أخيه جعفر(٦)، وانفرد الطبري

(١) الجهشياري، الوزراء، ص١٢٣ (دون)، ابن خلكان، وفيات، ج٤، ص٢٩.

(٢) انظر: الدوري، العصر العباسي، ص١٢٤، فاروق عمر، الخليفة المجاهد، ص٢٣، عدنان عبيدات، البرامكة، ص٩٨.

(٣) الجومرد، هارون الرشيد، ص٣٨٩.

(٤) المسعودي، مروج، ج٤، ص٢٣٤ (ذكر ذو معرفة بأخبار البرامكة).

(٥) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة، ص٤٦٥ (دون)، البيهقي، تاريخ البيهقي، ص٧٢٢ (دون)، انظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج١٤، ص٢٠٥-٢٠٦ (دون)، القرماني، أخبار الدول، ص٦٥٠، الخوانساري، روضات، ج٤، ص١٧٧.

(٦) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٦٥ (دون)، البيهقي، المحاسن، ج٢، ص١٨٩ (دون)، المقدسي،=

عنهم بالإشارة إلى أن الرشيد نقل الخاتم من جعفر إلى أبيه يحيى[1]، وذلك سنة ١٨٠هـ.

واختلفت المصادر حول تولّي جعفر بن يحيى للمناصب الإدارية؛ فالطبري يذكر أن الرشيد ولّى جعفرَ بن يحيى مصر سنة ١٧٦ هـ[2]، وأنه عزله سنة ١٧٧هـ[3] دون تحديد الأسباب، كما أشار إلى أنه تولّى خراسان سنة ١٨٠هـ، ثم عزله الرشيد عنها بعد ٢٠ يوماً[4].

وأشار كل من اليعقوبي، والطبري، والجهشياري إلى تكليف الرشيد لجعفر سنة ١٨٠هـ لإخضاع العصبية التي ثارت بين القيسية والمضرية بعد أن عقد له على الشام، وتمكّن مِنْ ذلك دون قتال[5]. وانفرد الطبري بإيراد نص لخطاب مطّول وجّهه جعفر للرشيد بعد عودته مِنَ الشام، وكان نص الخطاب قد فاق ما ذكره الطبري عن أحداث العصبية التي حصلت بالشام، وهذا يظهر اهتمام الطبري الزائد بأخبار البرامكة، حتى وإن كانت غيرَ مرتبطةٍ بالأحداث التي يرويها. وامتاز هذا

= البدء، ج٦، ص١٠٤ (دون)، الراغب الأصفهاني، محاضرات، ج١، ص٢٢٥ (دون)، الحصري القيرواني، زهر الآداب، ص٤١٩، انظر: ابن حمدون، التذكرة، ج٤، ص١٨٦ (دون)، ابن خلكان، وفيات، ج٤، ص٢٧ (دون)، ابن الطقطقا، الفخري، ص٢٠٥.

(١) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٦٥ (دون)، ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص٤٧ (دون).

(٢) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٥٢ (الواقدي)، ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص١٩ (دون)، ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص١٢٦.

(٣) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٥٥ (فيما ذُكر)، ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص٢٩ (دون).

(٤) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٦٦ (دون)، الصولي، أخبار الشعراء المحدثين، ص٧٨، ٨١-٨٣ (دون)، انظر: الأصفهاني، الأغاني، ج١٨، ص٤٠٥، ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص٤٧، ابن كثير، البداية، ج١٠، ص١٨١.

(٥) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٤٠١ (دون)، الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٦٢-٢٦٥ (ذكر)، الجهشياري، الوزراء، ص١٣٣ (دون)، انظر: ابن حمدون، التذكرة، ج٨، ص١٢٦ (دون)، ابن العديم، بغية الطلب، ج٤، ص١٨٧٠ (دون)، الذهبي، تاريخ، ج١٢، ص١٠٠.

الخطاب بالبلاغة والسجع والإطالة والتكرار، حيث بالغ فيه جعفر في إظهار محبَّته وطاعته وولائه المطلق للرشيد، كما بالغ في مدح خلافة الرشيد وحال الرعية وصلاح أمرهم وطاعتهم للرشيد(١).

إن ورود هذا النص ربما يعكس ما ارتبط بشكوك الرشيد تجاه جعفر، فسعى الأخير إلى إبعاد تلك الشكوك في ذلك الخطاب، وفي الوقت نفسه انفرد الجهشياري بإيراد نص لخطبة جعفر حين أصلح بين طرفي العصبية(٢).

وانفرد خليفة بن خياط، والطبري بالإشارة إلى تولية الرشيد الحرسَ لجعفر(٣)، كما انفرد الجهشياري بالإشارة إلى أن الرشيد قلَّد جعفراً بريد الآفاق ودُور الضرب والطِّراز في جميع الكُوَر(٤)، وأنه جلس للمظالم، وأشار إلى مقدرته الإدارية العالية في توقيعاته للمتظلمين(٥)، كما انفرد الجهشياري بالإشارة إلى أن الرشيد ولَّى جعفر بن يحيى المغرب كلَّه من الأنبار إلى إفريقيا سنة ١٧٦هـ(٦)، ويشير مرة أخرى إلى أنه في أعقاب النكبة وجد في دار جعفر بن يحيى دنانيرَ، وزنُ كلِّ دينارٍ منها مئة دينار ودينار، وعلى كل دينار مكتوب من أحد جانبيه بيت شعر، ويشير

---

(١) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٦٣-٢٦٥ (دون).

(٢) الجهشياري، الوزراء، ص١٣٤ (دون).

(٣) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة، ص٤٠١ (دون)، الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٦٦ (دون)، ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص٤٧ (دون).

(٤) الجهشياري، الوزراء، ص١٣٣ (دون).

(٥) الجهشياري، الوزراء، ص١٣١، ١٣٥ (دون)، انظر: الخطيب، تاريخ بغداد، ج٥، ص٤٠٩، ج٧، ص١٥٣-١٥٤ (أحمد بن الجنيد الإسكافي)، الماوردي، الأحكام، ص١١٣-١١٤ (عون ابن محمد)، أشار الماوردي إلى جلوس جعفر لمظلمة أهل المرغاب، البيهقي، تاريخ البيهقي، ص٧٢٢، ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص١٤٠-١٤١ (دون)، الأربيلي، خلاصة، ١٤٩ (احمد بن جنيد الإسكافي).

(٦) الجهشياري، الوزراء، ص١٢٢ (دون).

إلى وجود صورة على ذلك الدينار[١]، وهذا الوصف مبالَغٌ به، فلم يعثر على نقود منقوش عليها مثل هذه الكتابة، أو وجود صور لأشخاص. وأورد الخطيب البغدادي روايتين حول ذلك؛ في الأولى: أيَّد ما جاء به الجهشياري، وفي الثانية: ذكر أن جعفراً أمر أن تُضرَبَ دنانيرُ في كلٍّ دينار ثلاثمائة مثقال، وأن يصوَّرَ عليها صورةُ وجهه، فضُرِبت، فلما سمع أبو العتاهية بذلك قال بيتين من الشعر لجعفر ليتلقَّى صِلاته[٢]، وهذا يفسر ما جاء في الرواية الأولى.

من خلال ما سبق يلحظ أن المصادر لا تسجل نقداً واضحاً لأعمال البرامكة وآثارهم الإدارية، حتى لو كان فيها أخطاء، بل على العكس، كانت مادحةً ومُمَجِّدة لأعمالهم، وصوَّرتها بشكل مبالَغٍ فيه من حيثُ الإتقانَ والفاعلية، ومن هنا يصعُب إعطاء فكرة دقيقة عن الأثر الذي قام به البرامكة؛ لأن الرواة يتعصَّبون لهم أو عليهم[٣]. وفسر بعض الباحثين اعتماد الرشيد الكلِّي على البرامكة أحياناً بهدف التفرغ لمحاربة البيزنطيين[٤] وأحياناً أخرى بهدف إتاحة الفرصة له لممارسة المُتع الفنية والأدبية وتأمين الراحة والدَّعة له[٥].

كما نجد المبالغة أيضاً تغلب على تناول كثير مِنَ المصادر للعلاقة الشخصية بين الرشيد والبرامكة، فقد ذكر الجهشياري أن يحيى كان يتدخل في تصرفات الرشيد حين كان يسايره، وكان بمثابة الناصح والمقوِّم لتصرفاته، فلا ينكر عليه خطأه، بل

---

(١) الجهشياري، الوزراء، ص١٥٥ (الحارث بن أسامة في كتابه أخبار الخلفاء)، الخطيب، تاريخ بغداد، ج٧، ص١٥٥-١٥٦ (أبو محمد عبد الله بن علي)، ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص١٤٣ (عبد الله بن علي أبو محمد).

(٢) الخطيب، تاريخ بغداد، ج٧، ص١٥٦ (أبو عبد الله مؤدب محمد بن عمران بن يحيى بن خالد)، الذهبي، تاريخ، ج١٢، ص١٠٢ (دون).

(٣) الدوري، العصر العباسي الأول، ص١٢٧-١٢٨.

(٤) محمد عبد الحي شعبان، الدولة العباسية، ص٤٥.

(٥) سعدي ضناوي، موسوعة هارون، ج١، ص٤٥-٤٦، ٦٠.

يضرب له الأمثال عن الخلفاء وكيف كانوا يتصرفون[١].

وبالغ المسعودي في تصوير سيطرة يحيى بن خالد على حريم الرشيد وتدخُّلاته في شؤونهن دون أن يجد اعتراضاً من الرشيد، فقد شكت زبيدةُ تدخلاتِ يحيى للرشيد، لكنه لم يستمع لها، وكان يحيى يقفل أبواب الحرم بالليل، ويأخذ مفاتيحه معه إلى داره[٢].

وبالغ أيضاً الأصفهاني في تصوير هذه العلاقة من خلال تقديمه أخباراً غير منطقية، حين سرد برواية محمد بن يحيى البرمكي قصة اصطحاب الرشيد ليحيى البرمكي لأحد حُجَرِ قصره ليسمعه غناء أخته عُلَيَّة، وليطربا ويرقصا على غنائها، وطلب الرشيد من يحيى أن يكون ذلك سراً بينهما[٣].

إن إسناد هذه القصة المتصل بالبرامكة ينفي صحتها، حيث قُصِدَ منه التشويهُ وإظهار دالَّة البرامكة على الرشيد بصورة غير منطقية. كما أشار الأصفهاني إلى أن الرشيد كان يذهب إلى يحيى بن خالد لحضور حفلات الغناء والطرب التي يقيمها يحيى[٤].

كما بالغت بعض المصادر في وصف العلاقة الشخصية بين الرشيد وجعفر بن يحيى؛ فقد صورها بأنها حميمة من خلال منادمة جعفر للرشيد، وأن أباه يحيى كان ينهاه عن منادمة الرشيد ويأمره بترك الأُنس به، فلا يستمع له[٥]، وأن يحيى كان يخشى من تطور هذه العلاقة ويتوقع لها نتائج سيئة ستعود عليه، حين قال

(١) الجهشياري، الوزراء، ص١٣٠ (دون)، ابن حمدون، التذكرة، ج٢، ص٤٩ (دون)، انظر: ابن خلكان، وفيات، ج٦، ص٢٢٧ (دون)، الإربيلي، خلاصة، ص١٠٨ (دون).

(٢) المسعودي، مروج، ج٤، ص٢٤٨ (دون)، ابن خلكان، وفيات، ج١، ص٣٣٣ (دون).

(٣) الأصفهاني، الأغاني، ج١٠، ص٣٦٤–٣٦٥ (محمد بن جعفر بن يحيى البرمكي)، ابن حمدون، التذكرة، ج٩، ص٥٥–٥٦ (محمد بن جعفر البرمكي)، النويري، نهاية، ج٤، ص٢١٧–٢١٨ (أبو الفرج عن محمد بن جعفر البرمكي).

(٤) الأصفهاني، الأغاني، ج١٨، ص٣٠٥ (يحيى بن المكي)، النويري، نهاية، ج٥، ص٩٣ (قال أبو الفرج).

(٥) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٩٣ (دون).

للرشيد: "أنا والله أكره مداخلة جعفر معك، ولست آمن أن ترجع العاقبة في ذلك علي منك، فلو أعفيتَه واقتصرت به على ما يتولاه... كان ذلك واقعاً بموافقتي"(١).

كما وصفها الجهشياري وبالغ في ذلك فقد ذكر أنه ـ ولشدة غَلَبَةِ جعفر وتمكُّنه مِنْ أمر الرشيد، وبلوغه مرتبة لم يصلها أحد ـ دفع الرشيد إلى أن ينادي جعفراً أخي، وأنزله معه في قصر الخلد. وأن الرشيد كان يقول ليحيى بن خالد: أنت للفضل وأنا لجعفر(٢).

وبالغ الجهشياري، والمقدسي وغيرُهما مِمَّن نُقِل عنهم في وصف شدة تعلق الرشيد بجعفر؛ بأن الرشيد وجعفراً كانا يلبسان ثوباً واحداً، حيث وصف المقدسي هذا الثوب بأن له جيبين (زيقين)(٣)، وهو وصف مبالَغٌ فيه في التشويه، فهل يمكن لخليفة أن يتصرف بمثل ذلك؟ وهل هذه الطريقة في اللباس ممكنة؟!(٤) وربما قُصد من ذلك الدلالة على شدة قرب جعفر من الرشيد.

وبالغ أيضاً ابن عبد ربه، والجهشياري، والأصفهاني وغيرهم من المتأخرين في وصف سيطرة ودالة جعفر بن يحيى على الرشيد، وخاصة في شؤونه الخاصة؛ فقد أوردت تلك المصادر قصةً تدخَّل فيها جعفر للتوسط بين عبد الملك بن صالح العباسي والرشيد، حين شكا لجعفر حالة الجفاء التي بينه وبين الرشيد، وبأنه يطمح بأن يقضي دينه، ويصاهر الرشيد، ويوليه مصر، فوعده جعفر بتحقيق مطالبه

(١) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٩٣ (سعيد بن هريم).

(٢) الجهشياري، الوزراء، ص١٢١ (دون).

(٣) الجهشياري، الوزراء، ص١٣١ (دون)، المقدسي، البدء، ج٦، ص١٠٤ (دون)، ابن خلكان، وفيات، ج١، ص٣٣٢ (دون)، ابن بدرون، شرح قصيدة ابن عبدون، ص٢٢٢ (على ما ذكره بعض المؤرخين)، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١١، ص١٥٩، النويري، نهاية، ج٢٢، ص١٤٢، انظر: الدوري، العصر العباسي، ص١٢٦.

(٤) شكك الجومرد في هذه الرواية، ورفَّع الرشيد عن مثل هذه التصرفات الصبيانية، ولكنه في الوقت نفسه اعتقد بأن الرشيد أسرف في تقريب جعفر وغالى في تدليله، الجومرد، هارون الرشيد، ص٣٥٥.

وطموحاته، فلما التقى جعفر بالرشيد نفَّذ جميع ما وعد به عبدَ الملك، وظهر الرشيد بأنه منقادٌ لجعفر ويسير بأمره(١). وانفرد الأزدي عن هذه المصادر بالإشارة إلى أن صاحب القصة هو الفضل بن يحيى، وليس جعفراً(٢).

يلحظ أن هذه القصة هدفت إلى تصوير مدى سطوة البرامكة على الرشيد، لكنها أثارت في الوقت نفسه استغراب بعض المؤرخين؛ فقد أورد اليافعي تعليقه على هذه القصة بقوله: "فوالله ما أدري أيهم أعجب فعلاً عبد الملك في تعاطيه ما ليس له بعادة، وكان رجلاً ذا جد وتعفف ووقار وناموس، أو إقدام جعفر على الرشيد بما أقدم، أو إمضاء الرشيد ما حكم به جعفر عليه"(٣). وهذا يدلُّ ـ بشكل مباشر ـ على وجود تلاعب أو اختلاق لهذه القصة؛ لأن أحد رواتها هو إسحق الموصلي المقرَّب من البرامكة، حيث عُرِفَ عن هذه الأسرة قربُها الشديد من البرامكة وتلقِّي الصلات الدائمة منهم.

وأشار الأصفهاني إلى اشتراك جعفر في جلسات لهو الرشيد وحفلات الغناء والسمر، وأن الرشيد تقاسم معه المطربين(٤)، وأنه كان يفتخر بصحبته مع جعفر البرمكي، ويطلب من الشعراء وصف علاقته به(٥) مع أن المتوقع حصول العكس.

(١) ابن عبد ربه، العقد، ج١، ص٢٦٦-٢٦٨ (إبراهيم بن المهدي)، ج٥، ص٧٢-٧٣ (إبراهيم بن المهدي)، الجهشياري، الوزراء، ص١٣٦-١٣٧ (إسحق الموصلي)، الأصفهاني، الأغاني، ج٥، ص٢٦٧-٢٦٨ (إسحق الموصلي)، التنوخي، الفرج، ج١، ص٣٦٢-٣٦٥ (إسحق الموصلي)، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٣٧، ص٢٦-٢٧ (إسحق الموصلي) ابن بدرون، شرح قصيدة ابن عبدون، ص٢٢٣-٢٢٤ (دون)، ابن خلكان، وفيات، ج١، ص٣٤٢-٣٤٣، ٣٣٠-٣٣١ (إبراهيم بن المهدي)، الذهبي، تاريخ، ج١٢، ص٢٧ (إبراهيم بن المهدي).

(٢) الأزدي، تاريخ الموصل، ص٢٦٢-٢٦٣ (حماد بن إسحق الموصلي).

(٣) اليافعي، مرآة الجنان، ج١، ص٤١٥-٤١٦ (هلال بن محسن الصابئ، كتاب الأمثال والأعيان)، انظر: الدوري، العصر العباسي الأول، ص١٢٦.

(٤) الأصفهاني، الأغاني، ج٥، ص١٣٨-١٤٠ (محمد بن أحمد بن يحيى المكي عن أبيه عن جده)، ابن حمدون، التذكرة، ج٩، ص٢٩-٣٠ (روي).

(٥) الأصفهاني، الأغاني، ج١٨، ص٣٨٩ (العُتبي).

وتناولت المصادر التاريخية والأدبية صفات البرامكة، وفي هذا الجانب نجد أنفسنا أمام أخبار وقصص وآراء تنقسم في اتجاهين واضحين؛ الأول: يمدح البرامكة ويمجدهم ويقدمهم من خلال صفات مثالية، والثاني: قدَّمهم من خلال صفات سلبية. لكن الاتجاه الأول كان أوضحَ وأضخمَ في المصادر(١)، وهذا ناتج عن أسباب ستتضح بعد استعراض كيفية تناول تلك المصادر لصفاتهم ومعالجتها.

قدمت المصادر الأدبية وكتب التراجم والقليل مِنَ المصادر التاريخية أوصافاً للبرامكة بأشكال متنوعة؛ حيث كانت تطلق صفاتها على البرامكة على العموم، وفي أحيان أخرى تفرد لكل شخصية منهم أخباراً وقصصاً تتناول تلك الصفات، فقد قدمت بعض المصادر الأدبية أوصافاً عامة لأسرة البرامكة بحيث إنهم أصبحوا مضرِبَ المثل في الصفات الحميدة، فقد وصفهم الأصمعي في "طبقات الشعراء" بأنهم كانوا مثالَ النَّجابة والشرف(٢). وبالَغَ سهلُ بن هارون في وصف البرامكة، حيث أورد ابن عبد ربه وصاحب "الإمامة والسياسة" وصفه الذي لم يترك صفةً حميدةً إلا وصفهم بها. وهذا ناتج عن ميله إليهم؛ فقد وصفهم بالبلاغة والفصاحة في خطبهم، وشبه كلامهم بالدُّرِّ والجوهر، فقال: "لقد عمرت معهم، وأدركت طبقة المتكلمين في أيامهم، وهم يرون أن البلاغة لم تستكمل إلا فيهم، ولم تكن مقصورةً إلا عليهم، ولا انقادت إلا لهم، وأنهم محضُ الأنام، ولُباب الكرام، ومُلَحُ الأيام، عِتْقُ منظر، وجودة مخبر، وجزالة منطق، وسهولة لفظ، ونزاهة نفس، واكتمال خصال، حتى لو فاخَرَت الدنيا بقليلِ أيامهم والمأثورِ في خصالهم... لما باهت إلا بهم"(٣).

---

(١) انظر: الدوري، العصر العباسي الأول، ص١٢٨.

(٢) ابن المعتز، طبقات الشعراء، ص٢١٣-٢١٤ (الأصمعي).

(٣) ابن عبد ربه، العقد، ج٥، ص٥٨ (سهل بن هارون)، انظر: ج٤، ص١٧٠ (دون)، مجهول، الإمامة والسياسة، ج٢، ص١٦٦-١٦٧ (سهل بن هارون)، انظر: ابن الطقطقا، الفخري ج١ ص١٩٨.

كما وصف التوحيدي، والزمخشري زمن البرامكة بالحسن وكثرة الخير والخصب، وأن الناس كانوا يصفون الموائد الفاخرة ويشبهونها بزمن البرامكة(١).

وقدم ابن خلكان وصفاً ومدحاً لأسرة يحيى بن خالد وأولاده جاء على لسان المأمون بقوله "لم يكن ليحيى بن خالد كولده أحد في الكفاية والبلاغة والجودة والشجاعة "(٢).

وأوردت بعض المصادر التاريخية والأدبية وكتب التراجم وصفاً للبرامكة بالجود والكرم؛ فقد بالغ كلٌّ مِنَ البيهقي، والمسعودي، والخطيب البغدادي في وصف البرامكة بالكرم؛ فقد بالغ البيهقي في خبره الذي يشير فيه أن البرامكة كانوا يخرجون في الليل سراً ليتصدقوا بالأموال على الناس، يدقُّون أبوابهم، أو يتركون صدقاتِهم على عَتَبَات الأبواب في صُرَرٍ تحوي من ٣–٥ آلاف درهم(٣).

ولم يشر المسعودي إلى تفاصيل حول ذلك، بل ذكر أن أفضال البرامكة واصطناعهم للمكارم معروف. وأشار إلى أنه ذكر تفاصيل حول ذلك في كتابه "الأوسط وأخبار الزمان"(٤)، كما بالَغَ راوي الخطيب البغدادي محمد بن يحيى حين وصف البرامكة بأنهم أكرمُ مَنْ في الدولة العباسية(٥).

كما أشار الأصفهاني، والتنوخي، والخطيب، والقفطي، وابن أبي أُصيبعة من خلال بعض أخبارهم عن البرامكة إلى كرم غير مبرر ومبالَغٍ فيه؛ حيث ذكر

---

(١) التوحيدي، البصائر، ج٥، ص٣٤ (دون)، الزمخشري، ربيع الأبرار، ج١، ص٢٦ (قيل).

(٢) ابن خلكان، وفيات، ج٦، ص٢٢٢ (المأمون).

(٣) البيهقي، المحاسن، ج١، ص٣١٦–٣١٧ (دون)، انظر: ابن حمدون، التذكرة، ج٢، ص٣٥١ (أبو العيناء).

(٤) المسعودي، مروج، ج٤، ص٢٦٠ (دون)، انظر:، ج٥، ص٢١٢ (محمد بن علي المصري (العبدي) الإخباري).

(٥) الخطيب، تاريخ بغداد، ج٤، ص١٤٢ (محمد بن يحيى)، انظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٦، ص٢٩٧ (حُكي)، الأبشيهي، المستطرف، ج١، ص٤٩٦ (أبو العيناء).

الأصفهاني في رواية مخارق المغني أن يحيى وولديه الفضل وجعفراً أعطوْا جميعاً للمغني إبراهيم الموصلي مبلغ ستمائة ألف درهم ليشتري ضَيْعَةً ليس بحاجتها، ولديه مِنَ المال ما يكفي لشرائها، ولكن لشدة بخل إبراهيم لم يجرؤ على شرائها حتى بعد صِلاتِ البرامكة، فاشتراها جعفرٌ ووهبها له، وهذا التصرف مِنْ قبل البرامكة لو صح لعكس سوء تصرف واستهتار بأموال الدولة في أوجه غير شرعية[١]. كما أشار التنوخي والقفطي وابن أبي اصيبعة إلى أن صِلاتِ البرامكة للطبيب جبرائيل بن بختيشوع فاقت ما قدَّمه الرشيد له[٢].

وقدمت المصادر التاريخية والأدبية وكتب التراجم أوصافاً خاصة بكلِّ فرد من أفراد أسرة البرامكة، فقد وصف اليعقوبي والمسعودي يحيى بن خالد بحب الحكمة وعلم الكلام والنظر، ووفرة العقل، وكثرة المتكلمين في أيامه، وأنهم كانوا يتناظرون ويضعون الكتب، كما وصفه بالسماحة والجود والكرم، وأن الناس يتشبهون بأعماله[٣].

وأضاف المسعوديُّ لتلك الصفات تفاصيلَ حول المجالس العلمية التي كان يجتمع فيها الكثير من أهل البحث والنظر من متكلمي الإسلام من أهل الآراء والنحل.

وأورد المسعودي نصوصاً لآراء المتكلمين في إحدى جلسات يحيى بن خالد، حيث كان مضمونها العشق، ويلحظ منها أن مجلسه كان يضم تيارات فكرية

(١) الأصفهاني، الأغاني، ج٥، ص١٢١-١٢٣ (مخارق المغني)، انظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٨، ص١٥١-١٥٢ (مخارق المغني).

(٢) التنوخي، نشوار، ج٨، ص٢٤٥-٢٤٩ (ثابت بن سنان الحراني)، القفطي، تاريخ الحكماء، ص١٤٢-١٤٣ (دون)، ابن أبي أُصيبعة، عيون الأنباء، ص١٩٢ (عن بعض التواريخ)، ص١٩٩-٢٠٠ (مدرج بخط كاتب جبرائيل بن بختيشوع).

(٣) اليعقوبي، مشاكلة الناس لزمانهم، ص٣٧ (دون)، المسعودي، مروج، ج٤، ص٢٣٣ (رأي المسعودي).

وحزبية متعددة؛ مثل: الإمامية، والمعتزلة، والخوارج (الشُّراة)، والمرجئة(١).

وأورد كلٌّ مِنَ الصُّولي، والجهشياري، والخطيب أنَّ أبانَ بنَ عبد الحميد اللاحقي حوَّل كتاب "كليلة ودمنة" إلى شعر وأهداه إلى البرامكة(٢).

كما أشار ابن النديم، والقفطي إلى اهتمام يحيى بن خالد بتأليف الكتب وتفسيرها وترجمتها حيث أُلِّفَ وترجم له عدة كتب؛ منها: كتاب "سسرد" لمكنه الهندي، وكتاب "المجسطي"، وكتب أخرى(٣).

ووصف كلٌّ مِنَ البيهقي(٤)، والجهشياري(٥)، والأصفهاني(٦)، والتنوخي(٧)

(١) المسعودي، مروج، ج٤، ص٢٣٣ (رأي المسعودي)، ص٢٣٦–٢٤٥ (دون)، انظر: ابن خلكان، وفيات، ج٤، ص٢٦٦ (دون).

(٢) الصولي، أخبار الشعراء المحدثين، ص٥١ (علي بن محمد النوفلي)، الجهشياري، الوزراء، ص١٣٥–١٣٦ (دون)، الخطيب، تاريخ بغداد، ج٧، ص٤٤ (دون)، انظر: ابن بدرون، شرح قصيدة ابن عبدون، ص٢٣٠–٢٣١ (دون)، الذهبي، تاريخ، ج١٣، ص٨٦.

(٣) ابن النديم، الفهرست، ص٣٦٠، ٣٣٥، القفطي، تاريخ الحكماء، ص٩٧، ١٦٥ (دون).

(٤) انظر القصة التي وصل فيها يحيى بن خالد محمد بن إبراهيم الإمام بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس، البيهقي، المحاسن، ج١، ص٣٢٦ (أيوب بن هارون بن سليمان بن علي)، وصلة يحيى للواقدي، المحاسن، ج١، ص٣٢٠–٣٢١ (يزيد المكي)، وصلاته للصيادين في مدينة جدة، المحاسن، ج١، ص٣٢٠–٣٢١ (صالح بن سليمان)، وصلته لجبرائيل بن بختيشوع بمبلغ ٧٠٠ الف درهم ليكمل ثمن ضيعة المحاسن، ج١، ص٢٩٦ (إبراهيم بن ميمون)، وقضاءه لدين أحد كتابه، المحاسن، ج١، ص٢٩٥ (رجل من آل سوار بن ميمون)، انظر: عن صلاته: للواقدي، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٥٤، ص٤٦٧، (محمد بن سعد)، ج٥٤، ض٤٥٩–٤٦٠ (الواقدي)، ج٥٧، ص٤٦٦ (الواقدي).

(٥) انظر صلات يحيى بن خالد لإبراهيم الموصلي لشراء ضيعة خاصة به، الجهشياري، الوزراء، ص١١٦–١١٨ (إسحق الموصلي عن أبيه)، وقصة أخرى تحمل المضمون نفسه، ص١٣٧ (مخارق المغني).

(٦) انظر صلات يحيى بن خالد للمغنين: الأصفهاني، الأغاني، ج٥، ص١١٤ (إسحق الموصلي عن أبيه)، وج٤، ص٥٠٤ (حماد بن إسحق الموصلي عن أبيه).

(٧) انظر صلة يحيى بن خالد لعبد العزيز بن عمران الأعرج: التنوخي، نشوار، ج٦، ص١٥٩–=

يحيى بنَ خالد بالجود والكرم من خلال أخبار وقصص أوردوها، كانت في معظمها مسندةً، حيث بالَغَتْ في وصفه بالكرم وبذله الأموال للأتباع والمقربين، حتى إنها كانت تصل للعباسيين أنفسهم.

كما أوردت المصادر الأدبية مدائحَ الشعراء المبالَغ فيها في يحيى بن خالد، حيث قدمت كمّاً كبيراً من القصائد لشعراء عديدين مدحوا البرامكة طلباً لصلاتِهم، فقد اختصَّ بهم عددٌ مِنَ الشعراء، وأطالوا في مدحهم، فقد أورد كلٌّ مِن ابن المعتز[1]، والصولي[2]، والثعالبي[3]، والحُصري القيرواني[4] قصائدَ وأشعاراً في مدح يحيى بن خالد البرمكي والثناء عليه.

أما عن أولاد يحيى بن خالد: الفضل وجعفر، فقد اهتمت المصادر الأدبية أيضاً

= ١٦٠ (الزبير بن بكار)، الفرج، ج٤، ص٣٣٩-٣٤٢ (احمد بن الصلت الحماني ت ٣٠٨هـ)، أبو العباس احمد بن الصلت بن المغلس الحماني (الخطيب، تاريخ بغداد، ج٤، ص٢٠٧)، وانظر: أخبار أخرى الفرج، ج٤، ص١٠-١٢ (دون)، ج٣، ص٢٤٣-٢٥٨ (يحيى بن خاقان)، انظر أيضاً: ابن حمدون، التذكرة، ج٢، ص١٩٠-١٩٢، (دون)، ج٥، ص١٦ (دون)، ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص١٨٨-١٩٠ (الزبير بن بكار) ابن الطقطقا، الفخري، ص١٨٧-١٨٨ (قالوا).

(١) انظر مدائح سلم الخاسر في يحيى بن خالد: ابن المعتز، طبقات الشعراء، ص١٠٠-١٠١ (دون)، ومدائح الشاعر أبان بن عبد الحميد اللاحقي، طبقات الشعراء، ص٢٤١ (أبو هفان).

(٢) انظر مدائح سلم الخاسر في يحيى بن خالد والبرامكة: الصولي، أخبار الشعراء المحدثين، ص١٢-١٣ (الجاحظ)، ص٣٨ (عيسى بن إسماعيل) ومدائح أبان بن عبد الحميد، أخبار الشعراء، ص٣٣ (شاكر بن عبد الله بن عبد الحميد اللاحقي) ومدائح أشجع في يحيى، أخبار الشعراء، ص١١٧ (دون)، ص٨٠ (منصور بن زياد).

(٣) انظر مدائح ابن مناذر وسَلْم الخاسر وآخرين ليحيى بن خالد والبرامكة: الثعالبي، تحفة الوزراء، ص١٦٠-١٦٢ (دون)، الرسائل، ص٣١ (دون).

(٤) انظر مدائح ابي نواس: الحصري القيرواني، زهر الآداب، ص٢٠٤-٢٠٥ (أبو هفان) ومدائح نصيب الأصفر، زهر الآداب، ص١٠٣٠ (دون)، ومدائح، أبي قابوس النصراني، زهر الآداب، ص٣٧٤.

بإيراد أوصاف كثيرة ومبالَغ فيها لهما. أما الفضل بن يحيى، فقد تفاوتت المصادر في وصفه؛ فأورد ابن المعتز وصفاً لحياة الرفاه والبذخ التي كان يتمتع بها، حيث جاء ذلك على لسان الأصمعي بوصفه شاهدَ عيان حين التقى به؛ فأورد الأصمعي وصفاً لمجلس ومائدة الفضل التي كانت في غاية الفخامة، ووصفها بقوله: "إلا أني لم آكل في الدنيا شيئاً يدانيها قط لَذَّةً وطِيبةً عند خليفة ولا ملك"(١).

وبالغ أحد رواة الطبري ـ هو أحمد بن الحسن بن حرب ـ في تصوير الفضل بن يحيى البرمكي بالتقوى، وأنه لم يشارك الرشيد في الشرب والسماع، وذكر على لسان الفضل قوله "لو علمت أن الماء ينقص من مروءتي ما شربته"(٢).

في حين ركز ابن عبد ربه على وصف براعته الأدبية وبلاغته، وأورد حول ذلك قصيدةً مطوَّلةً(٣).

أما الجهشياري، فقد أشار إلى عدة جوانب في وصفه، فعندما أورد مقارنة إبراهيم الموصلي بين أولاد يحيى، ميَّز الفضل بأنه "يرضيك بفعله"(٤)، لكنه في الوقت نفسه أورد وصف الواقدي للفضل بأنه متكبر ويتبختر في مشيته، وأن هذه الصفة كانت تزعج أباه يحيى(٥). وفي الجانب الأدبي وصفه بأنه أروى الناس

(١) ابن المعتز، طبقات الشعراء، ص٢١٣-٢١٦ (الأصمعي).

(٢) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٩٣ (أحمد بن الحسن بن حرب شاهد عيان، يبدو انه أحد الحُجَّاب أو الخدم) ويرى الهبري بوجود تشابه في شخصيتي الفضل والمأمون، وان كليهما كان يتصف بالتقوى والورع، حيث رفضا معاقرة الخمر او حضور مجالسها، وكانا ملتزمين بقواعد السلوك الكريم والاهتمام بالثقافة، اما جعفر والأمين فقد ظهرا أنهما أبناء مزعجون فكروا بالحياة من أجل إشباع رغبتهما الحسية، ولم يفوِّتا حفلة شراب وأنهما كانا مستهترين، وكان لكليهما نهاية شنيعة ومأساوية . Tayeb EL Hibri, Harun Al Rashid, p35-36

(٣) ابن عبد ربه، العقد، ج٤، ص٢٠٣-٢٠٤ (محمد بن إبراهيم بن محمد الشيباني).

(٤) الجهشياري، الوزراء، ص١٢٧ (إبراهيم الموصلي).

(٥) الجهشياري، الوزراء، ص١٢٦-١٢٧ (الواقدي)، انظر: الخطيب، تاريخ بغداد، ج١٢، ص٣٣٤ (دون)، ابن حمدون، التذكرة، ج٣، ص١٠١-١٠٢ (الواقدي)، التنوخي، الفرج، ج٤، ص٢٢-٢٤ (حُكي).

للشعر، وأجودُهم طبعاً فيه(١). وأيَّده في ذلك الجانبِ المسعوديُّ حين وصفه بالجودة والبراعة(٢).

وحول صفة الكرم، فقد أوردت المصادر الأدبية ـ كالبيهقي(٣)، وابن عبد ربه(٤)، والجهشياري(٥)، والأصفهاني(٦) أخباراً وقصصاً مبالغاً فيها حول كرم الفضل بن يحيى، معظمها جاء مسنداً. وعلى الرغم من ذلك، فقد أشار الأصفهاني إلى أن صِلاتِ الفضل لم تكن تتجاوز صِلاتِ الرشيد تقديراً منه للخليفة(٧). ويلحظ أن البيهقيَّ أكثَرُ مَنِ اهتم بأخبار الفضل؛ حيث أورد عدداً مضاعفاً من الروايات

(١) الجهشياري، الوزراء، ص١٢٦ (عبد الله بن ياسين عن أبيه).

(٢) المسعودي، مروج، ج٤، ص٢٣٣ (رأي المسعودي)، ابن خلكان، وفيات، ج٦، ص٢٢٠ (دون).

(٣) انظر صلة الفضل لعريس في ليلة زفافه: البيهقي، المحاسن، ج١، ص٣٢٩-٣٣٠ (احمد بن علي السيفي)، وصلته للقاضي يحيى بن معاذ بسبب دَيْن لحِقَه، المحاسن، ج١، ص٣٢٧ (خلف المصري)، وتفريقه الأموال كصدقات ؛المحاسن، ج١، ص٣٢٧ (محمد بن علي بن عيسى بن ماهان)، وصلته لأحد السائلين، المحاسن، ج١، ص٣٣١ (أحمد بن محمد بن عبد الصمد)، وصلات أخرى، المحاسن، ج١، ص٣٣٢ (خلف بن عمر المصري)، وصلته لمحمد بن إبراهيم الإمام العباسي حين لحِقَه دَيْن، المحاسن، ج١، ص٣٣٣-٣٣٤ (سليمان بن أبي جعفر).

(٤) انظر قصة الفضل مع رجل كان قد وُلد يوم مولد الفضل، وسُمِّيَ على اسمه، وكان صاحبَ حاجة، فوصله الفضل بمبلغ ضخم تقديراً لمولده: ابن عبد ربه، العقد، ج١، ص٢٧٠ (عبد الله ابن منصور)، انظر: ابن خلكان، وفيات، ج٤، ص٣٢ (يحُكى)، ابن بدرون، شرح قصيدة ابن عبدون، ص٢٤٠-٢٤١ (يحُكى).

(٥) انظر صلته لعريس في ليلة زفافه (وردت عند البيهقي): الجهشياري، الوزراء، ص١٢٥ (دون)، وصلته لمحمد بن إبراهيم الإمام العباسي، الوزراء، ص١٢٥-١٢٦ (دون)، انظر: ابن خلكان، وفيات، ج٤، ص٣٠-٣١ (دون).

(٦) انظر صلات الفضل للمغني إبراهيم الموصلي حين أوقف الرشيد عنه صلاته: الأصفهاني، الأغاني، ج٥، ص١٣١-١٣٢ (إسحق بن إبراهيم الموصلي)، وصلاته لإسحق الموصلي، الأغاني، ج٥، ص١٩٧-١٩٨ (حماد بن إسحق الموصلي عن أبيه).

(٧) انظر صلات الفضل للشاعر مسلم بن الوليد التي وصلت لثمانين الف درهم: الأصفهاني، الأغاني، ج١٩، ص٤٢-٤٣ (أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن داود).

والقصص تجاوز ما أوردته بقية المصادر، وبالغت رواياتُه في إبراز هذه الصفة لدى الفضل، كما بالغ الخطيب البغدادي حين أشار إلى اجتماع الناس على أبواب الفضل لتلقّي صلاته وإغداقه عليهم، وأن أعدادهم كانت بالآلاف(١).

إن ضخامة المادة المرتبطة بكرم الفضل بن يحيى والبرامكة على العموم، ناتج عن وضع القصص والروايات مِنْ قِبَلِ القُصَّاص والرُّواة الأعاجم؛ حيث بنَوْا لأبناء عمومتهم ـ البرامكة ـ مجداً كبيراً من خلال قصص الكرم التي لو جُمِعَتْ فيها المبالغُ التي أنفقها البرامكة لتجاوزت ميزانية الدولة(٢)، وتمثّل ذلك في روايات سهل بن هارون، وإبراهيم وإسحق الموصليين، ومخارق المغني، أو من الذين كانوا مقرَّبين منهم، ويتلقّون صِلاتِهم؛ مثل الواقدي.

كما أورد عددٌ مِنَ المصادر الأدبية، مثل المبرد(٣)، وابن المعتز(٤)، والبيهقي(٥)، وابن عبد ربه(٦)، والجهشياري(٧)، والصُّولي(٨)، والأصفهاني(٩)

(١) الخطيب، تاريخ بغداد، ج١٢، ص٣٣٦-٣٣٧ (العتابي)، ص٣٣٥-٣٣٦ (هاشم بن نامجور).

(٢) انظر: فخري الزبيدي، الموجز المنتخب، ص١٤٩.

(٣) انظر مدائح أبي نواس في الفضل بن يحيى: المبرد، الكامل، ج٣، ص١٣٥ (قال أبو العباس).

(٤) انظر قصيدة أبي الهول الحميري في الفضل لمصالحته: ابن المعتز، طبقات الشعراء، ص١٥٣ (إبراهيم بن محمد)، ومديح نُصيب الأصغر للفضل، طبقات الشعراء، ص١٥٥-١٥٦ (عبدالأعلى بن عبد الله الأسدي).

(٥) انظر أبيات الشاعر أبي النضير في مدح الفضل: البيهقي، المحاسن، ج٢، ص١٤٦ (عبد الله بن سلام).

(٦) انظر أبيات أحد أبناء السبيل وقد تقطعت به السُّبل، فوصله الفضل: ابن عبد ربه، العقد، ج١، ص٣١٣ (أبو سويد)، ومديح ابان بن عبد الحميد للفضل، العقد، الفريد، ج٤، ص٢٠٣-٢٠٤ (محمد بن إبراهيم بن محمد الشيباني).

(٧) انظر ابيات إسحق الموصلي التي مدح فيها الفضل وغناها له: الجهشياري، الوزراء، ص١٢٢-١٢٣ (غسان بن ذكوان).

(٨) انظر ابيات أشجع في مدح الفضل: الصولي، أخبار الشعراء، ص١٤٢-١٤٣ (دون)، وأبيات ابان بن عبد الحميد، ص٢-٣ (أبو العيناء)، ص٣-٤ (العتابي).

(٩) انظر مدائح سَلْم الخاسر في الفضل يوم النيروز: الأصفهاني، الأغاني، ج١٩، ص١٨٧ (ميمون=

مدائحَ الشعراء في الفضل بن يحيى البرمكي، حيث أوردوا قصائدهم التي غلب عليها المبالغةُ والتضخيمُ في وصف الفضل البرمكي.

أما جعفر، فقد اتفقت معظم المصادر ـ وخاصة الأدبية ـ على وصف جعفر بن يحيى بالبلاغة والفصاحة، قد أورد الجاحظ، والجهشياري، والمسعودي ذلك الوصف، حيث استند الجاحظ لرأي ثُمامَة بن أشرس حين وصفه بأنه أنطقُ الناس، بحيث جمع صفات الهدوء والتمهُّل والجَزالة، وبالغ ثُمامةُ حين ذكر انه لم يَرَ أنطَقَ مِنْ جعفر(١)، لكن الخطيب البغدادي شكَّك فيما قدَّمه الجاحظ عن صفة البلاغة حين قال " زعم الجاحظ ان ثُمامةَ بنَ أشرسَ النّمري قال: ما رأيت رجلاً أبلَغَ مِنْ جعفر"(٢).

وقدم الصولي وصفا مبالغاً فيه لجعفر بن يحيى، أورده على لسان إبراهيم بن المهدي، حين وصفه بالكمال بقوله "ما رأيت أكمل مِنْ جعفر قطُّ"(٣).

وكذلك الأصفهاني حين أشار إلى شهادة إسحق الموصلي المضخّمة لجعفر، وحلفه الأيمان بذلك، "وأنه ما رأى أذكى مِنْ جعفر بن يحيى قط، ولا أفطنَ ولا

= ابن هارون)، ومدائح نُصيب الأصغر، الأغاني، ج٢٣، ص١٢-١٣ (محمد بن يزيد النحوي)، وأبيات أبي النضير في مولود الفضل، الأغاني، ج١١، ص١٩١ (حماد بن إسحق)، ومديح أبي محمد التميمي للفضل، الأغاني، ج٢٠، ص٢٤٨ (الزبير بن بكار)، وأبيات سعيد بن وهب في مدح الفضل، الأغاني، ج٢١، ص٤٤٢ (أبو العيناء).

(١) الجاحظ، البيان، ج١، ص١٠٥-١٠٦، ١١٥ (ثُمامة بن أشرس)، الجهشياري، الوزراء، ص١٣١ (دون)، المسعودي، مروج، ج٤، ص٢٣٣ (المسعودي)، الحصري القيرواني، زهر الآداب، ص١٥١، ٤٢٠ (ثُمامة بن أشرس)، ابن حمدون، التذكرة، ج٥، ص٤٠١ (ثُمامة بن أشرس)، انظر: الثعالبي، ثمار القلوب، ج١، ص٣٣٦ (يقال)، تحفة الوزراء، ص١١٥-١١٦ (دون)، ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص١٤٠ (دون)، ابن خلكان، وفيات، ج٤، ص٢٧، ج٦، ص٢٢٠ (دون).

(٢) الخطيب، تاريخ بغداد، ج٧، ص١٥٢ (محمد بن يزيد النحوي).

(٣) الصولي، أشعار أولاد الخلفاء، ص٣٤ (إبراهيم بن المهدي)، ابن عبد ربه، العقد، ج٢، ص٤٢٥ (إبراهيم بن المهدي).

أعلمَ بكلِّ شيءٍ، ولا أفصحَ لساناً، ولا أبلغَ مكاتبةً"(١).

كما بالغ التوحيدي في وصفه لجعفر ككاتب؛ فوصفه بأنه المَثَلُ الأعلى للكتاب حيث جمع صفاتٍ وميزاتٍ لم تجتمع في غيره مِنَ الكُتَّاب؛ مثل: العلم بالفقه وفروعه، والقرآن، والأخبار، والأمثال، والأشعار، وغيرها(٢).

وحين قارن ابن خلكان بين الأخوين جعفر والفضل، وصف جعفراً بأنه أبلغُ في الكتابة وإنشاء الرسائل مِنَ الفضل(٣).

ولم تأت المصادر على وصف جعفر بن يحيي بالجود والكرم، ولكنها اختلفت في ذلك، فقد أوردت بعضُ المصادر الأدبية قصصاً تشير إلى تقديم جعفر بعض الصِّلاتِ لِمَنِ اعترضه أو طالبه بذلك، ولم تكن هذه القصص بالصورة التي قدمت عن يحيى والفضل.

فقد أشار الجهشياري إلى صلة جعفر لأحد الشعراء بمجموعة مِنَ الملابس حين شكاه رثاثةَ حاله(٤)، وأشار الأصفهاني إلى صلة جعفر لأحد الأشخاص، والذي حاول بيع جاريته لِضيقِ حاله، فأوصل جعفر خبره للرشيد، الذي وصله، ثم وصله جعفرٌ بعدَ الرشيد(٥)، كما أورد التنوخي قصةً أخرى لنفس الدور الثانوي، حيث وصل جعفرٌ أحدَ الغرماء بعد صلة الرشيد له(٦).

وقدم الخطيب أوصافاً متناقضة لجعفر، فحين ترجم له وصفه بالسَّماحة وطلاقة الوجه والجود والسخاء وأن ذلك أشهرُ مِنْ أن يُذكَرَ(٧). وأورد الخطيبُ أكثرَ مِنْ

(١) الأصفهاني، الأغاني، ج٤، ص٤٧٨ (إسحق الموصلي).

(٢) التوحيدي، الإمتاع، ج١، ص٩٩–١٠٠ (قال أصحابنا).

(٣) ابن خلكان، وفيات، ج٤، ص٢٧ (دون).

(٤) الجهشياري، الوزراء، ص١٣٤–١٣٥ (الجاحظ).

(٥) الأصفهاني، الأغاني، ج١٤، ص٣٣٠–٣٣١ (معبد اليقطيني)، ابن حمدون، التذكرة، ج٦، ص٢١٢–٢١٥، (معبد اليقطيني المغني).

(٦) التنوخي، الفرج، ج٤، ص٣٣١–٣٣٨ (حماد بن إسحق بن إبراهيم الموصلي عن أبيه).

(٧) الخطيب، تاريخ بغداد، ج٧، ص١٥٢ (دون). انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص١٤٠ (دون)، ابن خلكان، وفيات، ج١، ص٣٤٢، ٣٢٨ (دون).

قصة تشير إلى أن جعفراً كان يصل مقرّبيه أو آخرين من ذوي حاجة(١)، لكنه في موقع آخر ـ حين قارن بين الأخوين جعفر والفضل ـ أشار الخطيب في رواية أحمد بن عمر الإخباري إلى أن جعفراً كان بخيلاً لا عطاءَ له(٢). وقد يكون هذا الاختلاف نتيجة وجود عدة اتجاهات في وصف البرامكة، وخاصة جعفر، وكان اختلاف الإسناد لدى الخطيب قد أدى إلى ذلك الاختلاف في الآراء.

ومن جانب آخر، فقد نال جعفر بن يحيى اهتماماً مِنْ قِبَلِ الشعراء المادحين، وأورد عددٌ من المصادر الأدبية ـ مثل ابن المعتز(٣)، والبيهقي(٤)، وابن عبد ربه(٥)، والجهشياري(٦)، والصولي(٧)، والأصفهاني(٨) ـ قصائدَ وأشعاراً تمدح جعفراً البرمكي.

(١) انظر صلته للأصمعي بالف دينار: الخطيب، تاريخ بغداد، ج١، ص٤١٤ (الأصمعي)، وقصة مع فتى أراد شراء جارية منه، فوهبه ثمنها ولم يأخذها منه، الخطيب، تاريخ بغداد، ج٧، ص١٥٤-١٥٥ (إسحق بن إبراهيم الموصلي عن أبيه)، انظر: حول هذين الخبرين: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٢٢٤ (الأصمعي)، ج٩، ص١٤١-١٤٢ (إسحق بن إبراهيم الموصلي).

(٢) الخطيب، تاريخ بغداد، ج١٢، ص٣٣٦ (أحمد بن عمر الإخباري عن جده) انظر: ابن بدرون، شرح قصيدة ابن عبدون، ص٢٣٠ (دون).

(٣) انظر مديح مروان بن أبي حفصة لجعفر: ابن المعتز، طبقات الشعراء، ص٤٥ (دون).

(٤) انظر أيضاً مديح مروان بن أبي حفصة لجعفر وصلات جعفر له: البيهقي، المحاسن، ج١، ص٣٩٧ (دون).

(٥) انظر مديح مروان بن أبي حفصة لجعفر حين وصف وزارته بالدولة "دولة جعفر": ابن عبد ربه، العقد، ج٦، ص٢٨٦ (دون).

(٦) انظر مديح الأصمعي لجعفر حين كان من المختصين به: الجهشياري، الوزراء، ص١٣٢ (دون).

(٧) انظر مدائح وقصائد أشجع بن عمرو السلمي لجعفر، حيث وصلت لأكثر من مئة وخمسين بيتاً: الصولي، أخبار الشعراء المحدثين، ص٨٩ (علي بن الجهم)، ص١٠٠-١١١ (دون)، ص٧٩ (عبد الصمد بن النعمان السلمي)، ومديح مروان بن أبي حفصة، أخبار الشعراء المحدثين، ص٨٦ (الغلابي).

(٨) انظر مدائح أشجع في جعفر وصلاته له: الأصفهاني، الاغاني، ج١٨، ص٤٠١ (أشجع السلمي)، وقصيدته في مدح جعفر حين عاد من الشام أيام العصبية، الاغاني، ج١٨، ص٤٠٢=

يلحظ من خلال تلك المصادر أن الشاعرين أشجع السلمي ومروان بن أبي حفصة كانا أكثر مَنْ مدح جعفراً، وعلى الرغم من إيراد تلك المصادر مدائح جعفر، إلا أنها لم تصل للمستوى الذي مُدح به يحيى والفضل كمّاً ونوعاً.

وقدَّمت بعض المصادر - مثل الجهشياري، والمسعودي - وبشكل محدودٍ وقليلٍ أوصافاً لموسى ومحمد ابني يحيى بن خالد؛ فقد وصف المسعوديُّ موسى بنَ يحيى بالشجاعة والبأس(١). ومن خلال المقارنة التي عقدها بين أولاد يحيى بن خالد، والتي أوردها الجهشياري على لسان إبراهيم الموصلي، وصف محمداً بالقدرة، وبأنه يفعل الأشياء مما يجد(٢)؛ كناية على إبداعه، أما محمد بن يحيى، فقد وصفه المسعودي ببُعد الهِمَّة والمروءة(٣)، في حين أن الجهشياري وصفه بالبخل والقُبح، وقدَّم وصفاً لمائدته يعكس شدة بخله(٤)، واستثنى ابن النديم محمدَ بن يحيى من تهمة الزَّندقة حين أشار إلى أن البرامكة رُمُوا بالزندقة عدا محمدَ بن يحيى(٥).

ويلحظ أن اهتمام المصادر ببقية أولاد يحيى البرمكي الآخرين قليل جداً، وربما

= (داود بن مهلهل)، وأبيات كتبها حزناً على مرض جعفر، الأغاني، ج١٨، ص٤٠٥ (عبدالرحمن بن النعمان السلمي)، ومديح أشجع لجعفر، الأغاني، ج١٨، ص٤٠٠ (قدامة بن نوح)، وصلاته لمروان بن أبي حفصة ومديحه لجعفر، الأغاني، ج١٨، ص٤٠٨ (مهدي بن سابق)، ومديح إسحق الموصلي لجعفر، الأغاني، ج٥، ص٢٧٨ (حماد بن إسحق الموصلي)، وانظر: حول مدائح أشجع لجعفر الثعالبي، لباب الآداب، ج٢، ص٦٧ (دون)، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٩، ص١٠٥-١٠٦ (الأصفهاني)، ج٥، ص١١٠-١١٣ (دون).

(١) المسعودي، مروج، ج٤، ص٢٣٣ (دون)، انظر: ابن خلكان، وفيات، ج٦، ص٢٢٢ (دون).

(٢) الجهشياري، الوزراء، ص١٢٧ (إبراهيم الموصلي)، ابن حمدون، التذكرة، ج٢، ص٢٧٩ (إسحق الموصلي).

(٣) المسعودي، مروج، ج٤، ص٢٣٣ (المسعودي).

(٤) الجهشياري، الوزراء، ص١٥٦ (دون)، انظر: ص١٢٧ (إبراهيم الموصلي)، التوحيدي، البصائر، ج٦، ص١٩٧ (جمين)، الإمتاع، ج٢، ص٥٨، ابن حمدون، التذكرة، ج٢، ص٢٧٩ (إسحق الموصلي)، الأبشيهي، المستطرف، ج١، ص٤٩٧ (إسحق الموصلي).

(٥) ابن النديم، الفهرست، ص٤٠١ (قيل).

أن ذلك بسبب عدم ارتباط أسمائهم بمناصبَ سياسية أو إدارية أو أحداث مهمة.

كما يلحظ مما سبق التضخيمُ والمبالغة الواضِحَيْن في الأخبار والآراء التي تحدثت عن صفات البرامكة أسرةً وأفراداً، وهذا التضخيم ناتج عن عدة عوامل؛ أهمها: أن هذه الصفات جاءت برواية أو شهادة كُتَّاب مقرَّبين مِنَ البرامكة، وبعضهم مشهورٌ بشُعُوبيته، كسهل بن هارون، ومنصور بن زياد، أو مِنَ المقربين مِنَ المغنين والشعراء، والذين كانوا يتلَقَّوْن صِلاتِ البرامكة السخية؛ مثل المغني إبراهيم الموصلي، وابنه، والمغني مخارق، ومعبد اليقطيني، أو بعض الشعراء؛ مثل أبي العيناء والعَتَّابي.

كما جاءت بعضُ صفاتهم على لسان رُواةٍ تلقَّوُا الصِّلاتِ والعناية مِنَ البرامكة؛ مثل: الواقدي(١) والأصمعي. وقد يُفسَّرُ ورودُ أوصافٍ حسنةٍ برواية الأصمعي: أنها جاءت في مرحلة البداية التي كان مقرَّباً فيها مِنَ البرامكة، مع العلم أنه انقلب عليهم فيما بعد(٢)، وربما جاء هذا الوصف في تلك المرحلة، أو أن أعوان البرامكة القَوْه على لسانه في فترة لاحقة، كما يلحظ أن المصادر الأدبية اهتمت بتقديم أبواب خُصِّصت لصفاتِ البرامكة حملت عناوينَ؛ مثل: السخاء والكرم والبلاغة، وبسبب ميولها العام إلى البرامكة، كانت لا تجد إلا أخبار البرامكة وقصصهم أمثلةً وأدلةً على تلك الأبواب. وكان ذلك واضحاً لدى البيهقي، وابن عبد ربه، والصولي، والتوحيدي، والثعالبي، وغيرهم من المصادر الأدبية المتأخرة؛ كابن حمدون، والأبشيهي.

وربما جاء هذا التضخيم بوصفه دعايةً مضادة عَقِبَ النكبة، أو في فترة لاحقة، وفي مواجهة التيار الذي ركَّز على سلبيات البرامكة ليسوِّغ نكبة الرشيد لهم،

---

(١) انظر: البيهقي، المحاسن، ج١، ص٣٢٠ (يزيد البرمكي)، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٥٧، ص٤٦٦-٤٦٧ (الواقدي)، ج٥٤، ص٤٥٩ (الواقدي).

(٢) يرى الجومرد أن الأصمعي انقلب على البرامكة حين تكشفت له شعوبيتهم وتصرفاتهم ضد الدولة. الجومرد، هارون الرشيد، ص٣٧١.

بحيث وُجِّهت هذه الدعاية مِنْ قِبَلِ الورَّاقين والكُتَّاب والرُّواة، الذين يحملون المَيْل للبرامكة للأسباب التي سبق توضيحُها؛ ومِنْ أهمها: الصلات المادية، أو الميل الشعوبي، فقد كان البرامكةُ مِنَ الفُرس، وكان أغلبُ الكتاب والوراقين مِنَ الفُرس أيضاً، فحملوا لواء الدفاع عن بني جلدتهم[١] في وجه أعدائهم الذين سَعَوْا إلى تثبيت الصورة السيئة عن البرامكة وتكريسها، على الرغم مِنْ أنَّ معظم المصادر لم تأتِ على ذكر مساوئ البرامكة - سواءً على الصعيد الشخصي، أو الإداري - في فترة ما قبل النكبة.

وعلى الرغم مِنْ ذلك التضخيم والمبالغة في صفات البرامكة - وخاصة صفة الكرم - فإن بعض المصادر - مثل المسعودي، والتنوخي، والتوحيدي - كانت مدركةً أن ذلك كان مجرد افتراء وكذب؛ فقد أورد المسعودي والتنوخي خبراً في أيام المعتضد يتضمَّن أن أخبار كرم البرامكة كانت مِنْ تصنيف الوراقين والمحسنين وكذبهم[٢]، حيث فسَّر التوحيدي أن ذلك كان بسبب ما دُفع للورَّاقين مِنْ أموال[٣]. كما أشار الأصفهاني، والتنوخي أن أحد الشعراء اعترض على الأخبار التي تتداول كرم البرامكة في مجلس وزير المتوكل عُبيد الله بن خاقان من خلال إنشاده بيتي شعر وصف فيهما عُبيدَ الله بن خاقان بأنه أكرمُ مِنَ البرامكة، وأن الذي ساعدهم هو زمانُهم وأعوانُهم الذين ضخَّموا سمعتهم بالكرم[٤].

وعلى الرغم من ظهور التيار المادح والممجد للبرامكة، فإن هناك تياراً معاكساً

(١) انظر: الدوري، العصر العباسي، ص١٢٨.

(٢) المسعودي، مروج، ج٥، ص١٤٠ (دون)، التنوخي، نشوار، ج١، ص١٥-١٦ (ابن المنجم النديم أبو العباس هبة الله بن محمد بن يوسف)، التوحيدي، البصائر، ج٤، ص١١١-١١٢ (نقلها عن أكثر من مصدر).

(٣) التوحيدي، البصائر، ج٤، ص١١٢ (دون).

(٤) الأصفهاني، الأغاني، ج١٤، ص٣٨٢ (أبو الشبل البرجمي)، التنوخي، النشوار، ج١، ص١٨-١٩ (أبو الشبل البرجمي).

قدَّم صفات سلبيةً تذُمُّ البرامكة من خلال هجائهم وذمِّهم، ووصفهم بأسوأ الأوصاف والتشبيهات، وقد تزعَّم الجاحظ هذا التيارَ - إضافة إلى مصادرَ أخرى، وقد شاركه ابنُ قتيبة في ذلك، وكانا مِنْ أبرز مَنْ ناهض الشُّعوبية ودافَعَ عَنِ العرب.

أورد الجاحظ وصفاً للبرامكة بالبخل، إضافة إلى أنه أشار في كتاب "الحيوان" أنه أخذ بعض معلوماتِه عن الحشرات - كالبراغيث والقمل - وكيفية مكافحتها من يحيى بن خالد، وكأنه خبيرٌ في التعامل مع تلك الحشرات(١)؛ كما أورد في كتاب "البخلاء" قصصاً وصف فيها يحيى بن خالد بالبخل(٢)، كما أورد في "البيان" أوصافاً سيئة مِنْ خلال قصائدَ هجتْهم، ووصفتهم بالزندقة، وشبَّهتهم بالكلاب(٣).

وأشار الجاحظ إلى أن الفضل بن يحيى كان يطلب فراخ الزنابير (الدبابير والنحل) ليأكلَها. ويذكر الجاحظ أن العرب كانت تعدُّها من أجناس الذبان(٤)، كما أورد أيضاً أشعاراً لأبي الهول الحميري يشبِّهه فيها بالكلب(٥)، وأبياتاً لأبي نواس فيها شتم وذمٌّ قادحٌ لجعفر(٦).

واشترك ابن قتيبة مَعَ الجاحظ في إيراد وصف أبي نواس لجعفر بالبخل والتكبُّر، وشبَّهه بالكلاب والذباب(٧).

---

(١) الجاحظ، الحيوان، ج٥، ص٣٧١، ٣٧٣ (دون)، ج٣، ص٥٠٣ (زعم ثمامة).

(٢) انظر: الخبر المتعلق بنقب يحيى بن خالد جبل أبي قبيس في مكة ليوسع داره إشارةً لبخله، الجاحظ، البخلاء، ص١٨٩ (دون)، وفي قصة أخرى ذكر فيها أن يحيى بن خالد كان يحصي جِرارَ الزيت والزيتون، ويحفظ مكانها واحدةً واحدةً، البخلاء، ص٢٢٤ (محمد بن الأشعث).

(٣) انظر: الجاحظ، البيان، ج٣، ص٣٥٠-٣٥٣ (دون) (وأحياناً يذكر الشاعر وأحياناً يذكر: قال بعضهم).

(٤) الجاحظ، الحيوان، ج٦، ص٩٠-٩٢ (مويس بن عمران) ج٤، ص٤٥ (دون).

(٥) الجاحظ، البيان، ج٣، ص ٢٦٠-٢٦١، ٣٥١ (أبو الهول الحميري).

(٦) الجاحظ، الحيوان، ج١، ص٢٣٩ (دون).

(٧) الجاحظ، الحيوان، ج١، ص٢٦٣ (دون)، ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج١، ص٢٧٣-٢٧٤ (دون).

وأورد كل مِنَ الجاحظ، وابنُ قتيبة، والجهشياريُّ، والمسعودي خبراً يشير إلى بخل جعفر حين ذهب إلى الأصمعي ليضحِكَه، وأخذ معه صِلاته له، فلَّما سامره وأضحكه لم يصِلْه، وأعاد جعفر صِلَتَه معه(١).

وقدَّم الذهبي رأيَه في جعفر بأنه مسرف وغارق في بحر اللذات والمعاصي(٢).

وعلى الرغم مِنْ أن المصادر لم تختلف في الموازنة بين كرم الرشيد وكرم البرامكة، إلا أن صاحب "الإمامة والسياسة" يورد قصةً مطوَّلَةً تتحدث عن كرمٍ مبالَغٍ فيه للرشيد، ولا حدود له(٣)، وكأن القصةَ موجَّهةٌ للردِّ على القصص والأخبار التي تحدَّثت عن كرم البرامكة وبالغت في وصفه.

ومِنْ جانب آخر: أورد ابنُ المعتز وصف الشاعر أبي الشِّيص(٤) للبرامكة بالهرابذة والمجوس(٥).

وكان الأصفهاني مُقِلاً في إيراد أشعارٍ تهجو البرامكة سوى قصيدةٍ واحدة لأبي الحَجْناء(٦).

---

(١) الجاحظ، البخلاء، ج٢، ص١٦٦-١٦٧ (زعم أبو يعقوب الخُرَيْمي)، ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج١، ص٢٩٩ (أبو يعقوب الخريمي)، الجهشياري، الوزراء، ص١٣٢ (دون)، المسعودي، مروج، ج٤، ص٢٣٥-٢٣٦ (أنس بن أبي شيخ).

(٢) الذهبي، تاريخ، ج١٢، ص٩٩ (دون).

(٣) مجهول، الإمامة والسياسة، ج٢، ص١٦٤-١٦٦ (قالوا).

(٤) هو محمد بن علي بن عبد الله بن رزين الخزاعي ، شاعر مطبوع من أهل الكوفة، عاصر أبا نواس، توفي ١٩٦هـ، الخطيب، تاريخ بغداد، ج٥، ص٤٠١، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٣، ص٣٠٢.

(٥) ابن المعتز، طبقات الشعراء، ص٨٥ (دون).

(٦) الأصفهاني، الأغاني، ج٥، ص٢٥٧ (محمد بن عبد الله بن مالك)، ج٢٣، ص١٨ (الزبير بن بكار)، انظر: التوحيدي، البصائر، ج٢، ص١٩ (دون)، ج٧، ص١٠٩ (دون) أبو الحجناء هو الشاعر نُصيب الأصغر، مولى المهدي، عبد نشأ باليمامة، اشتُري أيام المنصور، زوَّجه المهدي مِنْ أمَةٍ واعتقه، وكنَّاه أبا الحجناء، وأقطعه ضيعةً بالسَّواد، الأصفهاني، الأغاني، ج٢٣، ص ٥.

وانفردت المصادر الأدبية بإيراد أدب خاص متعلّق بالبرامكة ـ جاء معظمُه دون إسناد ـ وتضمّن أقوالاً وآراء للبرامكة، يأتي بعضُها على شكل حِكَمٍ وأمثال، أو مبادئَ سياسية أو اقتصادية أو أخلاقية. وكانت هذه الأقوالُ تأتي حسب الأبواب التي وضعها المؤلفون، وحسب موضوعاتِ كتبهم، وهي تمثّل شكلاً من أشكال الدعاية التي قامت به بعض المصادر.

فقد أورد الجاحظ(١)، وابن قتيبة(٢)، والبيهقي(٣)، وابن عبد ربه(٤)، والجهشياري(٥)، والثعالبي(٦)، والتوحيدي(٧)، والماوردي(٨)، والخطيب البغدادي(٩)، وغيرهم من المتأخرين(١٠) أقوالاً ليحيى بن خالد ذاتَ مضامينَ

(١) انظر: الجاحظ، الرسائل، ج١، ص٢٧١ (دون).

(٢) ابن، قتيبة، عيون الأخبار، ج١، ص٢٦٥ (الأصمعي)، ص٢٦٨ (دون)، ص٢٨٤ (دون)، ص٣١١ (دون)، ج٢، ص١٠ (دون)، ص٣٢٩ (دون).

(٣) البيهقي، المحاسن، ج١، ص٢٥٦ (دون).

(٤) ابن عبد ربه، العقد، ج١، ص٣، ص١٢٤ (دون)، ج٢، ص٢٥١، ٢٦٦ (دون)، ج٥، ص٢٢٢ (دون).

(٥) الجهشياري، الوزراء، ص١٢٨–١٣١ (دون).

(٦) كان الثعالبيُّ أبرزَ مَنْ تناول ذلك، وقدّم عدداً مضاعفاً من الأخبار في معظم مؤلفاته، انظر: الثعالبي، أدب الملوك، ص٨٩–٩٠، ١٣٥، ١٤١، ١٤٣، ٢٢٥ (دون)، الإعجاز والإيجاز، ص٦١–٦٢ (دون)، تحفة الوزراء، ص١١٨–١١٩ (دون)، ص١٤٥، ١٤٦ (دون)، لطائف اللطف، ص٥٦ (دون)، الرسائل، ص٣ (دون)، التمثيل والمحاضرة، ص١٤٥–١٤٦ (دون)، ثمار القلوب، ج١، ص٢٧٩–٢٨٠ (دون)، خاص الخاص، ص٧ (دون).

(٧) التوحيدي، البصائر، ج٣، ص١٥٥، ج٥، ص٥٨، ٢٠٧، ج٦، ص٤٣، ج٧، ص٨٢ (دون).

(٨) الماوردي، قوانين الوزارة، ص٢٣٠ (دون)، أدب الدين، ص٤٦، ١٩٦ (دون).

(٩) الخطيب، تاريخ بغداد، ج١٤، ص١٢٩ (أبو بكر محمد بن يحيى النديم).

(١٠) انظر: الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، ج١، ص١٥٦، ١٦٢، ٢٢٣ (دون)، ابن حمدون، التذكرة، ج٢، ص٢٦٣، ٢٧٧ (دون)، ج٣، ص٢٢، ٥٢، ١٠٠، ١٠٥–١٠٦، ١٣٢ (دون)، ج٨، ص١٦١، ١٦٥، ص٢٠١ (دون)، الطرطوسي، سراج، ج١، ص٢٣٨، ٤٩١ (دون)، الأبشيهي، المستطرف، ج١، ص١٥١، ٢٩١، ٤٩٩ (دون).

أخلاقية؛ مثل: التواضع والنصائح، أو سياسية تتضمَّنُ نصائحَ إدارية تتعلقَ بإدارة الدولة، كالخراج والتعامل مع الرعية، أو نصائح اجتماعية وأخلاقية وإنسانية أو أدبية؛ مثل: اللغة والبلاغة والفصاحة والكتابة.

كما اهتمت بعض الكتب الأدبية بتوقيعات يحيى بن خالد؛ فقد أورد البيهقي، والثعالبي توقيعات ليحيى في أحد المتظلِّمين، وفي حالات أخرى[1].

أما أقوالُ الفضل بن يحيى، فقد كانت قليلةً جداً لدى المصادر الأدبية بالمقارنة مع ما ورد عن أبيه يحيى وأخيه جعفر، فقد أورد ابنُ عبد ربه[2]، والتوحيدي[3]، والثعالبي[4] أقوالاً قليلةً للفضل، تناولت مواضيعَ في العلاقات الاجتماعية والكرم.

في حين أن ما صَدَرَ عن جعفر بن يحيى مِنْ أقوال وتوقيعات وَجَدَ اهتماماً كبيراً مِنْ قِبَلِ المصادر الأدبية؛ حيث أورد ابن قتيبة[5]، وابن عبد ربه[6]، والتوحيدي[7]، والثعالبي[8]، والماوردي[9] أقوالاً لجعفر بن يحيى تحوي مضامينَ اقتصاديةً واجتماعية، إضافة لقضايا أدبية؛ مثل الخط والبلاغة.

(١) البيهقي، المحاسن، ج٢، ص٢٨٥ (دون)، الثعالبي، خاص الخاص، ص٩٠، انظر: ابن الطقطقا، الفخري، ص٦٤ (دون).

(٢) ابن عبد ربه، العقد، ج٢، ص٢٧٢-٢٧٣ (دون)، ص٢٧٥ (ابن الأعرابي).

(٣) التوحيدي، البصائر، ج٧، ص١١٤ (دون).

(٤) الثعالبي، الإعجاز والإيجاز، ص٦٢ (دون)، تحفة الوزراء، ص١١٩ (دون)، انظر: الزمخشري، ربيع الأبرار، ج٢، ص٣١٥ (الموصلي)، ابن حمدون، التذكرة، ج٣، ص١٧٧ (دون).

(٥) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج١، ص١٣ (دون).

(٦) ابن عبد ربه، العقد، ج١، ص٣١، ١٤١ (دون).

(٧) التوحيدي، البصائر، ج٤، ص١٧١، ج٥، ص١١٦، ١٢٦، ٢٢٤، ج٢، ص٥٧، ج٨، ص٩٩ (دون).

(٨) الثعالبي، آداب الملوك، ص٦٢، ٦٧ (دون)، تحفة الوزراء، ص١١٩، ١٤١، التمثيل والمحاضرة، ص١٤٦ (دون)، الإعجاز، ص٦٢ (دون).

(٩) الماوردي، أدب الدين، ص٦٧، ٢٧١ (دون)، انظر: الحصري القيرواني، زهر الآداب، ج١، ص١٩٩ (دون)، الراغب الأصفهاني، محاضرات، ج١، ص٢١٤ (دون)، الطرطوشي، سراج، ص٤٩٦، القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص٣٦٢، ج٣، ص٤، الأبشيهي، المستطرف، ج١، ص٣٤٥.

كما وَجدت توقيعاتُ جعفر بن يحيى اهتماماً من المصادر الأدبية وبشكل مبالَغ فيه؛ حيث أعطتْها قيمةً مضاعفةً، فقد أورد ابن قتيبة(١)، والمبرد(٢)، وابن عبد ربه(٣)، والجهشياري(٤)، والثعالبي(٥) توقيعاتِ جعفر بن يحيى، وكانت تتناول قضايا إداريةً؛ كالمظالم والشكايات على الولاة والعمال والكُتّاب، أو توجيهَ بعض النصائح والانتقادات لهم ولبعض المذنبين والسجناء، وطلب الحاجات والصّلات والاعتذارات.

ويلحظ أن ابن عبد ربه قد جمع توقيعات جعفر على اختلاف مضامينها وأفرد لها عنوان " كتاب التوقيعات والفصول والصدور"(٦)، ووجدت توقيعاتُ جعفر لدى الثعالبي تضخيماً ,وأعطاها أهميةً كبيرة حين ذكر أن الناس كانوا يشترونها بالأثمان الغالية ويتنافسون فيها(٧). لكن الجاحظ قلّل مِنْ شأن تلك التوقيعات، وذكر أن تواقيعَ الرشيد وأمِّ جعفر أجودُ وأجمعُ للمعاني مِنْ توقيعات جعفر التي لا تُعَدُّ شيئاً(٨).

---

(١) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج٣، ص١٠٠، ١٠٤ (دون).

(٢) المبرد، الكامل، ج١، ص٣٠١ (دون).

(٣) ابن عبد ربه، العقد، ج٢، ص٢٧٢ (دون)، ج٤، ص٢١٩ (دون).

(٤) الجهشياري، الوزراء، ص١٣٢ (دون).

(٥) الثعالبي، تحفة الوزراء، ص١٤٦-١٤٧ (دون)، انظر: الحصري القيرواني، زهر الآداب، ص٤٢٠-٤٢١ (دون)، ابن حمدون، التذكرة، ج٢، ص١٩٨ (دون)، ج٤، ص١٠٦، ١٨٤-١٩٨ (دون)، ج٣، ص١٧٧ (دون)، الزمخشري، ربيع، ج٣، ص٣٧٠ (دون)، ج١، ص٤٢٦ (دون).

(٦) ابن عبد ربه، العقد، ج٤، ص٢١٩ (دون).

(٧) الثعالبي، تحفة الوزراء، ص١٣٩-١٤٠ (دون)، وأشار ابن خلدون إلى أن التوقيع كان يباع بدينار، المقدمة، ص٢٦٠ (قيل).

(٨) الجاحظ، البيان، ج١، ص١٠٦-١٠٧ (جعفر بن سعيد)، ج٢، ص٤٩ (دون).

نكبة البرامكة

تناولت المصادر التاريخية والأدبية وكتب التراجم أخبار نكبة البرامكة باهتمام واضح، حتى إن حَدَثَ النكبة أثَّر في ظهور أخبار عنها قبل حدوثها، وتمثَّل ذلك في التنبؤات التي حِيكَتْ حول حدوثها وبداية تغيُّر العلاقة بين الرشيد والبرامكة، وإعداد الرشيد للنكبة.

وقد غلب على الأخبار التي تناولت النكبة أحياناً الطابَع الأُسطوري عند بعض المؤرِّخين والأدباء، إضافة إلى وضعها في قالبٍ ديني من خلال تقديمها ضمن السياق المتعلِّق بالقدر المحتوم على البرامكة الذي لا مفرَّ منه، وجاءت هذه الأخبار غامضةً فيما يتعلَّق بدوافع الرشيد للنكبة، على الرغم من تقديم المصادر أسباباً متعددة لوقوعها.

فقد أورد كلٌّ مِن ابن قتيبة، واليعقوبي، وابن عبد ربه، والجهشياري، والأصفهاني قصصاً وأخباراً مسندةً تتنبأ بسوء طالع للبرامكة، تشير إلى زوال دولتهم ومُلكهم؛ فقد أشار ابنُ قتيبة إلى ذلك من خلال حوار بين يحيى بن خالد وطبيبه منكه الهندي العالم بالنجوم، حيث تنبَّأ له بسوء الطالع، وحذَّره ونبَّهه بوجوب اتخاذ اللازم لتجنُّب ذلك، وظهر يحيى بأنه مؤمن بالقدر الذي لا مفرَّ منه(١).

وأشار اليعقوبي إلى أن يحيى بن خالد ـ وقبل عام من النكبة ـ دخل إلى دَيْرٍ، فوجد فيه أبياتاً مكتوبةً فيها شؤم، فتغيَّر وجهُه، وتعوَّذ بالله. وكان قد ظهر له قِسٌّ في ذلك الدَّيْر واختفى بشكل يُضفي على القصة الطابَع الأسطوري(٢). ووردت مضامين تلك الأبيات التشاؤمية لدى ابن عبد ربه والجهشياري والأصفهاني مِنْ خلال حلم رآه يحيى يتوقع انقضاء دولتهم وزوال أمرهم من خلال أبيات شعرية سمعها يحيى مِن رجل مجهول، وذلك في فترة ليست بعيدةً عن مقتل جعفر

(١) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج١، ص٢٤-٢٥ (الفضل بن محمد بن منصور).

(٢) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٤٢٢-٤٢٣ (دون).

ونكبة البرامكة[1].

وانفرد الجهشياري بإيراد قصة تنبأ فيها رجلٌ مِنْ أهل الذِّمَّة بمقتل جعفر وصلبه بعد أن قتله جعفر، وكان بين الحادثين ثلاث سنوات[2]. وظهر سوء الطالع لجعفر بن يحيى عند الجهشياري مرة أخرى حين أورد الخبر المتعلق بانتقال جعفر لقصره الجديد، حيث خرج له رجلٌ بشكل فجائي، وانشده أبياتاً فيها شؤم، فنغَّص عليه سُرورَه[3]، ويرد ذلك التنبؤ عند الأصفهاني بشكل آخر؛ فحين دخل يحيى بن خالد دارَ الرشيد وجد على جدرانها أبياتاً تتحدث عن حصول داهية لأسرته[4]، وحين غنى عمرو الغزال أبياتاً عند إبراهيم بن المهدي[5].

وأشار الطبري، والجهشياري إلى أن يحيى كان يتوقع حلول عقاب رباني به وبأسرته (أولاده) بسبب الذنوب والأخطاء التي ارتكبها، وذلك من خلال دعاء يحيى بن خالد عند الكعبة سنة ١٧٨هـ، ٨٠٢م صُوِّر يحيى أثناء دعائه بأنه راضٍ ومستسلمٌ لذلك القضاء والقدر، ومعترفاً باستحقاقه له[6].

إن ورود مثل هذا الدعاء يثير الاستغراب؛ لأنه يحمِّلُ مسؤوليةَ النكبة بشكل مباشر للبرامكة جميعاً - يحيى وأولاده - ويقدِّم المسوِّغ الكافي للرشيد لنكبتهم،

---

(١) ابن عبد ربه، العقد، ج٥، ص٥٨-٥٩ (سهل بن هارون)، الجهشياري، الوزراء، ص١٦٣-١٦٤ (موسى بن نصير الوصيف)، انظر: الأبيات في بناء قصر جعفر، ص١٣٩ (حُكي)، الأصفهاني، الاغاني، ج١٥، ص٢٠ (حماد بن إسحق عن أبيه عن جده) ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص١٣٣ (أبو زكار الأعمى)، ج٩، ص١٤٣-١٤٤ (أبو زكار الأعمى).

(٢) الجهشياري، الوزراء، ص١٥٣-١٥٤ (محمد بن حصين الأهوازي).

(٣) الجهشياري، الوزراء، ص١٣٩ (حُكي).

(٤) الأصفهاني، أدب الغرباء، ص٤٥ (يقال)، انظر: الشابشتي، الديارات، ص٢٣٨ (دون).

(٥) الأصفهاني، الاغاني، ج١٢، ص٣٧٤ (من كان يختلط بالبرامكة)، انظر: القالي، ذيل الأمالي، ج٣، ص٩٢ (جحظة البرمكي احمد بن جعفر أبو الحسن).

(٦) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٩٢ (موسى بن يحيى بن خالد)، انظر: الجهشياري، الوزراء، ص١٨٦ (موسى بن يحيى)، ابن الطقطقا، الفخري، ص٢٠٦ (قيل).

والذي كان يمثِّل تنفيذاً لإرادة الله فيهم. إن ورود هذا الدعاء على لسان يحيى يشير بشكل ضِمني إلى تدخُّل الرواة في هذه الأخبار؛ فقد أورد الطبري هذا الدعاء مِنْ ضمن الأسباب التي أدت إلى إيقاع الرشيد بالبرامكة.

ومِنْ جانب آخر اهتمت المصادر التاريخية بتقديم أخبار عن تغيُّر العلاقة بين الرشيد والبرامكة قبل عدة سنوات مِنَ النكبة، وصلت بين (٣-٦) سنوات. واختلفت المصادر في طريقة تقديم هذه الأخبار؛ فالطبري أورد الأخبار التي تتحدث عن تغير العلاقة بين الرشيد والبرامكة نحو الأسوأ تحت عنوان الأسباب المباشرة للنكبة(١)، لكنها وردت عند الآخرين بوصفها أخباراً متفرقةً. إن ورود مثل هذه الأخبار في المصادر التاريخية يشير إلى أن النكبة لم تكن حَدَثاً مفاجئاً أو غير مسوَّغ، بل كان لها مقدماتها وأسبابها التي أدت لحدوثها.

فقد أشار الثعالبي صاحب "أخلاق الملوك" إلى أن الرشيد استخار الله في موسم الحج عند الكعبة في قتل جعفر بن يحيى البرمكي، وأنه قتله بعد ذلك بخمس سنين أو ست، وردَّ ذلك بشهادة مسرور الخادم، الذي حلف الأيْمان أنه سمع الرشيد وهو ملاصِقٌ له(٢)، وأورد الطبري أيضاً نصاً لدعاء الرشيد عند الكعبة، يستخير فيه اللهَ في أمر - لم يذكره - وأنه كان متردداً في فعله، وينتظر الإجابة عليه، حيث ناهز هذا الدعاءُ ما يقارب الصفحة، وهو مُصَاغٌ ببلاغة عالية(٣)، حيث أورده الطبري على لسان أحد حُجَّاب الرشيد، وهذا الأمر يدفع للتساؤل: كيف استطاع هذا الحاجب ومِنْ قَبْلِه مسرورٌ الخادم مِنْ سماع هذا الدعاء وحفظه ونقله بهذه الدقة، كما أن أسلوب صياغة الدعاء البليغ والمموَّه يثير التساؤل.

---

(١) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٨٧، وما بعدها.

(٢) الثعلبي، أخلاق الملوك، ص١١٠ (مسرور الخادم)، الزمخشري، ربيع الأبرار، ج٢، ص٥٣٠ (الجاحظ)، ابن حمدون، التذكرة، ج٢، ص١٤٤ (الجاحظ).

(٣) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٣٥٥ (الليث بن عبد العزيز الجوزجاني، أحد مجاوري الحرم، عن أحد حُجاب الرشيد).

إن ورود دعاء الرشيد واستخارته في مصدرين؛ الأول: جاء مختصراً، وفي الثاني ـ المتأخر زمنياً ـ جاء موسّعاً ومضخّماً، يدل على تناقل هذه النصوص بين المصادر، كما يدل على تدخُّل الرواة في إدخال إضافات عليها لإكسابها طابَعَ التشويق والزخرفة والتمويه والغموض أحياناً؛ لاستثارة فضول القُرَّاء، وتحقيق أهداف خاصة بهؤلاء الرواة، ولتسويغ حصول النكبة فيما بعد.

أشار اليعقوبي إلى خبر واحد تعلق بمقدمات النكبة؛ فقد ذكر أن الرشيد كان قد أخبر إسماعيل بن صبيح بنيته نكبة البرامكة، وأنه يريد جعْلَهم عبرةً للناس، وهدَّد الرشيدُ إسماعيلَ بالقتل إن أخبر أحداً بذلك، فلما مضت أربعُ سنين على ذلك نَكَبَهم(١). لكن اليعقوبي أورد في موقع آخرَ، وحين تحدَّث عن مقتل الرشيد لجعفرٍ، أن ذلك لم يكن له مقدماتٌ؛ فقد قال: "وقُتِل جعفرٌ... بغير أمر متقدم قبل ذلك"(٢).

في حين أن الطبري أورد عدة أحداث في سنة ١٨٧هـ، ٨٠٢م تتحدث عن ممارسات البرامكة، التي أدت إلى تغيُّر نظرة الرشيد وعلاقته بالبرامكة، وأنها كانت سببَ النكبة، دون أن يحدد تاريخ تلك الأحداث ـ على الرغم من إيراده لها في أحداث سنة ١٨٧هـ، ٨٠٢م، كما جاءت هذه الأحداث في معظمها مسندة؛ فقد أورد الطبري برواية بختيشوع بن جبريل أن الرشيد غضب من يحيى البرمكي بسبب دخوله عليه دون استئذان، مع أن يحيى كان يفعل ذلك في الماضي دون أن يُغضب ذلك الرشيدَ(٣).

كما أشار الطبري في رواية ثُمامة بن أشرسَ إلى غضبِ الرشيد من يحيى بن خالد وتوعُّدِه بعد أن وجَّه له محمدُ بنَ الليث رسالةً(٤) يعظُه فيها، ويذكّره أن

(١) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٤٢٢ (إسماعيل بن صبيح الكاتب).

(٢) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٤٢١ (دون).

(٣) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٨٧ (بختيشوع بن جبريل).

(٤) أشار ابن النديم إلى تاليف محمد بن الليث "لكتاب عظة هارون الرشيد" ابن النديم، الفهرست، ص١٣٤، ٣٧٧ (دون).

يحيى بن خالد لا يغنيه عند الله منْ شيء، فاتهم يحيى بنُ خالد محمداً بنَ الليث بالزندقة، فحبس الرشيد محمدَ بن الليث بسبب تلك التهمة ظلماً، فلما انقضت مدةٌ أطلق الرشيد محمدَ بن الليث منَ الحبس، وكان الرشيدُ قد أدرك أنه ظَلَمَه، فوعده الرشيد بأن يأخذ له حقَّه من يحيى. وأضافت الرواية إلى أن الناس بعد هذه الحادثة أخذوا يتحدثون في أمر البرامكة، وأن ذلك كان بدايةَ تغيُّر حالهم عند الرشيد(١).

وأورد الطبري روايةً أخرى لإبراهيم بن المهدي تشير إلى أن جعفر بن يحيى بدأ يشعر بالرِّيبة منَ الرشيد(٢) دون أن يحدِّدَ زمن ذلك وسببه. وأشار أيضاً إلى حصول تغيُّر في معاملة الرشيد ليحيى بن خالد حين أوصى غِلْمانه بعدم القيام بوجه يحيى أو تقديم الخدمة له(٣). ووصف الطبري غضب الرشيد من موسى بن يحيى بأنها أولُ ثُلمة ثُلِمُوا بها، حين سعى عليٌّ بن عيسى بن ماهان بموسى لدى الرشيد، وأنه يريد الثورةَ عليه بخراسان، كما أشار الطبري أن ترْكَ الفضل بن يحيى منادمةَ الرشيد والشُّربَ معه كان سبباً لغضب الرشيد منَ الفضل(٤).

وحين تناول الطبري، والجهشياري بناءَ جعفر بن يحيى لقصره الباهظ الثمن، لم يشيرا إلى أنه كان السببَ في النكبة، بل إنه سيكون موضعَ نقدٍ منْ قِبَلِ الرشيد وأعداء جعفر(٥)، لكن ذلك لم يحصل حسب ما ورد في المصادر.

وأشار ابن عبد ربه أيضاً إلى حادثة قبل النكبة بست سنوات، تدلُّ على أن

(١) الطبري، تاريخ، ج ٨، ص٢٨٨ (ثمامة بن اشرس)، ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص١٢٧ (ثمامة بن اشرس).

(٢) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٩١ (إبراهيم بن المهدي)، الصولي، أشعار أولاد الخلفاء، ص٤٥ (إبراهيم بن المهدي).

(٣) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٨٨ (أحمد بن الفضل بن سفيان مولى سليمان بن أبي جعفر).

(٤) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٩٢-٢٩٣ (دون).

(٥) الطبري، تاريخ، ج٨، ٢٩١ (إبراهيم بن المهدي)، انظر: الجهشياري، الوزراء، ص١٢١، ١٣٩ (عمر بن فرج)، ابن حمدون، التذكرة، ج٩، ص٣٢١-٣٢٣.

الرشيد كان قد تغيَّر على البرامكة مِنْ خلال حوار دار بين الرشيد وإسحق بن علي ابن عبدالله بن عباس، حين شاوره في أمرهم، وأظهر له ما يُضمِرُه لهم، وأنه كان يخشاهم، ويريد سَلْبَ ضِياعَهم التي استولَوْا عليها، وهي حقٌّ لأولاده، فأسرَّ بذلك لإسحق، ثم نَكَبَهم الرشيدُ بعد ذلك(١).

وأورد الجهشياري أيضاً عدة روايات غريبة انفرد بإيرادها، تدلُّ على أن الرشيد كان ينوي قتل جعفر، فقد ذكر في خبر أن الرشيد كان يتأمل عُنُقَ جعفر، وكان جعفر يدرك نية الرشيد بقتله(٢). وفي رواية للطبيب بختيشوع بن جبريل أشار إلى تغير نظرة الرشيد إلى يحيى بن خالد، بحيث صوَّر الرشيدَ بالغيور مِنْ وزرائه البرامكة، فقد أبدى الرشيد موقفه الإيجابي مِنْ يحيى بن خالد حين سمع بأنه يتولّى أمورَ المتظلمين بقوله: "بارك الله عليه، وأحسن جزاءه؛ فقد خفَّف عني، وحمل الثقل دوني، وناب منابي، وذكره بجميل "لكنه في فترة - لاحقة وحول الموقف نفسه - أبدى الرشيد غضبه وانزعاجه مِنْ يحيى بقوله: "فعل الله به وفعل! يذمُّه ويسبُّه، استبدَّ بالأمور دوني، أفضاها على غير رأي، وعمل بما أحبَّه دون محبتي". وحين علم يحيى بموقف الرشيد منه لم يستغرب، فقد كان مدركاً لتغيُّر الرشيد مِنْ مدحه لذمه حين قال "ولكن المدة إذا آذنت بالانقضاء جعلت المحاسنَ مساوئَ، ومَنْ أراد أن يتجنّى قدر، نسأله حُسْنَ الاختيار"(٣)، وأبدى في الوقت نفسه رضاه مِنْ هذا العُذر، وظهر بصورة الحكيم. وفي خبر آخر: أن يحيى استشعر بقدوم الخطر بسبب دالَّة جعفر على الرشيد، وخصوصية العلاقة معه، وتحذيره لابنه مِنْ ذلك(٤).

---

(١) ابن عبد ربه، العقد، ج٥، ص٦٦ (إسحق بن علي بن عبد الله بن العباس).

(٢) الجهشياري، الوزراء، ص١٣٩ (دون).

(٣) الجهشياري، الوزراء، ص١٤٤-١٤٥ (بختيشوع بن جبريل)، ابن الطقطقا، الفخري، ص٢٠٨ (بختيشوع بن جبريل).

(٤) الجهشياري، الوزراء، ص١٤٤ (دون)، وبالغ الهبري في ربطه بوجود تشابه بين شعور يحيى=

وأشار الجهشياري إلى حوادثَ أخرى تشير إلى تغيُّر الرشيد؛ فقد ذكر أنه بدأ يتغيَّر على الفضل من سنة ١٨٣هـ، ٧٩٩م، حيث صرَفَه عن الأعمال التي كان يتقلَّدها أولاً بأول[١]. كما يشير الجهشياري في خبرٍ آخرَ إلى أن الرشيد كان عاقداً العزم على النكبة حين أمر السندي بن شاهك قبل سنة من النكبة أن يتوكَّل بدُور البرامكة وأسبابهم بالسر[٢]، وأنه كان يتتبَّع أخبار البرامكة، ويسأل كلَّ مَنْ له صلةٌ بهم ويستجوبه، ويتجسس عليهم، متوقعاً تآمرَهم عليه[٣].

وأشار الأصفهاني في رواية لإسحق الموصلي أن أمر النكبة لم يكن خافياً على الناس؛ لأنهم كانوا يتحدثون بها، ويعلمون أن الرشيد سيولِّي الوزارةَ للفضل بن الربيع[٤]. وهذا مما يثير التساؤل حول موقف البرامكة من ذلك، فلو كان الناس يعلمون بالأمر بمثل ما صُوِّرَ من خلال رواية الأصفهاني، لتدارك البرامكةُ الأمرَ وهربوا، وهذا ينفي صحةَ مثلِ هذا الخبر؛ لأن المصادر سبق وأن أشارت أن نوايا الرشيد كانت جميعُها طيَّ الكتمان، وإذا أخبر أحداً بنواياه كان يتهدَّده ويتوعَّده بالقتل إذا أفشى سرَّه، إضافةً إلى أن وقوفهم بهذا الموقف ينفي تسلُّطهم على الدولة مِنَ الأساس، وإذا كان لهم سلطةٌ وعلموا بما يُدبَّرُ لهم لتصرفوا حِيالَ ذلك.

أما عن أسباب نكبة الرشيد للبرامكة، فقد تناولتها المصادر التاريخية بشكل متفاوت من حيث الشكل والمضمون والإسناد. وتجدر الإشارة إلى أن عدداً مِنَ

= المتنبىء بالمأساة القادمة لولده جعفر، وشعور الرشيد المتنبئ بالفتنة بين ولديه، ومأساة ابنه الأمين، كما وجد الهبري تشابهاً بين شخصيتي الرشيد ويحيى من حيث الحالة التاريخية وأن كليهما كان ناقداً لاذعاً للابن غير الورع (جعفر والأمين). وتأتي مبالغة الهبري نتيجة تسليمه بصحة الروايات، مما أوقعه في عدم الدقة .Tayeb EL Hibri, Harun Al Rashid, p33, 36

(١) الجهشياري، الوزراء، ص١٤٥ (دون).

(٢) الجهشياري، الوزراء، ص١٥٢ (حُكي).

(٣) الجهشياري، الوزراء، ص١٦٩ (عيسى بن يزدانيرود)، (احد الكتاب).

(٤) الأصفهاني، الاغاني، ج٥، ص٢٦١ (إسحق الموصلي).

المصادر لم يتطرّقْ لأسباب النكبة، على الرغم مِنْ إشارته لها، وتمثَّل ذلك عند خليفة بن خياط، والدينوري، واليعقوبي، في حين تناولها بقيةُ المؤرخين بإسهابٍ وتفصيلٍ.

فقد رأى كلٌّ من الطبري والجهشياري والمسعودي أن احتجانَ البرامكة لأموال الدولة دون الرشيد، واستبدادَهم بها مِنَ الأسباب الرئيسة والمباشرة للنكبة؛ فقد أورد الطبري حديثاً جرى أيام الخليفة الواثق، حين سأل عن سبب نكبة الرشيد للبرامكة، فأجابه أحدُ جلسائه بالقصة التي رغب فيها الرشيد بشراء جارية بمبلغ كبير مِنَ المال، فمنع يحيى بنُ خالد المالَ عنه، وحين بحث عن الأموال وجد أن البرامكة قد أنفقوها، كما أشار الخبر إلى أن الرشيد وصل بعض مقرَّبيه بالأموال، فلم يصرفها البرامكةُ لهم، فشكوا ذلك للرشيد(١).

وأشار الجهشياري إلى قصة مشابهة، وأن البرامكة أعطوا الرشيدَ نصف ما طلبه(٢)، وأضاف: أن الرشيد تتبَّع أموال البرامكة بعد نكبتهم، وكان يقول: "إنهم نهبوا مالي وذهبوا بخزائني". وكان الرشيد يسأل مسروراً عن رأي الناس في النكبة، فأخبره أن الناس اتهموه بعدم الوفاء، وأنه طمع في أموالهم، فأخذ الرشيد مسروراً للحبس حيث كان يحيى محبوساً، فاستجوبه عن عدة أمور؛ منها: إعطاؤه الأموال لدعم ثورات العلويين، واحتجانهم الأموال عن عيال الرشيد، وإنفاق الأموال على عيالهم، مما دفع الرشيد للاقتراض، وعدَّد ليحيى أربعةَ عشر شيئاً فعلها يحيى أنكرها الرشيد عليه، وكانت أسباباً لنكبتهم(٣).

---

(١) الطبري، تاريخ، ج٩، ص١٢٥-١٢٨، (عزون بن عبد العزيز الأنصاري)، انظر: الجهشياري، الوزراء، ص١٦١ (محمد بن داود الجراح في كتاب الوزراء)، المسعودي، مروج، ج٤، ص٢٣٣ (دون)، ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص١٣٠ (دون)، ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص١٠-١١ (دون).

(٢) الجهشياري، الوزراء، ص١٦١ (دون).

(٣) الجهشياري، الوزراء، ص١٥٦-١٥٧ (مسرور الكبير)، ابن حمدون، التذكرة، ج٣، ص٢٧-٢٨ (مسرور الكبير).

كما رأى الطبري، والجهشياري، والمسعودي، والأصفهاني، والتنوخي، وغيرهم أن علاقة البرامكة بالعلويين بإطلاق أحد العلويين الذين وُكِّلُوا به، أو التآمر معهم بمساعدتهم بالأموال، هي أحد الأسباب الرئيسة لنكبتهم؛ فقد أشار الطبري بصراحة إلى أن إطلاق جعفر البرمكي ليحيى بن عبد الله العلوي من حبسه هو السبب الرئيس لقتل جعفر ونكبة البرامكة، فقد أورد الطبري ذلك بشهادة أبي محمد اليزيدي، وهو - حسب رأي الطبري - من أعلم الناس بأخبار البرامكة، فقد قال: "مَنْ قال: إن الرشيد قتل جعفر بن يحيى بغير سبب يحيى بن عبد الله بن حسن فلا تصدِّقْه" . وكان الرشيد قد كشف أمر إطلاق جعفر ليحيى، فضمر الشر له بقوله: "قتلني الله بسيف الهدى على عمل الضلالة إن لم أقتلك"(١).

وأشار المسعودي إلى ذلك باختصار شديد، ورأى أن إطلاق البرامكة لرجل مِنَ العلويين - دون تسميته - مِنْ أسباب النكبة(٢).

وأشار الجهشياري إلى أن يحيى بن خالد كان متآمراً مع العلويين ضد الرشيد من خلال إرساله الأموال لدعم ثوراتهم، وكان يحيى يقصد تقويةَ شوكتهم ليظفرَ بهم ابنه الفضل، فيحظى لدى الرشيد - حسب ادِّعاء يحيى - وهذا ادعاءٌ ضعيف(٣).

وانفرد الأصفهاني بالإشارة إلى أن الرشيد قتل جعفر بن يحيى بسبب قتله عبدالله بن الحسن بن علي بن الحسين (ابن الأفطس) وكان الرشيد قد حبسه عند

---

(١) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٨٩ (أبو محمد اليزيدي)، انظر: مجهول، العيون، ج٣، ص٣٠٦ (دون)، ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص١٢٧ (أبو محمد اليزيدي)، ابن بدرون، شرح قصيدة ابن عبدون، ص٢٤١-٢٤٢ (دون)، انظر: ابن الطقطقا، الفخري، ص٢٠٩ (قيل)، ابن خلكان، وفيات، ج١، ص٣٣٤-٣٣٥ (دون)، الذهبي، تاريخ، ج١٢، ص٣١ (قيل)، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١١، ص١٦٠ (قيل).

(٢) المسعودي، مروج، ج٤، ص٢٣٣ (دون).

(٣) الجهشياري، الوزراء، ص١٥٧ (مسرور الكبير).

جعفر البرمكي، فقتله جعفر في عيد النيروز، وقدَّم رأسه هدية للرشيد[١].

ويرى فاروق عمر أن هذا السبب ـ المرتبط بالعلويين ـ مستبعَدٌ لأن يكونَ مِنْ أسباب النكبة، وأنه مِنَ الروايات الموضوعة التي ليس لها ما يثبتها؛ لأن البرامكة ظهروا في روايات أخرى وكأنهم أعداءٌ للعلويين، ويدلِّل على ذلك بعدم وجود روايات موثوقة تدلُّ على إخلاصهم لقضية العلويين[٢].

وأورد كلٌّ مِنَ الطبري، والمسعودي، والمقدسي، وصاحب "الإمامة والسياسة" قصة العباسة على أنها مِنَ الأسباب الرئيسة للنكبة أيضاً؛ فقد ذكر الطبري متردداً في إسناده قصةَ زواج جعفر بن يحيى البرمكي مِنَ العباسة. ويلحظ التناقض الواضح في هذه القصة منذ بداياتها، حيث اتهمت الرشيد بأنه كان يسمح لأخته العباسة بمجالسة جعفر إذا ما جلس للشرب[٣]، وهذا أمر مخالف لكل تقاليد الخلافة. ولو فعل، فكيف يزوِّجُها على شرط عدم معاشرتها، وهل هناك زواجٌ دون معاشرة.

إن الطبري في نهاية إيراده للقصة يشكِّكُ فيها حين أشار إلى قتل ابن العباسة بن جعفر حين قال: "فأراد ـ فيما زعم ـ قتل الصبي"[٤]، وحين أوردها كلٌّ مِنْ صاحب "العيون"، والمقدسي سبباً مِنْ أسباب النكبة، لم يؤكِّداها حين قالا: "والله أعلم"[٥].

أما المسعودي، فقد أورد هذه القصة بتفاصيلَ أكثرَ، وبإسنادٍ غيرِ معروف عن "ذوي معرفة بأخبار البرامكة". وقدم المسعودي أيضاً قصةً متناقضةً في تفاصيلها،

---

(١) الأصفهاني، مقاتل، ص٤٩٢-٤٩٤ (النوفلي عن أبيه)، انظر: ص٥٤٨ (دون)، التنوخي، الفرج، ج٤، ص١١٤ (أبو الحسن علي بن محمد بن سليمان النوفلي).

(٢) فاروق عمر، الخلافة العباسية، ج١، ص١٩٩.

(٣) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٩٤ (أحمد بن زهير ـ أحسبه عن عمه زاهر بن حرب).

(٤) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٩٤ (أحمد بن زهير).

(٥) المقدسي، البدء، ج٦، ص١٠٤-١٠٥ (دون)، مجهول، العيون، ج٣، ص٣٠٧-٣٠٨ (دون).

بحيث صوّر الرشيد بأنه حريصٌ على مصاهرة جعفر، وتزويجه من أخته العباسة، وأن جعفراً كان يرفض ذلك، وظهر جعفر بأنه وفّي بالعهود والأيْمان التي أخذها عليه الرشيد بالحفاظ على شكلية الزواج بعدم الاقتراب مِنَ العبّاسة، وأن تثبيت المصاهرة بحمْل العباسة هو كارثةٌ بالنسبة إلى جعفر، وصوّرت العباسة بأنها حريصةٌ على معاشرة جعفر والحمل منه مِنْ خلال إصرارها على جعفر، إلى أن تمكّنت ونجحت بمساعدة والدة جعفر البرمكي. وكان التناقض واضحاً فإذا صحَّ لقاءُ جعفر بالعباسة قبل تزويج الرشيد لهما، فكيف لم يتمكن جعفر مِنَ التعرف إليها حين التقى بها على أنها إحدى الجواري، فالقصة تقول: إن جعفراً "لم يكن بصورتها عالماً، ولا بخلقتها عارفاً"، وأن الرشيد بعد أن عرف بذلك أضمر الإيقاع بهم(١).

كما أورد صاحب "الإمامة والسياسة" قصةً مختلفة برواية سهل بن هارون، فهو لم يُشِرْ إلى حصول زواج، بل بالَغَ وشَطَّ في مبالغته حين أشار إلى قيام علاقة غرامية بين أخت الرشيد؛ حيث اسمها هنا فاختة وجعفر البرمكي، وأن ذلك كان بمبادرة منها، بهدف الإساءة للرشيد. وينهي القصة بعدم تأكيدها بقوله "والله أعلم"(٢). فالدَّسُّ واختلاقُ القصة واضحٌ. وهذا مرتبط براوي القصة سهل بن هارون، فهو شُعوبيٌّ متعصب، ومقرَّبٌ مِنَ البرامكة.

إن مجمل قصة العباسة في المصادر جاءت بهدف الإساءة للرشيد ردّاً على نكبة الرشيد للبرامكة. لكن هذا الرد جاء ضعيفاً؛ فقد لاقت هذه القصة تشكيكاً

---

(١) المسعودي، مروج، ج٤، ص٢٤٦-٢٤٩ (ذوي معرفة بأخبار البرامكة)، انظر: ابن بدرون، شرح قصيدة ابن عبدون، ص٢٢٤-٢٣٠ (دون)، ابن خلكان، وفيات، ج١، ص٣٣٢-٣٣٤ (دون)، الطقطقا، الفخري، ص٢٠٩ (قيل)، الذهبي، تاريخ، ج١٢، ص٢٩-٣٠ (ابن خلكان).

(٢) مجهول، الإمامة والسياسة، ج٢، ص١٧٢ (سهل بن هارون)، وسماها الأتليديُّ: ميمونة، أعلام الناس، ص٢٤٣.

مِنْ قِبَلِ مؤرخين معاصرين للطبري وغيره مِمَّن أورد القصة. ويأتي هذا النقدُ غيرَ مباشر من خلال إهمال عدد من المؤرخين قصة العباسة وتجاهلهم لها. وتمثل ذلك عند كلٍّ مِنَ الدينوري، واليعقوبي، في حين أن فئةً أخرى أنكرت هذه القصة ونقدَتْها؛ فقد أورد الجهشياري نفياً لقصة العباسة جاء على لسان مسرور الكبير - وهو مِنْ أشهر الخدم في قصر الرشيد وأبرزهم - حين سُئل عن سبب النكبة، وعمَّا تردَّد مِنْ أمر المرأة (العباسة)، فأجاب بأن ذلك كذب بقوله: "لا والله، ما لشيءٍ مِنْ هذا أصلٌ، ولكنه مِنْ ملل موالينا وحسدهم"(١).

كما أورد ابن الجوزي نفياً آخر لصحة تلك القصة، حين أورد رأي الحسن بن عيسى بأن ذلك "مِنْ رواية الجهَّال ومن كان يجسر على الرشيد بهذا؟ إنما جعفر قد حاز ضياع الدنيا لنفسه، وكان الرشيد إذا سافر لا يمرُّ بضيعة أو بستان إلا قيل: هذا لجعفر. فما زال ذلك في نفسه"(٢). وأبدى ابن الجوزي في موقعٍ آخرَ تعجُّبَه مما أورده الطبري عن العباسة حين قال: "وروى أبو جعفر بن جرير الطبري شيئاً عجباً في هلاك جعفر" وأورد القصة(٣).

وعدَّ ابنُ خلدون قصةَ العباسة مِنَ الحكايات المدخولة للمؤرخين، ولم يُنكرها فحسب، بل دافع عن العباسة وعن دينها وحَسَبِها ونَسَبِها وشرفها، ورفّعها عن مصاهرة المولى الأعجمي، كما رفّع الرشيد عن ذلك، وذكر الأسباب الحقيقة - حسب رأيه - للنكبة، حيث رأى أن استبداد البرامكة بالدولة وأموالها دون الرشيد مِنَ الأسباب الرئيسة لنكبتهم، إضافة إلى مشاركتهم الرشيد في سلطانه، وسيطرتهم على الدولة، وذياع صيتهم لكثرة الأعمال التي تولَّوْها لكثرة أعدادهم في الدواوين ومؤسسات الدولة، وذلك نتيجة مكانة أبيهم يحيى من الرشيد

(١) الجهشياري، الوزراء، ص١٦٢ (مسرور الكبير).

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص١٣٢ (علي بن المحسن التنوخي).

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص١٣١ (الطبري)، الأربيلي، خلاصة، ص١٤٦ (الطبري).

وكفالته لهارون، ويسرُدُ ابن خلدون كيفية سيطرة البرامكة على دولة الرشيد وكسبهم محبة الناس، وأشار إلى أن السعاية مِنْ أسباب سقوطهم؛ وذلك بسبب حسد بني قحطبة أخوال جعفر، ثم يشير إلى ما حصل بين البرامكة والعلويين في إطلاق يحيى بن عبد الله(١).

وأوردت بعض المصادر أخباراً أخرى عن العباسة، لكنها لم ترتبط بقصتها مع جعفر؛ فقد أشار ابن قتيبة، والبلاذري أنها تزوجت اثنين: الأول هو هارون بن محمد بن سليمان، فمات عنها. ثم زوَّجها الرشيدُ بعدَه مِنْ إبراهيمَ بن صالح بن علي(٢)، في حين أن ابن الجوزي أشار إلى أنها تزوجت من محمد بن سليمان بن علي العباسي والي البصرة، وأرسلت إليه سنة ١٧٢هـ، ٧٨٨م(٣).

إن إيراد هذه الأخبار تشير إلى عدم صحة قصة العباسة مع جعفر، فقد رأى الدوري وفاروق عمر أن القصة أسطورية وموضوعة(٤)، كما رأى هوروفتز (J.horovitz) أن المؤرخين المتأخرين ضخَّموا قصة العباسة أكثرَ وأكثرَ، مِمَّا أثار تساؤلاتِ ابنِ خلدون حول صحتها، ووجد هوروفتز عند الطبري ـ الذي وصفه بالفارسي ـ أن العباسة كان عمرها ٤٠ سنة عندما بدأت علاقتها مع جعفر، وأن زوجها توفي قبل إحدى عشرة سنة مِنْ وفاة جعفر، وهذا وضع كافة الأفكار عن

---

(١) ابن خلدون، المقدمة، ج١، ص١٦-١٧ (دون)، عارض أحمد أمين رأي ابن خلدون وكان متطرفاً غير منطقيٌ في حكمه، انظر: أحمد أمين، هارون الرشيد، ص١٢٨، وفي الوقت نفسه بالغ أحد الباحثين في الدفاع عن العباسة، وكان غير موضوعيٌ وخرافياً في الوقت نفسه حين عمل الباحث طنطاوي الجوهري على استحضار روح الرشيد ليسأله عن سبب نكبة البرامكة ليبرئ العباسة، وألف في ذلك كتاب "براءة العباسة أخت الرشيد"، لطنطاوي الجوهري المطبوع في القاهرة عام ١٩٣٦ ط١.

(٢) ابن قتيبة، المعارف، ص٣٨٠ (دون)، البلاذري، أنساب، ق٣، ص٢٨٠ (دون).

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص٣٤٣ (الصولي).

(٤) الدوري، العصر العباسي الأول، ص١٢٩، فاروق عمر، الخليفة المجاهد، ص٢٤-٢٥ .انظر: صالح حمارنة، هارون الرشيد الرجل الأسطورة، (مقالة)، المؤرخ العربي، عدد٥٤، سنة ١٩٩٦م.

العلاقة الغرامية في فترة الشباب موضع شك وتساؤل، مما يدل على تلفيق تلك القصة وعدِّها مِنْ نِتاج الخيال الشعبي لإعطاء هالةٍ لحادثة النكبة(١).

وأوردت بقية المصادر أسبابا أخرى للنكبة؛ فقد أشارت بعض المصادر ـ مثل الطبري، والبيهقي، وابن عبد ربه ـ إلى دور السعايات في التحريض على البرامكة وتأليب الرشيد. وتمثَّل ذلك في قيام بعض أعداء البرامكة بتحريض الرشيد عليهم من خلال إسماعه بعض الأشعار التي تصفه بالعجز، وتحثُّه على الاستبداد بهم؛ كقول الشاعر "إنما العاجز من لا يستبد". وبالغت هذه المصادر في دور هذه الأشعار في تحريض الرشيد بقتل جعفر ونكبة البرامكة(٢).

وأشار الجهشياري، والتنوخي إلى أثر الفضل بن الربيع في السعاية بالبرامكة والإيقاع بهم، فقد رأى الجهشياري أن تصادم البرامكة مع الفضل بن الربيع مِنْ أسباب النكبة، حيث قال: "فمِنْ أسباب زوال أمر البرامكة تقصيرُهم بالفضل بن الربيع، وقصدُهم محمد بن جميل"(٣). وأشار الجهشياري إلى أعمال الفضل بن الربيع للتقرُّب مِنَ الرشيد، حتى فاقت مكانتُه مكانةَ البرامكة، حيث نافسهم في تقديم الهدايا للرشيد، في الوقت الذي احتجن فيه البرامكةُ الأموال عن الرشيد(٤).

(1) J. horovitz, (abbasa) E 12, vol, 1, p. 14.

(٢) انظر: الطبري، تاريخ، ج٩، ص١٢٥ (عزون بن عبد العزيز الأنصاري)، البيهقي، المحاسن، ج٢، ص٨٠ (دون)، ابن عبد ربه، العقد، ج٥، ص٧١-٧٢ (دون)، الراغب الأصفهاني، محاضرات، ج١، ص٤٧ (دون)، ابن حمدون، التذكرة، ج٥، ص١٩٤ (دون).

(٣) الجهشياري، الوزراء، ص١٦٣ (دون)، انظر: ابن خلكان، وفيات، ج٤، ص٣٧ (دون)، ابن الطقطقا، الفخري، ص٢٠٩. ويبدو أن محمد بن جميل من أعداء الفضل بن الربيع، حيث تولى مناصب مهمة أيام المنصور والهادي، وكان يتولى ديوان الخراج. الجهشياري، الوزراء، ٨٠، ٨٦، ١٠٧.

(٤) الجهشياري، الوزراء، ص١٦١-١٦٢ (محمد بن داود الجراح في كتابه الوزراء)، ابن خلكان، وفيات، ج٤، ص٣٧ (دون)، ابن الطقطقا، الفخري، ص٢٠٧ (قيل)، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١١، ص١٦١ (دون).

وأشار التنوخي بشكل مباشر لدور العداء بينهم وبين الفضل في إيقاع الرشيد بهم، فقد ذكر قصة تضمنت حصول خلاف بين الفضل بن الربيع والبرامكة، وأنه بعد عدة أيام من حصول الخلاف نكب الرشيد البرامكة(١).

وأشارت بعض المصادر إلى اتهام البرامكة بالزندقة، ولكنها اختلفت في اعتبار تلك التهمة سبباً لنكبتهم؛ فقد ذكر المقدسي أن إظهار البرامكة للزندقة وإفساد الملك بنقله لعثمان بن نهيك(٢) كان سبب سخط الرشيد عليهم(٣) ونكبتهم، كما أورد المقدسي أبياتَ الأصمعي التي تتهم البرامكة بالشرك، ومفاضلتهم لأحاديث بَرْمَكَ على القرآن(٤).

وأشار كذلك عبد القاهر البغدادي إلى أن البرامكة زيَّنوا للرشيد أن يتَّخذَ في جوف الكعبة مجمرةً لتبخير العود فيها، فأدرك الرشيدُ أنهم أرادوا مِنْ ذلك عبادةَ النار في الكعبة، وأنْ تصيرَ الكعبةُ بيتَ النار، فكان ذلك أحد أسباب قبض الرشيد على البرامكة حسب رأي البغدادي(٥).

لكن الجهشياري، وبرواية مسرور الكبير، نفى صحة أمر المجامر، حيث عدَّه مِنْ حسد الموالي للبرامكة(٦).

---

(١) التنوخي، الفرج، ج١، ص٣٠٧ (الحسين بن نمير الخزاعي).

(٢) أبو يزيد عثمان بن نهيك: من قواد الدولة العباسية، كان قائد حرس المنصور، اشترك معه في قتل أبي مسلم الخرساني، وحين تحركت الراوندية على المنصور سنة ١٤١هـ اصيب بسهم ومات إثرها، وكانت الراوندية تقول: إن روح آدم انتقلت إلى عثمان بن نهيك. الطبري، تاريخ، ج٧، ص، ٣٦٢، ٣٨٩، ٤١٨، ٤٥٣، ٤٥٥، ٤٦٢، ٤٨٨، ٤٩١، ٥٠٥، ٥٠٦. إن ما أورده المقدسي مستغرَبٌ، حيث انفرد به من بين بقية المؤرخين، ومعلوماته غير دقيقة.

(٣) المقدسي، البدء، ج٦، ص١٠٤ (قال قوم)، ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص١٣٣ (قيل)، الأربيلي، خلاصة، ص١٤٦ (الصولي)، ابن كثير، البداية، ج١٠، ص١٩٦ (قيل).

(٤) المقدسي، البدء، ج٦، ص١٠٥–١٠٦ (دون).

(٥) عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، ص٢٨٥ (دون).

(٦) الجهشياري، الوزراء، ص١٦٤ (مسرور الكبير).

وأوردت مصادرُ أخرى ـ مثل الجاحظ، وابن قتيبة، والبلاذري، وابن النديم ـ أوصافاً وأشعاراً في البرامكة، تتّهمهم بشكل مباشر بالزندقة والشرك، دون أن تشير أنَّ ذلك الاتهامَ كان سبباً في نكبتهم(١).

واتهمت بعض المصادر ـ مثل الجهشياري والمسعودي ـ يحيى بنَ خالد بالميل للمجوس مِنْ خلال قصة هدم إيوان كسرى، حين استشار الرشيدُ يحيى بن خالد في هدمه، فرفض في بداية الأمر(٢)، وأورد ابنُ خلدون القصةَ، واعتبرها ـ منفرداً ـ سبباً للنكبة حين ذكر أن الرشيد حلف بعدها أن يقتل يحيى بن خالد(٣)، في حين أن مجموعةً مِنَ المصادر ـ مثل ابن الفقيه الهمذاني، والطبري، وصاحب "العيون" وغيرهم ـ ذكرت أن قصة هدم الإيوان حصلت مع المنصور، وخالد البرمكي، وليس الرشيد ويحيى(٤).

وتُحَمِّل بعض المصادر ـ مثل البيهقي، وابن عبد ربه، والجهشياري، والخطيب البغدادي ـ جعفرَ بنَ يحيى مسؤولية النكبة، حيث ورد ذلك مِنْ خلال اعتراف أبيه يحيى بذلك في مراسلاته للرشيد وهو في السجن، دون أن يوضِّحَ الفعل أو الذنب الذي ارتكبه جعفر، فقد كان يحيى يتوسل الرشيد، ويطلب منه عدم

(١) الجاحظ، البيان، ج٣، ص٣٥٠-٣٥١ (قال بعضهم)، ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج١، ص٥١ (الأصمعي)، المعارف، ص٣٨٢ (دون)، البلاذري، أنساب، ق٣، ص٢٧٧ (دون)، ابن النديم، الفهرست، ص٤٠١ (دون)، انظر: الزمخشري، ربيع الأبرار، ج٣، ص٢٨٥ (دون)، ابن حمدون، التذكرة، ج٢، ص١٣٣ (دون).

(٢) الجهشياري، الوزراء، ص١٤٧ (دون)،المسعودي، مروج، ج١، ص٣٠١-٣٠٢ (دون)، ابن بدرون، شرح قصيدة، ص٢٣٣-٢٣٤ (دون).

(٣) ابن خلدون، المقدمة، ج١، ص٣٦٨ (دون).

(٤) ابن الفقيه الهمذاني، البلدان، ص٢٨٧-٢٨٨، الطبري، تاريخ، ج٧، ص٦٥٠ (إسحق الموصلي)، مجهول، العيون، ج٣، ص٢٥٦ (دون)، (ابن المأمون في تاريخه)، الثعالبي، ثمار القلوب، ج١، ص٣٠٤ (دون)، الزمخشري، ربيع، ج١، ص١٨٥ (دون)، ابن حمدون، التذكرة، ج٢، ص٨٨ (دون).

شمله بذنب ابنه جعفر(١). ورأى الخطيب البغدادي أن جعفراً هو سببُ النكبة حين قال في ترجمته: "وغضب الرشيد عليه في آخر أمره، فقتله ونكب البرامكة لأجله"(٢).

وأشارت بعض المصادر الأدبية إلى سبب آخر للنكبة، وهو الدالة، فقد أورد ابن قتيبة، والثعالبي، والحصري القيرواني، والطرطوشي قولَ الرشيد لإسماعيل بن صَبيح يحذره مِنَ الدَّالة، وأنها كانت سببَ نكبة البرامكة(٣)، وأكد ذلك ابنُ خلكان بقوله: "ووقع منهم الإدلال، خاصة جعفر والفضل"(٤).

وانفرد ابن خلكان بذكر أسباب مختلفة عما ذكرته المصادر المتقدمة، فقد قدَّم رأيَ سعيد بن سَلْمٍ (توفي حوالي سنة ١٩٠هـ)(٥) في سبب النكبة حيث نفى معظم الأسباب التي أوردتها المصادر، فقد ذكر أنه لم تكن هناك أسباب توجب ما فعله الرشيد بهم، بل إن أيامهم طالت، وأن الناس ملُّوها لطولها، فقال: "والله لقد استطال الناس الذين هم خير الناس أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وما رأوْا مثلها عدلاً وأمناً وسَعَةَ أموالٍ وفتوح، وأيام عثمان رضي الله عنه حتى قتلوهما، ورأى الرشيدُ مع ذلك أُنْسَ النعمة بهم، وكثرة حَمْدِ الناس لهم، ورميهم بآمالهم دونه، والملوك تتنافس بأقلَّ مِنْ هذا، فتعنَّت عليهم، وتجنَّى وطلب مساويهم (مساوئهم)، ووقع منهم

(١) البيهقي، المحاسن، ج٢، ص٣٣٨-٣٣٩ (دون)، ابن عبد ربه، العقد، ج٥، ص٦٨ (دون).

(٢) الخطيب، تاريخ بغداد، ج٧، ص١٥٢ (دون).

(٣) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج١، ص٥٨ (دون)، الثعالبي، الإعجاز، ص٥١، التمثيل والمحاضرة، ص١٣٩ (دون)، الحصري، القيرواني، زهر الآداب، ج١، ص١٥٨.

(٤) ابن خلكان، وفيات، ج١، ص٣٣٥ (سعيد بن سلم).

(٥) ترجم له ابن عساكر، وذكر أنه من أصحاب الإمام الأوزاعي، وانه نقل عنه، كما ترجم له الذهبي، وذكر أنه أبو عثمان سعيد بن سلم المكي القدَّاح، إمامٌ محدث، روى عنه سفيان بن عيينة، وكان مرجئاً. توفي مع ابن عيينة سنة نيف وتسعين ومائة، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٢١، ص٩٥-٩٦، الذهبي، سير أعلام، ج٩، ص٣١٩ - ٣٢٠.

بعضُ الإدلال خاصة جعفر والفضل دون يحيى، فإنه كان أحكمَ خبرةً، وأكثرَ ممارسةً للأمور، ولاذ مِنْ أعدائهم بالرشيد كالفضل بن الربيع وغيره، فستروا المحاسن، واظهروا القبائح، حتى كان ما كان"(١)، وقد يكون هذا تفسيراً مقبولاً أكثرَ مِنَ الذين يركزون على هذا السبب أو ذاك.

إذن يلحظ أن المصادر اختلفت في تقديمها لأسباب النكبة، وأحاطت حولها الغموض؛ فقد أشار كلٌّ مِنَ اليعقوبي، والطبري، والمسعودي، وابن خلكان إلى اختلاف الناس على أسباب النكبة(٢)، وهذا الغموض نتج أيضاً عن غموض الرشيد نفسه الذي كان ـ حسب ما أورد اليعقوبي والطبري ـ سيقطع يده، أو يحرق قميصه إذا علما بسبب النكبة(٣)؛ مما أدى إلى ظهور الشائعات، واختلاط الروايات الموضوعة والقصص الشعبي والأساطير بالروايات الحقيقية، حتى بات مِنَ الصعب التفريق بينها، وتمثَّل ذلك في أسطورة العباسة(٤).

وخرج الباحث طيب الهبري عن الموضوعية حين رأى أن الأسباب التي قدَّمَتْها المصادرُ للنكبة كانت ضعيفةً، وكان هدف الروايات التي قدَّمتها تلك المصادر عكسَ ظلم الرشيد وعدم عدالته التي مارسها مع البرامكة، ورأى أن النكبة تمثِّل إساءةً في الحكم عليهم، حيث أفرد عنواناً للنكبة تضمَّن حُكمَه عليها مِنْ خلاله "The Misjudged Barmakids"(٥)، والباحث الهبري يعترف في كتابه بحقيقة مهمة،

(١) ابن خلكان، وفيات، ج١، ص٣٣٥ (سعيد بن سلم)، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١١، ص١٦٠-١٦١ (سعيد بن سلم).

(٢) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٤٢٢ (دون)، الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٩٢ (دون)، المسعودي، مروج، ج٤، ص٢٦٤ (دون)، ابن خلكان، وفيات، ج١، ص٣٣٣ (دون)، ابن الطقطقا، الفخري، ص٢٠٩.

(٣) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٤٢٢ (دون)، الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٩٨ (دون)، ابن خلكان، وفيات، ج١، ص٣٣٦ (دون)، ابن بدرون، شرح قصيدة، ص٢٣٠.

(٤) انظر: فاروق عمر، الخلافة العباسية، ج١، ص ١٩٨.

(5) Tayeb EL Hibri, Harun Al Rashid, p. 34, 45.

وهي أن التمييز بين الخرافي والواقعي في تاريخ البرامكة تعدُّ مهمة خارج هدف دراسته، وقد تكون مستحيلةً(١). في حين قدمت دراساتٌ أخرى آراءها في أسباب النكبة بشكل موضوعي ودقيق(٢).

إن الادعاء الذي قدَّمه الهبري حول أسباب النكبة المقدَّمة مِنْ قِبَلِ المصادر بأنها كانت ضعيفةً وغير مبرَّرة لقيام الرشيد بالنكبة قد يكون استنتاجاً متسرعاً؛ وربما أن الرشيد وجد تآمراً على عرشه مِنَ البرامكة، وخاصةً جعفراً، مع أطراف أخرى؛ مثل: عبد الملك بن صالح، وفي هذه الحالة لن يتردد الرشيد في إزالة مَنْ يهدِّد ملكه. وهذا الأمر يُسْتَدلُّ عليه مِمَّا أوردته بعض المصادر مِنْ أنَّ يحيى أكد للرشيد في توسلاته ومراسلاته له أنَّ الذنب ارتُكب مِنْ قِبَلِ ابنه جعفرٍ فقط، وأنه ليس له ذنب معه، إضافة إلى خطوة الرشيد بربط حبسه لعبد الملك بن صالح، الذي جاء بعد النكبة مباشرة، وشكوكه في وجود علاقة بينه وبين البرامكة، مِمَّا دفع الرشيد لحبس عبد الملك، مِمَّا يؤشر إلى احتمال وجود التعاون في التآمر على الرشيد مِنْ قِبَلِ جعفر وعبد الملك(٣). وقد ينفي ذلك -إن صحّ- فكرة أن النكبة كانت تجسيداً للصراع العربي الفارسي، ويثبت في الوقت نفسه بأنه صراعُ مصالح ونفوذ لجماعات في دولة الرشيد؛ لأن عدداً مِنَ المتنفذين مِنَ العرب وغير العرب كانوا ضد البرامكة ومِنَ المحرِّضين على نكبتهم؛ مثل الفضل بن الربيع، وعلي بن عيسى ابن ماهان، وغيرهم.

ولم تختلف المصادر حول حدث مقتل جعفر بن يحيى من حيث الزمان

---

(1) Tayeb EL Hibri, Harun Al Rashid, p. 46.

(٢) انظر: الدوري، العصر العباسي الأول، ص١٢٩-١٣٠، فاروق عمر، الخلافة العباسية، ج١، ص١٩٧-٢٠١، انظر آراء أخرى: عبد الأمير مهنا، الطرب والظرف، ص١٣٣-١٣٥، أحمد فريد الرفاعي، عصر المأمون، ج١، ص١٥٤-١٥٩، شاكر مصطفى، دولة بني العباس، ص٤٧٥-٤٨٩.

(٣) انظر: الطبري، تاريخ، ج٨، ص٣٠٢-٣٠٣، ٣٠٥.

والمكان، فقد أشارت معظم المصادر إلى أن مقتله كان في دير العمر في ناحية الأنبار في بداية سنة ١٨٧هـ يُستثنى منهم اليعقوبي، الذي ذكر أنه قتل في سنة ١٨٨هـ(١)، حيث أشار كلٌ مِنَ ابن حبيب، وخليفة بن خياط، وابن قتيبة، واليعقوبي إلى ذلك باختصار شديد(٢)، في حين أن الطبري قدَّم تفاصيلَ كثيرةً مِنْ خلال عدة روايات حول الحادثة، حيث اختلفت روايات الطبري حول كيفية مقتله، فقد أشارت رواية الفضل بن سليمان إلى استخدام مسرور الخادم العنف، حيث أخرجه بالقوة وقتله، وفي رواية أخرى لمسرور الخادم أشار إلى حوار جرى بينه وبين جعفر حول جدِّية الرشيد في أوامره لمسرور بقتله، متهماً الرشيد بالسكر أو المزاح، ثم قبض على يحيى وأبيه وإخوانه ومواليهم، وقبض على أموالهم وممتلكاتهم وضياعهم، ووكَّلَ بها السنديَّ بن شاهك(٣).

لكن المسعودي اختلف عن الطبري، وذكر أن الرشيد كلَّف ياسراً الخادم بقتل جعفر، وأورد الحوار الذي جرى بينه وبين جعفر، ثم صوَّر جعفر بمشهد مأساوي أثناء استجابته لأمر الرشيد دون أية مقاومة، وكأنه راض بما حُكِمَ عليه، ثم أشارت الرواية إلى أن الرشيد أمر بقتل ياسر؛ لأنه لا يحتمل أن يرى قاتل جعفر(٤).

واهتمت بعض المصادر بإيراد أخبار البرامكة الذين حُبِسوا مثل يحيى وأولاده،

---

(١) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٤٢٢ (دون).

(٢) ابن حبيب، المحبر، ص٣٨، ٤٨٧ (دون)، خليفة بن خياط، تاريخ خليفة، ص٤٥٨ (دون)، ابن قتيبة، المعارف، ص٣٨٢ (دون)، اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٤٢١-٤٢٢ (دون).

(٣) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٩٥ (مسرور الخادم)، مجهول، العيون، ج٣، ص٣٠٥-٣٠٦ (دون)، الجهشياري، الوزراء، ص١٥١ (دون)، الأزدي، تاريخ الموصل، ص٣٠٤-٣٠٥ (مسرور الخادم)، الأصفهاني، الأغاني، ج١٢، ص٤٠٥-٤٠٦ (مسرور الخادم)، التنوخي، النشوار، ج٥٧، ص٧٤-٧٥ (مسرور الخادم)، انظر: ابن حمدون، التذكرة، ص٢٢-٢٥.

(٤) المسعودي، مروج، ج٤، ص٢٤٩-٢٥١ (دون)، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١١، ص١٦١-١٦٢ (دون).

وقدَّمت وصفاً لحالتهم في الحبس؛ فقد وصف ابن قتيبة، والبيهقي الفضلَ بن يحيى بأنه مِنْ أبرّ الناس بوالديه لِما كان يقدِّمه مِنْ خِدْمات جليلةٍ لأبيه يحيى في الحبس[١].

وأشار الطبري إلى معاملة الرشيد للبرامكة معاملةً حسنة في بداية اعتقالهم، فقد ذكر أنه أطلق أولاد الفضلِ وجعفرٍ ومحمدٍ الصِّغار، وأنه حين حبس الفضل وموسى ومحمداً حبس معهم دنانيرَ وزبيدة بنت منير أم الفضل وعدداً مِنْ خدمهم وجواريهم، وأنَّ حالتهم لم تزل حسنةً إلى أن سخط الرشيد على عبد الملك بن صالح، فضيِّق عليهم[٢]؛ مِمَّا يشير إلى دخوله معهم في أمرهم.

وَجدت أخبارُ البرامكة في الحبس اهتماماً واضحاً مِنَ المصادر الأدبية؛ حيث قدَّمت تفاصيلَ جديدةً وصفت معاملة الرشيد للمحبوسين مِنَ البرامكة، والتي راوحت بين الشدة واللين. وسعت بعضُ هذه المصادر إلى استثارة العطف على البرامكة مِنْ خلال تقديمها قصصاً مبالغاً فيها حول معاملة الرشيد لهم؛ سواء في الشدة أو اللين.

فقد أشار ابن المعتز إلى تتبع الرشيد لأحوال البرامكة في الحبس من خلال خادمه مسرور، الذي كان ينقل له ما كان يجري لهم، ومدى معاناتهم في الحبس، فحين أعلم مسرورٌ الرشيدَ بأن الفضل كان يعاني مِنَ البرد في السجن لقلّة الثياب، أرسل الرشيد إليه بلباس يقيه البرد، كما أشار إلى أن الرشيد لم يكن يمنع عنهم الزيارات[٣].

---

(١) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج١، ص٢٤-٢٥، ٩٨ (قال المامون)، البيهقي، المحاسن، ج٢، ص٣٦٠ (المامون)، ابن حمدون، التذكرة، ج٢، ص٢٢٩ (المامون)، الزمخشري، ربيع، ج٣، ص٥٧٣ (المامون)، الأبشيهي، المستطرف، ج٢، ص١٥٤ (المامون).

(٢) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٩٦-٢٩٧ (مسرور الخادم).

(٣) ابن المعتز، طبقات الشعراء، ص٢٥٦-٢٥٨ (إبراهيم بن ميمون) انظر: الجهشياري، الوزراء، ص١٥٩ (دون).

في حين أورد البيهقي، والمسعودي قصة رواها أحد شهود العيان من الحبس تشير إلى معاملة سيئة مُورست مع الفضل بن يحيى بجلده بالسِّياط؛ حيث أمر الرشيد مسروراً الخادم بجلده مائتي سوط للإقرار عن الأموال التي اختلسها، وذكر تفاصيلَ معاناته وألمه بعد الضرب، وكيفية علاجه(١).

وأشار الجهشياري إلى أخبارٍ عدةٍ عن حالة البرامكة في الحبس مِنْ خلال قصص؛ منها ما أشار إلى تحوُّل الرشيد مِنَ التضييق إلى التوسعة عليهم، حين كان يسمع بمعاناتِهم في الحبس مِنْ مسرور خادمه، فيشفق عليهم، فيوسِّع عليهم، ويرسل إليهم ما يحتاجون(٢)، وأنه كان يأمر بأن لا يقيَّدوا وأن يقيد كُتَّابهم وحاشيتُهم وأتباعُهم المحبوسون فقط(٣).

وأوردت بعض المصادر - مثل البيهقي، وابن عبد ربه، وصاحب "الإمامة والسياسة" نصوصاً لمراسلات بين يحيى بن خالد والرشيد تتضمَّن استعطاف يحيى للرشيد لإطلاق سراحه مِنَ الحبس؛ فقد أورد البيهقي نصَّ رسالة يحيى بن خالد للرشيد مِنَ الحبس، تضمَّنت شكواه مِنْ حالته السيئة ومعاناته في الحبس، ويطلب مِنَ الرشيد عدم إلحاقه بذنب ابنه جعفر، وأن يكتفي بما ألحقه مِنْ عقاب بجعفرٍ، لكن الرشيد لم يستجب لطلبه، ووقَّع على رقعته بأن كتب نص آية "وضرب الله مثلا قرية كانت آمنه مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون"(٤)، وأورد ابن عبد ربه نصَّ

(١) البيهقي، المحاسن، ج٢، ص٣٢٦-٣٢٨ (الهيثم بن الخليل الشيعي)، المسعودي، مروج، ج٤، ص٢٥٧-٢٥٩ (الخليل بن الهيثم الشيعي).

(٢) الجهشياري، الوزراء، ص١٥٥ (دون)، ابن خلكان، وفيات، ج٦، ص٢٢٨ (دون)، ج٤، ص٣٣ (دون).

(٣) الجهشياري، الوزراء، ص١٥٥ (دون).

(٤) البيهقي، المحاسن، ج٢، ص٣٣٨-٣٤٢ (دون)، انظر: اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٤٢٣ (دون)، التوحيدي، البصائر، ج٤، ص١٦٧، ابن بدرون، شرح قصيدة ابن عبدون، ص٢٣٤-٢٣٥ (دون) الآية ١١٢ من سورة النحل.

هذه الرسالة، لكنه لم يُورِدْ ردَّ الرشيد عليها[١]، كما أورد ابنُ عبد ربه نصَّ رسالة قصيرة كتبها يحيى للرشيد، تشير إلى أن الرشيد لم يكن صائباً عندما حكم بنكبته؛ لأنه الخصم والحكم في آن واحد، فردَّ الرشيد عليه بأنه لم يظلِمه، وأن الله سيعاقبه بأشدَّ مما عاقبه[٢].

كما أورد ابن عبد ربه وصاحب "الإمامة والسياسة" قصة لقاء أم جعفر البرمكي فاطمة بنت محمد بن الحسين بن قحطبة للرشيد، واستعطافها إياه لفكِّ أسر زوجها، حيث بالَغَ سهلُ بن هارون راوي القصة في ذكر أفضالها وصفاتها ومكانتها عند الرشيد، كما بالَغَ في إبراز أفضال البرامكة على الرشيد، وذلك مِنْ خلال تذكير أم جعفر للرشيد برضاعتها وتربيتها له، وأورد نصاً لحوار طويل بينهما، حيث سعت مِنْ خلال تكرارها لاستثارة عطف الرشيد، ورجائها له، وتحليفها إياه بأشياء كثيرة أن يعفوَ عن زوجها، لكن الرشيد لم يستجب لتلك الاستعطافات، وظهر بقسوة وعنادٍ شديدين وإصرار على رأيه، وكان ردُّ الرشيد لها يحوي مضامينَ إيمانيةً غيرَ قابلة للنقاش، مظهراً أن ذلك خارجُ إرادته حين قال لها: "أمرٌ سبَقَ، وقضاءٌ حُمّ، وغضب مِنَ الله نفذ" وتضمَّنت الإجاباتُ والردودُ أبياتاً شعرية وأقوالاً في غاية البلاغة، لا يمكن أن تقولها أمُّ جعفر، جميعُها سعت إلى إثبات الحجة على وجوب ممارسة الرشيد لقدْرٍ عالٍ مِنَ اللين، ولكن دون أن يستجيب[٣]، ممَّا يدلُّ على تدخل الراوي في نص الحوار، وربما اختلاقه؛ لأنها جاءت لصالح البرامكة، ولكنها حملت في الوقت نفسه فكرةَ المشيئة الإلهية، بحيث كان الرشيدُ المنفِّذَ لتلك المشيئة.

---

(١) ابن عبد ربه، العقد، ج٥، ص٦٨-٦٩ (دون).

(٢) ابن عبد ربه، العقد، ج٤، ص٢١٥ (دون)، ج٥، ص٦٩ (دون)، انظر: الزمخشري، ربيع، ج٣، ص٦٢١ (دون)، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٤٢، ص٤٥٩.

(٣) ابن عبد ربه، العقد، ج٥، ص٦٢-٦٥ (سهل بن هارون)، مجهول، الإمامة والسياسة، ج٢، ص١٦٩-١٧٢ (سهل بن هارون).

ويتكرر ورود فكرة المشيئة الإلهية لدى الجهشياري مِنْ خلال ردِّ الرشيد على رسالة وجَّهها يحيى بن خالد للرشيد يطلب منه عدم تعميم عقوبته بقوله: "إن كان الذنبُ يا أمير المؤمنين خاصاً، فلا تعمِّمْ بالعقوبة؛ فإنَّ لي سلامة البريء ومودَّةَ الوليّ". فوقع الرشيد على رسالته: "قُضِيَ الأمر الذي فيه تستفتيان". وبرزت فكرة المشيئة الإلهية أيضا لدى الجهشياري حين بدأ حديثه عن سبب نكبة البرامكة بقوله: "إذا أراد الله عز وجل هلاكَ قوم وزوالَ نعمتهم، جعل لذلك أسباباً"(١).

وقدَّمت بعضُ المصادر - مثل الطبري، والجهشياري، والخطيب البغدادي - أراءً ومواقفَ لعدَّة أطراف مِنْ نكبة البرامكة.

فقد أشار الطبري وغيره مِمَّن نقل عنه موقف يحيى بن خالد حين أُخبر بقتل الرشيد لابنه جعفر وخراب دياره، فأجاب يحيى: " كذلك يقتُل ابنه... وكذلك تخرب دورهم"(٢).

إن ورود مثل هذا القول على لسان يحيى قد يتنبأ، أو يعكس تمنياً لديه بوقوع المصيبة للرشيد في أولاده ودولته، والذي تمثَّل فيما بعد بالفتنة التي حصلت بين ولديه، والتي أدَّت إلى حرب أهلية، ومقتل الأمين، وخراب بغداد، وهو مشابه لِما حصل مع البرامكة بقتل جعفر بن يحيى، وخراب دور البرامكة(٣). في حين أورد الطبري في رواية أخرى موقفاً مغايراً ليحيى بن خالد من مقتل ابنه، حين ظهر بأنه مؤمن بقضاء الله، فكتب لأحد معزِّيه في ولده: "أنا بقضاء الله راضٍ، وبالخيار منه عالم، ولا يؤاخِذُ اللهُ العبادَ إلا بذنوبهم، وما ربُّك بظلام للعبيد"(٤).

---

(١) الجهشياري، الوزراء، ص١٦٢ (دون).

(٢) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٩٩ (محمد بن إسحق)، الأزدي، تاريخ الموصل، ص٣٠٦ (محمد ابن إسحق)، الجهشياري، الوزراء، ص١٦٤ (محمد بن إسحق)، ابن كثير، البداية، ج١٠، ص ١٩٨ (دون).

(3) Tayeb EL Hibri, Harun Al Rashid, p. 35-36.

(٤) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٣٠٠ (أيوب بن هارون بن سليمان بن علي)، انظر: الجهشياري، الوزراء، ص١٥١ (دون)، ابن كثير، البداية، ج١٠، ص١٩٨ (دون).

وأورد الخطيب البغدادي أيضاً رأي يحيى بن خالد في النكبة، وردَّ ذلك بشكل فيه مُبالغة حين تساءل ابنه جعفر عن حالتهم التي وصلوا إليها في الحبس، بعد أن كانوا في حالة من النعيم والقدرة؛ فأجابه يحيى بن خالد أن هذا التحول حصل بسبب ظلمهم للناس، فعاقبهم الله على ذلك(١)، إن هذا الخبر يظهر فيه التناقض إلى جانب المبالغة؛ لأن الروايات لم تشر إلى حبس جعفر مع أبيه، بل قُتل قبل القبض على يحيى وبقية أبنائه، كما أن مجيء هذا الاعتراف على لسان يحيى بن خالد، وبرواية حفيده - (محمد بن جعفر) - يؤيد فكرة وضع الرواية بقصد إيجاد مسوِّغات للنكبة؛ لأنها تذم البرامكة، وتحمِّلهم مسؤولية النكبة بعدم تقديرهم للنعمة التي كانوا ينعمون بها.

وبرز موقف أتباع البرامكة أيضاً لدى إبراهيم بن عثمان بن نهيك، حيث أوردت المصادر التاريخية والأدبية وكتب التراجم خبرَ قتل الرشيد لإبراهيم بن عثمان بسبب موقفه المعارض للنكبة، وإكثاره مِنْ ذكر جعفر والبرامكة وبكائه عليهم، ونيته أخذ الثأر له؛ فقتله الرشيد(٢).

وظهرت مواقف أتباع البرامكة عند الخطيب البغدادي على شكل قصة أسطورية تمثَّلت في وقوف امرأة مجهولة على حمارها أمام خشبة جعفر (المصلوب) حيث أبدت حزنها وأسفها عليه، وقالت أمام خشبته: "والله لئن صرتَ اليوم آيةً، لقد كنت في المكارم غايةً" وانشدت أبياتَ شعر في ذلك، ثم ذهبت هذه المرأة هي ودابَّتها بسرعة الريح بحيث لم يستطع الراوي مصعبُ بن

(١) الخطيب، تاريخ بغداد، ج١٤، ص١٣٢ (محمد بن يزيد المبرد عن محمد بن يحيى بن خالد)، ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص١٩١-١٩٢ (محمد بن يزيد المبرد عن محمد بن يحيى بن خالد).

(٢) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٣١٠-٣١٢ (الواقدي) و (صالح الأعمى من أتباع إبرهيم بن عثمان)، ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص١٣٩ (دون)، ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص١٨٦-١٨٧ (دون)، الذهبي، تاريخ، ج١٢، ص٣٦.

عبد الله من رؤيتها واختفت فجأة!!؟[١].

واستمرت مواقف أتباع البرامكة بالظهور أيام المأمون كشكل من أشكال الدعاية المبالغ فيها من قبل الرواة الذين صوّروا أنَّ تأثُّر الناس بنكبتهم استمر لسنوات طويلة؛ فقد أورد البيهقي، والتنوخي قصة شيخ كبير كان يأتي إلى دُور البرامكة ـ أيام المأمون ـ يبكيهم ويرثيهم بشعر، حيث أظهرت هذه القصة بشكل مبالغ فيه أفضال البرامكة وكرمهم، وحزن المأمون عليهم، وعدم إنكاره لِمَا كان يفعله الشيخ[٢].

أما عن موقف الرشيد نفسه فيما بعد النكبة، فقد اختلفت المصادر في ذلك، فعلى الرغم من أن بعض المصادر ـ كالطبري وغيره[٣] ـ أشارت ـ من خلال عدة أحداث ـ إلى عدم ندم الرشيد على نكبة البرامكة، إلا أن بعضها ـ كالجهشياري، والأصفهاني وغيرهما ـ سعَوْا لإظهار الرشيد بموقف النادم على نكبته للبرامكة، وأنه كان يتحسَّر عليهم[٤]. في حين أن ابن الجوزي أورد ـ برواية الصولي ـ قولاً

(١) الخطيب، تاريخ بغداد، ج٧، ص١٥٩–١٦٠ (الزبير بن بكار عن عمه مصعب بن عبد الله)، ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص١٣٦–١٣٧ (الزبير بن بكار عن عمه مصعب بن عبد الله)، ص١٤٤ (حماد بن إسحق الموصلي)، انظر: الراغب الأصفهاني، محاضرات، ج٢، ص٢١٨ (دون).

(٢) البيهقي، المحاسن، ج١، ص١٨٨ (برون الكبير)، يقصد مسروراً الكبير، انظر: ج١، ص٣٣٥–٣٤٠ (دون)، التنوخي، الفرج، ج٣، ص١٦٦–١٧٢ (مسرور الكبير)، ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص١٤٦–١٤٨ (مسرور)، الإربيلي، خلاصة، ص١٥٢ (مسرور)، ابن كثير، البداية، ج١٠، ص٢١٥ (ابن الجوزي)، الأبشيهي، المستطرف، ج٢، ص١٤–١٥ (مسرور)، يرى الهبري أن القصة تمثل انتقاد للرشيد. Tayeb EL Hibri, Harun Al Rashid, p. 51.

(٣) يتمثل ذلك بموقفه من إبراهيم بن عثمان بن نهيك كما سبق الإشارة سابقاً انظر: الصفحة السابقة.

(٤) الجهشياري، الوزراء، ص١٦٩، ٢٥٧ (دون)، الأصفهاني، الأغاني، ج١٨، ص٤٥٦ (محمد ابن حبيب)، انظر: ابن حمدون، التذكرة، ج٤، ص٢٠٦ (قيل)، البيهقي، تاريخ، ص٢٠٦ (دون)، ابن خلكان، وفيات، ج٦، ص٢٢٨، استند أحمد أمين إلى هذه الأخبار، ووصف الرشيد بحدة العاطفة والازدواجية في الشخصية، أحمد أمين، هارون الرشيد، ص٢٢٢.

للرشيد يدل على ندمه لِمَا فعله بالبرامكة(١). وأورد ابن عبد ربه وصاحب "الإمامة والسياسة" مقولة للرشيد تدلُّ على أنه كان يحمل نظرة تقدير لهم، على الرغم من إقراره بكرهه وعداوته لهم(٢).

إن كل ما ورد عن موقف الرشيد النادم على نكبته للبرامكة غير صحيح، وربما أنه مختلَقٌ وموضوع، وجاء في باب الدعاية اللاحقة لتبيّض صورتهم؛ لأنه لو صح ذلك عن الرشيد لأطلق مَنْ كان منهم في حبسه، وهذا ما لم يحصل؛ حيث توفي يحيى والفضل في حبس الرشيد(٣)، وإذا افتُرض أن الرشيد ندم على فِعْلَتِه، لوجدت توسلاتُ يحيى وتدخلاتُ زوجته آذاناً صاغيةً لديه، كما سبق وأن أشارت بعض المصادر.

وانفرد الجهشياري، والمسعودي بالإشارة إلى أن نكبة البرامكة، أثّرت سلباً على دولة الرشيد؛ فقد ذكر الجهشياري أن الأمور بعدهم اختلفت، وأن الفضل بن الربيع وزيرَ الرشيد اهمل الأمور، واضاع ما وراء بابه، وأن أمور البريد والأخبار كانت مهملةً، لدرجة أن الرشيد توفي وعند متولّي البريد أربعة آلاف كتاب لم تُفتَحْ، وأن بعض الخدم استولَوا على أمور الرشيد والدولة(٤).

(١) حين قال: "لعن الله من اغراني بالبرامكة، ما رايت رخاءً بعدهم، ولا وجدت لذة راحة"، وقول آخر للرشيد حدث به الشاعر العتبي: "وددت والله اني شوطرت عمري وغرمت نصف ملكي، وأني تركت البرامكة على امرهم". ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص١٣٥-١٣٦ (الصولي، العتبي)، ابن كثير، البداية، ج١٠، ص٢٠٠ (روى).

(٢) فقد قال: " اما والله لئن ذهب أثرك لقد بقي خبرك، ولئن حطّ قدرك، علا ذكرك ". ابن عبد ربه، العقد، ج٥، ص٦١ (سهل بن هارون)، مجهول، الإمامة والسياسة، ج٢، ص١٦٨ (سهل ابن هارون).

(٣) انظر وفاة الفضل في حبس الرشيد سنة ١٩٣هـ: الطبري، تاريخ، ج٨، ص٣٤١، الأزدي، تاريخ الموصل،ص٣١٦، ووفاة يحيى بن خالد سنة ١٩٠هـ: الجهشياري، الوزراء، ص١٦٩، الأزدي، تاريخ الموصل، ص٣١٠، الذهبي، تاريخ، ج١٢، ص٤٢.

(٤) الجهشياري، الوزراء، ص١٧٢ (الفضل بن مروان).

ووصف المسعودي دولة الرشيد بعد النكبة بالاختلال بقوله: "واختلت أموره بعد البرامكة، وبان للناس قُبْحُ تدبيره وسوءُ سياسته"(١).

لكن بقية المصادر لم تُشِرْ إلى مثل هذا الوصف لحالة الدولة بعد نكبة البرامكة؛ فالطبري لم يشر إلى ذلك، وتناول أحداثاً مهمةً حصلت في الفترة التي تلت النكبة، ومعظم هذه الأحداث كانت إيجابيةً، وتمثَّل ذلك في ازدياد نشاط الرشيد العسكري، وقيامه بحروبه ضد الروم، وتحقيق إنجازات مهمة(٢).

وكذلك أشار اليعقوبي إلى أحداثٍ مهمة تلت النكبة؛ مثل: إرسال الصوائف، إضافة إلى إشارته إلى حصول اضطرابات في أقاليم الدولة؛ مثل أرمينيا وجرجان والشام، ولكنه لم يُشر إلى ارتباطها بالتخلص مِنَ البرامكة، وكانت مثلُ هذه الأحداث تحصل أيام وجود البرامكة، وكان لتلك الأحداث أسبابُها الخاصة. وحين وصف اليعقوبيُّ الفترةَ التي تولَّى فيها البرامكة الوزارة، وغلبوا فيها على أمور الدولة، أشار لمن غلب على أمور الدولة والرشيد بعد البرامكة ومَنْ تولى المناصب الإدارية الأخرى، ولم يتطرق إلى مقارنة، أو وصف ما كانت به الحال بعد البرامكة(٣).

ومِنْ جانب آخر اهتمت المصادر التاريخية والأدبية وكتب التراجم بإيراد مراثي شعرية قيلت في البرامكة عَقِبَ نكبتهم؛ فعلى الرغم مِنَ الحظْر الذي فرضه الرشيد على مدح ذكرى البرامكة وأيامهم، إلا أننا نجد أن عدداً من المصادر أوْرَدَ مثل تلك القصائد (المراثي) حيث جاءت دعايةً متأخرة لهم.

فقد أورد كلٌّ مِنَ ابن الفقيه الهَمذاني، والطبري، وابن عبد ربه، والأزدي،

---

(١) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص٣٤٦ (دون)، مجهول، العيون، ج٣، ص٣٠٩ (قبل).

(٢) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٣٠٤، وما بعدها، انظر: الباب المتعلق بحروب الرشيد مع الروم من هذه الدراسة.

(٣) انظر: اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٢٢٤-٢٢٩ (دون).

والمسعودي، والأصفهاني، والخطيب البغدادي قصائدَ ترثي البرامكة؛ وتُبالِغُ في وصف حالة الناس نتيجة فقدانهم مِنْ بكاءٍ ووَحشةٍ وألم، ووصف لقصورهم الخاوية(١)، وكان ابن عبد ربه والمسعودي أكثر مَنْ أورد مثل تلك المراثي؛ فقد ذكر المسعودي أن الشعراء رثَوُا البرامكةَ بقصائد كثيرة، وذكرت أيامهم، وأورد ما استحسنه مِنْ أبيات في مراثيهم.

(١) أورد ابن الفقيه الهمذاني وصفاً لحالة قصور البرامكة الخاوية، وكيف ترك البرامكة الناس بين حزين وباكٍ، ابن الفقيه الهمذاني، البلدان ص٤٤٤-٤٤٥ (دون) وأورد الطبري ابياتاً متفرقةً لعدد من الشعراء تجاوزت العشرين بيتاً ترثي البرامكة، وتشير إلى كرمهم وافضالهم، الطبري تاريخ، ج٨، ص٣٠٠-٣٠٢ (دون)، وأورد ابن عبد ربه قصيدة لسليمان الأعمى من ثلاثين بيتاً، ابن عبد ربه، العقد، ج٥، ص٧٠-٧١ (دون)، الأزدي، تاريخ الموصل، ص٣٠٥-٣٠٦ (دون)، الجهشياري، الوزراء، ص١٥١-١٥٢ (دون)، وأورد المسعودي مقتطفاتٍ من مراثي البرامكة وصلت لاربعين بيتاً من القصائد التي استحسنها. المسعودي، مروج، ج٤، ص٢٥٢، وأورد الأصفهاني في ترجمته للرقاشي الأبيات التي رثى بها البرامكة، الأصفهاني، الأغاني، ج١٦، ص٤٣٠-٤٣٢ (دون) ج، ١٨ص٣٩٠ (ابن مناذر)، كما أورد الخطيب قصيدة للشاعر أبي قابوس يطالب الرشيد فيها بالعفو عن يحيى وأبياتاً تمدح جعفراً وترثيه، الخطيب، تاريخ بغداد، ج٧، ص ١٥٨س (أبو النضر هاشم بن سعيد بن علي البلدي) انظر: ابن حمدون، التذكرة، ج٥، ص٩٤، ج٤، ص٢٠٩-٢١٠ (دون)، ابن خلكان، وفيات، ج١، ص٣٤٠-٣٤١ (دون)، الذهبي، تاريخ، ج١٢، ص١٠٣، الأبشيهي، المستطرف، ج٢، ص ١٣٢.

نتائج الدراسة

خرجت الدراسة بنتائجَ مهمةٍ توضِّحُ كثيراً مِنَ الغموض والتناقض الذي وَسَمَ سيرة الرشيد وخلافته، كما وردت في المصادر المختلفة. وأهم هذه النتائج:

– تفاوتت السيرة المخرجة للرشيد لدى المصادر على حسب فئاتها ـ تاريخية، أدبية، كتب تراجم ـ وحسب اهتمامات مؤلفيها وثقافاتهم، ومنهجهم العام في تدوين الأخبار.

– اختلفت المصادر وتفاوتت في عرضها لأخبار الرشيد، من حيث منهجها في الإسناد، وأسلوب عرضها للأخبار، من حيثُ التوسعُ أو الاختصار، والاهتمام أو الإهمال لبعض القضايا المهمة في خلافة الرشيد؛ كنكبة البرامكة، وعلاقته مع العلويين، وقضية ولاية العهد.

– وجود تأثير لتيارات معينة على تدوين الأخبار التي ارتبطت بالرشيد، أهمها التيار الشُّعوبي المساند للبرامكة، حيث ضخَّم هذا التيارُ دورَ البرامكة الإداري والسياسي في خلافة الرشيد، وبالَغَ في تقديم الأوصاف الإيجابية لهم. بالمقابل هاجم هذا التيارُ خصومَ البرامكة المتمثّل بالرشيد والأمين، وسعى إلى تقديم أوصاف غايةً في الإساءة لهما، وبشكل مشين، بحيث اتُّهما بالشذوذ وغَلَبَةِ اللهو والمجون عليهما. في المقابل كان التيار المواجه للشعوبية ضعيفاً.

– سيطرت الدعاية المأمونية إلى جانب الشعوبية على أخبار الأمين، وأخبار ولاية العهد ونصوص كتب العهود التي كتبها الرشيد بين أولاده، لتبرير أحداث الفتنة لتكون في صالح المأمون.

– يلحظ سيطرة تيار التَّرف واللهو، ومظاهر حياة البذخ على المصادر الأدبية ورواياتها، حيث عكست تلك المظاهر مِنْ خلال الروايات التي تحدثت عن مجالس الرشيد الأدبية أو الترفيهية، ومِنْ خلال بعض النوادر والملح، وكانت تلك السِّمةُ مِنْ سمات عصر الرشيد، وليست خاصةً به وبحياته.

- تميزت بعض المصادر الأدبية بمنهجها وأسلوبها العام باهتمامها بالجانب الأدبي الجمالي لتحقيق التسلية للقارئ، من خلال إيراد النوادر والملح والأخبار الغريبة على حساب الحقيقة التاريخية، حيث كانت سيرة الرشيد خاضعة لهذا الاتجاه في التدوين، وهذا يبيِّن أنَّ المصادر الأدبية هي مصادرُ مساعدةٌ ومساندة لعلم التاريخ في بعض الحالات، وليست مصادرَ تاريخيةً يعتمد عليها بشكل أساسي.

- كانت المصادر التاريخية أكثرَ اعتدالاً في تقديم أوصاف الرشيد وخاصة التي يحمل أصحابُها ثقافةً دينية؛ كالطبري والخطيب البغدادي، وسعت لإسباغ صفة التديُّن عليه. وهذا ناتجٌ عَنِ اهتمام الرشيد الفعليّ بالحرب والسياسة، حيث رأى أن الدين أساس الملك، فأبدى اهتماماً واضحاً بالجهاد والحج، فنال تقديراً مِنْ علماء الدين الذين كان يقرِّبهم ويهتم بهم.

- استندت المصادر التاريخية والأدبية وكتب التراجم إلى عدة مجموعات مِنَ الرواة؛ مِنْ إخباريين، ورواة للأدب، وبعض شهود العيان مِنْ موظفي القصر؛ كالخدم أو الحرس، أو المشاركين في الأحداث، أو من الذين سمعوا بها، أو بعض المقربين مِنْ ندماءَ ومغنين، أو شعراءَ، أو أحفادهم وأولادهم. كما اعتمد المؤرخون على رُواةٍ مِنْ أفراد الأسر المشتركة في الأحداث؛ كالعباسيين والعلويين والبرامكة، وروَوْا أخبارَ أقاربهم، إلى جانب تصريحهم باعتمادهم مؤلفاتٍ مكتوبةٍ ذكروا أسماءهم ومؤلفيها؛ كالجهشياري، والأصفهاني في "المقاتل"، والخطيب البغدادي، أو مصادر مباشرة رحل إليها المؤرخُ ليستقِيَ منها الأخبار عن مناطق بعيدة؛ كالمسعودي الذي استقى أخباره عن حروب الرشيد في بلاد الروم مِنْ شيوخ أهل الثُّغور.

- ويلحظ أن معظم هؤلاء الرواة كانوا عُرضَةً للتجاذُب والميل والهوى بين الأطراف المختلفة والمتصارعة، إضافة إلى مقدرتهم الفائقة في تأليف بعض الأخبار وتضخيمها.

- ويلحظ كذلك أن هذه المصادر لم تهتم أو تختص بالإسناد إلى فئة دون أخرى، أو راوٍ دون آخر، حيث جاء إسنادها متجانساً بين جميع هذه الفئات وأفرادها، بحيث لم يسند المصدر الواحد عن الراوي الواحد أكثرَ مِنْ ثلاث روايات؛ ففي أغلب الأحيان، كان يسند للراوي روايتين، وفي الأغلب رواية واحدة.

- كما يلحظ مِنْ خلال بعض الأخبار اطّلاع بعض المؤرخين على وثائق الدولة دون تصريح بذلك. وتمثَّل ذلك في إيراد الطبري لكتب العهود بين أولاد الرشيد، وبعض الخطب والمراسلات، ولدى غيره - كالجهشياري - بإيراده قائمة بِوارِدِ خراجِ الدولة أيام الرشيد.

- ويلحظ لدى عدد قليل مِنَ المصادر إدراكٌ محدود بوجود ممارسة للكذب والدَّسِّ مِنْ قِبَلِ الرواة، وارتبط ذلك بأخبار البرامكة وقصة العباسة.

- كان اهتمام المؤرخين بنقد الأخبار وأسانيدها ضعيفاً وقليلاً، حيث ينقلون الأخبار دون إبداء آرائهم فيها. ويبدو أن هذه سمةُ الثقافة في عصرهم.

- يلحظ سيطرة الأساطير والخُرافات - كالرؤى والأحلام والقصص الشعبي إلى جانب الغموض - على الأخبار التي ارتبطت بالأحداث المهمة، كأقدار الشخصيات المهمة؛ مثل وفاة الهادي، ومصير الأمين، والحرب الأهلية، ونكبة البرامكة، وموت الرشيد.

- كان اهتمام المصادر كافة واضحاً في إيراد الأشعار والقصائد في المناسبات والإحداث المتعلقة بالرشيد ووزرائه، حيث فاقت مدائحُ وزرائه البرامكة ما مُدِحَ به الرشيدُ، وكان هذا نتيجةً تقريبهم الشعراء والأدباء، وبذلهم الصِّلاتِ لهم لإدراكهم لأهمية دورهم في الدعاية كوسيلة مهمة مِنْ وسائل الإعلام في ذلك العصر.

المصادر والمراجع

١- المصادر:

* القرآن الكريم.

* ابن الأثير، علي بن محمد الشيباني (ت ٦٣٠هـ، ١٢٣٢م). الكامل في التاريخ، تحقيق كارلوس جوهانز، بريل، ليدن ١٨٧١، دار صادر، بيروت ١٩٦٥م.

* الأبشيهي، محمد بن أحمد بن منصور (ت٨٥٤هـ، ١٤٥٠م). المستطرف في كل فن مستظرف، تحقيق إبراهيم صالح، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٩٩م.

* أحمد بن حنبل، (ت ٢٤١هـ، ٨٥٥م). مسند أحمد بن حنبل، (د، ط)، مؤسسة قرطبة، مصر (د، ت).

* كتاب الأشربة، تحقيق محيي جاسم، مطبعة العاني، بغداد، (د، ت).

* الأربيلي، عبد الرحمن سنبط قنيتو (ت٧١٧هـ، ١٣١٧م). خلاصة الذهب المسبوك، تحقيق مكي السيد جاسم، ط٢، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٦٤م.

* الأزدي، يزيد بن محمد (ت ٣٣٤هـ، ٩٤٥م). تاريخ الموصل، تحقيق علي حبيبه (د.ط)، مؤسسة دار التحرير للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٦٧م.

* الأزرقي، محمد بن عبد الله (ت بعد٢٤٧هـ، ٨٦١م). أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق رشدي الصالح ملحس، ط٢، مطابع دار الثقافة، مكة المكرمة، ١٩٦٥م.

* الإصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد المعروف بالكرخي (ت ٤٣٠هـ، ١٠٣٨م) المسالك والممالك، تحقيق دي غويه، بريل، ليدن، ١٩٢٧م.

* الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، (ت ٣٥٦هـ، ٩٦٦م). الأغاني، تحقيق مكتب دار إحياء التراث العربي، ط٢، بيروت، ١٩٩٧م.

* مقاتل الطالبيين، تحقيق أحمد صقر، (د.ط) دار المعرفة، بيروت (د.ت).

* أدب الغرباء، تحقيق صلاح الدين المنجد، ط١، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٧٢م

* ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم (ت ٦٦٨هـ، ١٢٦٩م). عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، (د.ط) دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٥م.

* ابن أعثم الكوفي، أبو محمد أحمد بن أعثم (ت ٣١٤هـ، ٩٢٦م). الفتوح، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦م.

* البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ، ٨٦٩م). صحيح البخاري، تحقيق مصطفى ديب البغا، ط٣، دار ابن كثير، بيروت، ١٩٨٧م.

* التاريخ الكبير، تحقيق محمد عبد المعين خان، (د، ط)، دار الفكر، (د، م)، (د، ت).

* ابن بدرون، عبد الملك بن عبد الله (ت٦٠٨هـ، ١٢١١م). شرح قصيدة ابن عبدون المعروفة بالبسامة، ط١، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٤٠هـ.

* البستي، محمد بن حبان التميمي (ت٣٥٤هـ، ٩٦٥م). مشاهير علماء الأمصار، تحقيق م، فلايشهر، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٥٩م.

* البسوي، يعقوب بن سفيان (ت ٢٧٧هـ، ٨٩٠م). المعرفة والتاريخ، تحقيق أكرم ضياء العمري، ط٢، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨١م.

* البلاذري، أحمد بن يحيى (ت ٢٧٩هـ، ٨٩٢م). فتوح البلدان، تحقيق رضوان محمد رضوان، (د، ط)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م.

* انساب الأشراف، (القسم الثالث)، تحقيق عبد العزيز الدوري، دار فرانتس شتايز، بفسبادن، بيروت، ١٩٧٨م.

* أنساب الأشراف ج٢ (علي وبنوه)، تحقيق محمود الفردوس العظم، دار اليقظة،

دمشق، (د،ت).

* البيهقي، إبراهيم بن محمد (ت ٣٢٠هـ، ٩٣٢م). المحاسن والمساوئ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (د.ط)، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، القاهرة، (د، ت).

* البيهقي، أبو الفضل محمد بن الحسين (ت٤٧٠هـ، ١٠٧٧م). تاريخ البيهقي، ترجمه من الفارسية يحيى الخشاب وصادق نشأت، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٢م.

* الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى (ت٢٧٩هـ، ٨٩٢م). سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرين، دار إحياء التراث العربي، بيروت (د،ت).

* ابن تغري بردي، أبو المحاسن يوسف (ت٨٧٤هـ، ١٤٩٦م). النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة، تحقيق محمد حسين شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.

* التنوخي، المحسن بن علي (ت ٣٨٤هـ، ٩٩٤م). الفرج بعد الشدة، تحقيق عبود الشالجي، (د.ط) دار صادر، بيروت، ١٩٧٨م.

* نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق عبود الشالجي، (د. ط) (د.ن) ١٩٧١م.

* التوحيدي، أبو حيان علي بن محمد (ت ٤١٤هـ، ١٠٢٣م). الإمتاع والمؤانسة، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين، (د.ط)، مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت).

* البصائر والذخائر، تحقيق وداد القاضي، ط١، دار صادر، بيروت، (د، ت).

* الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد (ت ٤٢٩هـ، ١٠٣٧م). آداب الملوك، تحقيق جليل عطية، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٠م.

* الإعجاز والإيجاز، تحقيق محمد التونجي، ط١، دار النفائس، بيروت، ١٩٩٢م.
* تحفة الوزراء، تحقيق حبيب علي الراوي، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٧م.
* التمثيل والمحاضرة، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، مطبعة عيسى بابي الحلبي، ١٩٦١م.
* خاص الخاص، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٦م.
* ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق إبراهيم صالح، ط١، دار البشائر، ١٩٩٤م.
* رسائل الثعالبي أو نثر النظم وحل العقد، (د،ط)، مكتبة دار البيان، بغداد، (د،ت).
* لطائف اللطف، تحقيق عمر الأسعد، ط١، دار المسيرة، بيروت، ١٩٨٠م.
* لباب الآداب، تحقيق قحطان رشيد صالح، (د،ط)، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٨م.
* الثعلبي، محمد بن الحارث (ت ق٣هـ، ٩م). أخلاق الملوك المنسوب للجاحظ، تحقيق جليل عطية، ط١، دار الطليعة، بيروت، ٢٠٠٣م.
* الجاحظ، عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ، ٨٦٨م). البخلاء، تحقيق أحمد العوامري وعلي الجارم (د.ط) دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩١م.
* البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، (د.ط)، دار الجيل، دار الفكر، بيروت، (د.ت).
* الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٩م.
* رسائل الجاحظ، ج١، ج٢، تحقيق عبد السلام هارون (د.ط) مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٩م.

* المحاسن والأضداد، تحقيق يوسف فرحات، (د، ط)، دار الجيل، بيروت، (د.ت).
* ابن الجزري، محمد بن محمد (ت٨٣٣هـ، ١٤٢٩م). غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق برجستراسر، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٣٣م.
* الجهشياري، محمد بن عبدوس (ت٣٣١هـ، ٩٤٢م). الوزراء والكتاب، تحقيق حسن الزين (د.ط)، دار الفكر الحديث، بيروت، ١٩٨٨م.
* ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (٥٩٧هـ، ١٢٠٠م). الأذكياء، تحقيق محمد عبد الرحمن عوض، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٦م.
* المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.
* أخبار الظراف والمتماجنين، تحقيق محمد أنيس مهرات، ط١، دار الحكمة، بيروت، ١٩٨٧م.
* الضعفاء والمتروكين، تحقيق عبد الله القاضي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٦هـ.
* صفة الصفوة، تحقيق محمود فاخوري ومحمد رواس قلعه جي، ط٢، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٩م.
* ابن حبيب، محمد بن حبيب (ت ٢٤٥هـ، ٨٥٩م). المحبر، صححه ايلزه ليختن شتينر، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد الدكن، ١٩٤٢م.
* ابن حبيب، أبو القاسم الحسن بن محمد(ت٤٠٦هـ، ١٠١٥م)، عقلاء المجانين، تحقيق عمر الأسعد،ط١، دار النفائس،بيروت١٩٨٧م.
* ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ، ١٤٧٤م)، لسان الميزان، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م.

* ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد الظاهري الأندلسي (ت ٤٥٦هـ، ١٠٦٣م)، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ط٢، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٥م.

* الحصري القيرواني، إبراهيم بن علي (ت ٤٥٣هـ، ١٠٦١م). زهر الآداب وثمر الألباب، تحقيق زكي مبارك ومحمد محيي الدين عبد الحميد، ط٤، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٢م.

* ابن حمدون، محمد بن الحسن (ت ٥٦٢هـ، ١١٦٦م). التذكرة الحمدونية، تحقيق إحسان عباس، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٩٦م.

* ابن حوقل، أبو القاسم، محمد بن علي (ت بعد ٣٦٧هـ، ٩٧٧م). صورة الأرض، تحقيق كريمرز، بريل، ليدن، ١٩٦٧م.

* ابن خرداذبه عبيد الله بن عبد الله (ت حوالي ٣٠٠هـ). المسالك والممالك، تحقيق دي غويه، ليدن، بريل،١٨٩٧م.

* الخطيب البغدادي، أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ، ١٠٧٠م). تاريخ بغداد (د.ط) دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ت)

* ابن خلدون، عبد الرحمن (ت ٨٠٨هـ، ١٤٠٥م). مقدمة ابن خلدون، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣م.

* تاريخ ابن خلدون، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.

* ابن خلكان، أحمد بن محمد (ت٦٨١هـ، ١٢٨٢م). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان درويش، (د.ط)، دار الثقافة، بيروت، (د.ت).

* خليفة بن خياط الليثي (ت ٢٤٠هـ، ٨٥٤م). تاريخ خليفة بن خياط، (برواية بقي بن مخلد المتوفى سنة ٢٧٦هـ، ٨٨٩م)، تحقيق أكرم ضياء العمري، ط٢، جامعة بغداد، دار القلم، دمشق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٧م.

* الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن (ت٢٥٥هـ، ٨٦٨م). سنن الدارمي، تحقيق

فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ.

* أبو داود، سليمان بن الأشعث (ت ٢٧٥هـ، ٨٨٨م). سُنن أبي داود، (د،ط)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، (د،م)، (د،ت).

* ابن أبي الدنيا،عبد الله بن محمد القرشي(ت٢٨١هـ، ٨٩٤م). ذم المسكر، تحقيق نجم عبد الرحمن، دار الراية، بيروت، (د،ت).

* أبو حنيفة الدينوري، أحمد بن داود (ت ٢٨٢هـ، ٨٩٥م). الأخبار الطوال، تحقيق عمر فاروق الطباع، (د،ط)، دار الأرقم، بيروت، (د،ت).

* الذهبي، محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ، ١٣٤٧م). تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبد السلام التدمري، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٢م.

* سير أعلام النبلاء (مجموعة محققين)، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م.

* ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م.

* العبر في خبر من غبر، تحقيق صلاح الدين المنجد، ط٢، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٤٨م.

* الرازي أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم (ت٣٢٧هـ، ٩٣٨م). الجرح والتعديل، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٥٢م.

* الربعي، محمد بن عبد الله (ت٣٩٧هـ، ١٠٠٦م). مولد العلماء ووفياتهم، تحقيق عبد الله أحمد، ط١، الرياض، دار العاصمة، (د، ت).

* الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد بن مفضل (ت ٥٠٢هـ، ١١٠٨م).

محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، تحقيق عمر الطباع (د.ط) دار الأرقم، بيروت، ١٩٩٩م.

* الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر(ت٥٣٨هـ، ١١٤٣م). ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، تحقيق مجموعة من المحققين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٠-١٩٩٢م.

* السرخسي، احمد بن أبي سهل (ت٤٨٣هـ، ١٠٩٠م). المبسوط، (د،ط)، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٦هـ.

* ابن سعد، محمد بن سعد (ت ٢٣٠هـ، ٨٤٤م). الطبقات الكبرى، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٥م.

* السمعاني، عبد الكريم بن محمد (ت ٥٦٢هـ، ١١٦٦م). الأنساب، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، نشره محمد أمين دمج، ط٢، بيروت لبنان، ١٩٨٠م.

* السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ). تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر للطبع، القاهرة، ١٩٧٥م.

* طبقات الحفاظ، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ.

* الشابشتي، علي بن محمد (ت ٣٨٨هـ، ٩٩٨م). الديارات، تحقيق كوركيس عواد، ط٢، مكتبة المثنى، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٦م.

* الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت٥٤٨هـ، ١١٥٣م). الملل والنحل، تحقيق أحمد فهمي محمد، ط١، دار السرور، بيروت، ١٩٤٨م.

* الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت٣٨٠هـ، ٩٩٠م). عيون أخبار الرضا، تصحيح خسين الأعلمي، ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٤م.

* الصـفـدي، صـلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ، ١٣٦٢م). الوافي بالوفيات، تحقيق مجموعة من المحققين، دار فرانز شتايز، شتوتكارت، ١٩٧٤ – ١٩٩٣م.

* الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى (ت ٣٣٥هـ، ٩٤٦م). أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم، تحقيق جـ. هيورث، (د.ن)، ط٢، دار المسيرة، بيروت، ١٩٧٩م.

* أخبار الشعراء المحدثين، تحقيق جـ. هيورث، ط٢، دار المسيرة، بيروت، ١٩٧٩م.

* الطبري، محمد بن جرير، (ت ٣١٠هـ، ٩٢٢م). تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٧م.

* الطرطوشي، أبو بكر محمد بن الوليد (ت ٥٢٠هـ، ١١٢٦م). سراج الملوك، تحقيق محمد فتحي أبو بكر، ط١، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٤م.

* ابن الطقطقا، محمد بن علي بن طبطبا (ت ٧٠١هـ، ١٣٠١م). الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦م.

* ابن طيفور، أحمد بن طاهر (ت ٢٨٠هـ، ٨٩٣م). كتاب بغداد، تحقيق محمد زاهد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٤م.

* اختيار المنظوم والمنثور، ج١٢، (رسالة الرشيد لقسطنطين ملك الروم) الواقعة في كتاب أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب، ج٣، السفر الأول في رسائل العصر العباسي الأول، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، (د، ت).

* ونُشرت هذه الرسالة على شكل كتاب صغير في عكا عام ١٩٢٨م في مطبعة النجاح بعنوان رسالة إلى الربيع التي كتبها للرشيد إلى قسطنطين ملك الروم نشرها الشيخ عبد الله الجزار قاضي عكا ومفتيها على نفقة الشيخ محمد الهادي اليشرطي.

* ابن ظافر الأزدي، علي بن منصور (ت٦١٣هـ، ١٢١٦م). أخبار الدول المنقطعة، عصام مصطفى وآخرون، دار الكندي، اربد، ١٩٩٩م.

* ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله (٤٦٣هـ، ١٠٧٠م). التمهيد، تحقيق مصطفى أحمد العلوي ومحمد البكري، نشر وزارة عموم الأوقاف، المغرب، ١٣٨٧هـ.

* ابن عبد ربه، أحمد بن محمد (ت ٣٢٨هـ، ٩٣٩م). العقد الفريد، تحقيق أحمد أمين وآخرين، ط٣، مطبعة لجنة التأليف، القاهرة، ١٩٦٥م.

* عبد القاهر البغدادي، عبد القاهر بن طاهر بن محمد (ت ٤٢٩هـ، ١٠٣٧م). الفرق بين الفِرق، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (د. ط) المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٩٩٥م.

* ابن العبري، غريغوريوس الملطي (ت ٦٨٥هـ، ١٢٨٦م). تاريخ مختصر الدول، (د.ط)، دار المسيرة، بيروت، (د.ت)

* تاريخ الزمان، ترجمة إسحق أرملة، دار المشرق، ١٩٨٦م.

* ابن عساكر، علي بن الحسين (ت٥٧١هـ، ١١٧٥م). تاريخ مدينة دمشق وذكر من حل بها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، تحقيق عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥-١٩٩٨م.

* ابن العديم، عمر بن أحمد (ت ٦٦٠هـ، ١٢٦١م). بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق سهيل زكار، (د.ط)، دمشق، ١٩٨٨م.

* العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله(ت ٣٩٥هـ، ١٠٠٤م). الأوائل، تحقيق محمد المصري ووليد قصاب، نشر وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٧٥م.

* ابن الفرضي، عبد ربه بن محمد بن يوسف الأزدي (ت ٤٠٣هـ، ١٠١٢م). تاريخ علماء الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦م.

* القاضي عياض، أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي (ت٥٤٤هـ، ١١٤٩م). ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق احمد بكير محمود، دار مكتبة الحياة، ١٩٦٧م.

* ابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد بن محمد(ت ٨٥١هـ، ١٤٤٧م). طبقات الشافعية، تحقيق الحافظ عبد العليم خان، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٧هـ.

* القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم (ت ٣٥٦هـ، ٩٦٦م). الأمالي، تحقيق محمد عبد الجواد الاصمعي، دار الكتاب العربي، بيروت، (د، ت).

* ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ، ٨٨٩م). المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٩م.

* عيون الأخبار، تحقيق أحمد زكي العدوي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف، القاهرة، ١٩٦٣م.

* ابن قدامة المقدسي، عبد الله بن أحمد بن محمد (ت ٦٢٠هـ، ١٢٢٣م). كتاب التوابين، تحقيق جورج مقدسي، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، ١٩٦١م.

* المغني، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ.

* قدامة بن جعفر (ت ٢٣٨هـ، ٨٥٢م). الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق محمد حسن الزبيدي، (د.ط)، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨١م.

* القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر، (ت ٦٧١هـ، ١٢٧٢م). تفسير القرطبي، تحقيق أحمد عبد العليم البردوني، ط٢، دار الشعب، القاهرة ١٣٧٢هـ.

* القفطي، علي بن يوسف (ت ٦٤٦هـ، ١٢٤٨م). تاريخ الحكماء أو مختصر

الزوزني المسمى بمنتخبات الملتقطات من كتاب أخبار العلماء بأخبار الحكماء، تحقيق يوليوس ليبرت ليبسك، مكتبة المثنى، بغداد، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٠٣م.

* القلقشندي، أحمد بن علي(ت ٨٢١هـ، ١٤١٨م). صبح الأعشى في صناعة الإنشا، مجموعة محققين، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٧م.

* مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، عالم الكتب، بيروت، (د،ت).

* القيسراني، محمد بن طاهر(ت ٥٠٧هـ، ١١١٣م). تذكرة الحفاظ، تحقيق حمدي عبد المجيد إسماعيل، ط١، دار الصميعي، الرياض، ١٤١٥هـ.

* الكتبي، محمد بن شاكر (ت ٧٦٤هـ، ١٣٦٢م). فوات الوفيات، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٣م.

* ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ، ١٣٧٢م). البداية والنهاية، تحقيق محمد أبو ملحم وآخرين، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.

* الكندي، محمد بن يوسف (ت ٣٥٠هـ، ٩٦١م) الولاة والقضاة، تحقيق رفن كست، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٨م.

* مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ، ٧٩٥م). المدونة الكبرى، دار صادر بيروت، (د، ت).

* رسالة الإمام مالك في السنن والمواعظ والآداب كتبها إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد ووزيره يحيى بن خالد البرمكي، تصحيح أحمد سعد علي، ط٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٤٥م.

* الماوردي، علي بن محمد بن محمد البصري (ت ٤٥٠هـ، ١٠٥٨م). الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م.

* أدب الدنيا والدين، تحقيق مصطفى السقا، ط٣، مطبعة مصطفى الباب الحلبي، القاهرة، ١٩٥٥م.
* قوانين الوزارة، وسياسة الملك، تحقيق رضوان السيد، ط١، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٩م.
* نصيحة الملوك، تحقيق خضر محمد خضر، ط١، مكتبة الفلاح، الصفاة، الكويت، ١٩٨٣م.
* المبرد، محمد بن يزيد (ت ٢٨٥هـ، ٨٩٨م). الكامل في اللغة والأدب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم والسيد شحاته، (د.ط)، مكتبة النهضة، القاهرة، ١٩٥٦م.
* مجهول (ت ق ٤هـ، ١١م). العيون والحدائق في أخبار الحقائق، جـ٣، تحقيق فليشر، (د.ط)، مكتبة المثنى، بغداد.
* مجهول (ت ق ٣هـ، ٩م). الإمامة والسياسة، تحقيق طه الزيني، (د.ط)، دار الأندلس، النجف، العراق، (د.ت).
* المرتضى، الشريف علي بن الحسين الموسوي (ت ٤٣٦هـ، ١٠٤٤م). أمالي المرتضى، غرر الفوائد ودرر القلائد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٦٧م.
* المرزباني، محمد بن عمران (ت ٣٨٤هـ، ٩٩٤م). معجم الشعراء، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، (د، ن)، (د، م)، (د، ت).
* مروان بن أبي حفصة (ت ١٨٢هـ، ٧٩٨م). ديوان مروان بن أبي حفصة، تحقيق أشرف أحمد عدره، ط١، دار الكتاب العربي، ١٩٩٣م.
* المزي، يوسف بن عبد الرحمن (ت ٧٤٢هـ، ١٣٤١م). تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق بشار عواد معروف، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٠ – ١٩٩٢م.

* المسعودي، علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ، ٩٥٧م). التنبيه والإشراف، تحقيق دي غويه، ليدن، بريل، ١٩٦٧م.
* مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق شارل بيلا، (د.ط)، نشر الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٦٥ - ١٩٧٩م.
* مسلم بن الحجاج القشيري (ت ٢٦١هـ، ٨٧٤م). صحيح مسلم، تحقيق فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د،ت).
* ابن المعتز، عبد الله بن المعتز بن المتوكل (ت ٢٩٦هـ، ٩٠٨م). طبقات الشعراء، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨م.
* المفضل الضبي، محمد بن يعلى (ت ١٧٦هـ، ٧٩٢م). المفضليات، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، ط٣، دار المعارف، ١٩٧٣م.
* ابن مفلح، إبراهيم بن محمد (ت ٨٨٤هـ، ١٤٧٩م). المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، تحقيق عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، ط١ مكتبة، الرشد، الرياض، ١٩٩٠م.
* المفيد، الشيخ محمد بن النعمان العكبري (ت٤١٣هـ، ١٠٢٢م). الفصول المختارة من العيون والمحاسن، ط٤، دار الضواء، بيروت، ١٩٨٥م.
* الاختصاص، تصحيح علي أكبر الغافري، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٢م.
* المقدسي، مطهر بن طاهر (ت ٣٥٥هـ، ٩٦٥م). البدء والتأريخ، اعتنى بنشره كلمان هوار، (د.ط)، الثقافة الدينية، بورسعيد، (د.ت).
* المقدسي البشاري، محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت٣٧٥هـ، ٩٨٥م). أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق دي غويه، ط٣، مكتبة مدبولي، ١٩٩١م.
* المقريزي، أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ، ١٤٤١م). المقفى الكبير، تحقيق محمد اليعلاوي، ط١، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩١م.

* النقود الإسلامية المسمى شذور العقود في ذكر النقود، تحقيق محمد السيد بحر العلوم، النجف، المكتبة الحيدرية، ١٩٦٧م.
* ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ، ١٣١١م). لسان العرب، (د.ط)، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م.
* أخبار أبي نواس، مطبعة، بيروت، ١٩٦٩م.
* النوبختي، الحسن بن موسى (ت ق ٣هـ، ٩م). فرق الشيعة، ط٢، دار الأضواء، بيروت، ١٩٨٤م.
* ابن النديم، محمد بن أبي يعقوب، (ت ٣٨٥هـ، ٩٩٥م). الفهرست، تحقيق رضا تجدد (د.ط)، (د.ن)، طهران، ١٩٧١م.
* أبو نعيم الأصفهاني، أحمد بن عبد الله (ت ٤٣٠هـ، ١٠٣٨م). حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط٣، نشرة محمد أمين الخانجي، دار الكتاب العربية، المكتبة السلفية، بيروت، ١٩٨٠م.
* كتاب الضعفاء، تحقيق فاروق حمادة، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٨٤م.
* النووي، يحيى بن شرف (ت٦٧٦هـ، ١٢٧٧م). المجموع، تحقيق محمود معراجي، ط١، بيروت، ١٩٩٦م.
* شرح النووي على صحيح مسلم، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ.
* النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٣هـ، ١٣٣٢م). نهاية الأرب في فنون الأدب، مجموعة من المحققين، مطبعة كوستا توماس، القاهرة، صادر عن المجلس الأعلى للثقافة بالاشتراك مع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤م.

* الهمذاني، أحمد بن محمد بن الفقيه، (ت ٢٩٠هـ، ٩٠٢م). مختصر كتاب البلدان، تحقيق يوسف الهادي، ط١، عالم الكتب، ١٩٩٦م.
* وكيع، محمد بن خلف (ت ٣٠٦هـ، ٩١٨م). أخبار القضاة، تحقيق عبدالعزيز مصطفى المراغي، (د.ط)، عالم الكتب، بيروت، (د.ت).
* اليافعي، عبد الله بن أسعد(٧٦٨هـ، ١٣٦٦م). مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، تحقيق عبد الله الجبوري ،ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٤م.
* ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله (ت ٦٢٦هـ، ١٢٢٨م). معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، تحقيق إحسان عباس، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣م.
* معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م.
* اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب (ت ٢٨٤هـ، ٨٩٧م). تاريخ اليعقوبي، (د.ط) دار صادر، بيروت، (د.ت).
* البلدان، تحقيق وستنفيلد، بريل، ليدن، ١٨٩٢ (ضمن كتاب الأعلاق النفيسة لابن رسته).
* مشاكلة الناس لزمانهم وما يغلب عليهم في كل عصر، تحقيق محمد كمال الدين، مكتبة عالم الكتب، القاهرة (د، ت).
* أبو يعلى، محمد بن الحسين الفراء الحنبلي (ت ٤٥٨هـ، ١٠٦٥م). الأحكام السلطانية، تحقيق محمد حامد الفقي، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م.
* أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم (ت ١٨٣هـ، ٧٩٩م). الخراج، دار المعرفة، بيروت (د.ت) (واقع ضمن موسوعة الخراج).

٢- المراجع العربية والمعربة:

* الأتليدي، محمد المعروف بدياب (ت ١١١٠هـ). إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس، نوادر الخلفاء، تحقيق أيمن عبد الجابر البحيري، ط١، دار الآفاق العربية القاهرة، ١٩٩٨م.

* أحمد أمين بك (١٩٥١م). هارون الرشيد، كتاب الهلال عدد٣، مصر، دار الهلال.

* أحمد زكي صفوت (د،ت) جمهرة رسائل العرب، السفر الأول من رسائل العصر العباسي، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي.

* أحمد الزين والشيخ أحمد قطان (١٩٨٩م). هارون الرشيد الخليفة المظلوم، ط٢، مكتبة السندس (د.م).

* أحمد فريد الرفاعي (١٩٢٨م). عصر المأمون، ط٤، القاهرة، دار الكتب المصرية.

* أكرم العمري (١٩٧٥م). موارد الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، دمشق، دار القلم.

* أندريه كلو (١٩٩٧م). هارون الرشيد وعصره (ألف ليلة وليلة)، ترجمة محمد الرزقي، تونس، دار سراس. أُلف وُطبع بالفرنسية ١٩٨٦، وُترجم للإنجليزية ونُشر سنة ١٩٨٩م.

* البغدادي، عبد القادر بن عمر(ت ١٠٩٣هـ، ١٦٨١م). خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩م.

* جان سوفاجيه وكلود كاين (١٩٩٨م). مصادر دراسة التاريخ الإسلامي، ترجمة عبد الستار الحلوجي وعبد الوهاب علوب، المجلس العلى للثقافة.

* جان موريس فييه (١٩٩٠م). أحوال النصارى في خلافة بني العباس، ط١، بيروت، دار المشرق.

* حاجي خليفة مصطفى عبد الله القسطنطيني (ت١٠٦٧هـ، ١٦٨٩م). كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٢م.

* حسني ناعسة (١٩٧٨م). الكتابة الفنية في مشرق الدولة الإسلامية في القرن الثالث الهجري، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة.

* الخوانساري، محمد باقر الموسوي (ت١٣١٣هـ، ١٨٩٥م). روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، طهران، مكتبة إسماعيليان، المطبعة الحيدرية، ١٣٩٠هـ.

* زامباور (١٩٥١م). معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ترجمة زكي محمد حسن بك وآخرين، القاهرة، مطبعة جامعة فؤاد الأول، نشرته الإدارة الثقافية جامعة الدول العربية.

* الزركلي (١٩٧٩م). الأعلام، ط٤، بيروت، دار العلم للملايين.

* سعدي ضناوي (٢٠٠١م). موسوعة هارون الرشيد، ط١، بيروت، دار صادر.

* ديوان هارون الرشيد، ط١، بيروت، دار صادر،١٩٩٨م.

* السيد عبد العزيز سالم، (١٩٩٧م). التاريخ والمؤرخون العرب، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة.

* شاكر مصطفى (١٩٧٣م). دولة بني العباس، الكويت، وكالة المطبوعات.

* المظلومون في التاريخ، ط٢، دمشق، دار طلاس، ١٩٩٧م.

* جنوب بلاد الشام في العصر العباسي، عمان، لجنة تاريخ بلاد الشام، ١٩٩٢م.

* شوقي أبو خليل (١٩٧٧م). هارون الرشيد أمير الخلفاء وأجل ملوك الدنيا، ط١، دمشق، دار الفكر.

* صلاح النبراوي (٢٠٠٢م). هارون الرشيد الخليفة المفترى عليه. طنطا، دار البشير.
* طريف الخالدي (١٩٩٧م). فكرة التاريخ عند العرب من الكتاب إلى المقدمة، ط١، بيروت، دار النهار.
* طنطاوي جوهري (١٩٣٦م). براءة العباسة أخت الرشيد، ط١، القاهرة، مطبعة مصطفى بابي الحلبي وأولاده.
* عبد الأمير مهنا (١٩٩٠م). الطرب والظرف والنشيد في مجالس هارون الرشيد، ط١، بيروت، دار الفكر اللبناني.
* عبد الجبار الجومرد (١٩٩٩م). هارون الرشيد، ط١، شركة المطبوعات للتوزيع، بيروت.
* عبد الرحمن حسين العزاوي (١٩٨٨م). المنهجية التاريخية في العراق إلى القرن الرابع الهجري، ط١، بغداد، دار الشؤون الثقافية.
* عبد العزيز الدوري (١٩٩٧م). العصر العباسي الأول، ط٣، دار طليعة، بيروت.
* بحث في نشأة التاريخ عند العرب، بيروت، دار المشرق، ١٩٨٣م.
* الجذور التاريخية للشعوبية، (د،ط)، دار الطليعة، بيروت، (د،ت).
* عبد المنعم رشاد وموفق سالم النوري (٢٠٠١م). الأمين الخليفة المفترى عليه، نظرة في طبيعة الصراع بين الأمين والمأمون، ط١، بغداد، دار الشؤون الثقافية.
* عجمي محمود خطاب الجنابي (١٩٨٩م). هارون الرشيد ومؤسسات الخلافة في عهده، الموصل، مطبعة التعليم العالي.
* عفت الشرقاوي (د،ت). أدب التاريخ عند العرب، (د، ط)، بيروت، دار العودة.

* عماد الدين خليل (١٩٨٥م) . في التاريخ الإسلامي مواقف ودراسات، ط٢، العراق، مطبعة الزهراء .
* عمر أبو النصر (١٩٣٤م) . هارون الرشيد، بيروت، المكتبة الأهلية .
* فاروق عمر فوزي (١٩٨٩م) . الخليفة المجاهد هارون الرشيد، ط١، دار الشؤون الثقافية، بغداد .
* الخلافة العباسية عصر القوة والازدهار، ط١، عمان، دار الشروق، ١٩٩٨م .
* العباسيون الأوائل، (د،ط)، (د،ن)، دمشق، ١٩٧٣م .
* فخري الزبيدي (١٩٨٨م) . الموجز المنتخب من حوادث وأخبار الخليفة هارون الرشيد ودولة جند العرب في خلافة بني العباس، بغداد .
* مارغليوث (د،ت) . دراسات عن المؤرخين العرب، ترجمة حسين نصار، (د، ط)، جامعة القاهرة .
* محمد أحمد خلف الله (١٩٦٢م) . صاحب الأغاني أبو الفرج الأصفهاني الراوية، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية .
* محمد رجب البيومي (٢٠٠٠م) . هارون الرشيد الخليفة العالم والفارس المجاهد، ط ١، دمشق، دار العلم .
* محمد رضوان (د،ت) . أسرار الأمير العاشق، ليالي هارون الرشيد بين الحقيقة والأسطورة، القاهرة، مركز الراية .
* محمد الزين والشيخ أحمد قطان (١٩٨٩م) . هارون الرشيد الخليفة المظلوم، ط٢، مكتبة السندس، (د، م) .
* محمد عبد الحي شعبان (١٩٨١م) . الدولة العباسية، (د، ط)، بيروت، الأهلية للنشر والتوزيع .
* محمد علي الهرفي (د، ت) . هارون الرشيد بين السيرة الواقعية والسيرة الشعبية، (د، ط)، (د، ن) .

* محمد القاضي (١٩٩٨م). الخبر في الأدب العربي، دراسة في السردية العربية، ط١، بيروت، دار الغرب الإسلامي.
* محمد ماهر حمادة (١٩٨٨م). دراسة وثقية للتاريخ الإسلامي ومصادره، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة.
* محمد مختار باشا (د،ت). التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية، تحقيق محمد عمارة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
* نابية عبود (١٩٦٩م). ملكتان في بغداد، الخيزران أم هارون وزبيدة زوجته، ترجمة عمر أبو النصر، بيروت، مكتبة عمر أبو النصر للتأليف والترجمة.
* ناصر النقشبندي (١٩٥٣م). الدينار الإسلامي في المتحف العراقي، ج١، بغداد، منشورات مطبعة الرابطة.

٣- المراجع باللغة الانجليزية:

- Tayeb El- hibri. (1999). Reinterpreting Islamic Historiography: Harun Al- Rashid and the Narrative of the Abbasid Caliphat. London. Cambridge universty press.
- The Cambridg History Of Islam، Ededed by D.M.HOLT ، vol 1a(1970.) ، The "ABBASID Caliphate" by D. Sourdel ، London. cambridg universty press.

٤- الرسائل الجامعية:

* أحمد الخطيمي (١٩٨١م). الفتنة في عهدي الأمين والمأمون، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة القديس يوسف، بيروت.
* أمجد ممدوح الفاعوري (١٩٩٥م). ولاية المظالم في العصر العباسي ١٣٢هـ، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان.
* سعيد صالح هليل (١٩٧٨م). الإمامة والسياسة لمؤلف مجهول من القرن الثالث الهجري، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان.
* عدنان عبد الله عبيدات (٢٠٠٣م). البرامكة، رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان.

٥- البحـوث المنشورة في الدوريات العربية:

* جواد علي(١٩٥٠م)، موارد تاريخ الطبري، مجلة المجمع العلمي العراقي، بغداد، مطبعة التفيض، مج ١، (جزء١)، سنة١، ايلول،ص ص ١٤١- ٢٣١.
* رضوان السيد (١٩٨٧م)، قضاء المظالم،نظرة في وجهة من وجوه علاقة الدين بالدولة في التاريخ الإسلامي، مجلة دراسات الجامعة الأردنية، عمان، مج ١٤، (عدد١٠ تشرين أول)، ص ص ١٥٦- ١١٨.
* صالح حمارنة (١٩٩٦م) هارون الرشيد الرجل الأسطورة، مجلة المؤرخ العربي، بغداد، (عدد٥٤)، ص ص ٧٨- ٩٢.
* عبد الجبار ناجي (١٩٨٦م) ريادة مؤرخي البصرة في كتابة تواريخ شاملة، المؤرخ العربي، بغداد، (عدد٣٠)، ص ص٢٠٩- ٢٣٧.
* محمد بن ناصر الملحم، (٢٠٠٠م) العلاقات السياسية بين الدولة العباسية والدولة البيزنطية في عهد هارون الرشيد، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية، مج١٢، (عدد٢٠)، ص ص ١- ٤٠.
* محمد عبد الرحمن يونس، (٢٠٠٢م). ملامح شخصية الخليفة هرون الرشيد في حكايات ألف ليلة وليلة، مجلة أفق، سنة٢، نيسان ابريل، (الصين) ص ص ١-١٣. http://www.ofouq.com * younesmoon@maktoob.com

٦- البحـوث المنشورة في الدوريات الأجنبية:

- Michael Bonner, 1988, Al Khalifa Al Mardi, J.A.O.S, vol, 108, no 1, January, p. 84.
- Tayeb El- hibri, 1992, Harun Al Rashid and Mecca protocol of A. plan for Division or succession, 802, I. J. M. E. S, vol 24, no 3. August. PP 461-486.

٧- الندوات والمؤتمرات:

* الحسن الباز (١٤١٠هـ)، مكانة تاريخ الطبري في التدوين التاريخي عند المسلمين حتى نهاية القرن الثالث الهجري، ندوة الامام الطبري في ذكرى مرور أحد عشر قرناً على وفاته، ٣١٠هـ، ج٢، مؤرخاً ومفسراً، المنظمة الإسلامية

للتربية والعلوم والثقافة .

* قاسم طوير، (١٩٩٢م) هرقلة هارون الرشيد في الرقة أو بغداد المنصور المصغرة، المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام، بلاد الشام في العصر العباسي، ١٣٢- ٤٥١هـ، تحرير محمد عدنان البخيت، ومحمد يونس العبادي، عمان، مطبعة الجامعة الأردنية، ص ص ٤٩٨- ٥٣٣ .

٨- البحوث المنشورة في دوائر المعارف :

- J. Horovitz, (ABBASA) E. I, 2, vol, 1, p. 14.

- B. Lewis, (ABBASIDS) E. I, 2, vol, 1, pp. 18-19.

- G.S Marcais, (AGHLABIDS) E. I, 2, vol 1, p. 247.

- F. Omer, (Harun Al- Rashid) E. I, 2, vol, 3, pp. 232-234.

- J. Schacht, (Abu - Yusuf) E. I, 2, vol, 1, p. 164.

- F. Omer, (Barmakids) E. B, Vol. 2, pp. 723-724.



مطبعة
مركز الملك فيصل
للبحوث والدراسات الاسلامية



